

التشيع  
عقيدة دينية؟ أم عقدة نفسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التشيع

## عقيدة دينية؟ أم عقدة نفسية

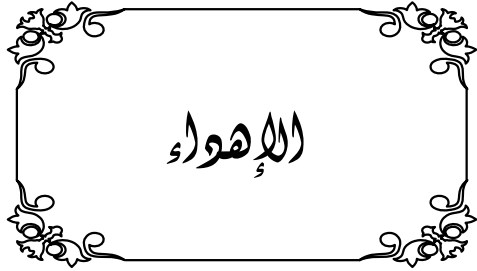
الدكتور  
طه حامد الدليمي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م





إلى ..

النخبة العاملة في الأمة ..

من العلماء والدعاة والقيادات السياسية والعسكرية والثقافية والعشائرية وغيرها  
الذين أدركوا حقيقة خطر الشيعة

ويسعون جدياً في مواجهة هذا الخطر

لا تبددوا طاقاتكم في تجربة المجرب

والسعي وراء ما لا طائل تحته

من ..

الأفكار التقليدية ..

والأساليب القديمة غير المجدية

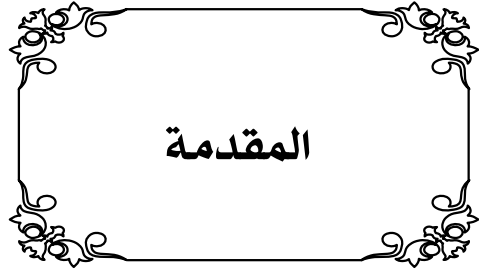
أيها العاملون ! ..

وحتى أختصر لكم الطريق

فقد قمت بتشخيص الداء .. وتوصيف الدواء







الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله .. أصحابه  
وأتباعه أجمعين. وبعد..

ففي زمن الزيف.. والضغط الاجتماعي.. والإرهاب الجسدي  
والفكري.. حين تلتمس الدنيا بعمل الآخرة.. ويبيع المرء دينه بعرض من  
الدنيا قليل - تقلب الحقائق.. وتغير المعاني.. وتبدل المفاهيم.. ويمسي  
الحق غريباً توضع على وجهه المشرق الجميل البراقع والحجب؛ فلا تكاد  
تتعرف عليه إلا بعد جهد جهيد.. وبحث وتنقيب، كمن يتطلب جوهرة  
ثمينة من خلل الغبار، ويتحسسها من بين الأوساخ والأتربة! فلا يرجع بها  
حتى ينق الناعقون.. يصيحون به من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن  
شماله يقولون: إنه لمجنون!.. وما هو بمجنون. ولكن الذين هانوا على  
ربهم يكذبون.

لا سيما مع شيوع (الثقافة المنبرية). ذلك أن أغلب ركاب المنابر  
(قصاصون) كان أسلافنا الأوائل يطردونهم من المساجد، وكانوا يحذرون  
منهم أشد التحذير. ولكن طال علينا الأمد، وكثر الدخان والدخن؛ فصعب  
التمييز على عامة الناس، لا سيما مع كون الساحة تكاد تخلو ممن يحاول  
السباحة ضد التيار، أو يرفع صوته، أو يحرك يده مشيراً إلى الانحراف  
الحاصل عن الاتجاه الصحيح.

فمن ذا الذي يصبر على مثل هذا؟! وكيف؟! ومتى يدرك الناس الحقيقة وسط هذا المحيط؟!!

في مثل هذه الأجواء الموبوءة.. لا بد لطلاب الحقيقة من أن يعيدوا دراسة القضايا - أو المشاكل الكبرى - بعقلية الناقد المتشكك الذي لا يأخذ الأمور على ظواهرها، أو كما يسمعها أو يقرأها مهما كان مصدرها - سوى قواطع الوحي وثوابت الدين وأن يُخضعوا (المسلمات) الاجتماعية إلى الفحص وإعادة النظر من جديد.. وإلا استمر الخطأ يتكرر، والتأريخ يعيد علينا دورته - ويعيد نفسه - في كل جيل.

لا بد من قراءة جديدة للتأريخ والمجتمع. ومعايشة الواقع معايشة تقوم على الرصد والتحليل والتقييم ومراجعة المعلومات باستمرار. إضافة إلى إثارة الموضوعات الحية ومناقشتها مع ذوي الشأن والخبرة. كل ذلك في ضوء الكتاب والسنة، والاطلاع على التجارب السابقة والمعاصرة، وما سطره الحكماء من العلماء العاملين، وليس الجامدين القابعين في بروجهم الذين يريدون من الله سبحانه (أن يضرب لهم الظالمين بالظالمين ويخرجهم من بينهم سالمين)<sup>(١)</sup>!

أقول: لا بد من هذا للخروج بخلاصة صحيحة - أو أصح - تصلح لعلاج المشاكل الكبيرة، أو - على الأقل - تصلح لتفسيرها تفسيراً علمياً واقعياً بعيداً عن أوهام المخبولين، وخبالات الواهمين.

لقد كنت أقلب البصر في أنحاء هذا الواقع وأنا أفتش عن السر الكامن وراء ذلك الحقد الطائفي والممارسات المتخلفة المؤذية، والوقاحة الصفيقة في التعامل مع (الآخر)، مع انعدام الإحساس بقيمته وقيمه ومشاعره، وإسقاط النواقص الذاتية عليه؟ لماذا هذا العداء الوحشي الذي يلبس لبوس الدين؟ ومصادرة حق الآخر في العيش أو التعايش؟ والسعي الحثيث في محاولة تهميشه وإلغائه من الوجود بشتى الطرق: اتهامه والوقية به،

(١) وفي رواية بزيادة ثقة (كالشجرة من العجين). وهناك رواية أخرى أعرضنا عنها لضعفها.

أو مطاردته واعتقاله وتعذيبه إلى حدود - وبأساليب - لا يبلغها العقل الإنساني! أو اغتياله وتصفيته جسدياً بكل الوسائل الممكنة...؟ لماذا هذه اللعنات التي تصب على تاريخنا ورموزنا علناً وعلى رؤوس الأ شهداء؟! لماذا هذا التخريب والحركات الغوغائية المدمرة للذات وللغير؟ والعمالة المتكررة للغازي الأجنبي؟ ما هذا الفساد الخلقي الذي يمارس باسم الدين أو بلا اسم، والذي يتركز ويزداد كلما اقتربت من الحوزات والمؤسسات أو المعالم والرموز الدينية؟ ما هذا الكذب السمج والنفاق والتظاهر بغير الباطن بلا مبرر من إكراه ونحوه؟ وهذا اللؤم وإنكار الجميل وتوجيه الأذى للمحسن أولاً وقبل غيره؟ ما هذه الرايات السود التي تواصل التقدم من الشرق وبلا انقطاع منذ فجر التاريخ في أور سومر وإلى بغداد الأمس واليوم؟ وهذه الحروب التي لا تنتهي؟ ما هذا اللطم والنواح والتطبير وجلد الذات؟ وهذه الذلة والمسكنة والتباكي ودعوى الاضطهاد والمظلومية والمحرومية: أهى محرومية حقيقية؟ أم هي محرومية نفس جذباء لا تنبت كلاً ولا تمسك مطراً؟

وأتلفت حولي وأنا أسأل وأتساءل، وأبحث وأبحث.. وشيئاً فشيئاً صارت تتكشف لي الحقيقة. ومع الرصد والتنقيب والتحليل، وتخزين الملاحظات وتسجيلها، وفحصها واختبارها، وتجميع النتائج وتركيبها لاستخلاص القواعد والأسس وتطبيقها على المفردات والجزئيات - ظهرت لي الحقيقة جلية. فإذا أنا أكتشف أن (التشيع عقدة وليس عقيدة). وما كان أعجب تلك اللحظة التي اكتشفت فيها هذه الحقيقة! وقد جاءني عفواً على لسان أحد الأصدقاء، فكدت أصبح لحظتها قائلاً: وجدتها..! وجدتها..!

هذه هي الحقيقة المفقودة..!

وهذا هو التشخيص المطلوب..!

وإن هذا التشخيص ضروري كل الضرورة لعلاج المشكلة، وغيابه عن ذاكرة المهتمين بها هو السبب وراء فشل جميع المحاولات العلاجية، أو تأخرها في إحداث الأثر المطلوب، بصرف النظر عن درجة الفشل: أهى قريبة من الصفر؟ أم تحوم تحت عتبة النجاح.

كتبت أول ما كتبت في الأمراض أو العقد النفسية في الشخصية الشيعية عام ٢٠٠٢. فكان أحد أبواب كتاب (لا بد من لعن الظلام) أسميته: (التشيع الفارسي بين الأمراض والعقد النفسية والانحرافات الفكرية والسلوكية). ثم رأيت بعد فترة قليلة أنه لا بد من التوسع في البحث، وإقامته على أسس أكثر علمية. لكن الشواغل حالت بيني وبين ذلك. منها ظروف الاحتلال وكثرة التنقل وعدم الاستقرار. وحين طالت المدة قررت - بالرغم من كل شيء - أن أجرد القلم وأبدأ البحث. لكنني ووجهت بقلّة المصادر وشحة معلوماتها المطلوبة، ووجدت أفضل ما وقع في يدي منها هو كتاب (التخلف الاجتماعي.. سيكولوجية الإنسان المقهور) للدكتور مصطفى حجازي؛ فهو أقربها إلى موضوع البحث من حيث أن حجر الزاوية في (العقد الفارسية) - التي تسللت بالحث والعدوى الجمعية إلى الشيعة - هو الشعور العميق بالقهر والحرمان والعجز والاضطهاد إزاء قوى الطبيعة والمحيط الذي يعيش فيه. وهي معانٍ متقاربة تشترك في تكوين أهم عقدة لدى (الفارسي) - والتي تشكل أساس كل عقده النفسية التي يعاني منها - ألا وهي (عقدة النقص). وهو ما دارت عليه موضوعات الكتاب؛ فاتخذته مرجعاً أساسياً من مراجع البحث<sup>(١)</sup>.

كتبت الكتاب - أو البحث - بمنهاج المصلح الديني، الذي ينبغي الإصلاح الاجتماعي، ويحاول وصف العلاج الناجع من خلال النظر في كتاب الله المسطور: القرآن الكريم - ومعه السنة النبوية المطهرة - وكتابه المنظور: الأنفس والآفاق، أو الواقع المشهود. ولقد ساءني جداً، وأذاني كثيراً ما وجدته في الساحة الدعوية من سطحية في التفكير، وغثائية وجمود في الطرح، وذهول عن القرآن والسنة والسيرة النبوية، وبُعدٍ منقطع عن الواقع، وغفلة حمقاء عن تجارب الأمم، وجهل معيب للتاريخ، وفقر مدقع في معرفة سنن الله في التغيير. لذا فإنني أتناول هذا كله بالحدّث،

(١) وقع الكتاب في يدي في حزيران عام ٢٠٠٥ وأنا أبحث عن كتاب للأمراض النفسية الجماعية فلم أرجع بشيء.

ولا أقتصر به على البحث العلمي الذي يتناول المسألة من جوانبها الموضوعية فقط. علماً أنك ستجد موضوعات منقولة عن كتاب (لا بد من لعن الظلام) بنصها أو بتصرف بسبب طبيعة البحث إذ هو عبارة عن امتداد للباب الأخير من الكتاب المذكور، اقتضت أهمية الموضوع وأصالته مني أن أتوسع فيه وأدرسه بعمق أكثر مما كان عليه.

إن هذا الكتاب محاولة أولية لدراسة هذا الموضوع الساخن جداً، والمهم جداً. ولا أدعي أنني صاحب اختصاص في علم النفس ولا في الطب النفسي، وإن كنت قد درست هذه المادة في الكلية الطبية قبل عشرين عاماً. ولكن كانت دراسة أولية عامة فتحت لنا الطريق ولم تصل بنا إلى نهايته. حسبي أنني فتحت باب الموضوع، وكنت - ما علمت - أول من يلج دهليزه الشائك. والعارفون يعلمون أن صعوبات التأسيس غير صعوبات البناء ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

على أن لي ولعاً قديماً جداً بقراءة كتب علم النفس والتاريخ والاجتماع. ربما ساعدني ذلك كله على أن أتجرأ فأكتب هذه الدراسة مع دعوتي أهل الاختصاص أن يتبنوا هذا الموضوع، ويقولوا كلمتهم فيه. بشرط أن يكونوا ممن عاشوا الواقع واكتووا بناره وتقلبوا على مداه وأشواكه، لا ممن أتعبهم القعود على المكاتب المكيفة صيفاً وشتاء وهم يلهثون وراء الكتب يبحثون في طياتها عن الحقيقة بعيداً عن الواقع والأحداث.









من المشاكل الكبرى التي واجهت - وتواجه - سير ديننا ومسيرة مجتمعنا: مشكلة الشيعة والتشيع.

كم قال لنا (الحكماء) يوصوننا به قبل السفر ومعه وبعده: عليكم بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه. إياكم ومسائل الخلاف وحديث الاختلاف. بينوا للناس الحق وإياكم وذكر الباطل لئلا تُنفروهم فتخسروهم، وبدل أن تلعن الظلام أشعل شمعة! قولوا لهم: إن عمر هو زوج أم كلثوم بنت علي، واذكروا لهم العلاقة الطيبة بين علي والصحابة إلخ... إلخ؟!

وحزمتنا حقائبنا محشوة بهذه الوصايا، ورحنا ننفق منها بلا حساب، وزدنا عليها بما جادت به قرائننا. بل صرنا (فقهاء) نُنظر لهذا (الفقه) فنأتي منه بكل عجيب!

لكننا كنا نقرأ القرآن فتقفنا منه آيات بينات، ونصطدم بالواقع فنعرف وننكر! وشيئاً فشيئاً صار بعض الوصايا لدينا في موضع الشك، وبدأنا نراجع الحساب لنرى من أين أتينا فرأس المال يكاد يطير!

واكتشفنا - بعد سلسلة من التجارب الفاشلة والناجحة التي مارسنا من خلالها دورنا في الرصد وتسجيل الملاحظات وتجميعها وتحليلها، ومتابعة

الخطوات الناجحة من الفاشلة، ومحاولة إرجاع كل إلى أسبابه - اكتشفنا أن تلك (الوصفة) غير مكتملة العناصر من جهة، وأنها - من جهة أخرى - غير ناجعة في أغلب الحالات؛ لا بسبب عدم اكتمالها فحسب، وإنما لكونها مستوردة من محيط يختلف كثيراً عن المحيط الآخر الذي يراد لها أن تطبق فيه دون مراعاة لجوانب الاختلاف. بل أستطيع أن أقول: إن أهم سبب وراء استمرار المرض وتفاقمه وانتشاره هو أن الدواء يجرب على مريضين يختلفان في أصل الداء، وإن بدت الأعراض في ظاهرهما بينهما متشابهة.

### الوصفة غير مكتملة العناصر

□ أما عدم اكتمال عناصر (الوصفة) فأول دليل عليه أن دين الله قام على فضح الباطل وأهله والتنديد بهم وبيان سبيلهم وأساليبهم وأضاليلهم جنبا إلى جنب مع بيان الحق ومدح أهله والدعوة إليه. بل إن بيان الحق لا يتم إلا ببيان الباطل، وإن الثاني يتقدم على الأول في أصل القاعدة الصحيحة، وفي الذكر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) [الفاتحة: ٦، ٧]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ وَلِتَسَيِّرَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥٥) [الأنعام: ٥٥]، وقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فالقول بأن قضية كبيرة ومشكلة خطيرة كقضية (التشيع) يمكن علاجها بالإشارة والإيماء، دون وضعها على طاولة التشريح وعرض خباياها على الملأ لا يمكن أن يكون تعبيراً عن دعوة جادة محترمة لها هدف بعيد وبرنامج مدروس. إنما هو مجرد أحلام لا تليق إلا بمجموعة من البسطاء (الطيبين).

### الدواء مستورد

□ وأما السبب الأكبر القائم على كون الدواء مستورداً من محيط إلى

محيط آخر مختلف فهو يجرب على مريضين مختلفين في أصل العلة أو الداء فهذا أعني به أمرين:

**أولهما:** أن هذه الأساليب تنفع في برنامج الدعوة الفردية، ولا تصلح أن تكون خطاباً مؤثراً في برنامج دعوة الإسلام الجماعية، التي تخاطب المجتمع كمجموع، وليس كأفراد منعزلين في دوائر ضيقة يعالجون بهذه الأساليب التي يمكن أن تؤتي ثمارها فيبدأ بالتغير بها بعض الأفراد يقلون أو يكثر، دون أن يكتمل هذا التغير في نهاية المطاف ببيان الحق من الباطل، ودون أن يؤثر ذلك ليحدث انعطافة في مسيرة المجتمع. إنما الذي يمكن أن يحدث هذه الانعطافة هو الخطاب الذي يتوجه إلى المجتمع ككل. وأولى فقرات هذا الخطاب أن يكون صريحاً واضحاً في بيانه للحق وللباطل. وهكذا كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام، بل كل الدعوات الناجحة على مر التاريخ.

المشكلة أن الكثيرين لا يدركون الفرق بين برنامج الدعوة الفردية، وبرنامج الدعوة الجماعية. فيقعون في مطب المراوحة فوق موضع الخطوة الأولى، وفي الوقت نفسه تخذعهم بعض النجاحات المحدودة على المستوى الفردي، أو نجاحات أخرى كانت نتاج أساليب اقتربت عفواً من الأسلوب الجماعي، فيخلطون هذا بذاك ويجعلونه كلاً دليلاً على صحة ما يذهبون إليه. وهذا يؤدي بهم إلى الفشل في نهاية المطاف؛ لنقلهم مضامين وأساليب المعالجة الفردية التي لا يجيدون سواها - هذا في أحسن الأحوال - إلى غير مجالها وهو المجال الجماعي. ولا شك أن العقلية الجمعية للمجتمع - وكذلك نفسيته وثقافته كمجموع - تختلف في كل ذلك عن أي فرد من أفراد المجتمع كلاً على حدة. وهذا يستدعي - بلا شك عند كل عاقل أدرك هذا الفرق الدقيق - اختلافاً في المؤثرات التغييرية سواء في الأسلوب أو المضمون. وقد شرحت ذلك مفصلاً في كتاب: (لا بد من لعن الظلام) في الفصل الأخير منه.

**وثانيهما:** تبين لنا بعد تلك التجارب الطويلة الفاحصة أن أدواء

المجتمعات الشيعية تختلف في طبيعتها عن أدواء المجتمعات السنية. وهذا هو موضوع كتابي هذا، الذي هو أحد أبواب الكتاب المذكور آنفاً استلته من هناك وأفردته هنا بتصرف أوسع، ودراسة أعمق.

إن (التشيع) عبارة عن مجموعة عقد وأمراض نفسية قبل أن يكون مشكلة عقيدية أو فكرية. إنه عقد نفسي أفرزت مشاكل عقيدية وسلوكية. أو هو مشاكل عقيدية وسلوكية كان لا بد لها أن تكون عن قصد وعمد بسبب انحرافات وعقد نفسية. ولهذا كان من الصعب علاجه علاجاً فكرياً مجرداً عن إدخال العنصر النفسي في معادلة العلاج.

إنه دين يشبه دين اليهود تماماً!

هل تستطيع أن تقول لي: لماذا لم يهتد اليهود وعلى يد أعظم الحكماء والحلماء عليه السلام؟ أخلل في البيان القرآني أو النبوي؟ كلا. فالله تعالى يقول عنهم:

﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِيلَتُكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إنها معاندة مع سبق الإصرار على المخالفة. فالمخالفة عندهم غاية. والسبب أمراض وعقد نفسية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

### ما خالف العامة ففيه الرشاد...؟!

وكذلك الحال مع الشيعة! وإلا بم تفسر منهاجهم الذي يسرون عليه في تعاملهم مع أهل السنة الذي لخصته الرواية التالية التي افتروها على سيدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ما خالف العامة ففيه الرشاد)<sup>(١)</sup>! وأبسط وأوضح تطبيق له عندهم مخالفتهم الدائمة لنا في صومهم وفطريهم

(١) أصول الكافي ٦٨/١.

وعيدهم. سألني صديق: لماذا لا يعجلون فيسبقونا بيوم؟ قلت: خشية من احتمال أن نوافقهم! فهم لا يعلنون عن توقيتهم حتى يطمئنوا إلى إمكانية المخالفة. حتى غدا الأمر مما يتندر به وتحاك حوله الطرائف والنكت! قيل: إن بعثاً شيعياً احتفل في يوم ٨ نيسان بمناسبة مولد الحزب، فقال له رفاقه: لقد تأخرت يوماً! فأجابهم: ألا تدرون أنني شيعي؟!

وقد حاول الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر أن يضع علاجاً لهذا الاختلاف

في الصيام والأعياد بأن طرح حلاً واقعياً على المرجع الشيعي أبي القاسم الخوئي قال له: سنوافقكم نحن في توقيتكم فلا نعلن عن صيام أو عيد حتى تخبرونا أنتم أولاً! فرفض الخوئي هذا المقترح!

بماذا تفسر هذا الإصرار على المخالفة؟!

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣].

### مرضى الوهم

وهكذا هم في جل مخالفاتهم ينطلقون من موقف نفسي يفرض عليهم خلافاً فكرياً أو فقهياً أو سياسياً إلخ... خذ مثلاً هذا الاعتقاد الراسخ والشائع لدى الشيعة بأن أهل السنة يكرهون (أهل البيت) ويسبونهم ويتنقصون منهم. هل هناك شاهد واحد وعلى مر العصور يؤيده؟

حينما كنا صغاراً نلعب في الحارة كان من المعتاد أن نسمع أحياناً بعض الأطفال الشيعة - إذا انتابه الغضب لسبب أو لآخر - يصب جام غضبه فيسب الحسين أو العباس، هذا مع سب الرحمان جل وعلا! وكنا نقابل ذلك بالاستغفار، حتى إننا لنقول لذلك الطفل مستنكرين: لماذا (تكفر بالعباس...!). لكنني لا أذكر - ولو مرة واحدة - أنني سمعت طفلاً سنياً يسب أحداً من (أهل البيت) ﷺ. ولا شك أن هذا راجع إلى التربية

البيتية؛ فإن تصرفات الطفل وتصريحاته في الحارة أو الشارع تعكس ما يدور في بيته. وهذا يعني أن ذلك الطفل يرى أمه أو أباه إذا غضب تناول تلك الأسماء بلسانه.

وفي الوقت نفسه يتعبد جمهور الشيعة ببغض الصحابة وسبهم على اعتبار أنهم اغتصبوا الخلافة، واضطهدوا علياً وفاطمة إلخ... فإذا واجهتهم بهذه الحقيقة جحدوا بها رغم استيقان أنفسهم لها! أحمد الوائلي لم يتردد ولم يتلعثم وهو يقول ويصرح على الملأ في لقاء على إحدى القنوات الفضائية بالنفي المطلق لكون الشيعة يسبون الصحابة! وتحدى بكل صفاقة أن يأتيه أحد بدليل واحد عن عالم معتبر، نال منهم في كتاب من كتبه! ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢، ١]!

من أين جاء هذا الاعتقاد الوهمي والأمر على هذه الحال؟! فلا توجد أية مقدمة يمكن أن يُستند إليها للوصول إلى هذه التهمة الباطلة! التي يُحمّل أهل السنة مسؤوليتها صغاراً وكباراً، ولم تنفع محاولات العلماء والكتاب والخطباء - وهم يكيلون المدح كيلاً - في دفع التهمة أو التخفيف من آثارها. فتجد الواحد منا إذا ذكر علياً فلا أقل من أن يترضى عنه كما يفعل مع أبي بكر وعمر وبقية الصحابة، على أن البعض يضيف معها أو يستبدل بها عبارة (كرم الله وجهه) وهي عبارة اختص بها أهل السنة علياً دون باقي الصحابة. والبعض الآخر يستبدل بها كلمة: (عليه السلام) ولم يضيفها أحد منا لأحد من الصحابة سوى علي. فضلاً عن تلقينه بـ(الإمام) دون بقية الأصحاب. ناهيك عن التحدث بفضائله حتى خرجوا إلى الغلو! ومع كل هذا وغيره لا تزال التهمة تلاحقنا كالظل!

لو كان السبب شبهة فكرية لانحل الإشكال بالبيان، ولكنه علل وعقد نفسية تجعل أصحابها يصرون على التهمة مهما كانت فاقدة لأدلة الإثبات!

### يسبوننا.. ويتهموننا..!

تأمل هذه.. في صيف عام ١٩٩٥ - وكنت آنذاك في الحلة - كنت

يوماً في زيارة إلى مدينتي (المحمودية) فأخبرني بعض الأخوة أن بعض الحسينيات في المحمودية صارت تطعن في بعض الصحابة ومن خلال مكبرات الصوت، كذلك صاروا يسمعون هذا الطعن من قبل بعض المتحدثين الذين يقومون بما يسمى شعبياً بـ(ختم الفاتحة) أي مجلس العزاء أو المأتم الذي يقام بمناسبة وفاة أحدهم. وأن أحداً من أهل السنة لم يتحرك لا من المشايخ ولا من غيرهم. ذهبت إلى أحد شيوخ المساجد فلم تفلح محاولاتي معه في عمل أي شيء، وراحت جهودي أدراج الرياح ولم أستفد منه شيئاً. كان يضع أماناً العقبات والمعوقات، ثم لا يفكر في كيفية تجاوزها. لكن - للأمانة - حملني كيساً من (الوصايا) و(الحكم) و(الآداب) خرجت من عنده أنوء بحمله حتى إذا صادفتني أقرب (بالوعة) لتصريف المياه القذرة ألقيته فيها ومضيت أتنفس الصعداء!!

دخلت بعدها أحد المساجد فألقيت محاضرة عن فضل الصحابة والعلاقة الطيبة بينهم وبين علي و(أهل البيت) عموماً. وتطرق إلى بعض البدع والمخالفات التي ترتكب باسم (أهل البيت)، وهم منها براء مثل سب الصحابة. ومثل دعائهم والاستغاثة بهم. ونبهت على أن هذا ليس دفاعاً عن الصحابة فحسب وإنما هو دفاع عن أهل البيت أيضاً الذين نحبهم ونجلهم. وكان أن قلت من ضمن ما قلت: لو أتاني أحدهم الساعة بحذاء علي لوضعتة على رأسي وجعلته تاجاً أباهي به! لكن هناك بعض صور الحب - إضافة إلى حرمتها شرعاً - تسيء إلى علي عليه السلام نفسه: ما معنى أن تستغيث امرأة في حالة طلق وتصيح قائلة: يا علي! يا علي؟! كيف يحضر علي امرأة متكشفة؟! أليس في هذا إساءة له؟ وتجد امرأة تنتفض وتصيح: أنا المهدي! وأخرى تصيح: أنا العباس، أنا العباس!.. والناس يقولون: حضر (الإمام)! ويعتقدون أنه يتلبس جسد المرأة! كيف يعقل أم يجوز مثل هذا الهذيان؟! الإمام في حياته لا يستحل مس يد امرأة، فكيف بعد مماته يتلبسها؟!

ورجعت بعد بضعة أيام ليخبرني المؤذن أن مدير (الأمن) - بناء على تقارير كتبت إليه من الشيعة المحيطين بالمسجد - استدعاه ليحقق معه في

شأن تهجم وطعن به (الإمام علي) صدر من خلال مكبرات المسجد! ولم يكتف المدير بقول المؤذن حتى أبلغه بوجوب حضوري أنا شخصياً إلى دائرة الأمن بتهمة التهجم على (الإمام علي). واستأث كثيراً لهذا، قلت: حقاً لقد هزلت! يستدعى أهل السنة بمثل هذه التهمة التافهة، بينما يُسب الصحابة على رؤوس المآذن ولا من ساكن يتحرك ولا (مسكون)!

### الحرب التي أوقد نارها أصحاب النار في إيران

ومرت بي مئات المواقف المشابهة، لم يكن أولها الحرب التي أشعلت نارها إيران: لقد أصر مُوقدها (لع) على عدم إيقافها رغم كل الجهود والوساطات التي بذلها العراق! وكانوا يذبحون الأسرى في بعض ميادين المعارك ذبح الخراف! أما معاناة الأسير داخل أفقاص الأسر في إيران فقد فاقت الخيال! بعض الأسرى ربط كل طرف من أطرافه إلى سيارة انطلقت إلى جهة غير جهة السيارة الأخرى ومزقوه على هذه الصورة الوحشية البشعة! كما كان يفعل جدهم المجوسي (سابور) بالعرب حتى لُقّب به (سابور ذي الأكتاف)! ولم يكن هذا أبشع ما تعرض له الأسير العراقي في إيران (الإسلامية)!

### الاحتلال الأمريكي للعراق

وكان آخر هذه المواقف التي مرت بي - والحبل على يد الجرار- ما رأيناه ولمسناه وذقنا الولايات منه على أرض الواقع بعد الاحتلال الأمريكي لبلدنا. لقد استقبل الشيعة في كل مكان في العراق قوات المحتل بالتهليل والترحيب. في حي الجزائر من مدينتنا المحمودية - مثلاً - خرجت نساؤهم إلى الشارع العام يزغردن وينثرن الحلوى على رؤوس الجنود الأمريكان! لقد كان الاحتلال هو العيد الأكبر الذي احتفلوا به كما لم يحتفلوا على مر التاريخ إلا على عهد غزو هولاء لبلدنا! وراحوا يعبرون عن فرحهم بنهب الدوائر والممتلكات العامة وحرقتها وتدميرها، كما فعلوا في حركتهم الغوغائية الخائبة على هامش الغزو الأمريكي للمنطقة سنة ١٩٩١ بعد



انسحاب الجيش العراقي من الكويت، فتوهموا أن الحكومة قد سقطت، وأن الأمر قد قضي؛ فانطلقت غرائزهم وعقدتهم النفسية من عُمْقِها لتنعكس على الواقع سلباً ونهباً وتقتيلاً، وهدماً وتخريباً وتدميراً!

وهكذا كان ما كان في يوم الأربعاء الأسود ٢٠٠٣/٤/٩ الذي جعلوه يوم (عيد وطني) لهم! ومن أول يوم من أيام الاحتلال بدأوا حملتهم في اغتصاب مساجد أهل السنة حتى إنهم استولوا على ثلاثة مساجد لأهل السنة في مدينة بلد وهي مدينة شيعية صغيرة تكاد تضيع في وسط محافظة صلاح الدين (تكريت) ذات الأغلبية السنية الكاسحة!!! إضافة إلى بعدها الشاسع عن المناطق الشيعية، فتصور الصفاقة والاجترأ على أهل السنة وسماحتهم وسمو أخلاقهم! ثم راحوا - في الوقت نفسه - يشنون حملة تطهير عرقي ابتدأوها في محافظة البصرة في (أبي الخصيب) وغيرها من مدنها، امتدت إلى محافظة الحلة المجاورة للعاصمة بغداد! ورافق ذلك حملة تقتيل للشخصيات السنية المؤثرة، وإزاحة علنية سافرة عن المواقع المهمة في المجتمع، مع استهتار متخلف سمح بإعلان الشعائر الدينية الخاصة المصحوبة بالسب العلني لكبار الصحابة ورموز التاريخ العربي والإسلامي كالسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بدأوا حملتهم ضده من الأيام الأولى للاحتلال بالعبث بتمثاله الواقع قرب بوابة بغداد، في الساحة المقابلة للشارع المؤدي إلى مدينة الشعلة. وراحوا يغيرون أسماء الشوارع والساحات والمدارس والمستشفيات، ويرفعون عليها صور مراجعهم وخونتهم كالعميل الإيراني الأمريكي المزدوج المقبور محمد باقر الهكيم، دون أدنى اعتبار لوجود (الآخر) ومشاعره! حتى لكأنه لا وجود له عندهم، أو أنه - على أحسن تقدير - لا يستحق الوجود.

ما هذا؟! ولماذا؟! ومن أين؟!!!

**أهل السنة لا يتحركون..! (الفتنة نائمة...؟)!!!**

كل هذا وأهل السنة لا يتحركون ساكناً! ولا يردون بالمثل. بل هم مشغولون بلملمة الجراح، والتفكير بكيفية التعامل مع المحتل ومواجهته

دون إعطاء مساحة مناسبة للتفكير في موضوع الخطر الداخلي المتمثل بالشيعية! لقد كان الجميع - إلا من رحم - يعزف على وتر متهدل لربابة قديمة، أو ينقر على جلد متهرئ لدف مكسور: لا نريد أن نشير حرباً طائفية. لا فرق بين سني وشيعي. الكل إخوة: الدين واحد والعقيدة واحدة! الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

هذا والفتنة مستيقظة (على آخر حبة) تنظر ببصر حديد، وتصول وتجول بمخالب وأنياب من حديد. وكنا نقول يومها ونحن نعيش هذه المهازل، ونسمع هذا الهذر، والأسى يملأ قلوبنا، والغصة تأخذ بحلاقيمنا: ما أشبه حالة أهل السنة بحال من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدَّنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]!! حتى بلغ السيل الزبى! ولم يعد في القوس منزع، ولا للحوادث من سبيل للتهرب والتأويل.

هذا.. وكنا نرى نشاطهم الإعلامي الدؤوب في التزوير، وقلب الحقائق - والقناة اللاعراقية مثل سافر - ليُظهروا الجلاذ في صورة الضحية، والضحية في صورة الجلاذ! وهم يصرخون: مظلومون.. مضطهدون.. نُقتل على الهوية.. ماذا فعلنا؟ ماذا جنينا؟ حتى جعلوا من (اللطفية) قضية! ووحشاً مرعباً.. ما خرج واحد من دعاة الشيعة إلا شكى واشتكى، وحن وبكى، وأبكى من حوله وقال: اللطفية! اللطفية! إنهم يقتلوننا على الهوية! من أجل أن يجعلوا من هذه الأسطورة حقيقة راسخة لا تقبل النقاش في أذهان عامة الناس. متبعين في ذلك حيلة نفسية معروفة لدى كل أساطين السياسة تقوم على أساس أن العقل الجمعي للمجتمع يتشرب بمرور الزمن كل مقولة تكرر على مسامعه باستمرار مهما كانت باطلة، أو مجافية للعقل ومنطق الأشياء والأحداث! كما قال المسؤول الإعلامي لهتلر: اكذب اكذب حتى يصدقك الناس.

المشكلة أن أهل السنة ساكتون، وإذا تكلموا فأكثروهم لا يجيد الرد، ويلتزم وسيلة الدفاع لا الهجوم وإلقاء الجمرة في حوض الخصم، كما أنه

يجهل تلك القاعدة النفسية لدى العقل الجمعي ليستثمرها الاستثمار الإيجابي الصحيح: اصدق اصدق حتى يصدقك الناس. وإلا فإن الحقيقة الصارخة أن القتل على الهوية هو الذي يمارسه الشيعة ضد أهل السنة على أوسع نطاق! بل الجهاز الحكومي الشعبي بكل ثقله ودوائره يقوم بذلك على أكمل وجه. وما عداه فهي ردود أفعال لا توازي ما يقوم به الشعويون وذيول إيران في الجهاز الحاكم ومن ساندتهم من الأحزاب الشيعية والدوائر الملتفة حول المراجع. بل لكل منهم - بلا استثناء - نصيبه من التقتيل والاغتيال على الهوية.

### تكفيريون حتى العظم يتهمون الغير بالتكفير

ثم تعال معي لنفكر معاً في هذه الرغبة المحمومة، والإصرار العجيب على إلصاق تهمة التكفير والإرهاب بأهل السنة والجماعة؟! متخذين من اسم (الوهابية) ستاراً للوقية بالجميع. هل هناك ملة واقعة في مستنقع التكفير والإرهاب بكل أشكاله مثل الشيعة الاثني عشرية؟! إنهم لا يكفرون منكر مبدأ (الإمامة) فقط، وإنما يكفرون حتى الشيعة الإمامية الذين يختلفون معهم في (إمامة) البعض دون - أو مع - البعض! ويستبيحون دم المخالف من هؤلاء جميعاً بلا تفريق، ويجعلون ذلك من أعظم القربات إلى الله!<sup>(١)</sup> فما لهؤلاء التكفيريين الإرهابيين حتى العظم واتهام الآخرين بالتكفير والإرهاب؟!

كل هذا (الواقع بمتناقضاته وعلاقاته المتداخلة، حرب إيران ١٩٨٠-١٩٨٨، معاملة إيران للأسير العراقي، الحركة الغوغائية الطائفية ١٩٩١، التجربة الذاتية في الدعوة والتغيير، الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣ وتداعياته، وغيره وغيره كحال أهل السنة في إيران، ومعاونة إخواننا المأساوية في الأحواز) دفعني إلى أن أقوم بمراجعة شاملة للحساب، وأسترجع الحوادث، وأنظر إلى الواقع نظرة جديدة، وأقرأ التاريخ بإمعان.

(١) انظر مثلاً: أصول الكافي للكليني ١/٣٧٣، ١٨١، ومصباح الفقاهة للخوئي ١/٣٢٣-٣٢٤.

لأخلص إلى هذه النتيجة التي أفصحت عنها آنفاً وهي: أن (التشيع) عقدة قبل أن يكون عقيدة، وانحراف نفسي قبل أن يكون انحرافاً فكرياً أو سلوكياً. فمن لم يأخذ هذا بالاعتبار والحسبان ذهبت جهوده سدى وهو يحاول العلاج، بل لن يجني في النهاية إلا الشوك والتعب والخسارة الفادحة. وهذا ما نحن فيه! فهل من معتبر؟

### صعوبات البحث ومعوقاته

هذا.. وقد واجهت أثناء البحث صعوبات جمة.

أكبر هذه الصعوبات أن كتب الطب النفسي وكتب علم النفس عموماً - على الأقل تلك التي اطلعت عليها - تركز على الأمراض النفسية الفردية، ولا تعطي اهتماماً كبيراً للأمراض الجماعية، التي هي - ربما - أخطر أثراً، وأشد فتكاً. حتى الكليات الطبية: فقد درست في كلية الطب/جامعة بغداد الأمراض النفسية التي تتعلق بالأفراد، من حيث هم أفراد، ولم يكن هناك أدنى إشارة إلى الأمراض التي تتعلق بالمجموع، من حيث هو مجموع. وقد يكون السبب أن الطبيب في الواقع يتعامل مع أفراد وليس مع مجتمع أو مجموع مريض، إنما هذا من شأن علماء الاجتماع. وقد بحثت في المكتبات فلم أجد ما يروي الغليل أو يشفي العليل.

ولا بد لي من إعادة القول بأنني لست من المتخصصين في علم النفس، أو الطب النفسي، ولا علم الاجتماع. وإنما أنا مجرد قارئ لهذه العلوم من باب الثقافة العامة. هذا مع قلة المصادر التي تيسرت لي. وهذه إشكالية أرهقت كاهلي وأتعبتني في سيري وأنا أخوض عباب بحث وجدت نفسي ملزماً به، ولا بد لي من مواصلته حتى النهاية.

يحق للقارئ هنا أن يقول لي: ما دام الأمر على هذه الصورة، فما وجه هذا اللزوم؟ وما الذي أقحمك في هذا الموضوع؟ ومن الذي أباح لك الخوض في شأن ليس من اختصاصك؟

وأقول مجيباً: لو كان الباعث لذلك هو البحث العلمي المجرد لما

كان لي من جواب. ولكن الأمر كما يقول المثل: (لا يحملك على المر إلا ما هو أكثر مرارة منه)! الواقع المر الذي نتجرع كؤوسه يوماً بيوم وساعة بساعة هو الذي أقحمني فيما أقحمني فيه. ولم أجد أحداً قد خاض غمار بحث هذا الموضوع الخطير من قبل، ولا أرى أن أحداً سيخوضه في المستقبل المنظور. ولذا وجدت نفسي ملجأً إلى أن أخوضه بنفسي رغم قلة الزاد ووحشة السفر. فأنا حين قمت بكتابة هذا الموضوع قمت به قيام المضطر، الذي كان عليه أن يتقدم لسد فراغ وجب أن يسد، وأداء واجب نكل عنه آخرون ما كان لهم أن ينكلوا عنه.

بيد أنني أطمع أن أكون قد أشرت إلى موضع هذا الداء الدوي، وعسى أن أكون قد فتحت الطريق أمام باحثين متخصصين مخلصين، يخرجون من رحم الواقع والمعاناة - وليس من بين الجدران الصماء، والمكاتب الخرساء - يوسعون البحث ويضيفون إليه، ويصححون ما يجدون فيه من خطأ، ويقومون ما فيه من عوج في ظلال قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].





## الفصل الأول:

### منشأ الأمراض والعقد النفسية

أرى من المناسب هنا أن أتوقف قليلاً عند موضوع كيفية نشوء الأمراض النفسية.

#### مبدأ استعادة التوازن (Homeostasis)

من المبادئ المقررة في علم الفسلجة (أو علم وظائف الأعضاء) أن كل كائن حي يميل إلى الاحتفاظ بتوازنه الداخلي فيزيائياً وكيميائياً من تلقاء نفسه. فإن حدث ما يخل بهذا التوازن قام الجسم من تلقاء نفسه وبطريقة آلية بالعمليات اللازمة لاستعادة توازنه. من ذلك أن الجسم إذا ارتفعت حرارته زاد إفراز العرق، وإن زاد مقدار غاز ثاني أوكسيد الكربون في الدم زادت سرعة التنفس للتخلص من الزيادة الضارة. فإن لم يفلح الكائن في إصلاح ما اعتراه من اضطراب، أو التعويض عما أصابه من نقص، أي فشل في استعادة توازنه العضوي مرض أو هلك.

إن مبدأ استعادة التوازن - كما يرى كثير من العلماء - لا يقتصر على تفسير السلوك الصادر عن دوافع وحاجات فسيولوجية، بل يصدق أيضاً على تفسير السلوك الصادر عن دوافع وحاجات نفسية اجتماعية. فإذا عزم الإنسان على إلقاء خطاب هام أمام الجمهور ظل متوتراً حتى يلقيه فيهدأ، وإن أهانه أحد لا تهدأ ثائرته حتى يرد على هذه الإهانة. كذلك الشخص

الذي يشعر بالوحشة فإن التوتر الناشئ عن إحباط دافعه الاجتماعي يدفعه إلى التماس صحبة صديق. والذي يعاني شعوراً بالنقص يلجأ إلى التباهي والتفاخر تعويضاً عن نقصه. والطفل المحروم أو المضطهد أو المنبوذ يندفع إلى اللعب بطريقة خاصة تخفف عنه ما يكابده من توتر وقلق. فالطفل الذي يكره أباه أو أخاه يختار من لعبه دمية يفقأ عينها أو يلقيها على الأرض أو يحطمها أو يدفنها في التراب أو يغرقها في الماء. فوظيفة السلوك وغايته أياً كان نوع الدافع إليه هي الاحتفاظ بتوازن الفرد، أو استعادة هذا التوازن حين يختل بالعمل على إزالة التوترات أو خفضها، بغض النظر عن الطريقة التي تتم بها سوية كانت أم شاذة. وحين تكون الوسائل شاذة قد يؤدي ذلك بمرور الزمن إلى الإصابة بالأمراض والعقد النفسية، حين لا تؤدي تلك الوسائل إلى استعادة التوازن النفسي<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يقول د. مصطفى حجازي: إن (وجود الإنسان المتخلف يتلخص في وضعية مأزقية، يحاول في سلوكه وتوجهاته وقيمه ومواقفه مجابهتها، والسيطرة عليها بشكل يحفظ له بعض التوازن النفسي الذي لا يمكن الاستمرار في العيش بدونه. ولا يقف الإنسان المقهور مكتوف اليدين إزاء هذه الوضعية عسيرة الاحتمال؛ نظراً لكونها تزلزل التوازن الوجودي، بل يحاول أن يجابهها بأساليب دفاعية جديدة متعارضة جديلاً، أو متكاملة في تعارضها... والكثير من معتقدات الإنسان المتخلف وانتماءاته وممارساته تبدو في النهاية كمحاولات دفاعية للسيطرة على وضعيته المأزقية، وإيجاد حلول معينة لها)<sup>(٢)</sup>.

### التوافق وسوء التوافق

التوافق حالة من التواءم والانسجام بين الفرد وبيئته تبدو في قدرته على إرضاء أغلب حاجاته، وتصرفه تصرفاً يرضيه إزاء مطالب البيئة المادية

(١) أصول علم النفس ص ٧٤-٧٥، د. أحمد عزت راجح. بتصرف.

(٢) التخلف الاجتماعي.. سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي، ص ٨.



والاجتماعية. ويتضمن قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته عندما يواجه موقفاً جديداً أو مشكلة مادية أو اجتماعية أو خلقية أو صراعاً نفسياً تغييراً يناسب الظروف الجديدة.

أقول: وهذا يستلزم أن يتحقق التوافق من خلال الاتجاهين: الخارجي والداخلي. الخارجي بالتواءم مع البيئة، والداخلي بالتواءم مع النفس الذي يحقق للفرد احترامه لذاته، ورضاه عنها حين يكون التواءم مع المجتمع منسجماً مع القيم التي يؤمن بها.

فإن عجز الفرد عن إقامة هذا التواءم والانسجام بينه وبين بيئته بالشكل المطلوب قيل: إنه «سيء التوافق». ويبدو سوء التوافق في عجز الفرد عن حل مشكلاته اليومية على اختلافها عجزاً يزيد على ما ينتظره الغير منه، أو ينتظره هو من نفسه. إن هذا يولد توتراً داخلياً يعرض التوازن النفسي إلى الخلل، ويوقع الفرد في ما يسمى بـ«الأزمة النفسية»<sup>(١)</sup>.

### الأزمات النفسية

ينشأ المرض النفسي عندما يصاب الفرد بأزمات نفسية جراء تعرضه إلى صعوبات وعقبات مادية ومعنوية تعوق سير دوافعه نحو أهدافها. فإن عجز عن التغلب عليها بطريقة سريعة مجدية، وإلا صار يعاني من «أزمة نفسية». وهي حالة انفعالية مؤلمة تنشأ من الإحباط الموصول لدافع أو أكثر من الدوافع القوية. وتقترب الأزمة عادة بحالة من التردد والحيرة والتوتر والقلق، إضافة إلى ما يترتب على إحباط الدوافع من شعور أليم بالنقص والخيبة والعجز، أو الشعور بالذنب والخلل والخزي والاشمئزاز، أو الشعور بالظلم والرتاء للذات، أو الشعور بالوحدة والاغتراب، أو شعور الفرد بفقد احترامه لنفسه.

(١) أصول علم النفس، ص ٤٧٠. د. أحمد عزت راجح.

يختلف سلوك الناس حيال ما يعترضهم من صعوبات وعقبات ومشاكل اختلافاً كبيراً:

- ١ - فمنهم من يمضي في التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق، حتى وإن كان في حالة من التوتر الشديد.
- ٢ - ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور.
- ٣ - ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر فإذا به قد أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزي وغير ذلك من المشاعر التي تنجم عن الفشل والإخفاق. وبدل أن يتجه بجهوده إلى حل المشكلة بأساليب واقعية سوية، إذا به يلجأ إلى أساليب وطرق معوجة أو ملتوية أو متطرفة في سبيل أن تنقذه مما يكابده من توتر وتأزم نفسي. فالشخص السوي إن فقد عمله جد في البحث عن عمل آخر، لكن غيره قد يثور على النظام الاقتصادي، أو ينسب فقد عمله إلى مؤامرات دبرت ضده، أو يعتقد أنه مضطهد، أو يأخذ في استجداء العون واستدراار العطف من غيره. أو يظل دون حراك يجتر أفكار الظلم. أو ينهار فيصاب بمرض نفسي أو عقلي<sup>(١)</sup>.

### وصيد الإحباط

هو قدرة الفرد على احتمال الإحباط دون أن يلجأ إلى أساليب ملتوية لحل مشاكله، أي لاستعادة توازنه النفسي. فمن كان وصيد إحباطه مرتفعاً استطاع تحمل الإحباط والحرمان، واستطاع الصمود أكثر من غيره. والوصيد المرتفع من أهم علامات الصحة النفسية السليمة وقوة الأنا (وهي قدرة الفرد على مواجهة مشكلات الحياة ومتاعبها دون يأس أو فقدان للاتزان الانفعالي، أو الثقة بالنفس، أو استغراق في المشكلة دون العمل على حلها).

(١) أيضاً، ص ٤٤٧، ٤٥١.

ويتوقف وصيد الإحباط على وراثته الفرد إلى حد كبير، كما يتوقف أيضاً على ما يفرغه الفرد على الموقف من دلالة وأهمية نتيجة لخبراته السابقة، خاصة خبرات الطفولة. فالرئيس المستبد قد يكون مصدراً للضيق عند مرؤوسيه، لكنه يكون شيئاً لا يطاق في نظر مرؤوس كان أبوه يستبد به في طفولته. أي ليس المهم الموقف، بل كيفية إدراك الفرد للموقف.

ولكل إنسان حد معين لتحمل الإحباط والصدمات لا يلبث أن ينهار بعده مهما بلغ اتزانة النفسي. يعرف هذا الحد بـ«نقطة الانهيار» وعلى هذا الأساس تقوم عملية «غسل المخ»<sup>(١)</sup> أو غسل الدماغ.

### الحيل الدفاعية

إن لم يوفق الفرد إلى حل المشكلة التي تواجهه بطرق إيجابية واقعية، ظل في حالة من التوتر الانفعالي الموصول، ما يجعله يلجأ إلى أساليب ملتوية سلبية خادعة تخفف عنه بعض ما يكابده من تأزم نفسي، وتقويه مشاعر القلق والعجز والفشل والخجل والرتاء للذات وغيرها من المشاعر التي تنشأ عن إحباط دوافعه. فإذا به يتجاهل المشكلة أو يتناساها أو ينكرها أو يستصغرها أو يمويه عليها أو يتنصل منها بإلقاء اللوم على غيره لا على نفسه. كل ذلك للخلاص مما يعانيه من القلق بدلاً من مواجهته. لذا تسمى هذه الأساليب الملتوية بالحيل الدفاعية؛ لأنها تدفع عن الفرد غائلة القلق، وتهبه شيئاً من الراحة الوقتية، وإن تكن راحة وهمية، حتى لا يختل توازنه النفسي.

وهذه الأساليب في حدودها المقبولة يلجأ إليها الجميع صغاراً وكباراً، الأسوياء وغير الأسوياء للتخفيف من أزماتهم النفسية المستعصية، وفي حل مشكلاتهم اليومية العابرة الطارئة. وهي تعمل غالباً على مستوى لا شعوري، أي أن الفرد لا يكتسبها عن قصد، ولا يستطيع ضبطها وكفها

(١) أيضاً، ص ٤٥١-٤٥٢.

بإرادته<sup>(١)</sup>. لكن حين تزيد هذه الأساليب عن حدودها المقبولة، وينطبع عليها الفرد تؤدي به إلى الوقوع في الأمراض النفسية أو العقلية، أو تتحول هي إلى مرض في ذاتها. أهم هذه الأساليب أو الحيل النفسية الدفاعية، كالتعويض الزائد والكبت والإسقاط والتماهي والنكوص والعدوان إلخ... يقول د. راجح: يتضح لنا مما تقدم أن الأمراض النفسية والأمراض العقلية ما هي إلا وسائل شاذة للتخلص من أعباء وأزمات نفسية لا سبيل إلى التخفف منها إلا بالتورط في هذه الأمراض<sup>(٢)</sup>.

### الدوافع اللاشعورية

وحتى نزيد الأمر وضوحاً نتوقف قليلاً عند ما يسمى في علم النفس بـ(الدوافع اللاشعورية)، لنرى من خلالها كيف تترسب المؤثرات المحيطية في أعماق النفس البعيدة، وتتحوّل بمرور الزمن إلى قوى خفية قابضة في تلك الأعماق تتحكم في انفعالات الفرد وسلوكه وتصرفاته دون شعور منه، أو قدرة على تفسير ما يصدر منه بحيث يستطيع أن يربط بينه وبين تلك الدوافع أو القوى الخفية.

يقول د. أحمد عزت راجح: لا يشعر الإنسان دائماً بما يحفزه من دوافع شعوراً واضحاً صريحاً، أو يقوم بأعمال لا يعرف لماذا قام بها؟ فهو يستيقظ في الصباح على صوت الساعة الرنانة فيغسل وجهه وينظف أسنانه ويحلق ذقنه ويتناول الإفطار ويقرأ جريدة الصباح، كل أولئك وهو لا يفتن إلى طبيعة الدوافع التي تقوم وراء أعماله هذه، إذ لا سلوك بدون دافع. ومن الناس من يكتب خطاباً لكنه ينسى أن يلقيه في صندوق البريد فيظل الخطاب في جيبه أو على مكتبه أياماً. وقد يزل لسان الفرد وهو يتكلم فينطق بكلمة أو عبارة لم يقصد إليها، بل قد تكون عكس ما يريد؛ فتسبب له من الحرج الشيء الكثير. وقد ينسب هذه الزلة إلى السهو

(١) أيضاً، ص ٤٥٣.

(٢) أيضاً، ص ٤٧٢.

أو الغفلة أو التعب أو الانفعال إلى غير تلك من الأسباب التي يبعد أن تكون الأسباب الحقيقية لزلته. ومن الناس من يخاف عبور الشوارع أو رؤية الدم أو المكث في مكان مقفل أو من حيوان غير ضار كالغار أو الصرصار، وهو لا يعرف لذلك دافعاً أو سبباً. ومنهم من يسرف في غسل يديه كلما صافح شخصاً أو فتح باباً أو لمس كتاباً.

### التنويم المغناطيسي Hypnosis

من أوضح الشواهد التي تدل على الدوافع اللاشعورية ظاهرة التنويم أو النوم المغناطيسي. وهو - كما يقول د. راجح - نوم صناعي يحدث عن طريق الاسترخاء الجسمي، وتركيز الانتباه في مجال ضيق من الأشياء أو الأفكار بإيحاء من المنوم... مما يتميز به تضخم قابلية النائم لإيحاء المنوم تضخماً شديداً: فإن وضع المنوم في يد النائم عود ثقاب وأوحى إليه أن وزن العود يزداد رويداً رويداً تخاذلت يد النائم حتى لا يستطيع حمل عود الثقاب، بل لو أوحى إليه بأنه كلب قام النائم فمشى على أربع وأخذ في النباح.

من خصائص هذا النوم أيضاً أن ينفذ النائم بدقة بعد استيقاظه ما أوحى إليه المنوم به، فلو كلفه المنوم القيام بعمل معين بعد استيقاظه بوقت محدد ككتابة خطاب إلى شخص معين، أو الذهاب إلى حجرة معينة أو ملء ساعة الحائط فإنه ينفذ هذا العمل المحدد دون أن تكون لديه عند استيقاظه أية ذكرى عما أوحى إليه به. من ذلك أنه أوحى إلى شخص أثناء نومه أن يقوم بالأعمال الآتية بعد مرور خمسة عشر يوماً: يخرج إلى الشارع ومعه مظلة يفتحها ويسير بها في الطريق مهما كان نوع الطقس، ثم يشتري شيئاً معيناً تافهاً لا حاجة له به. فلما كان اليوم المحدد والساعة المحددة شعر الشخص بشيء من الضيق وبدافع ملح إلى أداء ما أوحى إليه به ثم قام بتنفيذه. فلما سئل عن السبب في قيامه بهذه الأعمال؟ قال: إنه لا يعرف. وكل ما في الأمر أنه في الساعة المحددة من اليوم المعين طرأت على ذهنه فكرة القيام بهذه الأعمال، لكنه حين رأى أنها أعمال

سخيفة عزم على أن لا ينفذها، غير أنه لم يستطع أن يقاوم الفكرة، وشعر أنه لو قام بأدائها تخفف مما يعانيه من ضيق وتوتر.

أمثال هذه الظاهرة تكفي وحدها للتدليل على وجود دوافع لا شعورية، بل تدل فوق ذلك على ما لهذه الدوافع من أثر جبري لا يقاوم.

### دوافع خفية (لا شعورية) تحكم الفرد

الميزة الأساسية في هذه الدوافع أن الفرد لا يشعر بها مع أنها تحكم وتوجه مشاعره وسلوكه! ولذلك أسباب عديدة منها: أن طرق إرضائنا لدوافعنا الفطرية والمكتسبة ثبتت وأصبحت عادات نقوم بها دون أن ننتبه أو نفكر فيما يقوم وراءها من دوافع. فنحن نراعي العرف، ونحترم القوانين، وننتهي إلى جماعة، ونعبر عن آرائنا، ونتعاون مع الناس أو ننافسهم، ونعقد الصداقات.. كل أولئك دون شعور صريح بالدوافع التي تحملنا على هذه الأوجه المختلفة من النشاط. ومنها: أن أصول هذه الدوافع ذات تاريخ قديم لفه النسيان من عهد الطفولة فغطى على تلك الأصول. ومنها أن يكون الدافع ثقيلًا على نفس الفرد يجلب له القلق أو الخزي أو الذعر، أو يمس كرامته إن بدا له الدافع واضحاً في بؤرة شعوره؛ لذا فهو يعمى عن رؤيته، بل وينكره إنكاراً إن انكشف له. فمن العسير أو المحال أن تكاشف أماً تسرف في العناية بطفلها بأن الدافع الحقيقي لإسرافها هذا هو كراهية تحملها في أعماق نفسها لطفلها، وهي كراهية لا تشعر بها. ومن العسير أو المحال أيضاً أن نفتح أحد الزهاد المسرفين بما يحمله في أعماق نفسه من دوافع شهوية خفية هي أساس إسرافه هذا. وكم من معتدٍ أثيم لا يفتن إلى أن ما يدفعه إلى العدوان شعور عميق بالنقص.

وللدكتور علي الوردي في هذا الموضوع كلام أراه مناسباً لأن أضيفه هنا إذ يقول: إن الأبحاث النفسية الأخيرة تكاد تشير إلى أن الإنسان مسير في أغلب أعماله لا مخير، ففي أعماق النفس البشرية من العوامل الكامنة ما يكاد يشبه تلك الآلات المتنوعة المخفية في باطن الطائرة. ولعلنا لا

نغالي إذا قبلنا بأن العلماء اليوم يميلون إلى القول بـ«الجبر» في موضوع الشخصية البشرية. ولكن مما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مفهوم الجبر الذي يقولون به يختلف عن ذلك المفهوم الذي اصطلح عليه علماء الكلام في الإسلام. فهو ليس جبراً ميتافيزيقياً أو غيبياً. إنما هو بالأحرى جبر لا شعوري، قد انبعثت أسبابه من أعماق العقل الباطن.

إن الإنسان يسير بوحى العقل الباطن أولاً، ثم يأتي العقل الظاهر أخيراً لكي يبرر ما فعل، ويبهرجه ويطلّيه؛ فيظهر أمام الناس بالمظهر المقبول.

وقد يجوز لنا القول بأن الإنسان يعمل ثم يفكر. وهذا عكس ما كان القدماء يظنون به. فهو يندفع نحو شيء ثم يفكر به بعدئذ، كمثّل ذلك الأعشى الذي داس على كلب من غير أن يراه، ثم قال: إني أريد أن أقتله.

لقد كان القدماء يعتقدون بأن الإنسان حيوان عاقل. والواقع أنه حيوان متحذلق. فهو متعاقل لا عاقل. يتظاهر بالتعقل، وهو في الحقيقة مجنون.. على وجه من الوجوه<sup>(١)</sup>.

ويضرب د. الوردى مثلاً على ذلك فيقول: إذا أهانك رجل أو اعتدى عليك بحيث لم تستطع لظروف خاصة أن ترد الإهانة عليه، دخلت رغبة الانتقام آنذاك في عقلك الباطن، وبقيت هنالك كامنة تحاول الظهور والتنفيس عن ذاتها بشتى الصور والأساليب. فأنت تصبح إذن مسيراً من حيث لا تشعر برغبة مدفونة في أعماق نفسك. ولعلك قد تنسى حادثة الاعتداء؛ إذ هي ربما جرت في أيام صباك، وسحبت عليها الأيام ذيول النسيان. ولكنك تبقى رغم ذلك متأثراً بها تأثيراً لا شعورياً. فلا تكاد ترى رجلاً آخر له شبه بذلك الذي أهانك أو اعتدى عليك حتى تشعر بكرهته والميل إلى الانتقام منه. فإذا سئلت عن سبب كراهتك له من دون معرفة

(١) خوارق اللاشعور، ص ٣٤-٣٥، د. علي الوردى.

سابقة له ربما كان جوابك: «إنك تكرهه من الله». إنك بذلك تنسب إلى الله ظلماً تقوم به أنت بتأثير عقلك الباطن الدفين<sup>(١)</sup>.

### عملية الكبت ودورها في إخفاء الدوافع

نعود إلى د. راجح ليقول: الكبت بمعناه العام هو استبعاد دافع أو فكرة أو صدمة انفعالية أو حادثة أليمة من حيز الشعور. وكبت الحوادث والصدمات يعني نسيانها. أما كبت الدافع فيعني إنكار وجوده، والعزوف عن التحدث عنه أو تذكره أو التفكير فيه، والرغبة في عدم مواجهته، ورفض الاعتراف به إن أصبح واضحاً في شعورنا. فمن الدوافع ما يؤدي نفوسنا أو يجرح كبرياءنا واحترامنا لأنفسنا، ويسبب لنا القلق والألم والضيق إن ظل ماثلاً في شعورنا، كشعورنا بالنقص من عيب فينا، أو شعورنا بالذنب من جرم أتينا، أو رغبنا من الانتقام من صديق، أو كراهية الطفل لأبيه الذي يقسو عليه، أو خوفنا من الفشل، أو ارتيابنا من شخص نشق فيه، أو غيرتنا من منافس، أو ميلنا الجنسي إلى بعض محارمنا.. كل هذه دوافع نستبعدنا من شعورنا، أي ننكر الاعتراف بوجودها حتى لا تكون مصدر إزعاج لنا.

(١) أيضاً، ص ٣٧. نشرت جريدة (الاتجاه الآخر) في عددها (٢٦١) بتاريخ (٢٠٠٦/٣/٤) تحت عنوان (بعد ٢٨ سنة من العذاب.. مغربي ينتقم من معتصبه) جاء فيه: قتل خياط مغربي في الأربعين من عمره في مدينة مكناس في وضوح النهار مغربياً آخر كان قد اعتدى عليه في طفولته. وقالت الشرطة: إن القاتل تعرض سنة ١٩٧٨ وعمره لا يتجاوز آنذاك ١٣ سنة لاعتداء جنسي من قبل القاتل الذي يشتغل في نقل البضائع؛ مما كرس لديه عقدة الإهانة، التي لم يزدها توالي السنين إلا تفاقمًا؛ مما أجج لديه الرغبة في الانتقام. ومع بلوغ المتهم سن الرشد قرر مغادرة مكناس والاستقرار بمدينة أخرى للتخلص من فكرة الانتقام التي ما فتئت تلح عليه. واختفى المعتدي عن أنظار ضحيته، الذي ظل يبحث عنه طوال السنوات الماضية، قبل أن يلتقيا سنة ٢٠٠٥ بحي يقطنانه عدة مرات. ولم تفارق عقدة احتقار الذات الخياط، المتزوج والأب لأربعة أطفال، إذ ظل يشور لأتفه الأسباب، وتستفزّه تعليقات أصدقائه. كما ظل يمنع أطفاله من مغادرة البيت خشية تعرضهم لمثل ما تعرض له في طفولته.



### من خصائص الدوافع المكبوتة

١ - إنها قوى ليست خامدة، بل هي قوى فعالة وإن كانت كامنة، فهي تتحين الفرص للظهور. وقد تبدو سافرة صريحة في انفجارات الغضب، أو تبدو في صورة رمزية كفلتات اللسان وزلات القلم وغيرها من الهفوات. وتتضح صفتها الرمزية بوجه خاص في أحلام النوم وأعراض الأمراض النفسية.

وقف أستاذ جامعي يثني على سلفه فإذا به يقول أمام الحفل: (لا يسعني إلا أن أهنته على «جموده» في البحث)، بدل أن يقول: على «جهوده». وقال رجل لزوجته: إذا مات أحدنا قبل الآخر فسأخذ الاسكندرية مقاماً لي). ومن زلات القلم ما كتبه رجل لآخر: (لقد كان لقاؤنا «أنحس» مناسبة لعقد الصفقة)، بدل أن يقول: «أحسن».

ويصرح علماء التحليل النفسي بأن كثيراً من الفتيات اللاتي يضعن خاتم الخطبة ينتهي زواجهن بالطلاق أو الشقاق.. فضياع الخاتم رمز إلى رغبة مستخفية في عدم إتمام الزواج.

يحدثنا فرويد أن مكتبه كان يزخر بكثير من التحف الفنية القابلة للكسر، لكن لم يتفق له أن كسر شيئاً منها. وذات يوم إذا بحركة طائشة من ذراعه تطيح بالغطاء المرمري لمحبرة المكتب فتلقيه كساراً. يقول فرويد: إنه كان قبل الهفوة بقليل يطلع أخته على مجموعته الفنية الثمينة، فأعجبت بها إلا هذه المحبرة التي قالت: إنها لا تنسجم مع سائر ما على المكتب. وما كاد يعود من نزهة له حتى نفذ «القضاء» في هذه المحبرة بعينها دون غيرها من التحف. ويعلق فرويد على ذلك: بأن حركة يده لم تكن طائشة كما وصفها، بل كانت حركة ماهرة مقصودة - لا شعورياً - إذ أنها حققت غرضاً في نفسه. والدليل على ذلك أنها تجنبت جميع الأشياء الثمينة المحيطة بالمحبرة.

والطفل الذي يحمل لأبيه كراهية لا شعورية إن أُتيحت له الفرصة أن يلعب بدمى وشخص وأشياء مختلفة قد يختار واحدة منها يخال أنها الأب

فيفقاً عينها، أو يلقيها على الأرض، أو يدفنها في التراب. إنه يعبر بلغة رمزية عن مشكلته حين عجز عن التعبير عنها بلغة صريحة. وهذا طفل في منتصف الثانية من عمره كانت أمه تتركه وحده فترات طويلة، فكانت لعبته المفضلة التي يكررها مرات ومرات هي أن يمسك ببكرة عليها قطعة من الخيط فيقذف بها تحت السرير حتى تختفي، وهنا يصيح منزعجاً، ثم يجذبها إليه، وما إن يراها حتى يصيح فرحاً بعودتها مرحباً بظهورها. فالطفل في لعبته هذه يمثل بصورة رمزية مأساة يكابدها، ويجسم خبرة مؤلمة يعانيتها، هي مأساة اختفاء المحبوب وعودته. وبذا يتخفف مؤقتاً من حالة القلق التي تسيطر عليه.

وشاب يعاني من حالة سخيفة لا يستطيع مقاومتها: سرقة اللعب والدمى والأشياء الصغيرة الخاصة بالأطفال الصغار مع أنه لا يحتاج إليها! وقد دل التحليل النفسي على أن هذا الشاب ينحدر من عائلة فقيرة، وكان محروماً في طفولته، بينما كان له جيران أغنياء كان أطفالهم يتمتعون باللعب بمختلف اللعب والدمى وهو ينظر إليهم بحسرة، ولا يستطيع مشاركتهم فيها.

٢ - إنها أقوى أثراً وأصعب ردعاً من الدوافع الشعورية؛ ذلك أنها دوافع مجهولة فلا تسمح للفرد بإرضائها إرضاءً ملائماً، أو إرجاء إرضائها، أو توجيهها وجهة مناسبة، أو التحكم فيها وضبطها بالإرادة. فمن عرف دوافعه استطاع أن يتحكم فيها، ومن جهلها تحكمت هي فيه.

هذا زوج كان يثور ويغضب كلما عاينته زوجته على ارتداء ملابسها وهو يستعد للخروج. وكان يدهش لثورته هذه من شيء تافه كهذا! وقد دل التحليل على أن سلوك زوجته هذا يذكره بسلوك أمه نحوه وهو صغير. فقد كانت أمّاً صارمة تتدخل في شؤونه أكثر مما يجب؛ لذا كان يكرها كرهاً شديداً. ومن هنا يتضح أن السلوك الصادر عن الكبت غالباً ما يكون سلوكاً غريباً أو شاذاً أو سخيفاً.

٣ - إن عملت الظروف على استفزاز هذه الدوافع واستثارتها بصورة موصولة زادت شدة وضراوة وعنفاً بما يجعل الفرد عاجزاً عن ضبط سلوكه حتى إن أدرك أنه يتصرف تصرفاً غريباً؛ لذا يكون السلوك الصادر عنها قسرياً بالرغم من إرادة الفرد.

وبهذه الطريقة تحكم «العقدة» سلوك صاحبها. إنها - كما أسلفنا - استعداد مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير<sup>(١)</sup>.



(١) أصول علم النفس، ص ١٠٦-١١٦، د. أحمد عزت راجح، بتصرف.



## الفصل الثاني:

### الأمراض النفسية الجماعية

أقصد بالأمراض النفسية الجماعية الأمراض النفسية التي تشيع بين جماعة من الناس، يعيشون في محيط مشترك، وليست مقتصرة على فرد من الأفراد. قد تكون هذه الجماعة شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم، أو تجمعاً أو طائفة يرتبط أفرادها برباط معين مشترك أو صفة أو وظيفة تميزهم عن غيرهم. وأرى أن بعض العوامل المثيرة للمرض - كالجغرافيا والفقر والحرب والإشاعة - لها تأثير يتعدى الفرد إلى الجماعة، ومن هنا ينشأ المرض النفسي الجماعي.

وكما أن للفرد شخصية مستقلة تمتاز بعقلية ونفسية خاصة، فكذلك المجتمع أو المجموع له شخصيته المستقلة التي تمتاز بعقليتها ونفسياتها الجمعية الخاصة، والتي تختلف عن شخصية الأفراد الذين يتكون منهم ذلك المجموع. وعلى هذا تختلف الشعوب في كثير من الصفات: في وجودها وعدمها، أو في درجة تمثلها. فهذا شعب ينزع إلى العقلانية وذاك ينزع إلى الخرافة، وهذا شعب كريم وذلك بخيل، وهذا يميل إلى العفو والسماحة، وهذا إلى الحقد والثأر والانتقام، وهذا نشط مثابر، وهذا خامل كسول إلخ... وقد تكون هذه الصفات مطلقة أو نسبية تظهر عند المقارنة.

## التشخيص أساس العلاج

إن التعامل مع أي شخص لا يستقيم دون معرفة تامة بعقليته ونفسيته وأخلاقه وما الذي يثيره ويجذبه أو يزعجه وينفره؟ وهل هناك من فرصة أو مجال لعلاج وكسبه؟ أم على قلوب أفعالها؟ ومن هنا قال الأطباء: التشخيص أساس العلاج.

كثير من الدعاة والمتحدثين يقع في تعميمات ساذجة ويطلق الأحكام ويعتمد القياس دون النظر إلى نواحي الاختلاف أو الفارق بين هذا المجتمع وتلك الطائفة وذلك الفرد وهذه الجماعة وغيرها من المجتمعات والطوائف والأفراد والجماعات الخ... أو دراسة شاملة عميقة لها من أجل الوصول إلى التشخيص الصحيح كي يكون تعامله أو علاجه قائماً على أساس علمي صالح للاعتماد. مثلهم كمثل طبيب يعالج مرضاً مستعصياً دون تركيز ودراسة معمقة لتأريخ سير المرض وتطوره، أو إجراء الفحوصات السريرية والمختبرية؛ فتفوته أمور في غاية الأهمية لا بد منها للوصول إلى التشخيص الضروري لتوصيف العلاج.

من ذلك أن بعض الأمراض التي تبدو (عضوية) المنشأ إنما هي في حقيقتها نفسية الأسباب، كأن تكون (هستيرية)، أي ليست حقيقية وإنما هي أعراض لمرض نفسي يتستر بتلك الأعراض لخوف المريض اللاشعوري من الإفصاح عن السبب الحقيقي، وإن كان هذا الخوف مترسباً في اللاوعي، أي كامناً في الأعماق بحيث لا يشعر به المريض نفسه. مثاله: شخص يتهرب من مسؤولية عائلته. هو يخاف من الإفصاح عن هذه الرغبة أو مواجهتها. فكيف يوفق بين تنفيذ رغبته في التهرب من المسؤولية وبين عدم الإفصاح عنها؟ هنا يكون المرض الهستيري هو الحل أو الحيلة النفسية التي تحقق لهذا الشخص التوفيق المطلوب وتوجد له العذر المقبول للتنصل من المسؤولية العائلية فيغدو مريضاً يشكو من أعراض عضوية لكنها وهمية لا وجود لها.

إن هذا المريض لا يمكن أن يشفى من هذه الأعراض أو المرض

الهستيرى مهما بذل له الطبيب من مجهود أو وصف له من علاج. لماذا؟! لأن العلاج خارج دائرة المرض بسبب الخطأ في التشخيص. فالمرض نفسي والعلاج عضوي. أي إن العلاج وجميع المحاولات الطبية لن تكون أكثر من قفز في فراغ. وإن طبيباً لا ينظر إلى المريض نظرة شمولية لا يمكن أن ينجح في توصيف العلاج مهما بذل من محاولات.

إن الساحة الدعوية أو الدينية تعج بمثل هذا الطبيب ممن يجيد الكلام عن كثير من الموضوعات الفكرية والفقهية والروحية، لكنه لا يمتلك النظرة الشمولية، وليس عنده معرفة بالنفسية الإنسانية أفراداً وجماعات وشعوباً وقبائل وطوائف ومذاهب، ولا قابلية على تحويل هذه المعرفة إلى فعل إيجابي مؤثر، ولا خبرة ميدانية تجعله قادراً على توظيف ما عنده من مفاهيم ومعرفة في محلها المناسب.







### الفصل الثالث:

## دراسات في الشخصية الفارسية

تمتاز الشخصية (الفارسية) بخصائص نفسية معينة، اتفق على ملاحظتها وذكرها الخاص والعام ممن تعامل مع الإيرانيين، وخبر حياتهم وأخلاقهم، وكيف أعدت، أو تعدت هذه الأخلاق إلى المتأثرين بهم والمتشيعين لهم، سوى أن العالم يختلف عن غيره في عمق النظرة والقدرة على الرصد والتحليل، وربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات.

قام بدراسة هذه الشخصية عدد من العلماء، وثبتوا ملاحظاتهم العلمية في بحوث ميدانية، مدعومة بالأدلة الاستيعابية والشواهد التجريبية. ذكرت بعض هذه الدراسات في كتابي (لا بد من لعن الظلام)؛ فلن أذكرها هنا تفصيلاً مرة أخرى، تجنباً للإطالة والتكرار.

### من هذه الدراسات:

١ - (الشخصية الإيرانية ومكوناتها) للأمريكي جاك ميلوك<sup>(١)</sup> ضمن كتاب

(١) جاك ميلوك باحث أقدم في جامعة (الدفاع الوطني الأمريكية) شغل منصب نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الوزير في الوزارة نفسها، ورئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية في طهران. وهو اختصاصي في الشؤون السياسية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأدنى الآسيوية.

(الثورة الإيرانية والتمدن الحديث). استخلصها - كما جاء في الدراسة - من:

أ. بحث تجريبي قام به الأستاذ (البروفسور) مارفن زونيس طبقه على ثلاثمائة شخصية إيرانية تمثل النخبة السياسية الممتازة في إيران، بغض النظر عن كون تلك الشخصيات داخل الحكم أو خارجه. من أجل التأكيد على صحة بعض الانطباعات الخاصة، وذلك بواسطة استبيانات أعدت بعناية لذلك الغرض.

ب. ودراسة مفصلة في سنة ١٩٦٤ قام بها (معهد الإيمان والدراسات الاجتماعية) في جامعة طهران.

وجد الأستاذ زونيس - كما ذكر ميلوك - أن هناك أربع خصائص متميزة تنتصب

قائمة كعلامات خاصة دالة على الشخصية الإيرانية والسلوك الإيراني. وهي:

أ - الإيمان بأن السلوك البشري تهيمن عليه المصالح الذاتية وحدها.

ب - سوء الظن أو الارتياب.

ج - القلق وعدم الاستقرار.

د - الاستغلال الشخصي للأفراد بعضهم البعض.

ونقل انطباع شاه إيران نفسه عن الشخصية الإيرانية بأنها مولعة بالنفاق والمراعاة، وبعدم الرغبة في العمل الجماعي، وبعدم الإحساس بوجود الآخرين. وتتمتع بضعف المبادئ.

٢ - بحث للفرنسي أدور سايبيليه<sup>(١)</sup> بعنوان (إيران من الجانب الآخر) في كتابه (إيران مستودع البارود).

(١) باحث متخصص في شؤون الشرق الأوسط والقضايا الإسلامية والساحة الإيرانية. كان صديقاً للشاه والدكتور مصدق.

٣ - بحث قام به المؤرخ العراقي الأستاذ (البروفسور) عماد عبدالسلام رؤوف، في مقدمة كتاب (الصراع العراقي الفارسي)، لنخبة من المؤرخين.

### أهم الخصائص النفسية التي تميز الشخصية الفارسية

لقد تطرق هؤلاء العلماء إلى جملة من الخصائص النفسية، التي تميز الشخصية الإيرانية، أهمها:

❑ **الغدر:** بسبب شكوك الإيراني وعدم ثقته بالآخرين فليس لديه القدرة على الامتزاج. انه يبحث عن الأمان في الانعزالية عن الناس، أو بواسطة توجيه ضربته الأولى.

❑ **الشك والارتياب وسوء الظن:** فالشعور بعدم الأمان مغروس عميقاً عند الإيرانيين. إن هذا الشعور بالارتياب يجعل الإيراني يعتقد بأنه ليس هناك شيء بنفس البساطة والاستفادة التي ربما يظهر عليها، وأنه لا يمكن قبول الأمور على أساس قيمتها السطحية أو الظاهرية.

❑ **الوقاحة:** في قطعة أدبية مشهورة في الأدب الفارسي ينصح أحد الحكام الإيرانيين من ذوي العقل الراجح ابنه حول الكيفية التي يتوجب على الابن اتباعها من أجل أن يكسب حياته في إيران قائلاً:

(لا تتخوف من سوء استعمالك للحق أو السلطة ولا من الإذلال أو تشويه السمعة والافتراء... وعندما يجري طردك خارج أحد الأبواب تعال وادخل بابتسامة من باب آخر... كن وقحاً ومتغطرساً وغيبياً، لأنه من الضروري في بعض الأحيان التظاهر بالغباوة لأن في ذلك فائدة. حاول أن تقيم علاقات مع أولئك الذين يتبوأون مناصب عالية. اتفق في الرأي مع أي شخص بغض النظر عن ماهية رأيه، وذلك من أجل أن تجتذب تأييد عطفه الأكبر).

❑ **الشعور بالتفوق أو الاستثنائية:** الفذة التي لا مثيل لها. يصبح هذا الشعور مثل درع يحمي وراءه الفرد ويخفي نفسه أثناء فترة التطور

الثقافي السريع. وهذا يجعل الهوية الإيرانية قادرة على البقاء بالرغم من تعرضها لموجات مختلفة من الغزوات، وقادرة على امتصاص مؤثرات ثقافية كانت تواجهها بدون أن تغوص الهوية الإيرانية الذاتية إلى القعر. وعلى خلاف الشعوب الأخرى لم يمتزج الفرس بوشائج الصلة الوثيقة مع العرب حملة الراية الإسلامية، بل حافظ الفرس على شخصيتهم الذاتية حتى في ظل الإسلام. ففي مقابل المذهب السني الشائع بين العرب اخترعوا المذهب الشيعي. وعندما كان مجموع المسلمين يخضعون لسلطان الخليفة فان الإيرانيين اتخذوا من المذهب الشيعي ذريعة لمناهضة شرعية الخلافة باعتبار عدم جواز الإمامة إلا حصراً بسلالة علي. واستعان الفرس بالتكتل الشيعي لتحقيق مآربهم. إن الفرس مسلمون، ولكنهم يختلفون عن المسلمين الآخرين. ومن هذا المنطلق استطاعوا الاستمرار على تحصين أنفسهم ضد الانصهار.

□ **الكذب:** إن المعنيين بدراسة إيران وشؤونها متفقون عموماً على الاستنتاج القائل بأن الارتياح وعدم الاطمئنان والتخفي الديني تحت مظهر كاذب هي مميزات الإيرانيين. حتى إن محمد رضا بهلوي قد ذكر هذه المميزات بصورة فظة وذلك بقوله: (ان الفرس يكذبون). وقد اشتكى الشاه السابق أيضاً من أن الكذب ذاته يجري تمجيده على أساس أنه فضيلة، مقتبساً في شكواه ما جاء في كتاب الشاعر الفارسي سعدي:

(إن الكلمات التي تخذعك وتضللك، ولكنها تسعد قلبك هي أغلى من الصدق. وتزيد في قيمتها عن الشيء الذي يجعلك حزينا ويعكر مزاجك). إن المثل القائل: (احجب عن العيون ذهابك وذهبك ومذهبك) هو واحد من عدد كبير من تحذيرات شرعية مماثلة موجودة في الجعبة التجارية الفارسية.

□ **الملق والتلون والمداهنة:** إن الملق والمداهنة والغش يجب أن تكون

جميعاً الأدوات التي يحتاجها الفرد لأجل أن يتقدم ويصعد إلى أعلى. لقد قال زعيم إيراني: إن الإيرانيين هم مثل الحرباء. إنهم يغيرون ألوانهم كل يوم وتتلون سياساتهم بما يتناسب مع ألوانهم المتغيرة. إن استعمال تعبيرات مثل: (إنني عبدك المطيع) أو (إنني التراب الذي تطأه قدماك) أو (دعني أقبل رجلك ألف مرة) هي جزء صغير من مفردات قياسية للغة اليومية التحادثية.

□ **المراوغة والخداع والباطنية:** يرى الأجنبي في الفارسي مسلماً يمارس شعائر الدين غير أنه لا يمكن له أن يجزم بأنه من المؤمنين. وقد تعلم الناس أن لا يظهروا معتقداتهم بصورة علنية. وكانوا عند الضرورة لا يترددون في التظاهر بإنكارها ويلجأون إلى التحايل والمراوغات لخداع خصومهم. ولا يزال يوجد حتى الآن فئات يمكن اعتبارها مسلمة من الناحية الرسمية غير أن أفراد عوائلها يمارسون الطقوس الزرادشتية المتوارثة.

□ **الازدواجية:** الثنائية عند الفارسي هي صفته المميزة ففي أعماق نفسه حماس منقطع النظير، ومشاعر أشبه ما تكون بالأعراض المرضية، أما في الظاهر فهو متحلل من كل ارتباطاته بالقيم والأعراف والتقاليد. متصوف في قرارة نفسه، مخاتل وماكر في تصرفاته الظاهرية.

□ **الطبيعة الإيحائية:** يتأثر الفارسي كثيراً بالأساليب الإيحائية كالصور والتمثيل، ويندمج تماماً فيها، بحيث يبدو وكأنه يعيش ذاتياً الحالة المعروضة أمامه. في ليلة صافية الأديم وفي قرية صغيرة تقع جوار رضائية عرضت إحدى السينمات المتجولة

فلماً غربياً على شاشة نصبت في الهواء الطلق. وعندما اختطف أحد أفراد العصابة بطله الفلم بوحشية وأردفها على جواده سارع الحاضرون إلى امتطاء خيولهم واندفعوا لمطاردة الخاطف!

□ **الغطرسة واحتقار الغير** إن الفارسي إنسان متغطرس، وأكثر ميلاً من

غيره لاحتقار الغريب فيما إذا اعتقد بأنه يحاول إخضاعه وإذلاله، أو أنه يتحاشاه عند الاقتضاء. والفارسي بطبيعته المتغترسة لا يتردد في إظهار إعجابه بنفسه. وعندما يحس الفارسي بالسعادة يتظاهر دائماً بالمرارة والألم!

### نظرة تحليلية في جذور الأمراض النفسية الفارسية

أما الأستاذ الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف فقد رصد صفات مرضية أخرى في الشخصية الفارسية. لكنه لم يكتف بالعرض أو التوصيف الخارجي، إنما غاص وراء الأسباب الكامنة لها، ووضع أيدينا على الجذور الضاربة في أعماق النفس (الفارسية). سيأتي لاحقاً تلخيص ما قاله بهذا الصدد. إلا أنني سأقف قليلاً عند أهم ما رصده من صفات:

❑ **الفرس أقل عدداً وأدنى حضارة:** الفرس هم الوحيدون - من بين القوميات الفارسية الأخرى - الذين ليست لهم إمتدادات قومية خارج إيران. لقد كانوا فعلياً مجرد قومية وسط قوميات متعددة لكل منها تراثها وحضارتها ووطنها. ولم يكن الفرس على مستوى حضاري مكافئ للحضارات الموجودة إلى الغرب منهم، لذا فقد اخذوا موقعهم كـ(متلق) للحضارة لا صانع لها فالديانة الزرادشتية لم تكن فارسية وإنما ميديّة... بل إن اللغة الفارسية لم تكتب قط بأحرف فارسية وإنما بالمسمارية العراقية فالآرامية والعربية. وامتد تأثير الحضارات العربية منذ قبل الإسلام وبعده إلى معظم مناحي الحياة الاجتماعية الفارسية وتركت آثارها واضحة في مجالات الفنون والعمارة فضلاً عن الإدارة والقوانين حتى عد الباحثون - ومنهم من هو أكثر تعصباً للفرس - دولهم القديمة مجرد استمرار للدول الرافدينية.

❑ **العدوانية والتوجس والشك:** لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عدداً وحضارة، لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي، وإثارة شعور التوجس لديها

من خطر ما يأتي من الخارج. وكان التحدي الحقيقي أمام الفرس هو ذلك التحدي القادم من غرب إيران أي من الوطن العربي.

❑ **مركب الشعور بالنقص:** إن إحساس الفرس بتخلفهم تجاه الفعل الحضاري الآتي من الغرب يتخذ وضعاً حاداً ينعكس على شكل رد فعل غير حضاري نحوه يستهدف تدمير الحضارة فيه، أو مكافأة تأثيره على الأقل، ولكن بالفعل العسكري وحده.

❑ **(الفارسية) عقيدة وعقيدة توسعية:** وهكذا تحولت (الفارسية) من كونها إحدى قوميات (إيران) إلى عقيدة توسعية تعبر عن جيوبولوتيكية لا تحقق أغراضها إلا بالتوسع المستمر أكثر من تعبيرها عن إرادة أمة قومية بذاتها. وهذا ما يفسر ظهور سلالات حاكمة في إيران من غير الفرس التزمت بسياسة الفرس نفسها.

❑ **عقيدة وعقيدة عداً ضد العرب:** لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل إنه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه.

❑ **اللؤم ونكران الجميل:** ولما لم يكن هذا الغرب يمثل إلا مصدر إشعاع للحضارة، لا خطراً مادياً حقيقياً فإن العقلية الفارسية تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها، فلقد اعتنق الفرس الإسلام كسائر شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحرف العربي لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها<sup>(١)</sup>.

(١) حدثني أحد الدارسين في النجف، قال: كنا في حوزة النجف سنة ٢٠٠٢ نحضر درساً في جامع الراس. سأل واحد منا الشيخ يوماً: إن مادة درس العربية صعبة جداً؟ مشيراً =

□ المسكنة والشعور بالاضطهاد: إن التاريخ لم يسجل أية أعمال عدائية قام بها

العرب ضد إيران بل العكس دائماً. وعلى الرغم من ذلك فإن الفرس كانوا يصورون أي عدوان يقومون هم به على الأمة العربية بأنه (دفاع عن النفس)، حتى أصبح هذا قانوناً ثابتاً في السياسة الخارجية الفارسية في مختلف مراحل التاريخ. ومعنى هذا أنهم إن لم يجدوا خطراً حقيقياً يهدد بلادهم من الغرب فإن عليهم أن يوحوا إلى شعوبهم بمثل هذا الخطر<sup>(١)</sup>.



= إلى كتاب (قطر الندى). فأجابه: إن هذه العلوم قد ألفها أبناء العامة؛ لذلك تراها صعبة معقدة مثلهم. قال: ألا يوجد عندنا علماء يؤلفون لنا مصنفات أسهل؟ فقال الشيخ متحسراً: مع كل الأسف لم يخرج فينا نحن الشيعة إلى الآن أحد يصنف لنا كتاباً في اللغة العربية! علماً أن الكتب المعتمدة لتدريس اللغة في مدارس الحوزة هي: التحفة السنية، قطر الندى، شرح ابن عقيل.

(١) الصراع العراقي الفارسي، ص ١١-١٧، المقدمة.



### الفصل الرابع:

## الأمراض والعقد النفسية في الشخصية الشيعية أو الفارسية

من خلال هذه البحوث والتحليلات العلمية، ومن خلال المعرفة الذاتية والخبرة الميدانية المكتسبة من التعامل الطويل الأمد مع (الشخصية الفارسية) متمثلة بكل شعوبي أو رافضي أو متشيع بتشيع الفرس - وإن لم يكن في أصله فارسياً - يمكن استخلاص جملة من الأمراض والعقد النفسية المكونة لتلك الشخصية التي نطلق عليها اسم (الشخصية الفارسية).

سأتناول في هذا الفصل أهم هذه الأمراض والعقد، بمزيد من التحليل وضرب الأمثلة الواقعية، لمعرفة أصلها ومنشأها وعلاقتها ببعضها. وأرجو أن لا يفوتن القارئ اللبيب أنني لا أقصد أن هذه الأمراض - منفردة - مقتصرة على الشخصية الفارسية أصلاً، فلا يمكن أن يصاب ببعضها غير (الفارسي) أو المتشيع فارسياً، فرداً كان أم جماعة. فقد تجد شخصاً - وهذا كثير - مصاباً بعقدة النقص أو عقدة الاضطهاد أو غيرها من العقد، بل قد تجد مجتمعات تعاني من مثلها. إنما أقصد أن المجتمع (الفارسي) كمجموع مصاب بهذه العقد مجتمعة. فهذه العقد من مميزات (الشخصية الفارسية) وحدها، التي تطبع المجتمع الإيراني في عمومها بطابعها، وسائر المجتمعات الشيعية التي تأثرت به دون غيرها من الشعوب والمجتمعات الأخرى، على الأقل القريبة منها. وقد تجد شخصاً

فارسي الأصل لا يعاني - كفرد - من واحدة من هذه العقد، لكنه حين يكون في موقف يعبر به عن المجموع - أو يكون حقيقة مع هذا المجموع - فإنه يتصرف تصرفاً آخر يتوافق مع التركيبة النفسية الجمعية المعقدة. أي يتصرف طبقاً لنفسية الجمهور، وليس النفسية الفردية التي هو عليها وحده منعزلاً عن ذلك الجمهور الذي ينتمي إليه. وهذا كما يتصرف شخص يعاني فردياً من عقدة الهزيمة ضمن مجموع لا يعاني من هذه العقدة، فإن شخصيته تذوب في ذلك المجموع، وتختفي تصرفاته المريضة وتستبدل بها تصرفات أخرى لا تمت إلى عناصر شخصيته الأصلية بصلة. والعكس صحيح.

### العلاقة بين النفسية (الفارسية) والشيعية

إن الرفض أو التشيع الفارسي مذهب سياسي وعقائدي اخترعه الفرس للتنفيس عن أحقادهم وعقدتهم أولاً، وتحقيق أغراضهم ومطامعهم ثانياً. لكنهم ستروا سواته برقاعة (التشيع) ليروج على الناس، ويجد له بينهم آذاناً صاغية.

ومن الطبيعي أن كل فكرة أو مبدأ ينتشر - حين ينتشر - وهو يحمل معه أخلاق أصحابه وعقليتهم ونفسياتهم، ومناهج تفكيرهم، وطرائق سلوكهم وتعبيرهم. ولا يمكن أن ينتشر مجرداً عن ذلك. فالعرب حين خرجوا إلى العالم بدينهم حملوا معهم أخلاقهم وروحهم ومناهجهم وطرائقهم. ولم يقتصر تأثير العالم بهم على مذهبهم فقط، بل تجاوزوه إلى لغتهم وأساليب معيشتهم وأزيائهم وآداب مائدتهم. فانتشر الإسلام، وانتشر معه الوفاء بالوعد، والالتزام بالعهد، والعفو، والسماحة، والصدق، والعدل، وحرية التعبير عن الرأي، والعقلية المنضبطة بالدليل، البعيدة عن الخرافة، القائمة على العلم المؤسس على التجربة، والمتحرر من الفلسفة.

الشيء نفسه حصل حينما اندفع الفرس بمذهبهم أو دينهم المحرف (التشيع الفارسي). فإنهم نشروا معه أخلاقهم وأفكارهم، أو عقائدهم المسبقة، وعقليتهم الخرافية، ونفسياتهم المعقدة، بل وألسنتهم المعوجة،

وأزياءهم، وطعامهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وتواريخهم، ومشاعرهم، وشعائهم، وطقوسهم، وفلكلورهم؛ فتجد جمهور المتدينين بدينهم مصاباً بالعقد والأمراض، ومتصفاً بالأخلاق، ومتمتعاً بالعقلية الفارسية نفسها، على تفاوت في درجات الإصابة وظهور الأعراض شدةً وضعفاً. حتى إنها قد تزيد عند البعض من غير الفرس عنها في الفارسي المصاب بها أصلاً!

مثلهم كمثل المسيحية حين خرجت من أرض العرب ووصلت إلى روما، ارتدت إلينا صليبية تحمل أحقاد الرومانيين وعقدتهم وخرافاتهم وعقائدهم، وأخلاق الأوربيين ورذائلهم منسوبة زوراً إلى المسيح و(العدراء). وهكذا تحول جمهور المسيحيين - دون أن يشعروا - إلى صليبيين، أو متدينين بدين آخر غير الذي خرج منهم أولاً، وهم يحسبون أنهم لا زالوا على دين المسيح.

حين صار الأوربي مصدر الدين وانتقلت عاصمة المسيحية إلى (روما) و(القسطنطينية) صار يصدر إلينا أخلاقه وعقائده وعقليته ونفسيته هو باسم (المسيحية).

الشيء نفسه حصل للإسلام حين خرج من أرض العرب إلى بلاد فارس، ثم صار يصدر إلينا من (قم) و(مشهد) باسم (التشيع لأهل البيت). فانتقلت معه أخلاقه وعقائده وعقليته ونفسيته تحت هذا المسمى. فكل من تشيع بتشيع الفرس ينبغي أن ننظر إليه على أنه يحمل تلك العناصر، وأنه مصاب بالأمراض الفارسية نفسها. فإذا أردنا أن نصف له علاجاً فمن خلال هذه النظرة لنصل إلى التشخيص السليم الذي على أساسه يمكن توصيف العلاج الناجع له. أما التشخيص الذي نقطع به نحن - والذي أنا في صدد بيانه وتحليل جذوره ووضع الوصفة المناسبة له في هذا الكتاب فهو أن الرفض أو التشيع الحالي عبارة عن أمراض وعقد نفسية، قبل أن يكون انحرافات عقيدية أو فكرية وسلوكية، وأن التعامل الناجح مع المتشيعين بهذا التشيع - وهم جمهور الشيعة وعامتهم

- ينبغي أن يبنى على هذا التشخيص أو الأساس مهما بدا سوداوياً أو تشاؤمياً - كما قد يحلو للبعض أن يسميه - لكنه الواقع والحقيقة التي يجب علينا أن نعترف بها ونواجهها بشجاعة مهما كانت مرة أو كريهة المنظر، وإلا أخطأنا في توصيف العلاج.

### (الفارسية) ظاهرة وليست عرقاً

من الحقائق المهم ذكرها أن النفسية الفارسية المعقدة، والسلوك المنحرف المنعكس عنها ليس مختصاً بالفرس حصراً، فلا يمكن أن يصاب بها غير الفارسي أصلاً. إنما هي عقدة مرضية تصيب كل من تأثر بها، وظاهرة اجتماعية توجد في كل مجتمع تقبل جراثيمها، وإن لم يكن فارسياً في عنصره، أو إيرانياً في بيئته ومنشئه.

(الفارسية) وباء يمكن أن ينتقل بالحث والعدوى، فيصيب أجناساً أخرى عاشرت الفرس وتأثرت بهم. أو أفراداً عاشوا بينهم، لا سيما من وصل منهم إلى رأس السلطة في إيران؛ لأنه يجد نفسه مضطراً إلى أن تتمثل فيه جميع الأمراض والعقد النفسية الفارسية، وإلا لن يتمكن من ضم تلك الأشتات المختلفة من العناصر والشعوب التي تقطن الهضبة الإيرانية تحت جناحيه.

### عقدة النقص وعقدة الاضطهاد وأثرهما في تكوين النفسية الفارسية أو الشيعية

يستطيع الدارس للشخصية الفارسية أن يرصد عقدتين كبيرتين، هما الأساس في كل الانحرافات النفسية التي تعاني منها تلك الشخصية. هاتان العقدتان هما:

- ١ - (عقدة النقص) التي تمثل الأصل والمنبع والأساس.
- ٢ - (عقدة الاضطهاد) التي نتجت عن العقدة الأولى، وساندتها في ولادة العقد الأخرى، وصبغت النفسية الفارسية بصبغتها، حتى صارت طابعاً لها، ونقطة دالة تجعلك لا تخطئ أبداً في تشخيصها ومعرفتها.

ف العقدة النقص هي الأصل الكامن، وعقدة الاضطهاد هي اللون والعلامة الظاهرة.

إن الشعور المزمن بالنقص ينعكس عند الشخص الفارسي - وسليته الشيعي - رد فعل سلبي مؤذٍ ومخرب، يتجه إلى البيئة التي تحيط به بعنصريها: الطبيعة والإنسان. فهو خائف متوجس يشعر بالغرابة والقهر من الطبيعة المحيطة، والشعور نفسه ينعكس باتجاه البشر المحيطين به. وهذا معنى قول الخبير الأمريكي جاك ميلوك السالف الذكر: (إن الشعور بعدم الأمان مغروس عميقاً عند الإيرانيين. وأكثر من ذلك فإنه لا يمكن الوثوق من الطبيعة ولا الاعتماد على المخلوق البشري. إن هناك توقعات بحصول التضليل والخداع في مكان ما. وهكذا يجد الفرد الإيراني نفسه داخل دائرة مليئة بالمرارة).

وعلى هذا الأساس - إذا أردنا أن نفهم نفسية الشيعي - علينا أن ندرس نفسية الإنسان الاضطهادي أو المقهور. إن (عقدة النقص) في أعماق النفس تنعكس في الخارج على شكل شعور طافح بالقهر والحرمان، ودعوى عريضة بالظلم والاضطهاد. وقد وجدت خير من قام بهذه الدراسة - كما نوهت سابقاً - هو الدكتور مصطفى حجازي في كتابه (التخلف الاجتماعي.. مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور). علماً أنه يستعمل أحياناً مصطلح (التخلف) و(الإنسان المتخلف)، بدل (القهر) و(الإنسان المقهور) من حيث أن الشعور بالقهر أو الاضطهاد ينعكس تخلفاً في الفعل والممارسة. وفي ذلك يقول: (إن سيكولوجية التخلف من الناحية الإنسانية تبدو لنا على أنها أساساً سيكولوجية الإنسان المقهور)<sup>(١)</sup>.

### حيلة (الإسقاط) وأثرها في التركيبة النفسية الشيعية

الإسقاط - كما عرفه العلماء - عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها - ويحوّل إلى غيره - صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته

(١) التخلف الاجتماعي، ص ٨، الدكتور مصطفى حجازي.

أو أفكاره التي لا يرغبها ويخجل من الوعي بكونها جزءاً من ذاته. فهو يتهرب لا شعورياً منها بطردها عن نفسه أولاً، ثم إلصاقها بالغير، أو اتهامه بها ثانياً كنوع من تبرئة الذات أو الدفاع السلبي عنها. إنه عبارة عن تخلص من كل ما هو سيئ في الذات باتهام الآخرين به. فهي عملية أو حيلة نفسية دفاعية مزدوجة. وتتخذ مظهرين:

١ - نسبة النقص الذاتي إلى الغير.

٢ - لوم الغير على ما نلقاه من صعوبات وفشل، وما نقع فيه من أخطاء<sup>(١)</sup>.

يلعب الإسقاط دوراً كبيراً في حياة الشيعي النفسية. وهو عميق الأثر فيها إلى حد (العقدة)! ولا أراني مخطئاً علمياً إذا أطلقت عليه عندهم مصطلح (عقدة الإسقاط). لم أر أحداً أو جماعة بنيت حياتهم على (الإسقاط) كالشيع! فهم أكثر الناس اتهاماً للآخرين بعيوبهم وذنوبهم، كما أنهم أكثرهم إلقاء بتبعة أخطائهم وجرائمهم، وما يحصل لهم من مصائب ومصاعب على غيرهم!

خذ مثلاً سب الصحابة وتكفيرهم كيف ينعكس لدى الشيعة اتهاماً لنا بكره (أهل البيت)؟! والتهمة ثابتة في حقهم ثبوتاً قطعياً مطلقاً. أما نحن فبريئون منها إلى حد الصفر المطلق. ومع ذلك فالأمر عندهم على العكس!

أحد معارفي داهمت بيته دورية للحرس الوطني، فأخرج لهم هويات الأحوال المدنية الخاصة بأولاده الأربعة: علي وحسن وحسين وحمزة. فكان مصيره الضرب والشتم والإهانة.

- لماذا؟!!

- لأنك سميتك أولادك بهذه الأسماء كرهاً لأهل البيت!

(١) راجع موضوع (مصطلحات مهمة في علم النفس والأمراض النفسية)، آخر الكتاب.

- كيف؟!

- سميتهم كذلك من أجل أن تسبهم وتبصق عليهم وتضربهم، تشفياً بأهل البيت!!!

انظر إلى أحدهم - وهو من أكثر الشيعة اعتدالاً كما يقال - كيف تنقلب في رأسه الأمور ليقول: (يحدث المأزق الكبير في دوائر الدولة والأحزاب والمؤسسات العسكرية، حيث يلتقي المتعلمون من الطائفتين.. الشيعة الذي انسلخ عن طائفته بسبب تعلمه، والسني الذي اتصل بالطائفية بسبب صلتها بالسلطة. وهنا تبدو الفروق مكشوفة في ممارسة كل منهما لعمله في الدولة. إن الشيعة لا يفكر في أن يحجز وظيفة لشيعة آخر. وقد لا يفهم معادلة كهذه على الأغلب. أما السني فإنه متحفز ومهيأ للعب دور كامل مستمد من تمذهب الدولة.

قد يضاف سبب آخر. فبعض الشيعة ممن ينتبهون إلى فعل الطرف الآخر في مؤسسات الدولة قد يحاولون فعل شيء مماثل. لكنهم سيضطهدون بتقاليد الدولة، وبالاضطهاد الرسمي. أو إنهم يقعون فريسة الخوف من أن يتهموا بالطائفية. إن العلماني الشيعة يتقبل أية تهمة سوى هذه. قد يتفاخر بخروجه على الإسلام، وبالاحاد وارتكاب المعاصي. قد يفاخر بماركسيته ووجوديته ونازيته وبعثيته، وبشدوذه وغرامياته، لكنه عند التهمة الطائفية يقف مدعوراً. وقد يتحول إلى الضد لإثبات الضد<sup>(١)</sup>.

وأنا أقف هادئاً - لا مدعوراً - أمام هذه العقلية الإسقاطية، التي قلبت الأمور كلها إلى الضد لإثبات الضد؛ لأنني أعرف على أي وتر تعزف. ولك - حتى تعود الأمور إلى نصابها - أن تقلبها مرة أخرى. وعندها تتبين الحقيقة.

هذا والكاتب صاحب النص السابق كان السكرتير الصحفي لصدام، ويعرف - قبل غيره - أن أغلب الصحفيين المقربين من الرئيس الراحل - إن

(١) الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، حسن العلوي، ص ٢٦٧، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران - قم.

لم يكونوا كلهم - من الشيعة. وسيأتي توضيح مختصر بهذا، ومن فم الكاتب لا غيره<sup>(١)</sup>.

وقف مقتدى عند المقام الموهوم بـ(السيدة زينب) في دمشق في شباط ٢٠٠٦ ليذم المقاومة، ويقول دون حياء: (الإرهابيين حبيبي فجرُوا لهم دبابة دبابتين وصاروا مقاومة. كذايين. عملاء).

واقلب تعدل!

وهكذا...

وصدق الشاعر إذ يقول:

من كان يصنع ما يقولُ فحيالتي فيه قليله

وفيما يلي أهم الأمراض والعقد النفسية في (الشخصية الفارسية):

(١) انظر لاحقاً - في هذا الفصل - عقدة اللؤم ونكران الجميل.



(١)

## عقدة النقص

ثمة فرق بين «الشعور بالنقص» و«عقدة النقص». (فالشعور بالنقص حالة نفسية يدركها الفرد إدراكاً مباشراً ويعترف بها. وليس من الضروري أن يكون بالفرد نقص كي يملكه هذا الشعور... ويرى «آدلر Adler» مؤسس مدرسة علم النفس الفردي أن الشعور بالنقص من أقوى الدوافع لدى الإنسان لأن غريزة السيطرة هي أقوى الغرائز. كما يرى أن الفرد يحاول أول الأمر التعويض عن نقصه، فإن فشل التعويض الناجح لجأ إلى التعويض الوهمي، كأن يهرب من مواجهة نقصه إلى أحلام اليقظة، يعوض في خيالاتها عما به من نقص كما يشاء، أو يصاب بمرض نفسي يتخذه عذراً وجيهاً عن عجزه ونقصه، لأنه لو لم يكن مريضاً لم يعرف العجز إليه سبيلاً، بل لتفوق على غيره. وهكذا يعفيه الاحتماء بالمرض من لوم الناس ولوم نفسه.

أما عقدة النقص فاستعداد لا شعوري مكبوت، أي لا يفتن الفرد إلى وجوده، وينشأ من تعرض الفرد لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل، وقلة الحيلة. ومتى اشتدت وطأة هذا الشعور على الفرد مال إلى كبته أي إلى إنكار وجوده، بل وإلى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية. غير أن كل ما يذكره بالنقص يحمله على الفور وبطريق تلقائية على الدفاع عن نفسه بأن يستجيب بعنف. والسلوك الصادر عن عقدة النقص يتسم بما يتسم به كل سلوك صادر عن الكبت، فغالباً ما يكون سلوكاً

غريباً غير مفهوم، هذا إلى طابعه القسري. من ذلك: العدوان، والاستعلاء والزهو الشديد، والتظاهر بالشجاعة والإسراف في تقدير الذات. وقد يبدو في صور متكلفة سخيفة كمحاولة استرعاء الاهتمام والانتباه بالتفاخر الكاذب والتباهي الزائف والاختلاق والكذب أو التأنق غير المحتشم في الملبس أو التحلق في الكلام أو التطرف في كل ما يقول ويفعل<sup>(١)</sup>.

### منشأ عقدة النقص عند الفرس

لقد وضع الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف يده على أصل العلة في النسيج النفسي للشخصية الفارسية حين قال متسائلاً: (فما هي إذن الأسباب الثابتة لهذا الصراع الطويل عبر المراحل التاريخية المتعاقبة؟) ثم أجاب بقوله: (إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في وضع إيران الجغرافي - السياسي نفسه).

ويمكن تلخيص ما قاله البروفسور عماد عن هذا الوضع بثلاث نقاط رئيسة هي:

- ١ - الفرس لا يشكلون سوى أقلية بالنسبة لمجموع الأقليات القومية الأخرى التي تستوطن الهضبة الإيرانية (عامل جغرافي).
  - ٢ - إن لهذه القوميات جميعاً - باستثناء الفرس - امتدادات واسعة خارج حدود إيران نفسها (عامل جغرافي).
  - ٣ - الرغبة في السيطرة على بقية القوميات المتباينة، وشدها باتجاه الدولة المركزية في الداخل (عامل سياسي).
- ولكنهم كانوا أقل عدداً وأدنى حضارة من أن يستطيعوا ممارسة دورهم هذا في شد هذه القوميات وتجميعها تحت سيطرتهم. لذا فقد كان

(١) أصول علم النفس، ص ١١٨-١١٩، الدكتور أحمد عزت راجح. ولا حاجة بي إلى التنبيه إلى أن هذه التفاصيل السلوكية موجودة، وتلاحظ بوضوح على (الشخصية الفارسية).

الفعل السياسي والعسكري الفارسي على الدوام أكبر من حجمهم الحقيقي.

إن الرغبة في السيطرة - من قبل الفرس في قلتهم العديدة وتدنيهم الحضاري - على شعوب تفوقهم عددا وحضارة، ولها امتدادات خارجية، هو الذي أنتج عندهم ذلك الشعور العميق بالنقص، والذي ترسخ بمرور الزمن وتراكم المعاناة حتى صار عقدة لا تفارقهم. مثلهم كممثل شخص جاءت به ظروف الحياة ليقود فريقاً من الرجال يفوقونه في تحضرهم وتحصيلهم العلمي وقوتهم ووجاهتهم، فإذا لم يكن متماسكاً نفسياً تولد عنده شعور بالنقص تجاههم. فإذا تكرر الموقف نفسه - بصورة أو بأخرى - نشأت عنده عقدة النقص.

وبما أن تحقيق رغبة الفارسي في هذه السيطرة بالوسائل الطبيعية غير ممكن، فإن ذلك جعله يجنح دوماً إلى أساليب ملتوية وحيل غير مألوفة يوازن بها هذا الفرق في التفوق، ويصل بها إلى هدفه من السيطرة.

لقد ترسخت هذه الأساليب الملتوية والحيل الشاذة على مر الدهور وكر العصور حتى صارت جزءاً من شخصيته وسمة أو طابعا يدمغ تلك الشخصية. أي تحولت إلى عقد نفسية متأصلة، ممتدة الجذور عميقاً عميقاً في نفس الفارسي.

### عقدة الدخالة

أما من صار على رأس السلطة في إيران فلا بد أن يتقمص تلك الشخصية ويصاب بتلك العقدة النفسية، وإن لم يكن فارسياً في أصله وعنصره؛ وإلا فقد زمام السيطرة على دفة الحكم. وكما أن رجلاً جاءت به الأقدار ليكون حاكماً أو شيخاً لقبيلة غير قبيلته لا يمكن له أن يقود القبيلة بتقاليد وأعراف غير تقاليدها وأعرافها، وإنما عليه - لكي يستمر في قيادتها - أن يتقمص روحها وشخصيتها، ويتمثل سلوكها، ويعبر عن آمالها

وتطلعاتها، وإلا رفضته وفقد السيطرة على قيادها. بل إن هذا الحاكم أو الشيخ عادة ما يكون متطرفاً في كل ذلك إلى الحد الذي يتفوق فيه على ابن القبيلة الأصيل؛ لأن عقدة الشعور بالغربة أو الدخالة كثيراً ما تدفع الدخلاء إلى هذا التطرف أو التصرف ليغطوا به على هذا الشعور الذي لن يشفوا منه مهما تطرفوا، وكيف تصرفوا! كذلك فعل كل حاكم إيراني من أصل غير فارسي. إنه يحكم إيران بروحية الفرس ونفسياتهم وأعرافهم وتقاليدهم، وقد يتطرف في سلوكه وعدوانيته فيتفوق على مثيله الفارسي على قاعدة (ملكي أكثر من الملك). كما فعل الصفويون ومن لف لفهم. وإلى هذا المعنى أشار البروفسور عماد عبدالسلام رؤوف بقوله: (ومع أن سلالات غير فارسية حكمت إيران في بعض العهود إلا أن سياستها لم تكن تختلف عن السياسة الفارسية التقليدية التي ذكرنا. فالافشاريون والزنديون والقاجاريون مثلاً وهم ليسوا فرساً لم يكونوا ليصبحوا (شاهات) لإيران لو لم يلتزموا (بالعقدة الفارسية) فيحذوا حذو أسلافهم في معادة الأمة العربية<sup>(١)</sup>).

وعلى هذا الأساس فإن (الفارسية) قد تتمثل في شخص عربي في أصله؛ فيكون بلاءً أكثر من الفارسي نفسه. وهنا يمسي التفريق بين عالم أو فقيه أو عربي وآخر فارسي - يحمل كلاهما العقيدة والعقدة نفسها - بلاهة وحمقاً<sup>(٢)</sup>.

(١) الصراع العراقي الفارسي، المقدمة، ص ١٨.

(٢) إن هذا يشبه النظرة التفكيكية عند البعض ممن ينسب العلماء الفرس الذين ظهوروا في العصر العربي الإسلامي إلى الحضارة الفارسية، متناسياً أن هؤلاء هم نتاج الحضارة العربية، وليس الفارسية التي انتهت واندثرت. وغافلاً عن كون الحضارة منسوبة إلى قومية أو فكرة معينة لا يعني خلوها من العناصر الأخرى التي امتزجت بها ففقدت خصائصها الأصلية، أو ضعفت هذه الخصائص بذوبانها أو تأثرها بعناصر الحضارة الجديدة. إن كثيراً من كبار علماء أمريكا وأوروبا هم من العرب، لكن الحضارة التي يشاركون في بنائها هناك ليست عربية. إنهم نتاج الحضارة الغربية، ولولا احتضان هذه الحضارة لهم لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مراتب في سلم العلم والإنجاز الحضاري.

## العجمي والمستعجم

إن هذا يدعونا إلى الحذر من العربي أو العراقي المصاب بـ(العقدة الفارسية) أكثر من الفارسي أو الإيراني نفسه؛ لأن الأول يزيد على الثاني بكونه يعاني من عقدة (الدخالة) التي تجعل من عدوانيته وحققه أكثر تطرفاً وحدة. بل قد نجد فارسياً بريئاً من هذا المرض إلى الحد الذي نعتبره فيه عربياً في لغته وروحه وديانته، فمن أحب العرب وتكلم بلسانهم فهو عربي.

**خلاصة القول:** أن العجمي والمستعجم طينة واحدة. هذا إن لم يكن المستعجم أكثر شراً وأضل عن سواء السبيل. ومن هنا قال من قال: (إذا استعجم العربي فاقتلوه)؛ لأن العربي المستعجم شر من العجمي نسباً وأصلاً!

## عقدة النقص أصل كل العقد النفسية في الشخصية الشيعية

هذه العقدة الخبيثة هي أصل كل العقد في نفسية الفارسي، أو الشيعي الذي انخلع من أصله وصار متشيعاً تشيعاً فارسياً يحمل عقائد الفرس وعقدتهم، ويسعى - شاء أم أبى - في خدمة أغراضهم، وتحقيق أهدافهم.

- فتجد أن عقدة النقص هي وراء (عقدة الشك) والتوجس والخوف الدائم من خطر ما يأتي من الخارج.
- ووراء (عقدة الغدر) تلك السجية الملازمة للفارسي وأخيه الشيعي؛ لأن الضعيف لا يتوقع سنوح الفرصة ثانية فهو يضرب ضربته عند أول فرصة.
- ووراء (عقدة الخداع) والمراوغة؛ لأن عقدة الشك توحى إليه بأن الكل يريد خداعه؛ فهو يقوم بمخادعتهم مقابلة بالمثل.
- ووراء (عقدة الكذب) والدجل (الشعار القومي للفرس)، فهو دائم الادعاء بأن جيرانه يبيتون الاعتداء عليه، وأن خطراً ما قادماً من هذا الاتجاه وذاك من أجل إثارة الخوف لدى الآخرين وتجميعهم حوله.

- وهذا أنتج - إضافةً إلى ذلك - (عقدة العدوان)، و(عقدة الاضطهاد) والمظلومية. فهو يعتدي وفي الوقت نفسه يدّعي أنه معتدى عليه.
- وفي المقابل تجد (عقدة الاستخذاء) والتذلل والمسكنة، قد نتجت عن عقدة النقص والشعور بالدونية، التي تجعله - في حال ضعفه - ذليلاً متملقاً متمسكاً.
- و(عقدة الحقد) الفارسي المجوسي نابعة من عقدة النقص. إن الحقد هو القوة الضاغطة التي لا يستطيع بدونها تجميع عناصره المشتتة، وسوقها باتجاه واحد.
- وهكذا تتسلسل النتائج فتظهر لنا (عقدة الانتقام) والرغبة الجامحة في الثأر.
- ومن عقدة الحقد والعدوان والاضطهاد والرغبة في الثأر والانتقام نتجت (عقدة التخريب).
- كما أنها منبع (عقدة التحلل الخلقي) والفساد الاجتماعي؛ فالناقص الدوني لا يتماسك أمام المغريات أو الشهوات.
- وهذا كله تسبب في وجود (عقدة الذنب).
- وبسبب الاعتياد على إتيان النقائص ترسخت عنده (عقدة الصفاقة).
- ولنقصه تراه شديد الالتصاق بطائفته، متعصباً لها أشد التعصب (عقدة التعصب).
- والحاجة إلى تعويض النقص تلجئ صاحبها إلى المبالغة في تصوير كل ما يتعلق بالذات من قوة وملكية وأمني وأحلام ورموز وتاريخ وقصص وأساطير حتى ينطبع الذهن بطابع الخرافة، ويصير صاحبه خرافياً (العقلية الخرافية).
- والحاكم الناقص يتأله على شعبه، والشعب المتخلف يطيع حاكمه إلى حد التأليه (تأليه الحاكم).

- وعقدة النقص هي السبب في نشوء (عقدة السيد) أو عقدة الاستكبار والتعالي. فهو يتظاهر بالقوة الفارغة للتغطية على الشعور بالنقص.
  - ثم يزيد من مظاهر تلك القوة الفارغة كي يغطي أكثر على نقصه، ومن هنا تنشأ (عقدة الاستعراض). ومثاله كبر عمامة السيد (مكوار المخنث). (المكوار عصا في طرفها كرة قير).
  - وكذلك (عقدة اللؤم) ونكران الجميل: فلنقصه، وشعوره بالحاجة يقبل الإحسان من الغير، لكنه للسبب نفسه يتنكر لإحسانه، بل يتوجه بالأذى إلى المحسن كي لا يذكره بنقصه وحاجته. إن الدونية أو عقدة الشعور بالنقص تجعل صاحبها يستجيب سلبياً أو عكسياً تجاه المؤثرات الخارجية الإيجابية، ويتعامل بلؤم مع من يحسن إليه؛ لأنه يرى فيه شبحاً مزعجاً يذكره بـ(دونيته) ونقصه. فـ(الدوني) شخص متناقض: فهو يقبل الإحسان لحاجته إليه، لكنه يشعر بالكراهية تجاه من يحسن إليه، وينزعج من رؤيته ويتمنى الخلاص منه، بل يسعى في الكيد له وإزاحته من أمامه.
- وما لم نفهم هذه العقدة عند العجمي والمستعجم فإن إحساننا يذهب هباء، ولا يصل بنا إلى النتيجة الطبيعية المتوقعة لتلك المقدمة. بل لا نجني من ورائه إلا المتاعب.

لقد كان هذا نصيب العرب على مر التاريخ جزاء إحسانهم إلى الفرس الذي تمثل بدينهم ورسالتهم التي حملوها إليهم - وهو أعظم إحسان - وبحضارتهم العظيمة. لكن العقلية (الفارسية) تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لاضطرارها إلى ذلك؛ بسبب النقص الذي تعاني منه في مستواها الحضاري، وتعاديها في الوقت نفسه؛ لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها وكيانها.

كل الشعوب التي اعتنقت الإسلام تحتفظ بالجميل للعرب وتحترمهم وتقدمهم. إلا العجم فمع ادعائهم الإسلام يشعرون بالحق والكراهية تجاه

من حملة إليهم لا سيما الصحابة وخصوصاً الفاروق عمر رضي الله عنه الذي كان أول ضحية لحقدهم ودونيتهم وغدرهم.

وهكذا.. فما من عقدة يعاني منها الشيعة إلا وترجع في أصلها وتكونها إلى عقدة النقص، التي تولدت جراء الوضع الجغرافي - السياسي الذي ذكرناه من قبل.





(٢)

## عقدة الحقد

من القصص التي يتداولها العراقيون أنه كان للخميني في النجف جار عراقي. وفي يوم من الأيام - وبينما كان الأولاد يلعبون في الزقاق - ضرب ابن الجار العراقي ابناً للخميني كان يلعب معه. مثل هذا الفعل يتكرر على مدار الساعة بين الأطفال في لعبهم في الأزقة والحارات وغيرها. لكن الأمر اختلف هذه المرة إذ حصلت مشكلة كبيرة. أراد العراقي أن يرضي خميني لكن الأخير رفض. وحاول صاحبنا وجرب كل وسيلة فلم يفلح! وظل خميني مقاطعاً جاره رغم الوساطات العديدة للصلح بينهما، حتى خرج من العراق!

قصة قد تكون حصلت، أو لا تكون. لكنها - مع هذا أو ذاك - تنطوي على دلالات عميقة.

يتحدث الدكتور موسى الموسوي عن الخميني فيقول: (وإن من أهم الصفات السيئة التي يحملها هو حقه الدفين على كل من أساء إليه، ولو قبل نصف قرن، فهو لا ينسى الإساءة. ولا بد أن ينتقم لها عندما تسنح له الظروف. ولذلك نرى أنه أمر بإعدام علامة الوحيدي والدكتور جمشيد أعلم، وهما عضوان من أعضاء مجلس الشيوخ الإيراني في عهد الشاه من بين ٦٠ عضواً آخر؛ لأنهما تطاولا في الكلام عليه في المجلس عندما كان

يعارض حكم الشاه. أما سائر أعضاء مجلس الأعيان فلهم مطلق الحرية يسرحون ويمرحون في إيران<sup>(١)</sup>.

نعم..!

الحقد داء، وعقدة متأصلة في نفسية الفارسي، لا يمكن لكيانه أن يقوم، ولا لوجوده أن يدوم من دونها! إنها القوة الضاغطة التي يستطيع بها تجميع عناصره المشتتة، ويسوقها باتجاه واحد. (الفارسي) غير قادر على جعل الحب قاعدة لانطلاقه في تعامله مع الآخرين؛ لأنه بذلك يفقد القابلية على تجميع تلك العناصر المشتتة في قبضة واحدة. يقول د. عماد عبدالسلام: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي، وإثارة شعور التوجس لديها من خلال خطر ما يأتي من الخارج)<sup>(٢)</sup>.

لهذا أمسى الحقد ضرورة لبقاء الفارسي على قمة الهرم في الهضبة الإيرانية، التي لا يتربع عليها إلا من سلك السلوك نفسه، واعتمد إثارة كل أمر يؤدي بشعوب الهضبة المتناثرة إلى أن تخاف وتحقد على الدوام حفاظاً على تماسكها تحت قاعدة الهرم. وما اللعن واللعن إلا تعبير عن هذه العقدة التي يغذونها برواية كل قبيح مخترع وإصافه بتاريخ الأمة ورموزها. ومن ذلك اختراع المآسي التي تعرض لها (أهل البيت) وتضخيمها، وإقامة مجالس التعزية والنواح على أولئك (المظلومين). وتأمل التناسب بين نفسية الفارسي المدمرة الحاقدة، وبين النار التي اشتهر بعبادتها من دون بقية قوى الطبيعة!

وعن طريق الحث والعدوى انتقلت هذه العقدة من المجتمع الإيراني إلى المجتمع الشيعي أينما كان: أفراداً وجماعات.

(١) الأستاذ الخميني في الميزان، ص ٦، د. موسى الموسوي.

(٢) مقدمة كتاب الصراع العراقي الفارسي، مصدر سابق.

## حقد مختص بالعرب

وإذا كان الفارسي وسليله الشيعي حاقداً بطبعه، فإن هذا الحقد يتوجه عنده تلقائياً - وبلا مقدمات - إلى العرب عامة، وإلى العراقيين منهم خاصة. ولذلك أسبابه الدافعة. أهمها أن عقدة النقص إنما تستثار - أشد ما تستثار - باتجاه العرب؛ لأنهم - في قوتهم الذاتية وتحضرهم العريق وتراثهم النبيل - يمثلون في خافية أو لا شعور الفارسي النقيض التام المقابل للفرس في كل ذلك. ولأن العرب أكثر الأقوام فضلاً على الفرس، فإن عقدة نكران الجميل تكون أكثر انفعالاً وأثراً في انعكاسها بما يتناسب ودرجة الفضل السابق من العرب إليهم. من هنا نفهم عمق كلام د. عماد عبدالسلام حين قال: (لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل انه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه).

انظر إلى ما يقول محمد الطوسي في (غيبته) ومحمد المجلسي في (بحاره) منسوباً زوراً إلى جعفر الصادق: (اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية للكليني: (ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب. قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير. قلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير. قال لا بد للناس أن يمحصوا ويغربلوا ويستخرج مع الغربال خلق كثير)<sup>(٢)</sup>.

وانظر إلى شعوبية الكليني ذلك الحاقد الفارسي كيف يفتري على سيدنا جعفر بن محمد ﷺ أنه يكفر أهل خيرة بقاع الأرض (مكة والمدينة

(١) الغيبة للطوسي، ص ٤٧٦. وبحار الأنوار للمجلسي، ٣٣٣/٥٢.

(٢) أصول الكافي ٣٧٠/١.

والشام) فيقول: أهل الشام شر من أهل الروم وأهل المدينة شر من أهل مكة وأهل مكة يكفرون بالله جهرة<sup>(١)</sup>.

وعن أحدهما (ع) قال: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً<sup>(٢)</sup>.

ويفتري على محمد بن علي (الباقر) أنه قد كفر جميع الصحابة والتابعين وهم خيرة العرب فيقول: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد. وأناب الناس بعد: كان أول من أناب أبو ساسان وعمار وأبو عروة وشتيرة، فكانوا سبعة فلم يعرف حق أمير المؤمنين إلا هؤلاء السبعة<sup>(٣)</sup>.

وتأمل ما قاله ميرزا حسن الإحقاقي: (إن الصدمات التي واجهها كل من شعبي إيران والروم الكبيرين نتيجة لحملات المسلمين والمعاملة التي تلقوها من الأعراب البدائيين الذين لا علم لهم بروح الإسلام العظيمة، أورثت في نفوسهم نزعة صدود عن العرب، وشرية العرب، فطبيعة سكان البادية الأوباش الخشنة، وذلك الخراب والدمار اللذين ألحقوهما بالمدن الجميلة، والأراضي العامرة في الشرق والغرب، وغارات عباد الشهوات العطاشى إلى عفة وناموس الدولتين الملكية والامبراطورية)<sup>(٤)</sup>.

وفي فلم شيعي عن معركة صفين مدموغاً بعلامة (شبكة أنصار الحسين)<sup>(٥)</sup> يظهر عمرو وتحتة مكتوب: (عمرو بن العاص لعنه الله)! أما عندما يظهر علي فمكتوب تحتة: (السلام عليك يا قاتل صناديد العرب)!!!

(١) أيضاً، ٤٠٩/٢.

(٢) أيضاً: ٤١٠/٢.

(٣) أيضاً: ٢٤٤/٢.

(٤) رسالة الإيمان، ص ٣٢٣، ميرزا حسن الحائري الإحقاقي، مكتبة الصادق، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٢.

(٥) منقولاً عن موقع الفرقان

واستمر هذا الحقد الفارسي ضد العرب يتأجج على مر العصور، لم تزده الأيام إلا عمقاً ورسوخاً! ومن أكثر الناس شعوراً بوجود وآثار هذا الحقد وإدراكاً لجذوره أشقاؤنا العرب الأحوازيون. وذلك بسبب معاناتهم الطويلة تحت الاحتلال الفارسي منذ أكثر من ثمانين سنة. يروي لي أحدهم فيقول: كنا من جنسيات متعددة نعمل في موانئ الكويت، منا العربي ومنا الفلبيني والهندي والباكستاني وغيرهم من الشعوب. وكان معنا إيرانيون أيضاً. فحين يحصل شجار بين إيراني وآخر من قومية أخرى، يتساءل العمال الإيرانيون؟ فإذا وجدوا الشجار حاصلًا مع هندي أو فلبيني، أو مع شخص من أي قوم كانوا سوى العرب، فإنهم لا يأبهون للأمر كثيراً. فإذا ما قيل: إن الشجار مع عربي تركوا كل شيء بأيديهم، وهبوا بالعشرات ينصرون صاحبهم الإيراني ضد العربي! وهم يتصايحون: (أرب أرب)! - بترقيق الباء - أي عرب عرب.

وتأمل هذا النص المقتطع من كتاب (روضات الجنات) لأحد كبار دجاجة علماء الشيعة وهو الخوانساري: كيف يتفجر حقداً على بغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية. قال هذا الدجال الشيعي الحاقد في معرض ترجمته للعين الخواجة نصير الطوسي: (ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاءكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور والإلباس، بإياداة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقدار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم، دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار)<sup>(١)</sup>.

(١) روضات الجنات، ج ٦ ص ٢٧٩، الدار الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١١هـ،

ويروي أخونا العربي الأحوازي أنه حين دخل الجيش الإيراني كان يتدرب في معسكر (كرمان)، وكان الهدف الذي يدربونهم على الرماية من خلاله هو العقال واليشماغ العربي! يقول: وهذا التقليد المعبر بعمق عن الحقد الفارسي تجاه العرب يجري في كل معسكرات التدريب الإيرانية.

وأما معاملتهم العنصرية لعرب الأحواز فشيء لا مثيل له في أكثر بلدان العالم تخلفاً ووحشية! إن أحدهم يتلقى يومياً عشرات الإهانات لا شيء إلا لأنه عربي! كما أن لبس العقال واليشماغ مستنكر عليهم في الأحواز، ويتلقون بسببه التضييق والتحقيق وأنواع الأذى، لا سيما في الأسواق، وعند مراجعة الدوائر الرسمية. وممنوع رسمياً تدريس المواد الدراسية باللغة العربية، فليس في الأحواز العربية مدرسة عربية واحدة! ولا يسمحون حتى بفتح مدرسة قرآنية! ولا يوجد في الأحواز كلها - ومساحتها تقرب من مساحة سوريا - مسجد خاص بأهل السنة، إما يهدمونه إذا بنى، أو يحولونه إلى دائرة أخرى! إلا واحداً في عبادان، وأغلقوه أخيراً، واعتقلوا إمامه الشيخ عبدالحميد الدوسري. يقول صاحبي الأحوازي: في سنة ١٩٩٥ شرعنا في بناء مسجد لنا في منطقة (كوت عبدالله)، وهي قرية نائية بعيدة عن مركز المدينة، واتبعنا في بنائه أسلوب التورية والتخفي على اعتبار أنه مسجد شيعي، ومر علينا في ذلك خمسة وأربعون يوماً، وفي صبيحة أحد الأيام أتينا إليه فلم نجد في المكان طابوقة واحدة! لقد جرفوه في منتصف الليل وأزالوه من وجه الأرض بالكامل! ولربما عرفوا هويته من وجود المحراب ومنازة واحدة لا اثنتين، وهذا يكفي - عندهم - لهدمه وإزالته من الوجود. كما أن جامعاً لأهل السنة في عبادان حولته الحكومة (الإسلامية) إلى نادي لرياضة البنات!

كنت في زيارة لمكتب (هيئة علماء المسلمين) في دمشق، فحدثني أحد المشائخ الثقات ممن أعرفهم، فقال: زارنا شيخ سوري فاضل، ودار بيننا حديث عن إيران، وعلاقتها بالعراق، كنت ممن شارك في الحديث، وكان حديثي منصّباً على عدائها المستحكم للعرب، ومؤامرتها الدائرة في العراق. لم يرق للشيخ ما سمعه مني. وصار يعاكسني ويدافع عن إيران. ثم

جاء بعد مدة يسأل عني بالخصوص. لكنه لم يجدني فقال لمن استقبله من الإخوة الموجودين في المكتب: جئت لأخبر فلاناً بأن كل الذي قاله عن إيران صحيح و.. زيادة. ثم التقيته بعد ذلك، فقص علي ما رآه من عجائب حين ذهب إلى هناك لحضور مؤتمر إسلامي في رمضان الماضي/١٤٢٧. من ذلك الذي رآه: أن الإيرانيين أخذوهم مساء أحد الأيام ليفطروا في مكان ما لم يخبروهم عنه. قال: وظلت السيارات تسير حتى دخلنا مقبرة كبيرة، مدت الموائد في وسطها. لم ندرك لماذا جاءوا بنا إلى هذا المكان الغريب، حتى أشار أحدهم إلى القبور الممتدة على طول مسرح النظر فقال: (أترون هذه القبور؟! هؤلاء هم الذين قتلهم العرب في العراق). انظر كيف أنه لم يعط للقاتل سوى وصف (العرب)! ثم أردف قائلاً بلا أدنى تردد، أو حياء: (لا بد أن نمحوهم من الوجود، ونثأر لكل واحد منا بعشرة منهم. ولن نتوقف حتى نحقق ما نريد)!

### إسقاط حقدهم على خصومهم

تأمل كيف يسقطون حقدهم هذا على خصومهم: معمم كبير العمامة عظيم الهامة اسمه محمد تقي بور المدرسي ظهر على شاشة إحدى الفضائيات يتباكى من ظلم صدام حسين وكيف أن مدينة الثورة (يسمونها - هو وأمثاله - الصدر) التي يقطنها ثلاثة ملايين ونصف المليون كان صدام يمنع بناء الحسينيات فيها حتى إن ثلثة من أهلها تجرأوا فبنوا حسينية لكن الحكومة هدمتها على رؤوسهم وقامت بإعدامهم. ويعلم الله أن هذا محض افتراء وكذب لا يستحي (الفارسي) منه. أما مدينة الثورة فلا يبلغ عدد سكانها - بما فيهم من سنة ونسبتهم في حدود ١٥ - تسعمائة ألف. وأما الحسينيات فتعج بها تلك المدينة الخربة في عهد صدام وغيره. ومن المعروف جداً أن أغلب الحسينيات في العراق تبنى من دون موافقة وزارة الأوقاف، بينما يستحيل أن يسمح لأهل السنة ببناء مسجد دون موافقة رسمية أصولية. أما الذي يهدم المساجد على رؤوس أهلها ويقوم بإعدامهم فهم الإيرانيون. وحادثة إعدام خمسة من أهل السنة تقدموا بطلب بناء مسجد لأهل السنة في العاصمة

طهران معروفة لأهل الشأن. ومن المعلوم أن مركز العاصمة الإيرانية لا يوجد فيها مسجد لأهل السنة، بينما لا تخلو من معابد لليهود والمجوس!

### يرضعون الحقد لأطفالهم

إن هذا الحقد الغريب يلقيه الشيعة لأولادهم، ويرضعونهم إياه مع الحليب. حدثني أخ أحوازي آخر أنه كان مسافراً في قطار من الأحواز إلى مدينة إيرانية، وكان بالقرب منه امرأة فارسية معها ابنها الصغير فقالت هذه المرأة: ابني يقول: أريد الذهاب إلى طهران لأشرب البيبسي هناك، لا أريد أن أشرب من بيبسي الأحواز؛ إن فيه رائحة العرب.

يذكرني هذا بشاب من أهل مدينة (بلد) هداه الله فتحول من دين الرفض إلى دين الحق. قص على صاحب لي كيف أنه عندما كان غلاماً صغيراً جاء أهله بخروف كان يلهو به ويلعب معه حتى إذا تعلق به وصار لا يستطيع عنه فكاكاً استيقظ صباح أحد الأيام فهاله رؤية الخروف الحبيب قريباً من وسادته مذبحاً ملطخاً بدمه! يقول: فصرت أصرخ فزعاً حزيناً وأقول: من فعل هذا؟ فأخبروني: إنه عمر! يقول: ومن ذلك اليوم حقدت على عمر بن الخطاب حقداً ما بعده حقداً!

وفي بعض مناطق الجنوب العراقي يأتون للطفل بصندوق فيه فتحتان: واحدة لعلي، إذا مدّ الطفل يده أخرج منها قطعة حلوى. وواحدة لعمر، إذا مدّ يده أصابتها شوكة أو جمرة أو ما يشبه!

ومن أبيات الشعر الفارسي المتداولة عند الفرس:

عرب دربیابان ملخ می خورد      وسـ اصفهان آب یخ می خورد  
أي: العربي في الصحراء يأكل الجراد، بينما الكلب في أصفهان يشرب الماء البارد.

### يغذون الحقد لشعوبهم

ذهب أحد الأصدقاء إلى إيران في مايس ٢٠٠٦، فشاهد العديد من



العجائب. منها ما حدثني عنه فقال: وجدت على طول الطريق من مهران إلى أيلام، وكذلك من مهران إلى دهليران، ومن اندم شك إلى الأهواز إلى عبادان صوراً (مرسومة باليد) لقتلى العسكريين الإيرانيين معلقة على الجانبين، مكتوباً عليها (شهداء جمهوري إسلامي) مع كلمات معناها أن صدام وجيشه هم من قتلوهم. فتذكرت أين شهداؤنا من الضباط والجنود؟ حيث لا ذكرى ولا صورة ولا من يترحم عليهم! بل محوا بعد الاحتلال كل أثر يشير إليهم.

وشاهدت أمراً آخر عجباً! دبابات عراقية مدمرة، على جانبي طريق إيلام - مهران وعلى مسافة (٨٠ كم)، مرفوعة على منصات حجرية مرصوفة ومبنية بإحكام مكتوب عليها: (دبابات صدام). فشعرت أنهم يعيرونني فبكيت في داخلي من المرارة.

### حقْد شعوبي

وأبو القاسم الفردوسي صاحب (الشاهنامه) يسب القدر ويبصق عليه في بيت من الشعر في شاهنامته تلك قائلاً: (تَفَّ تَفَّ لك أيها الفلك الدوار؛ العرب الحفاة العراة آكلو الضباب يدوسون أرض إيران الجميلة)! حدثني بهذا المرحوم الفريق كامل السات رحمته الله يقول: ذهبت في زمن الشاه في بعثة عسكرية إلى إيران فدخلت أحد المتاحف العسكرية هناك فرأيت ديوان (الشاهنامه) مكتوباً على جلد موضوعاً على طاولة كبيرة ومفتوحاً على البيت المذكور الذي ظهر واضحاً وباللغة العربية!!!

أما بهشتي فيقصر وصف (الجاهلية) الوارد في القرآن على العرب فقط دون بقية الأمم! ويقول عنهم: لم يكن لدى العرب قبل الإسلام من شيء سوى الشعر.

وقد بلغ بهم الحقد حداً بحيث لو سألت فارسياً فقلت مثلاً: أي يوم من أيام الأسبوع غداً؟ فإذا كان اليوم يوم الجمعة عبّر فقال: بعد غد هو يوم السبت، ولا يذكر الجمعة لأنها ترمز إلى يوم مقدس في (دين العرب).

ويحتج الفرس على العرب في الأحواز بحديث باطل ينسبونه للرسول ﷺ وضعوه تنفيساً عن شعوبيتهم نصه: (أنا عربي وليس العرب مني). وفي مقبرة الخفاجية الواقعة بعد مدينة البستين توجد لافتة كبيرة على حائط كبير مكتوب عليها: (تعلموا الفارسية لأنها لغة الله ولغة أهل الجنة!) ويسمون مقابر العرب (لعنة آباد) ومقابر الفرس (جنة آباد!) وفي المنهج الدراسي للصف الأول الابتدائي قصيدة يقول أحد أبياتها: (كلنا أرقى من العربي أكال الجراد).

ويحيي الإيرانيون ذكرى شاعر اسمه أهبان، له ديوان شعر اسمه (فصل الشتاء) يمجّد فيه عبادة النار بقوله: (النار مظهر الطهارة، جاء العرب فوضعوا ماءً نجساً عليها ليطفئوا تلك الطهارة).

### تعذيب أسرانا

ومن أبرز صور الحقد الفارسي ما فعلته إيران بأسرانا، الذين أذاقتهم صنوف العذاب الخارجة عن كل معقول. ولا زالت تحتفظ ببعضهم منذ أكثر من ربع قرن! وأما الحديث عن صور التعذيب فلا يحيط به مجلدات ومجلدات! وليس هذا موضعه. ولكن لا بأس من إيراد لمحة خاطفة عنه، هي من مشاهدات أختينا الأحوازي سابق الذكر. يقول: كان الضباط الإيرانيون يوصوننا نحن الجنود: "إذا أمسكتم بأسير فاقتلوه، ولا تأتونا به". ورأيت بعيني كيف جاء الحرس الثوري الإيراني بمائة وثلاثة وأربعين أسيراً عراقياً، كانوا في حالة مزرية، والكثير منهم مصاب بحروق وجروح بالغة، حفاة ممزقي الملابس، يتلاوبون من العطش، يستسقون الماء فلا يسقون، والمسؤولون عنهم ينادون: "الماء محرم في حق هؤلاء"! وعلى جسر الخفاجية رأيتهم كيف قتلوهم وهم على هذه الحال! وأفرغوا في كل واحد منهم شاجوراً كاملاً وهم يقولون: قربان قربان!

فما هذا الحقد الذي صار به قتل العرب عند العجم قرباناً يتوسلون به إلى الله؟!!

وصدق من قال: (ما حن عجمي على عربي قط ورب الكعبة)!

(٣)

## عقدة الثأر والانتقام

مر بنا كيف ترسخت عقدة النقص في النفسية الفارسية، وكيف أنتجت هذه العقدة عقدة أخرى مدمرة هي عقدة القهر أو الاضطهاد. والمقهور بسبب عدم قدرته على تنفيس شحنته بمقابلة الأذى بالأذى، والرد بالمثل على من أساء إليه، يضطر إلى كبت هذه الشحنة، فإذا طال الزمن تراكمت الشحنات بعضها على بعض، وتغلغلت في (اللاشعور)، لتتولد عنها عقدة أخرى أكثر خطورة وتدميراً متى ما وجدت لها طريقاً للتنفيس أو الانفجار، هي عقدة الثأر والانتقام، الممتزجة بعقدة الحقد التي تولدت بالآلية نفسها، وتؤدي وظيفتها كالوقود الذي يغذي نار الثأر ودوافع الانتقام دون انقطاع. هذه هي نفسية (الفارسي) التي انتقلت بالحث والعدوى إلى المتشيع بتشيعة: نفسية ثأرية لا تهدأ أبداً، ولا تفر ما لم تنتقم ممن ترى أنه تسبب لها بالأذى أو الإهانة.

### تفريدة الشيعة

ولأن الأمر متعلق بعقدة، والعقدة لا يمكن علاجها بالانسياب وراء نزواتها أو متطلباتها؛ لذلك لا ترى (الفارسي) تهدأ نفسه مهما لبي نداء عقده فانتقم وأغرق في الانتقام! وهكذا تجد كلمة (الثأر) كثيرة التداول في قاموس الشيعة. انظر إلى شعاراتهم الأسطورية الخارجة عن العقل والشرع: خذ مثلاً شعار (يا لثارات الحسين!) الذي يرددونه في مسيراتهم،

ويعلقونه على راياتهم، وينصبونه في المواسم فوق دورهم، ويترجمونه في ممارساتهم، التي ظهرت سافرة بعد الاحتلال. وقد أسسوا في العراق منظمة أسموها (ثأر الله). وهي إحدى منظماتهم الحاقدة التي تمارس القتل ضد أهل السنة، والشيعية المتحولين، وتتابع الضباط والطيارين العراقيين الذين حاربوا إيران ودفعوها عن وطنهم، بعد أن اعتقلت الآلاف من هؤلاء، مستغلة الانفلات الأمني الذي حصل بعد الاحتلال مباشرة، وجلبتهم إلى إيران. وهناك في الأحواز سجن كبير تبلغ مساحته (٥٠٠٠ م<sup>٢</sup>) وضع فيه هؤلاء المختطفون، الذين يتعرضون بشكل دوري إلى تصفيات وإعدامات بالعشرات. ويجري هذا بصمت مطبق من جميع العالم، الذي ربما لا يعلم شيئاً عما يجري من جرائم وحشية بحق هؤلاء الأبرياء!

أما السفاح موسى الصدر مؤسس منظمة (أمل) فقد أعلن في يوم (١٨/٢/١٩٧٤) أنهم "جماعة الانتقام"! وهكذا تجد هذه الكلمة هاجساً يراود نفوسهم، وتغريدة تتردد على ألسنتهم، في كل زمان ومكان.

### الغليان والتعبئة النفسية الدائمة

مما يفسر هذه النفسية الثأرية قول الدكتور مصطفى حجازي: (الإنسان المقهور في حالة تعبئة نفسية دائمة استعداداً للصراع. نلاحظ ذلك في حالة التوتر العام الذي يبدو جلياً على محياه وفي حركاته. فلاحظ الأسباب نجد العدوانية اللفظية تنفجر في سيل من الشتائم والسباب. كما أن الخطاب اللفظي سرعان ما يتدهور إلى المهاترة والتحدي والوعيد. فالانفعالية العاطفية تطغى على الحوار والعلاقة. والعقلانية سرعان ما تطمس، مما يقود إلى انهيار التفكير المنطقي ويحجب وضوح الرؤية ويشل القدرة على تفهم الآخرين، أو على تقدير الواقع بالموضوعية الضرورية. تطغى الانفعالات دون حدود تقيدها، طامسة ملكة النقد. وهكذا لا يتمكن الإنسان المقهور من الاستمرار في جدل هادئ. زمن المنطق والعقلانية قصير جداً في تفاعله مع الآخرين. سرعان ما يحس بانعدام إمكانية التفاهم فتغشى بصيرته موجة من الانفعال. من الكلام يتدهور الحوار إلى السباب، ثم إلى التهديد، ثم يمر

بسرعة إلى الاشتباك الذي يلغي كل تمييز. وتأخذ الأمور شكلاً قطعياً (إما شراً كلها، أو خيراً كلها). وأحياناً ينفذ التهديد، باستخدام العضلات أو السلاح، بسهولة مذهلة (في فورة غضب). وذلك أن هناك إحساساً دفيناً بانعدام فعالية اللغة اللفظية وأسلوب الإقناع، فيتحول الأمر بسرعة إلى الحسم السحري (العضلي أو الناري) من خلال الإخضاع<sup>(١)</sup>.

### عقيدة المهدي المنتظر

تأمل عقائدهم كيف تعبر عن عقدهم وأمراضهم!

من العقائد التي اخترعها الفرس تعبيراً وتنقيساً عن عقدة الحقد والثأر والانتقام عقيدة (المهدي المنتظر) ذات الطبعة والطبيعة الفارسية. اقرأ مثلاً هذه الروايات وتأمل كيف يتوجه هذا الحقد ضد العرب! وكيف أن (المهدي) الشيعي في حقيقته ما هو إلا فارس أحلام يلاعب أخيلة الفرس، يأتيهم في يوم من الأيام لينتقم لهم من العرب: يروي النعماني عن محمد الباقر (ع) أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس. أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يقبل منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم)<sup>(٢)</sup>.

ويروي محمد حسن الطوسي ومحمد باقر المجلسي أن المهدي إذا خرج (يهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب)<sup>(٣)</sup>.

ويروي المجلسي عن جعفر الصادق (ع) أنه قال: قال لي أبي: (لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد وقال: ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب)<sup>(٤)</sup>.

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١٨٤.

(٢) الغيبة ص ٢٣٣.

(٣) الغيبة، ص ٤٧٥، بحار الأنوار، ٣٣٣/٥٢.

(٤) البحار ١٣٥/٥٢.

ويروي النعماني وغيره عن أبي جعفر (ع) أنه قال: (يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبدالله (ع): (ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح وأوماً بيده إلى حلقه)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي جعفر (ع) قال: (يذبهم والذي نفسي بيده كما يذب القصاب شاته، وأوماً بيده إلى حلقه)<sup>(٣)</sup>.

حدثني صديق لي طبيب كان ضابطاً مجنداً في جبهة القتال أيام الحرب مع إيران، عن مجموعة من الأسرى العراقيين الذين شاهدتهم مذبحين بالحرايب ذبح الخراف، والمنظر البشع الذي انطبع في ذهنه عن وجوههم التي تجمدت على قسماتها تعابير الرعب التي ارتسمت عليها جراء تلك الطريقة الوحشية في القتل والانتقام!

وصدق والي خراسان الأمير الأموي نصر بن سيار رحمته الله تعالى حين قال في أسلافهم الذين كانوا على عهده:

قومٌ يدينون ديناً ما سمعتُ به      عن الرسولِ ولا جاءت به الكتبُ  
إن كنتَ تسألني عن أصلِ دينهم      فإنَّ دينهم أن تقتلَ العربُ

وقد أفاض شيخ معاصر من شيوخ الفرس هو الشيخ القمي علي الكوراني في كتابه (عصر الظهور) الحديث عن المجازر التي سيقوم بها مهدي المجوس عند ظهوره خصوصاً في العراق الذي سيتخذ منه قاعدة لانطلاقه وعاصمة لملكه كما كان من قبل، ويلحقه من جديد بدولة فارس

(١) الغيبة ص ٢٣٣، البحار ٥٢/٣٥٤.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٣٦، بحار الأنوار، ٥٢/٣٤٩.

(٣) الغيبة، ص ٢٨٤.

وإمبراطوريتها القادمة في أوهامهم! واستشهد لكلامه بروايات عديدة، فيقول:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال " إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان يتألف الناس. والقائم يسير بالقتل. بذلك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا. ويل لمن ناواه " البحار ج ٥٢ ص ٣٥٣. والكتاب الذي معه هو العهد المعهود إليه من رسول الله بإملائه صلى الله عليه وآله وخط علي (ع) وفيه كما ورد " اقتل، ثم اقتل، ولا تستتين أحدا ". وعن الباقر عليه السلام قال " يقوم القائم بأمر جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد. ليس شأنه إلا السيف. ولا يستتيب أحدا، ولا تأخذه في الله لومة لائم " البحار ج ٥٢ ص ٣٥٤، والأمر الجديد هو الإسلام الذي يكون قد دثره الجبابة وابتعد عنه المسلمون، فيحييه المهدي عليه السلام ويحيي القرآن، فيكون ذلك شديدا على العرب الذين يطيعون حكامهم ووطغاتهم ويعادونه ويحاربونه عليه السلام .. وتذكر بعض الأحاديث أن الأمر يصل أحيانا إلى إبادة فئة بكاملها. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال " ثم يتوجه إلى الكوفة فينزل بها، ويبهرج دماء سبعين قبيلة من قبائل العرب " غيبة الطوسي ص ٢٨٤، أي يهدر دماء من التحق من هذه القبائل بأعدائه والخوارج عليه... ويذكر بعض الروايات، البحار ج ٥٢ ص ٣٧٧، نوعا آخر من عمليات التصفية الكبيرة هذه (والرواية فيها إبادة مدينة في العراق بكاملها يقول الكوراني عنها) ولا بد أن تكون تلك المدينة كلها من الكافرين أو المنافقين المعادين له عليه السلام حتى يأمر بقتل رجالها. ولا بد أن تثير هذه التصفيات الواسعة موجة رعب في داخل العراق وفي العالم، وموجة تشكيك أيضا.. بل ورد أن بعض أصحابه الخاصين عليه السلام يدخلهم الشك والريب من كثرة ما يرون من تقتيله لمناوئيه، فيفقد أحدهم أعصابه ويعترض على المهدي عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال " يقبل القائم حتى يبلغ السوق، فيقول له رجل من ولد أبيه: إنك لتجفل الناس إجمال النعم، فبعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو بماذا؟ قال

وليس في الناس رجل أشد منه بأساً، فيقوم إليه رجل من الموالى فيقول له: لتسكتن أو لأضربن عنقك. فعند ذلك يخرج القائم عليه السلام عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله " البحار ج ٥٢ ص ٣٨٧. ومعنى من ولد أبيه أنه علوي النسب<sup>(١)</sup>.

### بعد الاحتلال (الصليبي - المجوسي) للعراق

وقد تجسمت عقدة الثأر والانتقام جلية لكل ناظر بعد الاحتلال الثلاثي (الصليبي اليهودي الفارسي) للعراق، وخصوصاً حين استلمت قائمة السيستاني الحكم في العراق، الذي أفتى بدخول النار في حق كل من لا ينتخبها. لقد ارتكبت من المجازر، ومارست من التعذيب السادي الوحشي ما تقشعر له الأبدان! وقد حازت هذه الحكومة الشعبية بامتياز براءة اختراع القتل بالمثقاب الكهربائي المعروف بـ(الدَّرِيل) حتى أطلق عليها البعض اسم (حكومة الدريل)!

وإليكم لقطة مصغرة جداً لا ترى إلا بالمجهر الضوئي عن أساليب الشيعة الوحشية في القتل، وقد ارتكبوا مثلها وما هو أبشع منها عشرات الآلاف من الجرائم التي تعبر أصدق تعبير عن عقدة الثأر والانتقام المتأصلة في نفوسهم الخربة:

في حي أبو دشير في الدورة، وفي يوم (١١/١٢/٢٠٠٥) الساعة العاشرة مساءً، قامت قوة تابعة لوزارة الداخلية الصولاغية<sup>(٢)</sup> باعتقال أحد عشر شاباً من أهل السنة. وفي صباح اليوم التالي - وبعد مضي ٨ ساعات فقط! - عثر على جثث أربعة منهم وقد أذاقوهم - قبل أن تفيض أرواحهم البريئة وهي تشكو إلى بارئها ظلم العباد وخراب البلاد - صنوف العذاب والتنكيل، ومثلوا بهم تمثيلاً بشعاً. وها هي صورهم البشعة المشوهة

(١) عصر الظهور، ص ١٨٠-١٨٤، علي الكوراني.

(٢) نسبة إلى الإيراني باقر جبر صولاغ وزير الداخلية.



بالجروح والملطخة بالدماء أمامي منشورة في جريدة البصائر التي تصدرها هيئة علماء المسلمين. لقد ثقت وجوههم ورؤوسهم بالدريل، وقلعت عين واحد منهم، وآثار الضرب المبرح على أجسادهم، وقد تم كي بعضهم بالمكواة الكهربائية، واستخدمت الحبال لتعليقهم بالسقف وشنقهم، ثم أنهوا هذا المشهد (الترفيهي) بإطلاق الرصاص على رؤوسهم. وألقوا بجثثهم في مكان ليس بعيداً من دورهم، بالقرب من المقر الذي تتخذه تلك الميليشيات وكرّاً لها، وتركوا معها كتابات تنضح بالتشفي والشهوة المحمومة بالانتقام: (هذا مصير كل سني قذر)<sup>(١)</sup>!!! وأدناه صور الضحايا:



(١) وقعت هذه الحادثة قبل أن تنفلت الوحوش الشيعية تماماً من عقالها، وتصبح جرائمها أبشع، وأشد وعلى المكشوف! رحم الله تلك الأيام.



وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ  
الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ  
شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ

لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجَنَّاتِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ [سورة البروج].

ثم يقول أصدق القائلين في ختام السورة التي بعدها:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْلَزِلْ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِيذُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُوسُهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١١-١٧].

ونحن بالانتظار.





(٤)

## عقدة الاعتداء (العدوانية)

سأقف عند هذه العقدة أكثر من غيرها لحاجتها المتشعبة إلى البحث، ولأهميتها القصوى؛ فهي أكثر العقد الفارسية خطراً ومساساً بالغير.

### العامل الجيو - سياسي

(الفارسي) - كاليهودي - عدائي مخرب بطبعه! ولأسباب الجيوسياسية التي سبق الحديث عنها نجد أن الاعتداء على الغير - مع الادعاء، في الوقت نفسه، أن الغير هو المعتدي - هو الأساس الذي بني عليه الفارسي كيانه ووجوده. إن ذلك يهيئ له حجة جاهزة، ووسيلة فعالة مناسبة يحشد بها شتات الشعوب المتنافرة تحت سيطرته ويوجه أنظارهم نحو الخارج، وإلا تفككت البنية السياسية للدولة وخرجت عن قبضته؛ لأن تلك الشعوب ستتوجه أنظارها إليه، وتنشغل به عن الآخرين؛ ما يؤدي إلى سقوطه حتماً لوجود خلل حقيقي في ميزان القوى لديه هو غير قادر على تجنبه أو تلافيه.

والى هذه الحقيقة أشار البروفسور عماد عبدالسلام - وقد سبقت إشارته - حين قال: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عدداً وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي وإثارة شعور التوجس لديها من خطر ما يأتي من

(الخارج) (وعليه فقد وظف الفرس التحديات المختلفة في المنطقة لصالح تأكيد هيمنتهم على قوميات ما عرف بإيران).

### اعتداء منهجي مقصود

والاعتداء عند الفارسي يصدر عن سابق قصد وخطّة مدروسة. وقد لا يتورعون عن التصريح بها! نشرت صحيفة كيهان الإيرانية الرسمية نص خطاب قائد قوات الحرس محسن رضائي أمام المؤتمر الوطني للطلاب في ١٩٨٥/١١/٣ جاء فيه: (في كثير من المواقع نحن نعمل هذه الأيام من خلال الإرهاب بدلاً من النهج الثوري والثقافة السياسية. لقد نشرنا إرهاباً مكننا من التحكم في المعارضين. وإذا ما رفع هذا الإرهاب فإنهم سيستعيدون حيويتهم، ويبدأون في تهديدنا. ويجب أن نلتمس الأسباب لرد الفعل هذا، وأن نقرر الحلول. يجب أن نعرف كيف نبني دولة إسلامية!!!)

### العلاقة مع بقية العقد

الفارسي إذن لا يكون إلا عدائياً. لقد ترسخت الصفة، وأمست لازماً من لوازم وجود الموصوف. فولدت العقدة. ولا بد للعقدة أو الصفة الراسخة من صفات أخرى تغذيها وتنميها وتمنحها مشروعية التعبير، ولو بصورة مبطنة. مثل الكذب الذي يكون ضرورياً في تصوير المعتدى عليه في صورة المعتدي، والمعتدي في صورة المظلوم المضطهد. وعقدة الشعور بالاضطهاد التي لا بد منها لإسناد الكذب نفسياً ومعنوياً من أجل شرعنة الرد على الاعتداء المفترض وتبريره. وعقدة الدون التي تجعلهم يحسون بتخلفهم الحضاري والمادي تجاه من يتفوق عليهم (ويتخذ ذلك وضعاً حاداً ينعكس على شكل رد فعل غير حضاري يستهدف تدمير الحضارة فيه).. وهكذا تتلاقح العقد فيما بينها وتتزاوج، وتبيت محضناً لتفريخ عقد أخرى ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

### الإحباط أمام الاجتياح الحضاري العربي الإسلامي

بعد مجيء الإسلام (تعرض العقل الفارسي القديم إلى إحباط عنيف أدى إلى إعادة تغيير منظومة الروابط والبنى العقلية لإنتاج سلوك خاص. ولم تكن هذه الاستجابات الإحباطية بموجبها لغرض امتصاص الحضارة العربية والعقيدة الإسلامية والانتماء الصادق إليها، بل لغرض الوقاية منها والابتعاد عن تأثيرها كلما أمكن ذلك... ومن الاستجابات الأولية أمام الإحباط هي العدائية. ولما كان العدوان المادي والحربي قد فشل بعد الفتوحات الإسلامية فإن العقل الإيراني راح يبحث عن وسائل الهدم والتحطيم والعنف لتهديد الكيان العربي - الإسلامي وقد وجد لذلك عدة طرق شعورية ولا شعورية. فالشعورية منها كانت مخططة مدبرة... واللاشعورية منها كانت انفعالية نزقة هوائية)<sup>(١)</sup>.

### الإحباط الناتج عن عقدة النقص وعقدة الاضطهاد

أفاض د. مصطفى حجازي في تحليل هذه العقدة، وتفسير كيفية نشوئها وتكونها. فبين أن هذه العقدة ترجع إلى عدة جذور عقدوية: أولها (عقدة النقص) التي يتولد عنها الشعور بانعدام القيمة، والفشل في تحقيق الذات. وحتى يهرب صاحب هذه العقدة من أن يتوجه باللوم والعقاب إلى نفسه، يكون الحل بالبحث عن ضحية (يُسْقِط) عليها مشاعر الإدانة الذاتية والشعور بالذنب، يتهمها بما في ذاته؛ فيكون الاعتداء عليها مبرراً ومشروعاً. أما الحقيقة فإنه يحارب الصورة غير المقبولة عن ذاته. ليؤكد هذه الذات عن طريق الشعور بالقدرة على إيقاع الأذى بالآخر. وهكذا يصبح العدوان جزءاً من الشخصية، ويتحول إلى عقدة.

والشعور بالإحباط بسبب (عقدة النقص) و(عقدة الاضطهاد) من أقوى الأسباب التي تنشأ عنها (العدوانية).

يقول د. حجازي: (كل توتر عدواني ينتج عن الإحباط. شدة

(١) الحقد الفارسي لماذا؟ ص ١٥٥ المقدم عبد الجبار محمود السامرائي.

العدوانية تتناسب مع شدة الإحباط من ناحية، وقوة الحاجة المحبطة من ناحية ثانية. تزداد العدوانية مع نمو عناصر الإحباط. صد العدوانية (إحباطها) يولد عدوانية لاحقة، بينما يخفف تفريجها من شدتها بشكل مؤقت أو دائم. صد أفعال العدوانية الموجهة يشكل إحباطاً جديداً ينتج عدوانية موجهة لمصدر الإحباط، يزيد قوة الدفع نحو أشكال أخرى من العدوانية التي تنتشر عندها لتنبث في مختلف النشاط وأوضاع الوجود<sup>(١)</sup>.

### الطبيعة السادو-مازوشية

تكلم د. مصطفى حجازي كثيراً عن عقدة الاعتداء، ووقف عندها طويلاً وهو يدور حولها من زاوية إلى زاوية. إنها عميقة الغور في النفسية الاضطهادية، ومتعددة الجوانب. تتلخص علاقة هذا الصنف بغيرهم في كونها علاقة عدم أو وجود. ليس هناك من وسطية أبداً. لا يعرف الواحد من هؤلاء أن يسير في طريق جنباً إلى جنب مع الآخرين. فإما أن يركب على أعناقهم، وإما أن يركبوا على عنقه.

في تحليل عميق لنفسية الدوني، والأسباب الكامنة وراء ميله الشديد إلى الاعتداء وممارسة العنف البالغ القسوة تجاه الآخر. والذي من خلاله نفهم سر العدوانية العنيفة، واللهفة السادية التي تجتاح القوى الشيعية ومليشياتها المتخفية وراء القانون، والاندفاع الجامح لسفك دماء أهل السنة، ومحاولة استئصالهم من العراق اليوم، بدلاً من توجيه القوة والعدوان تجاه الهدف الصحيح، ألا وهو المحتل الصليبي وظهيره المجوسي. يقول د. حجازي:

(نظام التسلط والقهر يأخذ على مستوى اللاواعي شكل العلاقة السادو-ماسوشية. هناك من ناحية طرف قاسٍ، ظالم، مستبد، ينزل الأذى والعذاب بضحيته، لا يستطيع أن يحس بالوجود إلا من خلال تبخيسها، وتسبب الآلام لها. لا يحس بالقوة إلا من خلال التحقق من ضعف

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١٩٧-١٩٨.



الضحية الذي كان هو سببه. هذا الطرف المتسلط لا يستقر له توازن إلا حين يدفع بذلك المقهور إلى موقع الرضوخ العاجز المستسلم، إلى الموقع المازوشي. جوهر السادية ولبها هما علاقة سطوة، لا يستطيع المتسلط السادي أن يكون إلا من خلال التعزيز الدائم لسطوته. وهذه لا تتعزز إلا بمقدار إضعاف الطرف الآخر في العلاقة، تحطيمه والاستحواذ الكلي عليه. وتصل غايتها عندما يعترف هذا الطرف المازوشي بسطوة السادي، ويقر بعجزه إزاءه. الرباط الإنساني يأخذ في هذه الحالة منحى العنف والعدوانية عوضاً عن الحب، ويأخذ منحى سيادة الأنوية بدل توازن التعاطف والاعتراف المتبادل.

السادية في الأصل عدوان قبل أن تكون جنساً. والمازوشية معاناة مادية وجسدية ومعنوية قبل أن تكون تلذذاً جنسياً بالألم كما كان يشيع من آراء. وأهم من المازوشية المادية، المازوشية المعنوية، أي وضعية الرضوخ والاستسلام للمهانة والتسليم بالضعف الذاتي وبسطوة السادي. ويرتبط السادي والمازوشي معاً في علاقة موقعية تحدد لكل منهما مكانته. وتستمد كل من السادية والمازوشية زخمها الحيويين من نزوة الموت، بما تتخذه من أشكال العنف والعدوان، فمصدرها النزوي واحد دائماً. العنف والعدوانية يتوجهان إلى الخارج، منزلين الأذى بالضحية عند السادي، بينما يرتدان إلى الذات التي ترضخ للأذى، إذا لم تستنزل عند المازوشي. وكل من هاتين الوضعيتين دفاع ضد الأخرى. فالسادي يعنف ويقسو هرباً من مازوشيته الداخلية، من مشاعر الذنب التي تقض أعماق وجوده. وكلما زادت قسوته دل ذلك على شدة ذعره من أن ترتد عدوانيته إلى ذاته فتدمرها. السادي يتنكر لمازوشيته من خلال إلحاق كل الأذى بضحيته التي تجسد ما يخشاه من نفسه، وما يتنكر له من خلال صد قلق ساديته التي يخشى توجيهها إلى الخارج، وإفلاتها من سيطرته بشكل يدمر الآخر وبالتالي يدمر الذات معه. المازوشي هو إنسان يعجز عن تحمل نتائج ساديته. ومن هنا تبدو له الأخطار الخارجية مضخمة، وتبدو له سطوة التسلط دون حدود، ولا وهن يمكن التصدي

لها من خلاله. ويتناسب عجزه ومهانته بمقدار تضخم هذه الأخطار. المازوشي يمكن أن ينقلب عدوانياً، والراضخ يمكن أن يتحول إلى متمرّد، يحطم سطوة المتسلط حين يتجرأ على تحمل تبعات عدوانيته<sup>(١)</sup>.

### البحث عن الذات: أنت تتألم؛ إذن أنا موجود

ويقول في موضع آخر: (يكمن جوهر السادية في البحث اليائس عن الأنا، في الحاجة إلى تأكيد الذات، في دفع الآخر للاستجابة إلى حقيقتك الذاتية: هذا أنا، أنا هنا، يقول السادي: يجب أن تلاحظ وجودي، إذا لم تلاحظه بمحبتتي فعليك أن تدركه من خلال ألمك، إني أنا من يجعلك تتألم. بألمك تعترف بوجودي الذي يصبح أكثر واقعية بمقدار ما تكبر معاناتك... ما يود السادي الوصول إليه هو إذن نشوة الجبروت من خلال مسح وجود الآخر. بذلك فحسب يطمئن إلى قوته غير الواثق منها، ويخفف من حدة قلقه)<sup>(٢)</sup>.

من أوضح الأمثلة على الطبيعة السادو - مازوشية الممارسات الوحشية للقوى الشيعية المستقوية بالمحتل ضد أبناء السنة والمجاهدين منهم على الخصوص. إن هذا يكشف عن أحد أهم الدوافع وأعمقها في النفسية الشيعية الاضطهادية، التي تجعل أصحابها يمارسون هذا العنف الوحشي الخالي من الإنسانية ضد المواطنين المخلصين في وطنيتهم، والمدافعين عنها بأرواحهم. إن الشعور الساديّ عند الشيعي لا يتوجه إلى المحتل خوفاً من العواقب، بل ينقلب إلى خضوع إلى حد المازوشية؛ إخفاءً لمشاعره التي يخشى انطلاقتها ضده حتى لا تحطمه إذا اصطدم بالمحتل الذي يخشاه خشية مضخمة، وفي الوقت نفسه يحول عنفه وساديته ضد الآخر الذي يستضعفه مستقوياً بالمحتل لا بقوته الذاتية. وفي هذا تصريف لمشاعر القلق من مواجهة الذات بالحقيقة المرة وهي خوفه

(١) المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٢) أيضاً، ص ١٩٨-١٩٩.

وانهزامه المشين من العدو الحقيقي. وفيه بالإضافة إلى ذلك نوع من الشعور بالكبرياء والتعالي، من خلال صب العار على الضحية. وفيه أيضاً إسقاط لمشاعر الذنب الذاتية التي لا بد أن تصاحب الإحساس بالفشل والمهانة عند الإنسان المقهور، والتي تظل عادة مكبوتة، على العنصر المتمرد: هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب.

### التوحد بالمعتدي

تتولد (العدوانية) كذلك من خلال (عقدة الاضطهاد)، ودور حيلة (التماهي - أو الذوبان والتوحد - بالمعتدي، أو المضطهد) التي يمارسها الإنسان الاضطهادي. وهنا (يتخلص الإنسان المقهور من مأزقه من خلال قلب الأدوار. يلعب دور القوي المعتدي، ويسقط كل ضعفه وعجزه على الضحايا الأضعف منه. الآخر الشبيه به هو المذنب، وهو المقصر، وهو بالتالي يستحق الإدانة والتحطيم. من خلال التماهي بالمعتدي يستعيد الإنسان المقهور بعض اعتباره الذاتي، أو على وجه الدقة يصل إلى شيء من وهم الاعتبار الذاتي. كما أنه يتمكن من خلال هذه الأولية من تصريف عدوانيته المتراكمة والتي كانت تتوجه إلى ذاته، فتتخر كيانه وتحطم وجوده. هذا التصريف للعدوانية بصبها على الخارج من خلال مختلف التبريرات التي تجعل العنف ممكناً تجاه الضحية، يفتح السبيل أمام عودة مشاعر الوفاق مع الذات، شرط التوازن الوجودي. وتشتد الحاجة للضحايا بمقدار ازدياد العدوانية وتوجهها نحو الخارج، ومقدار النقص في الوفاق مع الذات)<sup>(١)</sup>.

أما التحليل الآتي فيمثل تفسيراً نفسياً، يمكن على ضوئه أن نفهم هذا الدافع الشاذ من الدوافع المشتركة في تكوين الشخصية العدوانية لدى الجمهور الشيعي. ولماذا برز هذا العنصر العدواني الفاشستي بعد الاحتلال الصليبي المجوسي للعراق، وانتماء الشيعة إلى القوى المحتمية به،

(١) أيضاً، ص ١٣٣.

وتقليدها له حتى في مظهره بدءاً بالنظارة التي توضع على العينين، وانتهاءً بالبسطال في الرجلين. ولماذا كان أفراد القوة المسماة بـ(الحرس الوطني)، وقوى الأمن الداخلي أشد قسوة على أهل السنة من أفراد المحتل الأمريكي نفسه؟ حتى صار الأمريكيان يهددون من يستعصي عليهم بإيكال أمره وتحويل مصيره إلى (الحرس الوطني)<sup>(١)</sup>!

يقول د. حجازي: (في كل حالات التماهي بالمعتدي يحدث قلب في الأدوار تتحول الضحية إلى معتد من خلال نقل دور الضحية أو وضعيتها إلى شخص آخر يفرض عليه الدور المزعج، ويصبح موضوعاً للتشفي من ناحية، وللتنكر من المخاوف الذاتية من ناحية ثانية: أنا لا أخاف، أنا أخيف. هو يخاف، أنا أخيفه. هذه الوضعية الذاتية تؤدي إلى التخلص من كل المخاوف ومشاعر الضعف الداخلية أو كل مشاعر الذنب الذاتية. فليس أكثر قسوة من المعلم الظالم إلا التلميذ الذي يوكل إليه هذا المعلم حفظ النظام في الصف. وليس أكثر شططا من الأم المتشددة إلا الطفل الذي يعاني مشاعر الذنب ويصبها على أخ أصغر، بينما يلعب هو دور الأم التي تحاسب وتعاقب. وسنرى كيف أن أزلام المتسلط وأدواته، هم في أغلب الأحيان أشد قسوة وتطرفا في تعاملهم مع الإنسان الضحية الذي فرض عليه دور المقهور)<sup>(٢)</sup>.

(١) كتبت هذا أيام كانت قوة (الحرس الوطني) سيدة الساحة. أما الآن فالأمر اختلف بعد تولي الأصولي الشيعي إبراهيم الأشقوري، وأخيه الأصولي الآخر الإيراني جبر صولاغ وزارة الداخلية، ومجيء ما يعرف بـ(حكومة الدريل) إلى السلطة. تصور...! لقد صرنا نترحم على أيام العلماني الشيعي أياد علاوي الذي أباد الفلوجة، وأيام (الحرس الوطني)!!! إن قوى وزارة الداخلية، كالشرطة، والمغاوير، وحفظ النظام، وغيرها من المسميات، أكثر سادية ووحشية؛ بسبب قيادتها الدينية (حزب الدعوة، ومجلس محمد باقر الحكيم الإيراني)، وبسبب تركيز الشيعة فيها أكثر مما هم عليه في تشكيلات (الحرس الوطني).

ملاحظة مهمة/ كتبت ما سبق أيام حكومة الجعفري، واليوم نحن في عهد حكومة صاحبه نوري المالكي. اليوم نحن نترحم على عهد الحكومة السابقة!

(٢) أيضاً، ص ١٢٩.

## من مظاهر التوحد بالمعتدي أو المتسلط

يقول د. حجازي: (مظاهر التماهي بعدوان المتسلط متعددة ومجالاته متنوعة، نجدها لدى من سنحت له الظروف كي يمارس سلطة على أناس دونه أو أضعف منه. كما نجدها عند من يلتمس خطوة من خلال التقرب من المتسلط. وهي في أبسط مظاهرها تبدأ بذلك التعالي الذي يظهره الفقير تجاه الأفقر منه، والبائس تجاه من هو أشد بؤساً منه. في ذلك التعالي يحاول أن ينكر مهانته الذاتية بصبها على الآخر. ومن مظاهرها أيضاً كل التصرفات الاستعراضية للقوة، أو لرموز القوة أو حتى لوهم القوة، سواء من خلال حمل السلاح واستعراضه دونما حاجة فعلية إليه، أو من خلال استعراض العضلات. وقد لا تتجاوز حد المباهاة والتعالي من خلال التخريف والادعاءات المتفاوتة بقوة أو منعة. في كل هذه الحالات ينخرط الإنسان المقهور في حرب ضد خطر الإحساس بضعفه الذاتي والموقعي، وفي محاولات دائبة لطمس هذا الضعف. إلا أن هذه المحاولات ليست خطيرة عموماً في نتائجها وآثارها. هناك حالات يبرز فيها التماهي بعدوان المتسلط صارخاً مكوناً نوعاً من الآفة الاجتماعية والمأساة العلائقية، سنتحدث عن ثلاث منها.

**الحالة الأولى** ذات الانتشار المحدود نراها في ظاهرة تسلط بعض (القبضايات) على الأفراد والمؤسسات لفرض الخوة من خلال الابتزاز والتهديد. الواحد من هؤلاء يغطي ضعفه وهوانه الاجتماعي من خلال لبس جلد التمساح والاحتماء وراء مظاهر القوة العضلية والمسلحة يتخذها لنفسه ويهدد بها من حوله...

**أما الحالة الثانية** للتماهي بعدوان المتسلط، فهي أكثر انتشاراً وشيوعاً، نجدها خصوصاً في الأجهزة التي تشكل أدوات السلطة، سواء في الإدارة أو في أجهزة الشرطة والأمن. إن العلاقة بين المواطن وبين من يعملون في هذه الأجهزة على اختلاف رتبهم ومكاتبهم تشكو في البلد المتخلف من ظاهرة التماهي بعدوان المتسلط...

**هناك حالة ثالثة من التماهي بالمتسلط، نجدها في الممارسات السياسية والمسلحة التي تفتقر إلى هدى تنظيم وتأطير ثوريين حقيقيين.**

ما حدث على الساحة اللبنانية يعطينا نماذج واضحة عن تلك الممارسات. المقاتل الذي يحمل السلاح نجده في بعض تصرفاته لا يقف موقفاً نضالياً، بل هو يتصرف تبعاً لنموذج المتسلط الذي عانى منه سابقاً. بدل أن يعامل الجماهير برقة وروح أخوية نراه يتعالى عليها معطياً لنفسه مكانة مفضلة، ومقديماً ذاته على الآخرين. لقد تحول من خلال حمل السلاح من إنسان مقهور إلى آخر متفوق، يلعب دور المتسلط الصغير أو الكبير<sup>(١)</sup>. كما أن الكثير من العلاقات المرتببة بينه وبين رؤسائه ومرؤوسيه تأخذ شكل العلاقة بين المتسلط والتابع: تعالٍ من ناحية ورضوخ من ناحية ثانية. وأما التصرفات الاستعراضية فهي في هذا المجال أكثر من أن تعد. نجد الواحد من هؤلاء يتباهى مختلاً باستعراض قوته المستجدة متمسكاً بالمظاهر بشكل يتنافى مع الروح النضالية الحقبة التي تتصف بالكثير من

(١) هذه ملاحظة مهمة يمكن أن نفهم من خلالها بعض التصرفات غير السوية لدى بعض الأفراد المنتسبين للمقاومة، ممن لم ينضجوا بعد، أو لم يتربوا التربية الإسلامية الصحيحة. وتستدعي عناية خاصة من القادة لإرشاد أتباعهم إلى السلوك السليم وتغيير مفاهيمهم وعوائدهم التي درجوا عليها، واكتسبوها من خلال التفاعل المتبادل القديم مع المجتمع الاضطهادي التسلطي، حتى لا تنحرف المقاومة وهي لا تشعر، أو تضل عن أهدافها المرسومة، فتمارس الدور - حين تؤول إليها الأمور، كلياً أو جزئياً - بالأسلوب نفسه الذي كان يمارسه المتسلط القديم. يقول د. حجازي (ص ١٤١) بعد كلام طويل: يخلق التماهي بالمعتدي أيديولوجية مضادة للتغيير الاجتماعي الجذري. تلکم إحدى أبرز مشكلات البلدان النامية وأكثرها خطورة. فالعديد منها تمكن من اجتياز مرحلة التحرر الوطني، ولكن معظمها يتخبط أمام مهمات التغيير الاجتماعي الفعلي، ويعاني من الفشل الذريع فيه، مما يجعلنا الآن نتابع مشهداً بائساً على امتداد العالم الثالث. فقد اتضح أن القدرة على التحرر الوطني لا تتضمن بالضرورة ولا تقود حتماً إلى عملية التغيير الاجتماعي المبتغاة. وليس هناك من مجال للدهشة بهذا الخصوص، فالسبب، أو أحد الأسباب الأساسية في نظرنا، وإذا ما وضعنا مصالح الفئة الحاكمة جانباً، يكمن في تغلغل التماهي بالمتسلط بمختلف صوره ودرجاته في نفوس معظم القادة وغالبية المسؤولين، والقطاع الأوسع من الجمهور.

التواضع تجاه الجماهير...<sup>(١)</sup> الإنسان المقهور من هذه الناحية كائن مزيف فقد هويته وأضاع أصالته ووجد نفسه عارياً أمام غربته عن نفسه. وهو يحاول بشتى الأساليب ومن خلال مختلف الأقنعة أن يجد هوية بديلة، وأن يحصل على وهم الوجاهة. التزييف الوجودي وما يقابله من أقنعة يمس كل شيء في حياته والنماذج عليه لا حصر لها<sup>(٢)</sup>.

### شرعنة الاعتداء

يقول د. حجازي: (على النقيض من الحب والخير والقيمة المطلقة التي تكتسبها الجماعة، تبخس الجماعات الخارجية (المختلفة قومياً أو عرقياً أو طائفيًا) من خلال إسقاط كل العدوانية عليها. وهكذا تصبح جماعة غريبة، ومصدر كل سوء، صورة الشر بعينه، منبع كل تهديد للجماعة النرجسية. الجماعة الغريبة من خلال تجذير الاختلاف بينها وبين الجماعة الأولى المتعصبة، تصبح العقبة الوجودية الأساسية التي تقف في سبيل وصول هذه الأخيرة إلى أهدافها في الرفعة والمنعة وتحقيق الذات. إنها تحمل كل الآثام والأوزار، في حالة من تفرغ كل المسؤولية الذاتية وكل السوء والشرور عليها.

عند هذا الحد تنهار علاقة التعاطف والمشاركة في المواطنة. وتفتح الطريق عريضة أمام صب كل العنف على الجماعة الغريبة دون قيد أو ضابط. تحدث استباحة لها، ولكيان أفرادها، الذين يتحولون إلى مجرد أساطير للسوء والشر يجب القضاء عليها بإبادتها دون هوادة. ويفتح باب المجازر الدموية على مصراعيه وبشكل مذهل. فالجماعة المتعصبة فيما تقدم عليه من مجازر لا ترتكب إثماً بحق أناس لهم كيانهم، بل إنها تقوم بواجب الدفاع المشروع عن النفس. وأكثر من هذا تقوم بواجب القضاء على الأوبئة التي تقف في سبيل تقدم البشرية. مجازر الدم والإبادة، تتحول إلى عمل نبيل في وهم وقناعات أعضاء الجماعة المتعصبة. فالأمر لا يعدو

(١) أيضاً، ص ١٣٣-١٣٦.

(٢) أيضاً، ص ١٣٨.

مجرد قضاء على رموز مجسدة في أناس من الجماعة الغريبة، التي تحاط بمجموعة من الأساطير، تنتزع منها إنسانيتها<sup>(١)</sup>.

إن هذا يفسر الصورة الشاذة التي عليها القوى الشيعية اليوم، التي أمسكت بزمام الحكم في العراق من خلال مليشياتها، ومن خلال قوى الأمن والشرطة والجيش! كيف يمارسون تعذيبهم الوحشي لأهل السنة وهم في حالة من التلذذ السادي والنشوة الغريبة! وكيف يقيدون الأبرياء الذين يعتقلونهم (على الهوية) بل (على الاسم)! ويضعونهم في السيارات وهم يطلقون الهتافات و(الهوسات) الشعبية معلنين نصرهم على (الإرهاب)، وأحياناً يصرحون باسم أهل السنة، أو يغلفونه بلفظ (الوهابية)! وكيف يهجمون على المدن السنية بملايس (الحرس الوطني) أو الجيش يرددون الهتافات نفسها وكأنهم لا يقتلون أبناء بلدهم، وإنما يطاردون عصابات الغازي الأجنبي، وفلوله الكافرة، أو هم في يوم الانتصار على اليهود وتحرير بيت المقدس الذي لا يخطر لشيعي متمجس على بال! وفي الوقت نفسه (يُسقطون) سلوكهم ومقاصدهم المنحرفة على أهل السنة كذباً وتزويراً ليقولوا: إن الوهابيين والتكفيريين يقتلون الشيعة (على الهوية)!

### تشبيء الآخر

ويواصل د. حجازي قوله: (يقابل هذه التطورات الذاتية تغير حثيث في إدراك الآخر، من خلال مجموعة من الأساطير التحقيرية. فالاتجاه الإنصافي لا يستمر إلا من خلال التحقير الثابت للضحية. يصف (اينار) بشكل رائع عملية التحقير هذه «في الجريمة يتحول الآخر إلى أسطورة (أسطورة الخيانة، السوء، الحسد، الاضطهاد، انعدام القيمة، الخ...)

الشخص الحقيقي المقصور ينمحي تدريجياً في حالة من التعامي الموجه والموافق عليه عن إنسانيته».

يفقد الآخر حقيقته كشبيه إنساني (في عيني القاتل) متحولاً إلى

(١) أيضاً، ص ١٨٨-١٨٩.



أسطورة لا واقعية تبرر بتصرفاتها أو خصائصها الاعتداء عليها، يتحول إلى أسطورة العقبة الوجودية، أو السوء، أو انعدام القيمة. هذه الأسطورة تؤدي إلى تغيير شخصية القاتل وتبرر له اتجاهه الانصافي. وبمقدار ما تحقر الضحية، وتتحول إلى أسطورة، يزداد تسلط حق القاتل في القتل.

تصل عملية التحقير هذه حداً بعيداً فتُحمّل الضحية المقبلة كل الأوزار والصفات المنحطة، يعبر عنها أولاً بالسباب والشتائم، ثم بالنعوت المتصاعدة في تبخيسها. وقد يعمم الأمر من المستوى الفردي إلى مستوى كوني: الضحية كائن خطر على الجميع ويجب القضاء عليها. ولذلك يبدو القتل عندها في نظر القاتل كشيء طبيعي، تفرضه الظروف وله ما يبرره دون أن يثير أي إحساس بالندم.

في هذه الكارثة العلائقية تتحول الضحية أسطورياً باختزال عادي في ذهن المعتدي لا إلى مستوى الشيء فحسب، ولكن إلى مستوى الشيء حامل اللعنة الذي يجب تحطيمه، الآخر المحقر، يحتل في ذهن المعتدي دلالة العقبة الوجودية التي تسرق له حقه في السعادة، حقه في الاستقلال، حقه في الحرية الخ... ولذلك يصبح فعل القتل، لا فقط بريئاً من الإثم ومبرراً فحسب، بل مطلوباً كواجب نبيل هو الدفاع عن الذات وكرامتها وقديستها، أو الدفاع عن الجماعة وقيمها. أو حتى الدفاع عن الحضارة والإنسانية من العناصر المخربة الهدامة. وهكذا يبدو العنف التدميري كضرورة مبررة لا بد منها لإعادة الأمور إلى نصابها كواجب على المرء النهوض به من أجل بدء وجود جديد لا تسممه ولا تعرقله الضحية - العقبة الوجودية<sup>(١)</sup>.

### دور حيلة (الإسقاط) النفسية

ثم يربط الموضوع كله بحيلة (الإسقاط)، ويبين دورها في تأجيج عقدة العدوانية وترسيخها، وكيف توجه إلى الآخر فيقول:

(الإسقاط منتشر جداً في العلاقات بين الناس (خصوصاً المهنية

(١) أيضاً، ص ٢٠١-٢٠٢.

والحزبية) فيما يتعلق بمصدر السوء والشر والعدوانية: الآخرون هم المخطئون. في الإسقاط تحول النزوة العدوانية إلى الخارج، وفي مرحلة تالية نتخذ من هذا الخارج هدفاً لصب عدوانيتنا المتبقية. في اتهام الآخرين نجد راحة مزدوجة: تصريف العدوان بصبه عليهم (الانتقاد) وإثبات البراءة الذاتية (نفي تهمة العدوان عن الذات)، ذلك ما يحدث في التعصب الديني والطائفي والسياسي. ليست العدوانية وحدها التي تسقط على الخارج، بل أيضاً مشاعر الذنب (الآخر هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب)، ومن هنا تصبح العدوانية الذاتية مشروعة ومبررة، إنها إحقاق الحق من خلال قصاص الآخر... التنكر للعدوانية الذاتية، ولمشاعر الإثم الذاتية، وإيجاد موضوع ضحية يجسدها ويعبر عنها في الخارج، والتهجم عليه لدرجة إبادته، وكذلك انشطار العواطف إلى الميول السيئة والحسنة، والإحساس بأننا ومن نحب، وكذلك من يحالفنا، مثال البراءة والارتقاء، وإسقاط كل الشر والخطر والعدوان على الأعداء<sup>(١)</sup>.

يبقى هذا الإسقاط للعدوانية ولمشاعر الإثم أوالية فاعلة في حياتنا اليومية وفي كل صراعاتنا العلائقية. ولذلك نجد الكثير من العلماء قد قالوا به. يقول (انطونيني) بهذا الصدد: (إن هناك في كل الحالات تقريباً جهداً لإزاحة العدوانية خارج الذات، بشكل يمكننا من نفيها، من عدم رؤيتها في

(١) حدثني أحد أصدقائي الثقات - كان معتقلاً لدى (الحرس الوطني) في قضاء المحمودية، ثم خرج واغتيل بعد ذلك - أن أحد الحرس صرخ يوماً داخل المعتقل وبأعلى صوته: غصباً على الله سيدخل جورج بوش الجنة. كيف لا وهو الذي جلب لنا هذا الخير كله؟! ثم جيء لي بعد أكثر من سنة بشريط صوتي لأحد المحاضرين الشيعة يقول فيه: يريدون منا إخراج الأمريكان! كيف؟! نخرج هؤلاء الذين أذلوا صدام حسين والوهابية، جورج بوش رضي الله عن آية الله جورج بوش، هذا لو كان شيعياً لبايعته مرجعاً من المراجع. وآخر يترحم على اللعين فيروز أبو لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب عليه السلام، ثم يطلب من القطعان الذين حوله أن يؤمنوا على دعائه بأن يحشرهم الله مع (العبد الصالح الولي أبو لؤلؤة) (!).

ذاتنا، يمكننا من التعامي عنها، فاكشف الحقد الكامن فينا ظاهرة مولدة للقلق. أما اكتشاف الشر عند الآخرين فيمنعنا من رؤية الشر الذي فينا<sup>(١)</sup>.

### يتمسكن حتى يتمكن

ثم يقول: (الإنسان في المجتمع المتخلف عدواني، متوتر، يفتقر إلى العقلانية، ويعجز عن الحوار المنطقي؛ لأنه يعيش في حالة مزمنة من الاحباط الاعتباري، ومن الإهمال. إنه متروك لنفسه كي يتدبر أمره كما يستطيع. ليس هناك ما يضمن له حقه أسوة بغيره. عليه هو أن يحفظ هذا الحق كما تمكنه ظروفه (الاحتياي، التقرب من السلطان وذوي النفوذ، التودد، أو العنف والصراع من أجل الغلبة). عالم الإنسان المقهور هو أشبه ما يكون بغابة ذئاب، عليه أن يعبئ نفسه ويظل يقظاً طوال الوقت لمجابهة أخطارها)<sup>(٢)</sup>.

### عدم التعايش مع الآخر

يواصل د. حجازي تحليله القيم فيقول: (وعندما يحس كل واحد... إحساساً من هذا القبيل، فإن علاقات التعاطف والتفاهم تنهار لا محالة، لتحل محلها علاقات اضطهادية. الآخر هو الخصم الذي يتهدد المصير الذاتي، ويهدد بالاستيلاء على الحقوق الذاتية. إنه بالتالي العقبة الوجودية في وجه تأمين المصلحة الذاتية. ولذلك فلا بد من إعلان الحرب عليه، أو الاحتياط للحرب التي قد يعلنها علينا. يتحول الآخر إلى مصدر تهديد وخطر على الذات أو مصدر عرقلة لمصالحها، ومنذ تلك اللحظة يصبح كل عدوان عليه، كل تغليب مطلق للمصلحة الذاتية دون مراعاة للآخر، النمط المشروع من الدفاع عن النفس. الاحتمال البديل هو الرضوخ والاستسلام، أو التجنب والانسحاب، وبالتالي فقدان فرصة الحصول على الحق الذاتي)<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص ١٩٥-١٩٧.

(٢)(٣) أيضاً، ص ١٨٦.

## الدوني إذا تمكن

إذا تمكن هذا الصنف المقهور من الناس وتحول فجأة - في بعض الظروف السانحة - من خاضع مقهور إلى (سيد) يمتلك القوة ويتصرف بها، يتحول إلى وحش كاسر لا تعرف الإنسانية إلى شعوره سيلاً! وتنقلب صفاته إلى الضد مما كان عليه (فبدل عقدة النقص تبرز عقدة التفوق والاستعلاء، وبدل العجز والاستسلام تبرز عقدة الجبروت، وبدل انعدام المكانة تبرز عقدة الاستثناء... يعوض عن نقصه بنوع من التفوق والاستعلاء على من حوله. يحس بشيء من الجبروت، بأنه وجماعته المسلحة فئة لا تقهر، تنهار أمامها الحواجز والصعاب. يحس بنوع من الاستثناء، فكل شيء مسموح له، وكل التجاوزات. ولذلك فهو يزدري كل القيم السابقة، ويشعر بالحاجة إلى كسر كل القواعد التي حكمت حياته. ويحدث في أغلب الأحوال نوع من التركيز حول الذات، فكأن العالم كله يجب أن ينتظم انطلاقاً منه هو وتبعاً لوضعه. هناك تضخم ذاتي يقابله انحسار في قيمة وأهمية المحيط، على العكس تماماً من مرحلة الرضوخ. هذا التضخم يؤدي إلى سيطرة مزاج نفاجي على الإنسان. نوع من الإحساس بالامتداد والعظمة... وتظهر التصرفات الاهتجاجية بما فيها من تسرع وطنين وصخب، ويبدو كل شيء في متناوله، يطغى نوع من الجبور على الحالة المزاجية ويصطبغ المستقبل بالتفاؤل المفرط والمبالغ فيه دون سند كاف)<sup>(١)</sup>.

خير مثال على هذا ما رأيناه ولمسناه من ممارسات لقوات (الحرس الوطني) والجيش والشرطة والأمن الداخلي الشيعي، التي تعيث في أرض العراق فساداً، بعد أن خدمتها الظروف لتقفز إلى ناصية القوة، التي لن تستمر بأيديهم بعون الله طويلاً. وكل من شاهد الحال في الشارع العراقي اليوم، وكيف تتصرف هذه القوات مع المواطنين، وتطلق النار عشوائياً فوق

(١) أيضاً، ص ٥٤. والتصرفات الاهتجاجية هي هوس وتسارع في عمليات العقل والنفس والحركة مع نشوة وعدم اعتبار لكل الحدود والقيود. انظر المصطلحات النفسية.

رؤوسهم - وعليهم أحياناً - وتمسك بالأبرياء بكل فظاظه وقسوة، وهي تردد الشعارات الحماسية والهوسات الشعبية وكأنها في عرس أو انتصار، أو كأنها حررت البلد من المحتل، أو تطارد فلوله، لا أنها تمارس العدوان على إخوانها ومواطنيها وأبناء بلدها، كل من شاهد ذلك يدرك المعنى الحقيقي لحالة الدوني إذا تمكن!

### تساوي المثقف والعامي في التخلف النفسي

يرفض د. حجازي التفريق بين الفئات العامة أو الجاهلة، وبين الفئات المثقفة أو المنظمة والمؤطرة، التي لديها تاريخ من الممارسة السياسية، وتصور أن الأخيرة قد تخلصت فعلاً من قيود التخلف ذهنياً وانفعالياً وعلائقياً. وفي ذلك يقول: (العكس هو الصحيح في معظم الأحيان، إذ يلاحظ تداخل بين أعلى درجات التنظير الفكري وأشد أشكال التخلف في الممارسة... إن الفئة التي تتمتع بقدر من الحظ وتقترب من مواقع السيطرة على هذا السلم لا تخلو بدورها من التخلف على جميع الصعد. الواقع أنها تتصف بالخصائص نفسها وإن اتخذ الأمر طابعاً مخففاً أو خفياً في غالب الأحيان. إنها متسترة بقناع من التقدم يكفي تمزيقه حتى نتحقق من أن سلوكها تحكمه القوى والمعايير نفسها والنظرة إلى الحياة التي تميز الإنسان المقهور... فبينما يتماهى الفلاح بسيدته ويشعر بالدونية تجاهه، نرى السيد يتماهى بدوره بالمستعمر أو الرأسمالي الأوربي ويشعر بالدونية نفسها تجاهه)<sup>(١)</sup>.

وهذا ما صرح به مؤسس علم نفس الجماهير غوستاف لوبون عندما قال: (والبشر الأكثر اختلافاً وتمايزاً من حيث الذكاء لهم غرائز وانفعالات وعواطف متماثلة أحياناً. والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة: من دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض، إلخ... فمثلاً يمكن أن توجد هوة

(١) المصدر نفسه، ص ١٣.

سحيفة بين عالم رياضيات شهير وصانع أحيته على المستوى الفكري، ولكن من وجهة نظر المزاج والعقائد الإيمانية فإن الاختلاف معدوم غالباً، أو قل: إنه ضعيف جداً.

وهذه الصفات العامة للطبع، التي يتحكم بها اللاوعي، والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر، وبالتالي فرادتهم الذاتية تمّحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية<sup>(١)</sup>.

### لا علاج للنفسية المقهورة إذا تمكنت إلا القوة

يقول د. حجازي حديثه: (ما عدا القمع الخارجي والخوف، تبقى عدوانية الإنسان المقهور دون توازن داخلي من قوة مضادة تكبح جماحها وتلطفها)<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى قانون اجتماعي لا يقبل التغيير، وحكم ثابت لا يقبل النقض، هو أن الشيعة - بنفسيتهم الناقصة المقهورة - لا يفهمون إلا لغة القوة بكل معانيها: قوة الخطاب - إذا كان المقام مقام كلام - وقوة السلاح إذا استدعى الأمر.



(١) سيكولوجية الجماهير، ص ٥٦-٥٧، غوستاف لوبون.

(٢) التخلف الاجتماعي، ص ٢٠٤.

(٥)

## عقدة الاضطهاد

عن أبي عثمان الجاحظ قال: أخبرني يحيى بن جعفر قال: كان لي جار من أهل فارس وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط وكان طول الليل يبكي فأنبهنني ذات ليلة بكاءً ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا وأذهب نومي فتسمعت عليه فإذا الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾<sup>(١)</sup>.

تشكل عقدة الاضطهاد عاملاً مكماً لعقدة الاعتداء، وضرورة من ضرورات وجودها ودوامها؛ إنها كالغذاء الذي لا بد منه لبقائها، وكالوقود اللازم لاستمرارها. فكما أن الاعتداء ضرورة من ضرورات البقاء عند (الفارسي)، فكذلك الادعاء بأن الغير هو المعتدي ضرورة لتبرير ذلك الاعتداء، وإعطائه زخماً من الفاعلية والتجدد. ومن هنا نشأت عند الشيعي عقدة الشعور بالاضطهاد والمظلومية. فهو - على الدوام - محروم.. مظلوم بسبب أو بدون سبب، وقع عليه ظلم أم لم يقع، معتدياً كان أم عتدياً عليه. كأن الله سبحانه خلقه ليعتدي ويؤذي دون أن يكون للآخرين حق في رد اعتدائه وأذاه! فالاعتداء والأذى واجب من واجباته، وسكوت المعتدي

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، الباب الخامس عشر في ذكر المغفلين من المؤذنين، أبو الفرج ابن الجوزي

عليه حق من حقوقه! فإن قام بالرد بالمثل جزاءً أو دفاعاً عن النفس فإن (الفارسي) لا ينظر إليه إلا بعين واحدة، تلك التي ترى الفعل المرتد، دون الفعل المسبب له.

الشعور بالظلم والحرمان حالة يربى عليها الشيعي قصداً منذ ولادته، ويكبر، فتكبر معه. ولهم في تغذية أبنائهم بهذا الشعور أساليب شتى! ولشدة انطباع النفسية الشيعية بهذا الشعور انعكست هذه النفسية عند الشيعة بطريقة لا شعورية على (أئمتهم)، فراحوا يتخيلونهم ويرسمون لهم في مخيلتهم صورة هي مثال المحرومية والاضطهاد والمعاناة منذ أن خلقهم الله تعالى حتى توفاهم. يروي (الصدوق) - وهو الكذوب - عن أمير المؤمنين ع قال: (ما زلت مظلوماً منذ ولدني أُمي. حتى إن كان عقيل ليصبيه رمد فيقول: لا تذروني حتى تذروا علياً، فيذروني وما بي من رمد)<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن هذه النفسية الشيعية المفعمة بالشعور بالظلم والاضطهاد إلى حد الاختناق، أسقطت - بتلك الطريقة اللاشعورية المسماة في علم النفس بطريقة (التماهي الإسقاطي Projective identification)<sup>(٢)</sup> - على

(١) علل الشرائع، ٤٤/١، باب العلة التي من أجلها يبتلى النبيون والمؤمنون، مكتبة الداوري، قم.

(٢) التماهي هو التقمص أو الذوبان. والإسقاط عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها ويحوّل إلى غيره صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره. أما التماهي الإسقاطي فهو عملية نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر محبوب أو مكروه لديه، يتخذ منه - إن كان محبوباً - مجسداً لكل ما يرغب أن يتمثله في ذاته، وبصورة أسطورية. إذ يصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية والطهر والخير، والكذب والجهد والمعاناة التي يرغب أن يكون عليها. أما إذا كان الغير مكروهاً بالنسبة إليه فيستخدمه كمجسد لنزعاته التي يخشاها كالغدر والعدوانية، أو صفاته التي ينفر منها كالحقد، وذلك بالتنكر لها في النفس وإسقاطها على الشخص الآخر الذي يتعامل معه تبعاً لموقفه من تلك الخاصية (النزعة أو الصفة)؛ إذ يعتبره رمزاً أسطورياً مضخماً لما هو ممنوع ومكروه في داخله. فمبالغات الكره والعدوان، وكذلك مبالغات الحب والإحسان تقوم على هذه العملية النفسية اللاشعورية. (انظر فصل المصطلحات العلمية في آخر الكتاب).



(الإمام) فصار كما تخيلوه، أو كما ينبغي أن يكون عليه طبقاً لما توحى به تلك النفسية.

كان الشيعة يشكلون أكثر من (٦٥ ٪) من منتسبي حزب البعث الحاكم في العراق، والنسبة نفسها أو تزيد في جهاز المخابرات وجهاز الأمن. وهي أقوى الأجهزة التي كان يقوم عليها وجود النظام السابق. ومن المفارقات الطريفة أن (٣٦) شخصاً من قائمة المطلوبين للأمريكان من مسؤولي الحكومة السابقة كانوا من الشيعة. علماً أن العدد الكلي للمطلوبين في القائمة هو (٥٥)! من ضمنهم رئيس الدولة وولداه وأقاربه. أي إن عدد العرب السنة في القائمة - إذا استثنينا طارق عزيز المسيحي، وطه رمضان الكردي، ولربما فاتني آخرون ليسوا من السنة - يساوي (١٧) فقط من مجموع (٥٥)! وإذا حذفنا الرئيس وأقاربه - ولديه وإخوته الثلاثة وابن عمه، لتكون المقارنة عادلة، حين تكون بين الأشخاص من غير العائلة الحاكمة - فإن عدد أهل السنة سينخفض إلى حوالي (١٠) فقط!! أي أقل من ثلث عدد الشيعة!!! ومع هذا يدّعي الشيعة أنهم كانوا محرومين من المشاركة السياسية العادلة، وأن النظام السابق كان طائفاً يميز بين أهل السنة والشيعة، فيؤثر أولئك بالمناصب والمزايا، ويختص هؤلاء بالتمهيش والاضطهاد. وما ذاك إلا بسبب ترسخ هذه العقدة في نفوسهم إلى حد الخروج إلى عالم الوهم ودائرة الهذيان!

ومما يشير بصراحة إلى رسوخ هذه العقدة في النفسية الشيعية، ما صرح به وزير المحافظات في حكومة الجعفري وائل عبد اللطيف حين قال: (ونحن في قمة السلطة نشعر بالمظلومية)!

### هذاء الاضطهاد

وحين يترسخ هذا المرض يصل إلى حد (الهذاء)، والتوهم المرضي أن جهة ما معينة تضطهده، وتتهدهده، وتعتدي عليه. بينما قد يكون العكس هو الواقع. خصوصاً في دائرة الأفكار والمشاعر. لكن المريض يقوم باستعمال حيلة (الإسقاط) ليعكس الأمر. وهو ما يطلق عليه علمياً اسم

(البارانويا paranoia). يقول عنه سيجموند فرويد: (إنه مرض عقلي يتميز بوجود نسق منظم من الأفكار الهاذية، وسلسلة منطقية من النتائج المستنبطة من مقدمة خاطئة خطأً مطلقاً، يؤمن بها المريض إيماناً مطلقاً لا يمكن زعزحته أو تعديله أو التشكيك فيه. ومن حيث المضمون نجد أن فكرة الاضطهاد والريبة من نوايا الغير وأفعالهم تقوم بدور رئيس في هذا المرض. أما من حيث الشكل فإن المريض يستخدم عملية "الإسقاط" استخداماً متصلاً فينسب إلى الغير أفكاره ومشاعره، ولا يفتأ يؤوّل حركات الآخرين وسكناتهم بما يتفق واعتقاده المرضي بحيث يتحول الصراع الداخلي - في النهاية - إلى صراع خارجي بين المريض والآخرين منقطع الصلة - بالنسبة للخبرة الشعورية - بأصله الذاتي)<sup>(١)</sup>.

الحقيقة - كما يقول المختصون - أن المصابين بهذا الوهم أو المرض، هم دوماً في حالة دفاع مرضي عن النفس، يتوهمون أنهم في حالة حصار من قبل أعداء لا عدّ لهم ولا حصر. كما يقول المختصون: أن خطر المصابين بالشيزوفرينيا أو انفصام الشخصية هو الانتحار، أما خطر المصابين بالبارانويا فهو القتل. إن المجتمع الشيعي مصاب بالبارانويا؛ وهذه من العقد الكبرى في طريق الحل أو العلاج.

ومن هنا - ولأسباب أخرى - أفضل أنا استعمال كلمة (مواجهة) بدلاً من كلمة (حل) أو (علاج).

### يجلبون المآسي على أنفسهم

والشيع في ذلك كاليهود، يجلبون على أنفسهم المآسي بسبب سوء أعمالهم، لكن مرض البارانويا يمنعهم من مراجعة أساليبهم الخاطئة بصورة موضوعية. فلا يملكون إلا الإصرار على الموقف؛ فينتهي الأمر بذبحهم. إن تكرار المذابح اليهودية عبر التاريخ لم يكن من قبيل الصدفة. وهو

(١) الموجز في التحليل النفسي ص ٨٩، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، الناشر دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٠.



السبب نفسه الذي يجلب المآسي إلى الشيعة، ويوقعهم في مآزق التناحر مع السلطة، أو مع مواطنيهم. وهو السبب الخفي لما يحدث اليوم في العراق من مآسي وتصفيات متبادلة.

### الطقوس والشعائر الشيعية

إن عقدة الاضطهاد وراء الشعائر والطقوس التي عزلت المتشيع فارسياً عن محيطه

ومجتمعه، في شعوره وسلوكه وولائه وانتمائه. بل جعلته آلة تخريب بيد الأجنبي العجمي الذي يلوح له بأنه مضطهد مظلوم وأنه يسعى لإنقاذه، ويبادله الشعور بالظلم والاضطهاد إلى حد النواح والبكاء ولطم الصدور والخدود، وشق الثياب السود، حزنا وأسى.

وهي التي تجعله يتلذذ بمجالس النياحة وحلقات اللطم والبكاء تحت ذريعة مظلمة (أهل البيت) دون ملل مهما تكرر الحديث أو كان أسطورياً أو خارجاً عن الذوق أو منطق العقل والشرع والتاريخ! بل يتفاعل معه إلى حد البكاء



فتاوي السيستاني في تشريع اللطميات وأنها من شعائر الله

والعويل بل لطم الخدود والصدور و(تطبير) الرؤوس وجلد الظهر بالسياط و(الزناجيل) وأذى الجسد بأنواع الأذى إلى حد فقدان الوعي أو الموت!

وهو تعبير وتنفيس عن عقدة أخرى هي (عقدة الذنب)، تلك العقدة التي تكونت وتراكت بسبب الجرائم والاعتداءات والآثام التي يرتكبونها بحق غيرهم وحق أنفسهم، وبسبب خذلانهم المتكرر للخارجين من أهل البيت العلوي على مر التاريخ.

إن الحديث عن الحسين و(مقتله)، و(مصيبة أهل البيت) ما هو في حقيقته إلا حديث عن النفس ومصائبها. إنه (مظلوم) كما (ظلم الحسين)، و(مضطهد) كما (اضطهد). ويتحول الحسين إلى رمز لـ(المظلومين) و(المضطهدين). فمهما حاولت أن تستثير عقلة ليفكر تفكيراً منطقياً فيقتنع بأن الحسين عليه السلام لم يضطهده أحد. بل عاش عيشة الأمراء، ومات ميتة الكرماء. أما أنه قتل، فقد قتل في ميدان معركة سعى إليها بقدمه، كما قتل ويقتل الملايين. ومنهم من هو أشنع قتلة وأكثر عذاباً وألماً. أقول: مهما حاولت فربما لا تفلح معه لأن نداء عاطفته المعقدة أقوى من منبهات عقله المخدر المقيد بقيود لن يستطيع معها أن يكتشف حتى الموت أن (المقتل) أسطورة أصلها صفحة واحدة كثرتها المتاجرون حتى صارت رواية تقرأ! و.. مسرحية تمثل!

### أسطورة اضطهاد (الأئمة)

وبسبب هذه العقدة يعتقد الرافضي أن (أئمة) جميعاً عاشوا مضطهدين، وماتوا جميعاً ميتة ليست طبيعية ما بين مسموم ومقتول ومخنوق وهارب من وجه العدالة مخنف في الكهوف والسراديب! مع أن الحقيقة الواقعة والمسيرة التاريخية غير ذلك!

لقد عاش علي عليه السلام حياته وزيرا ومات خليفة وأميراً. وكذلك سيدنا الحسن عليه السلام. ولطالما ذهب هو وأخوه سيدنا الحسين إلى دمشق معززين مكرمين ورجعا إلى المدينة بالهدايا والهبات. أما ان الحسين عليه السلام قتل،

فقد قتل - كما قلت - بسبب خروجه على خليفة المسلمين في معركة سعى إليها بنفسه في غير إعداد ولا عدد. وتلك نهاية طبيعية لكل خارج لم يُعدَّ للأمر عدته، وإن كانت مما لا يتمناها مسلم ولا يرضاها لسيدنا الحسين عليه السلام. وكل سلطان لا يقبل من أحد بحالٍ منازعته مهما كانت منزلته. وليس في ذلك اضطهاد، فما كل قتيل مضطهد.

وأما السبي فأسطورة مختلفة. وليس بين المسلمين سبي، إنما ذلك للكافرين.

وعاش علي بن الحسين في المدينة بحرية تامة، وكان أحد فقهاءها الذين يتحلّق حولهم طلبة العلم دون تضيق. وكذلك كان ابنه محمد وحفيده جعفر الذي لقبه الخليفة أبو جعفر المنصور بـ(الصادق) حين وشي به إليه فاستقدمه فأنكر فقال له: أنت (الصادق) وهم الكاذبون. ثم أكرمه ورده معززا مكرما.

وما يحصل من المتابعة والمساءلة والاستقدام فأمر طبيعي لا ينكر وقوعه؛ لأنه يحصل بأسباب موضوعية ليست خاصة ولا مقصودة. إذ الزمان زمان فتنة وخروج متكرر بسبب العجم الذين يبحثون لهم عن رموز علوية أو هاشمية للتمرد والثورة وكثيراً ما يفلحون في استئلال هذه الرموز كما حصل مع زيد بن علي وابنه يحيى وعبدالله بن الحسن وأبنائه الأربعة. وغيرهم كثير. ومن الطبيعي أن يثير هذا توجساً دائماً لدى الخليفة لا سيما من الرموز العلوية التي كثر الخروج من أوساطها.

ويحدث أحيانا أن يرسل إلى من تحوم حوله الشبهة منهم وتكتب عنه التقارير ليحقق معه ثم يفرج عنه بعد أن تثبت براءته، أو يأخذ العهد عليه بعدم الخروج وإثارة الفتنة. وقد تكون التقارير مزورة أو مضخمة أو صحيحة. كما حصل لموسى بن جعفر وقد كاد له البرامكة منذ زمن المهدي والد الرشيد فلم يفلحوا، واكثروا من الوشاية به حتى إنهم استطاعوا أن يستعملوا ابن أخيه محمد بن إسماعيل - حسب رواية الأصفهاني - في التجسس عليه فكتب عنه تقريراً مفصلاً مفاده أن لموسى

اتباعا يكاتبهم ويكاتبونه ويجبون إليه الأموال من الآفاق فاعتقله الرشيد تحوطاً وأوصى به إلى الفضل بن يحيى البرمكي وأوصاه بالإحسان إليه لكنه استغل غياب الرشيد وسفره إلى الشام فدس إليه الفارسي السندي بن شاهك فاغتاله<sup>(١)</sup>.

وليس في الأمر - كما ترى - اضطهاد. وما حدث لموسى يحدث لغيره كثيراً. هذا هو الاستثناء الوحيد وهذه ملابساته! وأما البقية فلم يحدث لهم ما يسوءهم، أو ينغص عليهم رغد عيشهم. لقد كان علي بن موسى - كما يحدثنا التاريخ - وأحفاده من بعده على وفاق تام مع البيت العباسي الحاكم. فلقد اسند إليه المأمون ولاية العهد، وزوجه ابنته، وعاش معه عيشه الوزراء حتى مات بقدر الله على فراشه فقال المعقدون: مات مسموما بيد المأمون!

وتزوج ابنه محمد ابنة المأمون الأخرى؛ فهو صهر الخليفة! هل هناك أنعم وأهدأ بالاً من صهر الخليفة؟! فأين هو الاضطهاد! قوم يعيشون في قصور الخلفاء وينكحون بناتهم ويتقبلون في نعمتهم ظهراً لبطن، وبطناً لظهر قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم!

### اللهم نسألك (اضطهاداً) كهذا (الاضطهاد)!

واستمرت العلاقة حسنة بين البيت حتى مات الحسن العسكري الذي عاش في سامراء مترفا تحوطه الجواري، وتطوف عليه السراري وتجبي إليه الأموال في أحسن حال وأنعم بال وأوفر نوال. ولما كان الحسن عقيماً فلم يخلف عقباً وورثه أمه وأخوه اخترع له المعقدون ولداً وللولد اسماً وقصة! تقول العصفورة: إن (محمد) بن الحسن الطفل الصغير اختفى في سرداب في سامراء خوفاً على نفسه من الخليفة! ولا بد لك من أن تصدق أن الخليفة قد خاف طفلاً؛ فهو يسعى في طلبه وقتله. بينما هو يترك أباه الرجل القوي الغني الرمز يسرح ويمرح لم يتعرض له بسوء قط! وإلا فإنك من (أعداء أهل البيت وظالمهم).

(١) مقاتل الطالبين، ص ٢٣٢-٢٣٦، أبو الفرج الأصفهاني. وهو شيعي شعوبي محترق.

## مقارنة مع الأئمة الأربعة

لو أجرينا مقارنة سريعة بين (الأئمة الأحد عشر)، والأئمة الأربعة لوجدنا الفارق كبيراً بينهما من حيث التعرض للأذى والمضايقات، أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم (الاضطهاد).

لقد تعرض الأئمة الأربعة لمضايقات كثيرة وحبس بعضهم وضرب واختفى وضربت عليه الإقامة الجبرية. كل ذلك لأسباب موضوعية لا علاقة لها كثيراً بالاضطهاد: فالإمام أبو حنيفة حبس مرات حتى قيل: إنه مات في الحبس! والإمام مالك ضرب حتى قيل: سقطت أو خلعت يده! والإمام الشافعي جيء به مكبلاً من اليمن إلى بغداد. وأما الإمام ابن حنبل فمحتته أشهر من أن تذكر! ولقد ضيق عليه وحرم من الاتصال بالناس قرابة ثلاثين عاماً! هذا عدا ما تعرض له غير الأئمة الأربعة من حيف واضطهاد. كالإمام البخاري. والتفتازاني. وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي طُرد وشرذ ونفي وأوذي وسجن مرات حتى مات أخيراً في السجن! ناهيك عن المتأخرين منهم كسيد قطب وغيره من قوافل المعتقلين وشهداء الدعوة الإسلامية وأبطالها الذين عذبوا وأوذوا في سبيل الله وقتلوا وهم على ذلك.

فإذا كان الرافضة و(أئمتهم) مضطهدين، فماذا نقول نحن؟!

لا نقول شيئاً! لأننا - والله الحمد - رزقنا السلامة من أمراض الفرس وعقدهم.

## الشيعي كاليهودي مخرب أينما حل

إن هذه العقدة وراء الشخصية العدائية والتخريبية أو الانتقامية لدى الشيعي. فهو يسرق ويؤذي ويخرج على القانون إلى حد القتل والاغتيال والتفجير. فإذا عوقب طبقاً إلى القانون ضج بالعويل والصراخ: أنا مظلوم أنا مضطهد! ومهما خرب وآذى واعتدى فهو بذلك ينتقم لنفسه (المضطهدة) ويسترد بعض حقها المسلوب حتى صار الخروج على القانون حقاً من حقوق الشعوب أو الرافضي.

يدعم هذا ويسنده نفسيته المعقدة المريضة والمصابة بعقد أخرى مثل عقدة (السيد). فالسيد لا يشعر بظلمه أو اعتدائه على عبده لأنه مُلك له يفعل به ما يشاء. لهذا فمهما أحسنت الدولة أو الآخرون إليهم فلن يعتبروه إحساناً، وإنما واجبا يؤدي تجاههم بلا جزاء ولا شكور.

وللأسباب نفسها يسبون رموزنا وصحابة نبينا ﷺ ويغضونهم ثم يرمون بالتهمة علينا يقولون: إنكم تبغضون علياً وذريته! في الوقت الذي يشرحون فيه أئمتنا وعلماءنا تشريحا منكرًا دون أن يحسوا بأنهم يسيئون إلينا بذلك! وفي المقابل يتحسسون تحسناً شديداً من الإشارة إلى أن علياً - مثلاً - أخطأ في كذا، وإن شفع القائل قوله بعبارة (رضي الله عنه) أو (كرم الله وجهه) أو حتى (عليه السلام). إن هذه اللواحق لن تحسب لقائلها ولا تصلح دليلاً على صدقه في حبه لعلّي لأن عقدة الشك تصور مبعثها بصورة الملق والنفاق. وعقدة الاستعلاء والسيد تجعلها واجبا لا شكر عليه. وعقدة الاضطهاد والكراهية وبقية العقد ستمسح كل أثر لها ثم تكرر على تلك الكلمة (أخطأ علي) فتضخمها لتجعل منها كفرا وجحودا وحقدا واضطهاداً لأهل البيت يجب أن يواجه بما يناسبه بل يزيد عليه من الاعتداء والانتقام!

كان أحد هؤلاء المعقدين يتحدثون في مجلس عن كرامات جذع نخلة في الحلة، وكيف أن الشفلات وآلات القطع والقلع عجزت عن اجتثائه أو قطعه فتركوه على حاله وحولوا الطريق إلى جانبه! فقال له صديق لي: أجرة الشفل واللوري عليّ والدلالة عليك وأنا أتعهد لك بقلعه من جذوره ومن هذه اللحظة! يقول صديقي: فالتفت إلي مبهوراً ثم دقق النظر محدقاً في وجهي.. وبعد برهة قال باشمئزاز: ألا تخبروني ما هو سر عداوتكم لأهل البيت!!



## ملحق

## في المشاركة الشيعية في الأجهزة الرسمية لدولة البعث

- تحت عنوان (الدور الشيعي في حكومة حزب البعث) كتب محمد البغدادي على موقع "الرابطة العراقية" بتاريخ ٢٥ - ٣ - ٢٠٠٥ ما يلي:
- ❑ أول وزير دفاع شيعي في العراق تم في زمن البعث هو الفريق أول الركن سعدي طعمة الجبوري.
  - ❑ تعيين أول رئيس أركان للجيش العراقي من الشيعة تم في زمن البعث هو الفريق الركن عبدالواحد شنان آل رباط.
  - ❑ أطول مدة قضاها في المنصب كوزير خارجية للعراق كان من الشيعة، وقد تم ذلك في زمن البعث وهو الدكتور سعدون حمادي، ثم تولى الوزارة طيلة التسعينات محمد سعيد الصحاف، وهو شيعي أيضاً.
  - ❑ أطول مدة قضاها في المنصب كوزير نفط في زمن البعث في العراق كان من الشيعة وهو الدكتور سعدون حمادي.
  - ❑ أول مرة في تاريخ العراق يستحوذ الشيعة على منصب وزير النفط ويتناوبون عليه وكان ذلك في زمن البعث والوزراء هم الدكتور سعدون حمادي وقاسم أحمد تقى وعصام الجلبى (ابن عم أحمد

الجلبي)، وبذلك يعتبر الوزراء الشيعة هم أكثر من شغل هذا المنصب في تاريخ العراق وفي زمن البعث وليس غيره.

□ أكثر فترة تولى فيها الشيعة منصب محافظ البنك المركزي العراقي كان ذلك في زمن البعث وهم الدكتور عبد الحسن زلزلة وطارق التكمه جي وهذا ما لم يحصل في اي عهد سابق.

□ لأول مرة في تاريخ دولة العراق يتولى فيها شخص شيعي منصب مدير الامن العامة وهي في زمن البعث وكان ذلك الشخص هو ناظم كزار وكان معاونه هو علي رضا باوة (شيعي فيلي).

□ المسؤول الاول عن التحقيقات الجنائية للمنتمين الى حزب الدعوة كان من الشيعة وهو عقيد الامن علي الخاقاني، وهو من اهالي النجف.

□ تولى رئاسة محكمة الثورة التي اختصت بالنظر في قضايا التآمر، شيعيان هما هادي علي وتوت ومسلم الجبوري.

□ لأول مرة في تاريخ العراق تناوب اثنان من الشيعة على رئاسة الوزارة وذلك في زمن البعث هما الدكتور سعدون حمادي ومحمد حمزة الزبيدي.

□ أطول فترة قضاها رئيسا للمجلس الوطني العراقي كان من الشيعة وهو الدكتور سعدون حمادي.

□ شركة النفط الوطنية المسؤولة عن انتاج وتصدير النفط العراقي ترأسها أربعة من الشيعة ولاطول مدة وهم عبدالامير الانباري وفاضل الجلبي (ابن عم أحمد الجلبي) ورمزي سلمان.

□ أكثر من ٦٠ بالمائة من المدراء العامين في هيئة التصنيع العسكري كانوا من الشيعة وأكثر من سبعين في المائة من الكادر الهندسي والفني المتقدم فيها هم من الشيعة.

□ معظم خبراء وعلماء منظمة الطاقة الذرية كانوا من الشيعة من بينهم جعفر ضياء جعفر وحسين اسماعيل البهادلي وحسين الشهرستاني.

□ نائب رئيس هيئة التصنيع العسكري للشؤون الفنية هو الدكتور نزار

القصير وهو اهم شخص في هذه الهيئة كونه المسؤول عن كل مشاريع تطوير الانتاج فيها، وكان من الشيعة أيضاً.

□ أكثر من ستين بالمائة من المدراء العاميين في الدولة العراقية وكوادرها الفنية والتقنية والعلمية الذين يشغلون المناصب والمسؤوليات المتقدمة فيها هم من الشيعة.

□ أطول فترة قضى فيها شخص عراقي في منصب مدير عام في الدولة العراقية منذ تأسيسها وحتى الغزو كان من الشيعة هو مدحت الهاشمي مدير عام الشركة العامة للسيارات.

□ جميع المدراء العاميين لدوائر التربية في المحافظات العراقية في وسط وجنوب العراق كانوا من الشيعة طيلة فترة حكم البعث.

□ إن أكثر من ستين بالمائة من البعثيين هم من الشيعة وكان الكادر الوسطي في البعث يتألف من أكثر من سبعين بالمائة من الشيعة وهم اساس بنية الحزب التنظيمية والتكوينية وهم من تولى العمل الجماهيري والتنظيمي فيه.

□ إبان الحرب العراقية الايرانية، كان قائد صنف المدفعية هو اللواء الركن حامد الورد - شيعي، وقائد صنف الدروع هو اللواء الركن صبيح عمران الطرفة - شيعي، وامين السر العام لوزارة الدفاع (اي الشخص الثاني بعد وزير الدفاع) هو اللواء الركن سعد المالكي، شيعي، ثم لاحقاً اللواء الركن جواد الامارة - شيعي، وقائد الفيلق الثالث هو الفريق الركن سعدي طعمة الجبوري، شيعي، ومدير دائرة التوجيه السياسي عبدالجبار محسن اللامي، شيعي، ناهيك عن عدد كبير من قادة الفيلق وامراء الالوية وكبار ضبط الجيش والمستشارين العسكريين هم من الشيعة.

□ المندوبون الدائمون للعراق في الامم المتحدة خلال حكم البعث كان عددهم عشرة اشخاص توالوا على هذا المنصب منهم أربعة شيعة هم:

١ - طالب شبيب

٢ - عبدالامير الانباري وقد امضى اطول مدة في المنصب وتولاه مرتين .

٣ - محمد صادق المشاط

٤ - سعيد الموسوي

كما تولى المنصب شخص واحد كردي هو عصمت كتاني، وكذلك شخص واحد فيلي هو عبدالكريم الشихلي. اما السنه الذين تولوا هذا المنصب فهم:

١ - عدنان الباجه جي

٢ - صلاح عمر العلي

٣ - نزار حمدون

٤ - محمد الدوري

□ مندوبو العراق في اليونسكو هما اثنان من الشيعة:

١ - عزيز الحاج شيعي فيلي

٢ - عبدالامير الانباري شيعي

□ آخر رئيس تحرير لجريدة الثورة الناطقة بحزب البعث هو سامي مهدي، شيعي من تبعية ايرانية.

□ المستشار الاعلامي لصادم حسين، شيعي وهو عبدالجبار محسن.

□ مستشار صدام للشؤون الحزبية شيعي وهو محسن راضي سلمان.

□ مرافق صدام طيلة فترة السبعينات والثمانينات وحتى بداية التسعينات هو صباح مرزة محمود وهو كردي فيلي وشيعي.

□ غالبية المطربين والملحنين وشعراء الاغنية الذين تغنوا للبعث وبحب صدام في زمن البعث كانوا من الشيعة.

□ غالبية الشعراء الشعبين الذين كتبوا قصائدا للبعث ولصادم في زمن البعث كانوا من الشيعة.

ومن البعثيين الذين تعاونوا مع اجهزة المخابرات الاميركية في الحرب على العراق ما يلي:

- ☐ إياد علاوي، شيعي - عضو شعبة
- ☐ طاهر البكاء، شيعي - عضو شعبة
- ☐ راسم العوادي، شيعي - عضو فرع
- ☐ حازم الشعلان، شيعي - عضو قاعدة
- ☐ داود البصري، شيعي، يكتب في الصحافة، كان نصير متقدم في منظمة السفارة العراقية في الكويت.
- ☐ زهير كاظم عبود، شيعي - عضو فرقة
- ☐ منذر الفضل، شيعي - عضو فرقة
- ☐ العميد سعد العبيدي، شيعي - عضو شعبة
- ☐ العميد توفيق الياسري، شيعي - عضو شعبة
- ☐ فالح حسون الدراجي، شيعي - مؤلف اغاني، عضو عامل
- ☐ هاشم العقابي، شاعر، شيعي - عضو عامل في تنظيمات فرع صدام
- ☐ حسن العلوي، صحفي، شيعي - عضو فرقة (قلت: كان العلوي السكرتير الصحفي المرافق لصدام حسين، ومدير تحرير مجلة "ألف باء" الرسمية. وقد صرح في يوم ٢٠٠٦/٩/١٠ من خلال قناة "الحرّة - العراق" فقال: (المحيطون بصدام من الصحفيين كلهم شيعة. لم يكن صدام يفكر بمسألة سنة وشيعة).
- ☐ أمير الحلو صحفي ومدير عام في وزارة الاعلام، عضو فرقة (فرقة المثني في منطقة زيونة في بغداد).
- ☐ عبدالكريم المحمداوي، رئيس عرفاء هارب من الخدمة في الجيش

العراقي، شيعي، نصير متقدم في تنظيمات شعبة الرافدين العسكرية  
فرع ذي قار العسكري.

وعلى الموقع نفسه - وبتأريخ ٢٠٠٧/١/٧ - أضاف الكاتب نفسه أن  
كبار رجال الدين الشيعة في بغداد وكربلاء والنجف والبصرة - ومن بينهم  
السيستاني، ومحمد صادق الصدر - وسدنة مراقد علي والحسين والعباس  
والكاظم، كانوا يمنحون - أسوة بالوزراء والمدراء العامين وكبار المسؤولين  
في الدولة - سيارات شخصية راقية من الدولة، وذلك كل سنتين. كما كانوا  
يستلمون المخصصات المالية الخاصة نفسها التي تمنح للمسؤولين لتعزيز  
قدراتهم على الإنفاق. ويقول: سألني شاعداً ما حييت على إصدار أوامر  
منح سيارات المرئيدس من السرية الثقيلة للقصر الجمهوري للكثير منهم.

كما ذكر بعضاً من أعضاء القيادة القطرية الشيعة - ولم يذكر الكل - وهم:

- جعفر قاسم حمود
- عدنان حسين الحمداني
- نعيم حداد
- حمد حمزة الزبيدي
- حسن علي العامري
- سعدون شاكر
- عزيز صالح النومان
- مزبان خضر هادي... وآخرون.

ومع كل هذا يتباكى الشيعة، ويولولون مرددين: (مظلومين...  
مضطهدين...!!) ولك أن تقارن هذا الانسياع الكبير في أجهزة الدولة السابقة،  
مع ما فعلوه بأهل السنة من تهمة وإقصاء، وإخلاء لهم من جميع دوائر  
الدولة، ومرافقتها الحيوية. وبكل الأساليب الممكنة: القانونية وغير القانونية!

(٦)

## عقدة التخريب

جرت العادة، عندما يموت الملك في فارس في العصور القديمة، أن يترك الناس خمسة أيام بغير ملك، وبغير قانون، بحيث تعم الفوضى والاضطراب جميع أنحاء البلاد. وكان الهدف من وراء ذلك هو أنه بنهاية هذه الأيام الخمسة، وبعد أن يصل السلب والنهب والاعتصاب إلى أقصى مدى، فإن من يبقى منهم على قيد الحياة، بعد هذه الفوضى الطاحنة، سوف يكون لديهم ولاء حقيقي وصادق للملك الجديد؛ إذ تكون التجربة قد علمتهم مدى رعب الحالة التي يكون عليها المجتمع إذا غابت السلطة السياسية<sup>(١)</sup>.

ولقد أتقن القوم التجربة بكل أبعادها، ومنها السلب والنهب والاعتصاب والحرق والتخريب والتدمير. في يوم سقوط بغداد كنت في بعقوبة، ورأيت بعيني فلول الشيعة - وأغلبهم من مدينة الثورة كانوا نازحين إلى هناك بسبب القصف على بغداد - كيف عاثوا في المدينة وممتلكاتها، ورأيت كيف أن الحالة قد انتهت بعد ما يقرب من ساعتين فقط، بفضل عشائر أهل السنة الذين نزلوا إلى الشوارع بأسلحتهم، وصاروا يطاردون أولئك السفهاء، ويستخلصون منهم ما نهبوه ليعيدوه إلى مكانه. وقد امتلأت المساجد بالمسروقات التي استعيدت عنوة من المفسدين. وأما ما حصل في

(١) الطاغية، ص ٥٤، د. إمام عبدالفتاح إمام. ط ٣، ١٩٩٧، القاهرة.

بغداد وغيرها من المدن فشيء يفوق الوصف. وغالب ما حصل كان بأيدي الشيعة الذين كانوا متهيئين للأمر سلفاً نفسياً ودينياً!

### التخريب دين

إن تخريب الممتلكات العامة، وسرقة أموال الدولة سلوك شيعي شائع، تسنده الفتوى الدينية المشرعنة - كما هو ثابت في كتب الفقه الشيعي - التي تربى فيهم - في نهاية الشوط - قابلية الخيانة والخيانة العظمى. وهي إحدى الخصال التي يلتقون فيها مع اليهود. والملاحظ في الجنوب - مقارنة بغيرها - كثرة أسماء أعداء الأمة بينهم من المحتلين والغزاة المعتدين: لجمن، كوكس، بهمن، رستم... إلخ!

قبل سنوات كنت في زيارة لقائم مقام قضاء المحمودية، فقال بمرارة وهو يشكو من تفلت الكادر الوظيفي وضعف أدائه، وميله إلى المعاكسة والتخريب: كيف أستطيع أن أصلح وأبني إذا كان العاملون معي يتقربون إلى الله بالتخريب؟! وفي السنة الأولى لمجيء الخميني كنت أسمع من إذاعة طهران توجيهات علنية إلى جماهير الشيعة في العراق ترشدهم إلى ممارسة تخريب الممتلكات العامة بغية إنهاك الحكومة. يقولون لهم: لقد كان هذا ديدنا على عهد الشاه، فقد كنا نعلم أطفالنا ذلك حتى صار جزءاً من تساليهم ولعبهم، ينادي أحدهم على الآخر: هيا بنا نلعب لعبة التخريب! ولمن يصعب عليه تصديق مثل هذا الاتهام أسوق هذه الفتاوى:

يقول الخوئي: يجوز أخذ مال الناصب أينما وجد، والأحوط وجوباً وجوب الخمس فيه من باب الغنيمة<sup>(١)</sup>.

علماً أن لفظ الناصب تعبير مخفف يكون به عن السني، الذي يحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وإن أحب علياً رضي الله عنه معهما<sup>(٢)</sup>.

(١) منهاج الصالحين ١/ص ٣٢٥. وإذا عرفت أن (الغنيمة) في الفقه الإسلامي هي الأموال التي تغنم من الكفار المحاربين عرفت ما هو حكم الشيعة - ممثلين بزعيمهم الخوئي - في أهل السنة وهل هم مسلمون أم كفار؟!!

(٢) الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ص ٩٩، الشيخ يوسف البحراني.



ويقول الشيخ يوسف البحراني تحت عنوان: **حل دم الناصب وماله:** اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عنهم - سلام الله عليهم - **بحل دماء أولئك المخالفين وحل أموالهم..** فروى الشيخ (أي الطوسي) في الصحيح عن حفص بن البختري عن أبي عبدالله (ع) قال: **خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس (تهذيب الأحكام ٤ : ١٢٢).** وهي نص فتوى الخوئي الآنفه الذكر.

وروى الصدوق في كتاب العلل الصحيح عن داود بن فرقد قال: **قلت لأبي عبدالله (ع): ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم<sup>(١)</sup>.**

وإذا سألت: لماذا يفتي الفقيه الشيعي الفارسي بمثل هذه الفتاوى الفاجرة؟! فلعل في التحليل الآتي جواباً على هذا السؤال، وعلى السر الذي يجعل الشيعي خارجاً دائماً على القانون، ومخرباً أينما حل:

### عدوانية موجهة إلى الخارج

يقول د. حجازي في معرض كلامه عن (العدوانية الموجهة إلى الخارج) وكيف تأخذ صوراً شتى منها الخفية، كالكسل أو التكاسل الذي يمسي ظاهرة في المجتمع المقهور لأسباب متعددة منها الانتقام الخفي من رب العمل المتسلط: (بالإضافة إلى الكسل هناك عدوانية أكثر صراحة من حيث توجيهها ضد المتسلط، وهي ظاهرة تخريب الممتلكات العامة التي تلاحظ في ظروف الفوران في المجتمع، يُقبل المواطنون (خصوصاً الشبان منهم) على تخريب وإتلاف التجهيزات العامة في الطرق (كسر إشارات الضوء، اقتلاع شجيرات الزينة، اقتلاع الحواجز على الأرصفة الخ... ) مع أن الفائدة المباشرة منها تعود عليهم قبل غيرهم. إنهم في عملهم هذا يهاجمون رموز المتسلط؛ لإحساسهم بأن ما هو عام ليس ملكهم. والواقع أن الإنسان المقهور في المجتمع المتخلف يحس بالغربة في بلده، يحس بأنه لا يملك شيئاً، حتى المرافق العامة يحس أنها ملك للسلطة، وليست مسألة

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٧.

تسهيلات حياتية له هو. ذلك أن الهوة كبيرة جداً بينه وبينها، وأن ما يستحقه من خدمات وتقديرات، تقدم له (إذا قدمت) كمئة أو فضل. لا كواجب مستحق له. عندما يخرب المرافق العامة فهو، أولاً وقبل كل شيء، يعبر عن عدوانيته تجاه المتسلط. يبدو هذا الأمر جلياً حين يرزح المجتمع تحت وطأة تسلط أجنبي استعماري. ويقرب من ذلك الميل إلى إتلاف الملكية الخاصة بشكل خفي، كتعبير عن الحقد الذي يصاحب الإحباط في هذا السلوك انتقام من ذوي الخطوة المقربين من المتسلط عموماً<sup>(١)</sup>.



(١) التخلف الاجتماعي، ص ١٨٠.

(٧)

## عقدة التعصب (Prejudice)

من علماء الشيعة الذين ينظر إليهم كمصلحين داخل المذهب الشيعي، بعيداً عن التعصب والطائفية اللبناني محمد حسين فضل الله. تأمل هذه الواقعة عن هذا الرجل الموصوف بالتسامح، وأنه يسعى في سبيل الجمع بين أهل السنة والشيعة، والذي صدق كثير من أهل السنة مثل هذه الأساطير عن هذا الرجل وأمثاله:

كتب "طالب السنجري" - وهو أحد المشايخ الشيعة - كتاباً أسماه (التشيع كما أفهمه)، أكد فيه أن الرجوع إلى الخليفة عمر بن الخطاب كما الرجوع إلى الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام؛ لكون الاثنين يستقيان علمهما من منبع واحد، وهو القرآن والسنة. فكانت هذه الكلمة كفيلة لكي يقوم المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله بطرده من حوزته الكائنة في منطقة السيدة زينب في سوريا، حيث كان الشيخ طالب السنجري أستاذاً للفقه فيها. وقد حارب السنجري على رأيه هذا وحوصر من جميع الجهات، الأمر الذي دفعه للقيام بفتح محل لبيع الأحذية، بعد أن أغلقت جميع الحوزات الشيعية أبوابها في وجهه، وقطعت جميع مكاتب المرجعيات الشيعية رواتبها التي كانت تقدمها لطلبة وأساتذة الحوزات عنه. وهو اليوم يعمل الآن إماماً لأحد المراكز الإسلامية في مدينة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١)</sup>.

(١) موقع الرابطة العراقية، صباح الموسوي، محاولات أولية لإصلاح الشيعة، ١ محرم ١٤٢٨، =

يقول د. حامد عبدالسلام زهران: (التعصب هو اتجاه نفسي جامد مشحون انفعالياً، أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو ضد جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، بل ربما يستند إلى أساطير وخرافات.. وهو يجعل الإنسان يرى ما يحب أن يراه فقط، ولا يرى ما لا يحب أن يراه؛ فهو يعمى ويصم ويشوه إدراك الواقع، ويعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب.

### سمات المتعصب

وقد وجد أن الشخص المتعصب يفضل استخدام العقاب الجسمي، والانضمام إلى الأحزاب المتطرفة الأقرب إلى الفاشية، ويميل إلى صلابه الرأي والمحافظة والتسلطية، ويتصف بجمود الفكر وجمود الاتجاهات وعدم المرونة، ويهتم بالمكانة الاجتماعية والقوة، ويتأثر بسهولة بأصحاب مراكز السلطة، ويميل إلى العدوان والقلق، إلا أنه قد يكبته، ويظهر مؤدباً هادئاً، ويسقط عدوانه وقلقه على الجماعات التي يتعصب ضدها.

### الدوافع النفسية للتعصب

يرى علماء التحليل النفسي أن التعصب يؤدي وظيفة نفسية خاصة تتلخص في التنفيس عما يعتلج في النفس من توتر وكراهية وعدوان مكبوت، وذلك عن طريق عمليتي الإزاحة والإبدال دفاعاً عن الذات وعمن تحبه..

وقد يكون التعصب عبارة عن إسقاط نقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين الذين يعتبرون «كبش فداء» أو «ضحايا». ومن ثم يعتبر التعصب إحدى حيل الدفاع. وتقول نظرية «كبش الفداء»: إن الإحباط يسبب العدوان، ويكون هناك محاولة لكف العدوان ضد المصدر الحقيقي للإحباط، وقد يغيب أو لا يعرف مصدر الإحباط. وهذا يسبب إزاحة العدوان على جماعة أخرى..

= ٢٠٠٧/١/١٩. والتقيت الأستاذ الموسوي في مصر فرواها لي مباشرة عن طالب السنجري، وهو أحد أصدقائه.

ويؤكد البعض أن التعصب معناه حب الذات أو عشق الذات أو النرجسية ..

ويقول البعض: إن الفرد يكتسب التعصب من مجتمعه من باب الموافقة أو المطابقة أو المسايرة. ويعتبر بمثابة «تذكرة دخول اجتماعي» تساعد الفرد على التفاعل الاجتماعي ومسايرة النمط الثقافي السائد في مجتمعه.

ويرى كريتش وكروتشفيلد (١٩٤٨) أن التعصب لا يوجد في الغالب إلا بين الشخصيات التي تعاني من السادية ومشاعر العدوان والإحباط والهذاء (البارانويا).

وأوضحت بحوث فرينكل - برونزويك (١٩٤٩) أن التفكير الجامد النمطي يسهل نمو التعصب. فقد وجد أن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون أيضاً إلى أن يتصفوا بالتعصب والتسلطية، وعدم التسامح بالنسبة للسلالات أو الأجناس أو الجماعات الأخرى. وهذا غالباً يرجع إلى عدم الأمن الذي يطفئ على تكوين الشخصية لديهم<sup>(١)</sup>.

<p>السيد علي الميلاني</p> <p>تاريخ التسجيل « Dec 2002 »</p> <p>البلد « »</p> <p>عدد المشاركات « 185 »</p> <p>بمعدل « ٤٥ » مشاركة لكل يوم</p>	<p>ما حكم مصافحة الوهابي ؟</p> <p>العضو السائل : عبر البريد</p> <p>رقم السؤال : ١٥٩</p> <p><b>السؤال :</b></p> <p>السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. و أدامكم الله لما فيه الخير ..</p> <p><u>ما حكم مصافحة الوهابي ؟</u></p> <p><b>الجواب :</b></p> <p>بسم الله الرحمن الرحيم</p> <p>السلام عليكم</p> <p>إننا مأمورون بحسن المعاشرة مع سائر الناس حتى الكفار الملاحدة، وبرعاية الآداب الاجتماعية والأخلاق الإنسانية مع الكل، غير أن "النواصب" أنجاس ويجب تطهير اليد بعد المصافحة إن كانت برطوبية.</p> <p>والسلام</p> <p>أخبر المراقب عن هذا الرد رقم الرد</p>
--	--

### حكم مصافحة الوهابي (أي السني)

(١) علم النفس الاجتماعي، ص ١٧٤-١٧٩، الدكتور حامد عبدالسلام زهران. عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤.

التعصب إذن مرض اجتماعي خطير يعبر عن طفولية حضارية، وبدائية فكرية، وبدوية عنصرية، يؤدي بصاحبه إلى أن لا يستجيب لشواهد الحق مهما وضحت، ولا أسباب الرفق والإحسان مهما تنوعت وكثرت!

إنه ينظر إلى الأشياء والحقائق بمنظار واحد، هو منظار الطائفة التي ينتمي إليها: فالحق ما وافق طائفته، والباطل ما خالفها!

إن مثل المتعصب في النظر إلى طائفته - كما يقول الدكتور علي الوردي في أحد كتبه - كمثل البدوي في النظر إلى قبيلته. إن الحق لا يعنيه في أي جانب يكون بقدر ما يعنيه موقف القبيلة!

وهي صفة متأصلة في اليهود الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]. فالحق (ما أنزل عليهم) لا (ما أنزل) مطلقاً. فما نزل على غيرهم هو الباطل، لسبب بسيط هو أنه أنزل على غيرهم! على من خالفهم.

### من فمك أدينك

ولهذا يجمع علماء الشيعة ليس على تكفير أهل السنة فحسب، بل تكفير كل المخالفين، ولو كانوا من الشيعة.

يقول الخوئي: (المراد من المؤمن هنا من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثني عشر (ع) أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم القائم الحجة المنتظر. ومن أنكر واحداً منهم جازت غيبته لوجوه: الوجه الأول: أنه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقية فيهم أي غيبتهم لأنهم من أهل البدع والريب، بل لا شبهة في كفرهم. لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة، وتدلل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية، وكفر المعتقد بالعقائد المذكورة، وما يشبهها من الضلالات)<sup>(١)</sup>.

(١) مصباح الفقاهة، ص ٣٢٣.

هل هناك تعصب أشد من هذا؟!!!

وقد لاحظ الشيخ محمد طه الكرمي (وهو شيعي محترق) هذه الصفة المقيمة في الفرس حين قال: (والفرس طائفيون أكثر من غيرهم. فهم لو أعطاهم المجال من نفسه فسحة ذات مدى، لما عرفوا للعالم دياراً يليق به من كافة شؤونه، حيوية أم اجتماعية، إلا أنفسهم! ويزرون على كل أحد، وخصوصاً إذا جمعتهم المحافل في صميم ديارهم. في حال أنهم أمة تقصر عن سائر الأمم بكثير في كثير من الأمور، إن في العدة وإن في العدد وإن في الشؤون الأخر. فهؤلاء الترك - ونحن قد مارسناهم ودرسنا روحياتهم - لا يقرظون أنفسهم ولا بمعشار ما يقرظ الفارسي نفسه! على أنهم أمة ذات عدد وشوكة، وأخذت الشوط البعيد في الحياة حاکمة لأكثر المعمور. ولها اليوم كيان رفيع في مستوى الجامعة)<sup>(١)</sup>.

### الشعور بالتهديد الخارجي

وإذا عرفنا أن الشخصية الدونية الاضطهادية - فرداً أو جماعة - تمتاز بالخوف والشعور بالتوجس من الآخر؛ ما يؤدي بها إلى الانغلاق الانكماش على الذات، فإننا نجد في كلام د. حجازي الآتي خير تفسير لجذور التعصب والانغلاق عند عامة الشيعة، وتمسكهم البدائي بالطائفة، وحاجتهم الطفولية للمرجع والمرجعية:

(الجماعات المغلقة من الظواهر التي حللها جيداً علم النفس الاجتماعي. إنها وليدة الإحساس بالتهديد الخارجي، أكان مصدره بشرياً أم طبيعياً. ينقسم العالم في هذه الحالة إلى عالمين متناقضين تماماً: الخارج والداخل. أما الخارج فهو العدو ومصدر الخطر والشر، العلاقة معه عدائية اضطهادية، والموقف منه إما انسحابي تجنبى، أو تهجمي تدميري. وأما الداخل فهو الخير كله، وهو مصدر الأمن والشعور بالانتماء، مصدر الهوية الذاتية، وهو بالتالي المرجع والملاذ.

(١) الحياة الروحية، الحلقة الثانية، ص ٢٤٨، محمد الكرمي، مطبعة قم، سنة ١٣٨٦.

ويحدث في هذه الحالة نوع من الانشطار العاطفي بشكل يجعل المواقف قطعية: كل الشر والخطر والسوء، كل العقبات والموانع الذاتية والموضوعية، كل العدوانية الذاتية المقموعة والمتركمة، تسقط على الخارج؛ مما يؤدي إلى تبخيسه تماماً. وهكذا يتحول الخارج إلى مجرد أسطورة مخيفة يجب الحذر منها. وليس من موقف اتجاهها إلا العنف والتدمير. وأما العواطف الإيجابية فتتوجه إلى الداخل، إلى النموذج الذي يجب أن يحتذى. كل منهم يتحول إلى مرآة تعكس للآخرين ذواتهم الإيجابية. ويحدث هنا إفراط في إعطاء القيمة للجماعة الداخلية على حساب الإفراط في تبخيس الجماعات الخارجية. وتشتد الأواصر ضمن الجماعة المغلقة بقدر حاجتها لتجنب قلق الانفصال. إنها تشتد بقدر الحاجة لإنكار الصراعات والتناقضات الداخلية، وما يرافقها بالضرورة من مشاعر عدوانية. ويذهب الدفاع ضد هذه التناقضات حد الذوبان الكلي في الجماعة لدرجة يفقد معها الفرد استقلالته وهويته الذاتية، ولا يعود له من هوية سوى الهوية الجماعية. وتغلق الحدود النفسية بين الجماعة وغيرها من الجماعات. يقتصر التفاعل والتواصل على الحد الأدنى الضروري، أو يتوقف عند حدود الاضطهاد المتبادل. وبالطبع بمقدار انغلاق الجماعة، ترتفع درجة النرجسية ضمنها وبين أفرادها؛ نظراً لأن كلاً منهم يكون مرآة ذات الآخر.

### تضخم قيمة الجماعة

وبارتفاع النرجسية تتضخم قيمة الجماعة حتى تصبح القيمة المطلقة أو الوحيدة. وتتضخم معها وبنفس الدرجة قيمة الفرد. ويأخذ الأمر على هذا المستوى نوعاً من الشعور بالامتلاء والاعتزاز بالانتماء، وحالة من الإحساس بالمنعة. وترتفع درجة الذوبان في الجماعة على المستوى الفردي، بما يتناسب مع مستوى الإحساس بالضعف والعجز وانعدام القيمة. أكثر الأفراد ذوباناً في الجماعة وتعصباً لها هم، في معظم الأحوال، أشدهم عجزاً عن الاستقلال والوصول إلى مكانة فردية، وإلى قيمة ذاتية تنبع من شخصيتهم. العلاقة الدمجية، أو الذوبانية داخل الجماعة المغلقة



تتصف بالاتكال الشديد على رموز القوة في هذه الجماعة، وعلى عناصر السلطة المادية والنفسية فيها. هذه العناصر تتضخم بدورها بشكل لا واقعي بمقدار الحاجة إلى الإحساس بالأمن والمحبة. كما أن هذه العلاقة نكوصية أساساً. بمعنى أن الفرد من هؤلاء يبحث، بشكل لا واع، عن العودة إلى العلاقات الدمجية بالأم، مصدر الحب والدفء والحنان والغذاء، ومصدر السلوى، وعامل إبعاد المنغصات الحياتية. الجماعة المغلقة ذات الدلالة الإيجابية ومرجع تعريف الذات وتوكيدها، هي الأم بعينها، الأم المعطاء التي يجب أن تستقطب كل الولاء. ومن هنا ينشأ التعصب المفرط لتقاليد الجماعة ومعاييرها، وردود الفعل العنيفة ضد كل من يحاول خرقها من الداخل، أو الاعتداء عليها من الخارج.

هذه الظاهرة تشيع كثيراً في المجتمعات المتخلفة، حيث نجد أينما حللنا جماعات متفاوتة في كبرها، مغلقة على ذاتها، تشد أفرادها إليها بقوة لا تقاوم، وتقوم بينها وبين الجماعات المتجاورة علاقات صراع وعداء وحذر واضطهاد. كل التناقضات الداخلية توجه إلى الجماعات الأخرى التي تستباح عادة إذا سنحت الفرصة في أملاكها وأموالها وأرواحها<sup>(١)</sup>.

وهكذا تجد أتباع التشيع منغلقين على أنفسهم، ومتعصبين إلى حد العقدة، والعقدة الشائكة المركبة المتشابكة الأسباب والجذور.

إنها عقدة وعقيدة وولاء وتقليد وتاريخ وجغرافيا وعنصر وهوية! لا يرون الحق إلا في جانبهم مهما كانت أفكارهم باطلة وخارجة عن العقل أو العرف والمألوف. ويكفرون غيرهم طبقاً إلى هذه الأفكار السمجية، ويلمزونهم بشتى الألقاب والنعوت مثل (أبناء العامة) و(الوهابية) و(النواصب). وكلها نعوت مكفرة عندهم. يغذي هذه العقدة حقد (مجوسي فارسي) عميق ضد الإسلام، وضد العرب أولئك القوم الذين أزاخوا الفارسي وأطفأوا ناره وكتبوا أهله ودمروا عرشه وحطموا تاجه.

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١١٤-١١٦.



(٨)

## عقدة (السيد)

### عقدة النقص أو الدون هي الدافع

تتنازع (الفارسي) عقد تبدو في ظاهرها متناقضة، ولكنها في حقيقتها تنبع من مصدر واحد وتتفاعل فيما بينها بتناسق وتساند. فهو من ناحية يعاني من عقدة الشعور بالنقص، ومن ناحية أخرى يحيط نفسه بمظاهر الفخفة والكبرياء، ويتصرف بغطرسة واستعلاء. والحقيقة أن هذه من تلك!

يقول د. علي الوردي: (يقول جعفر بن محمد: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا للذة وجدها في نفسه»). وهو قول يصدق في حالات كثيرة. فلقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الكبرياء تستعمل أحياناً كستار للتغطية لدى بعض الأفراد: فإن الذي يملك مزية حقيقية تميزه عن غيره من الناس لا يحس بحاجة إلى هذا الستار. فهو يدخل بين الناس على طبيعته من غير تكلف أو تكبر أو رياء.

أما الذي يشعر بأنه دون الناس، أو مثلهم على الأقل، فهو يحاول أن يضع بينه وبين الناس حجاباً من الكبرياء؛ لئلا تنكشف حقيقته العادية بينهم. ويلجأ إلى وضع هذا الحجاب في الغالب أولئك الذين صعد بهم القدر إلى مناصب ليسوا هم في الحقيقة أهلاً لها. إنهم مضطرون في مثل هذه الحالة أن يتخذوا لهم سلوكاً خاصاً بهم لكي يميزوا به عما سواهم

من الناس. وبعبارة أخرى: إنهم يخلقون لأنفسهم مظاهر التميز، ويتصنعون بها تصنعاً لكي يعوضوا بذلك عما فقدوه من حقيقة التميز الطبيعي. إن الفوارق الاصطناعية التي يلتزمها الناقصون ويتعصبون لها تشبع فيهم رغبة لا شعورية للتفوق والاستعلاء والتباهي<sup>(١)</sup>.

فالاستعلاء والكبرياء إذن ما هو إلا غلاف يحيط به نفسه لستر شعوره بالنقص إزاء الآخرين! وذلك كما فعل إبليس مع آدم ﷺ حين فضله الله تعالى عليه فدأبى واستكبر) و(قال أنا خير منه). وكما فعل اليهود من بعد حين ادعوا انهم (شعب الله المختار) و(قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه).

ثلاثة حين عجزوا عن حيازة الأفضلية بالفعل، وشعروا بالدون جنحوا إلى التبحر بالعنصر: (إبليس واليهود والفرس) حتى تحول ذلك فيهم إلى (عقدة)! بل.. عقيدة!!

إنهم - من ناحية - أفسد خلق الله تعالى فعلاً، و - من ناحية - أكثرهم تبجحاً واغتراراً بالطين والعنصر؟ ولهذا قال الخبراء - كما مر بنا من قبل - (الفارسي إنسان متعطر وأكثراً ميلاً إلى احتقار الغريب فيما إذا اعتقد بأنه يحاول إخضاعه وإذلاله). وهو دائماً يعتقد هذا في الغريب لإصابته بـ(عقدة الشك) (ومركب الخوف من كل ما هو أجنبي وغريب ويشير لديهم غلوا في التعصب لوطنهم وتفاخراً عميقاً بجميع الأشياء الفارسية، ويتنامى عندهم شعور بالاستثنائية الفذة التي لا مثيل لها).

### عقدة الاضطهاد وعلاقتها بعقدة السيد

ولـ(عقدة الاضطهاد) المغروسة عميقاً في نفسية (الفارسي) علاقة وثيقة بـ(عقدة السيد). يقول د. محمد أحمد النابلسي (استاذ الطب النفسي وأمين عام الاتحاد العربي للعلوم النفسية): (ان مشاعر الاضطهاد تشكل عنصر الدعم الأساسي لمشاعر العظمة والتفوق. وهذا ما تثبته الوقائع العيادية النفسية.

(١) خوارق اللاشعور، ص ٢١٦، د. علي الورد.

حيث يترافق جنون العظمة (البارانويا) دائماً مع مشاعر الظلم والاضطهاد. مما يجعل من هذه الأخيرة ضرورية للشعور بالأهمية والعظمة والتفوق<sup>(١)</sup>.

تأمل اسم أول دولة لهم في التاريخ عيلام: Hal-tampt! ان معناه (بلاد السيد) فـ(Hal) تعني (بلاد) و(tampt) (سيد)<sup>(٢)</sup>.

بل أطلقوا على أنفسهم اسم (السادة) و(الأحرار) حتى صار هذا الاسم علماً على الفرس! فإذا قيل (السادة) أو (الأحرار) فإنما يعني به القائل (الفرس) لا غير. وبهذا يظهر أن لقب (السيد) علماً على (رجال الدين) فارسي المصدر، لا سيما إذا استحضرنا أنهم لا يفرقون بين (رجل الدين) ورجل المُلْك، وعلمت أن الدين والملك عندهم محصور في بيت واحد.

### احتقار الأمم لا سيما العرب

وظل الفرس يسمون أنفسهم كذلك تعصباً لعنصرهم، واحتقاراً لغيرهم من الشعوب لا سيما العرب؛ لأنهم يشعرون تجاههم بـ (عقدة الدون). ومن شواهد ذلك ما روى لنا التاريخ من أن الملك الوحيد الذي مزق كتاب النبي ﷺ من بين الملوك الذين راسلهم النبي بكل عنجهية وكبرياء هو كسرى حتى قال الخبيث (لع): كيف يتجرأ فيذكر اسمه قبل اسمي وهو عبد من عبيدي؟! ثم ماذا فعل بعدها؟ انظر إلى هذا التصرف الذي لا ينم إلا عن عقدة مريضة: أرسل إلى نائبه على اليمن أن ابعث رجلين من قبلك إلى هذا الذي يزعم أنه نبي وليأتياني به مقيداً!!!

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد أن أحد علماء السنة المعروفين في شیراز على عهد الشاه إسماعيل الصفوي وهو شمس الدين الخفري حين تقدم بين يدي الشاه من أجل امتحانه في سبب الخلفاء الثلاثة انبرى يلعنهم لعناً شنيعاً فنجى بذلك من الذبح، ولما خرج من عند الشاه عاتبه أصحابه وقالوا له: كيف ارتددت عن دينك ولعنت أئمتك الثلاثة؟! فأجابهم: لأجل

(١) لقاء مع مجلة اللواء الإسلامي، طرابلس، مستل من الانترنت.

(٢) الصراع العراقي الفارسي، ص ٤٦، مصدر سابق.

هؤلاء الأعراب الثلاثة أقتل أنا مع ما أنا عليه من الفضل والكمال!<sup>(١)</sup>. انظر كيف عبر عذره عن (عقدته) الكامنة في نفسه - عقدة (السيد)!

### شاهد أو مشهد مثير

تأمل هذا المشهد، الذي لا يمكن أن يخطر ببال أحد، إلا في أفلام الخيال - ربما - والذي يمثل نموذجاً صارخاً للتعبير عن هذه العقدة لدى الفارسي أو المتشيع بتشييعه: عنجهية ما بعدها عنجهية، واستكبار فارغ لا ينم إلا عن مرض خبيث متأصل في نفسية مريضة لا أمل في شفائها! لشخص مجرد من كل قوة في بلد غريب عنه يعامل وزيراً في بلده جاءه مبعثاً رسالة من رئيس دولته، يعامله بهذه الطريقة:

(كان الشاعر والأديب الذي تقلد منصب وزير الإعلام والثقافة، شفيق الكمالي، قد كلف بإبلاغ خميني برسالة صدام التي فحواها أن استمرار بقاء آية الله في النجف من شأنه أن يصبح خطراً على أمن العراق ومصلحته القومية، وأنه بالنظر إلى الحالة غير المستقرة والمتوترة في إيران، وحفاظاً على العلاقة بين البلدين عليه أن يرحل.

دخل شفيق الكمالي ومعه وفد كبير شقة خميني. وقبل أن يسمح لهم بالدخول على خميني ظهر سكرتيه الخاص وأخبرهم أن آية الله خميني لا يرغب في مصافحة أحد، وأن عليهم أن يكتفوا بتحية الإسلام المعروفة «السلام عليكم». وعندما دخلوا الحجرة التي يستقبل فيها خميني ضيوفه، كان خميني يجلس مع المترجم على الأرض. قال الكمالي: «السلام عليكم»، لكن آية الله رد السلام ببرود ولم ينهض أيضاً، فكان على أعضاء الوفد العراقي أن يجلسوا هم أيضاً على الأرض، قبل أن يصرح وزير الإعلام والثقافة برغبة صدام.

كان خميني يحملق في سقف الغرفة أو في مترجمه أو سكرتيه

(١) لمحات اجتماعية، ٥٨/١، الدكتور علي الوردي.

بشكل ملفت للانتباه، فلم يكن لينعم على وزير الإعلام أو أي من المبعوثين من بغداد بنظرة واحدة. كان يجيب على الأسئلة بنعم أو بلا، أو يترك مهمة الإجابة عنها لسكرتيه الخاص. ولم ينظر الخميني إلى الرسل القادمين من بغداد إلا بعد أن انتهى الحديث الذي لم يدع فيه الكمالي مجالاً للشك أنه لا يوجد حل آخر سوى أن يغادر الخميني العراق في أقرب وقت ممكن.

«كان ينظر إلينا الواحد تلو الآخر دون أن ينبس بكلمة، كان له حضور قوي. كنت أشعر كما لو كنت أقف في مهب محرك نفاث عندما يصبوب عينيه نحوي. بدأت أرتعد»، ذلك ما رواه لي الكمالي فيما بعد مضيفاً: «كان لدينا جميعاً نفس الشعور عندما خرجنا من عنده». يقول مدير صحة محافظة البصرة آنذاك، نزار شاهبندر، الذي كان عضواً في لجنة مهمتها الإشراف على كل شيء يخص فترة إقامة الخميني والاعتناء به أثناء المرور من هناك والتوجه إلى الكويت: «كان الخميني غاضباً واثراً بشكل جنوني»<sup>(١)</sup>.

غاضباً من أي؟ واثراً على من؟ أيها الحاقد المعقد! أكثر من عشر سنين وأنت تتنعم بخيرات العراق، وتتقلب في نعمه. من أنت؟ ومن أين أتت كل هذه الكبرياء الجنونية؟ وهذا الحقد الذي يأكل كبذك كالجرب بحيث لا تتحمل أن تنظر في وجوه قوم طالما أحسنوا إليك! ما سوء الأدب هذا؟! وزير وحاشية تتجشم عناء المجيء إليك من بغداد، احتراماً لشيبتك وصفتك طبقاً لأخلاق العرب، من أجل أن يبلغوك أمراً كان يمكنهم بكل بساطة أن يستدعوك إلى أقرب مركز شرطة ليبلغوك إياه، أو يرسلوا إليك شرطياً يقوم بالمهمة، أو يشد وثاقتك ليرميك خلف الحدود، أو يسلمك إلى الشاه يفعل بك ما يشاء، وينهي قصتك. لكنهم لم يفعلوا بك ذلك كله - وهم قادرون لو أرادوا - واعتبروك ضيفاً، أو (دخيلاً) يلزمهم الخلق العربي أن يعاملوه معاملة خاصة. وفوق ذلك أولوك - بلا معنى - احتراماً لا تستحقه، وتأبى عليك نفسك المعقدة أن تفهمه كما

(١) كنت طبيباً لصدام، ص ٨٥-٨٦، الدكتور علاء بشير، مصدر سابق.

يفهمه الأسوياء؛ فأرسلوا إليك وزيراً! فتستكثر على وزير احترامك ووقرك وقطع إليك كل تلك المسافة، أن تستقبله وتصافحه وتكرمه كما يجب عليك الدين الذي تنتسب إليه، أو الخلق الإنساني على الأقل؟! ولكنها العقد الفارسية: عقدة السيد وعقدة الصفاقة وعقدة اللؤم ونكران الجميل و... و... ليس الذنب ذنبك، إنما ذنب أولئك الذين احتراموك. ألم يكن فيهم رجل رشيد يقوم إليك في تلك اللحظة ليمرغ أنفك بالحذاء، ويخرج تلك الشمخرة من ذلك الأنف الخبيث؟ ثم يرميك على حدود إيران؟ عفواً أيها(السيد)! المشكلة فينا، وليست فيكم. ولعل الكثيرين لا يعلمون أنك من أرباب السوابق الذين سجلت في حقهم دعوى في شرطة النجف أيام كنت طالباً في الحوزة وقد ضبطت مع عريف في الجيش متلبساً بالجرم الذي لا يكاد يسلم منه معمم فارسي! من هنا خرجت تلك العنجهية، وتلك الكبرياء الفارسية الفارغة. من هنا شحنت بذلك الحقد وتلبست بتلك الغطرسة! هل عرفت نفسك؟!

### وشهد شاهد منهم على مثله

يقول شيعي محترق، لكنه عليم بحال الفرس، خبير بهم لطول معاشرته إياهم هو محمد طه الكرمي: (والفرس بطبيعتهم أنانيون يتطلبون مساقط العنوان، ومهابط الفخفخة، بكل ما يتمكنون، وبأي طريق يحصل لهم ذلك. ولذا كثرت فيهم المذاهب، وتفتقت شعب الدين؛ لأن هذه الاختلافات من مظان الترقى وشهرة الاسم. ففيهم كثرة الصوفية والأقطاب. وفيهم الشيخية، وفيهم البابية والبهائية. وفيهم المجوسية لحالهم الحاضر. وفيهم الكسروية واللامبدئية بصورة فاشية، إلى غير ذلك من مشارب ومذاهب... وزعيم الشيخية، الذي منهم وعندهم، آية في التجبر والتنفس والتعنون والتنعم والثروة. وهكذا نوع طبقاتهم الشاخصين، إن باسم الدنيا، وإن باسم الدين. ولم يحدثنا التاريخ، فيما سبق لنا من سلف، أنهم يستأجرون المأمومين وطلبة العلم لصلاة الجماعة وحضور حلقة الدرس بدراهم ودنانير كما أوقفنا عليه في حاضره هذا، ومن الفرس فقط ومن تأثر بروحياتهم فحسب.



وهم أناس متحركون يعرفون كيف يسلكون في تصيد الدنيا والعنوان. فيشتري من يريد منهم الاسم والعنوان، وأنه صار مندوباً في المجلس النيابي في الدورة السادسة عشرة مثلاً الرأي الواحد بمئات الدراهم، بل بالآلاف، وإن كان لا يستفيد من الكرسي سوى الاسم فقط! ويهاجر الذي لم يجد منهم في داره حيلة ومناصاً إلى مناطق تغلب عليها البساطة حتى يستطيع التأثير عليها. وإذا به (آقا خان المحلاتي) دب لا يعقل سوى الأكل والشرب والبطن المنتفخ، واكتناز الأموال، واحتجاز الغواني في قصره المشيد في الهند<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: (فالرجل الفارسي إذا حصل في الجامعة أقل عنوان من تمول أو رياسة أو علم، نفخ صدره بما لا حد معه مبدئياً كان أم مادياً. حتى إن العلماء الرامين إلى التدين وترويج الشريعة منهم إذا خولهم الزمان أقل فرصة من فرصه فسادوا واشتهروا لا تحملهم الأرض يمشون عليها من

(١) الحياة الروحية، الحلقة الثانية، ص ٢٤٤، محمد الكرمي، مصدر سابق. والكتاب مليء بالظعن في الصحابة فمن دونهم من حملة ديننا، وصناع تاريخنا. وإن أعجب فعجبي من عنوان الكتاب (الحياة الروحية)!!! وليس فيه من (الروحانيات) سوى ذلك النيش الفارسي المكرر الممل نفسه لتاريخنا والإساءة إليه بكل سبيل، وفي خيرة عصوره الزاهرة! وأعجب منه تناقضه في ادعائه الانتساب إلى أمة العرب، ثم هو يحذو حذو الشعبين المتطرفين في ذم تاريخها، ومخالفة دينه وعقيدتها! انظر إليه كيف يقول: (أفیرجی من هذه الأمة المتخاذلة من بادئها القديم ما سوى عصر النبوة وقليل بعده إلى حاضرها الفعلي التي تكيّل دينها جزافاً ومجاناً أن تقوم بحفظ ناموسها المبدئي، وتحفظ بشعارها الديني، وتمشي إلى جنب مقرراتها مشياً صحيحاً، لا غش فيه ولا تدليس بدافع نفسها وباختيار منها. كلا وحاشا. فإن الأدوار التاريخية لا تزال - كما لم تزال - تحدث عن الأمة الإسلامية أحاديث مشوهة توجب الخجل والفشل، يعلم الله. ولو جاز لنا أن نكشف الغطاء عن مساوي هذه الأمة وذنوبها بالنسبة إلى دينها وعقيدتها، وخيانتها لمبدئها القويم، لمألأنا المجلدات الضخمة بأحاديث لا تقبل الريب والتشكيك في صدورهم ووقوعها من الخليفة أمير المؤمنين إلى من دونه بمرفقة، وهكذا إلى أدنى الطبقات)!!!/أصول الدين الإسلامي، الحلقة الرابعة من سلسلة الحياة الروحية، ص ٢٣٥. وهذا من الدلائل على أن التشيع الخبيث إذا تمكن من قوم لم يعد بينهم من فرق في عقدهم وعقائدهم، فرساً كانوا في أصلهم أم عرباً أم غيرهم، إلا في أمور ظاهرية غير مؤثرة. فافهم تسلم.

تبخترهم. دع عنك ذواتهم؛ فقد تكون لها قيمة ذاتية، ولكن هلمّ الخطب في خدمهم! فتراه بعد أن كان حملاً يستأجره أقل الناس لحمل أثقاله بدراهم بخسة، فوفقه الزمان لخدمة هذا الرجل لا يعير التفاتاً لأي أحد، وبالأخص إذا كان من الروحانيين الذين يتقاضون من مخدومهم الخبز والدراهم<sup>(١)</sup>.

### المتسيد لا يحترم إلا من يذله

والسيد لا يلتفت إلى إحسان العبد تجاهه؛ لا اعتقاده أن ذلك حق من حقوقه. وكل ما يقدمه (العبد) تجاه (السيد) يعتبر خدمة واجبة عليه لا يستحق عليها الشكر. ولا يلتفت السيد إلى رأي العبد كذلك، ولا يسمع لكلامه بل قد لا يسمح له بالكلام في حضرته أصلاً لأنه عبد.

إن عقدة (السيد) عند العجمي والمستعجم تبطل مفعول أي إحسان تقدمه إليه من أجل تقريبه وكسبه. وتجعل آذانه في صمم عن سماع كلامك ورأيك ما لم يكن كلام سيد يمتاز بالقوة والجرأة والاستعلاء اللذين يمتاز به كلام السادة مع العبيد. إن هذه العقدة تفرض على من يتعامل مع المصابين بها أحد خيارين: فإما أن يتعامل معهم كـ(سيد)، وإما أن يعاملوه كعبد! وليس من خيار ثالث.

إن اللين واللطف وجميع أساليب التقريب ليست أكثر من (مغذ) أو حقنة (فيتامينات) تغذي هذه العقدة عند (الفارسي) وتقويها! فيبتعد أكثر عن (اللينين) الوادعين. ويتصامم عن سماع كلامهم ويحتقرهم ولا يعاملهم باحترام؛ لأن (السيد) لا يحترم إلا سيداً مثله، ولا يعتبر إحسانه إليه. بل يفسر كل مجاملة أو تعامل لطيف على أنه ضعف أو خداع! فإذا أردت منه أن يحترمك ويسمع لكلامك فكن سيداً مثله في خطابك وموقفك وكلمه بلغة السيد ولهجته. وإن علوت أكثر وأشعرته بأنك فوقه وأنه دونك فهذا أجدى. وإلا فإن الطريق الآخر مسدود.

والتاريخ - وكذلك الواقع - خير شاهد.

(١) أيضاً، ص ٢٤٧.

### ما ضعف العراق في التاريخ مرة إلا وغزاه الفرس

ثبت تاريخياً أن (الفرس) لا يحترمون إلا القوي، ولا يعترفون إلا به ولا ينصاعون إلا للقوة ولا يفهمون سوى خطابها ولغتها. وما من مرة تولى فيها الحكم في العراق حاكم ضعيف إلا وتحرك العجم باتجاهه يغزونه ويعتدون عليه. وما من حاكم قوي إلا وله معهم موقعة يلقنهم فيها أحكام الدروس وأبلغها. من أوتوحيكال وسرجون إلى حمورابي ونبوخذ نصر إلى آشور بانيبال وسميراميس إلى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وصولاً إلى صدام حسين. عندها قد يسمعون له وهو يتكلم لهم عن (أسطورة) الجار وحقوقه أو الدين ولوازمه وآدابه. كاليهود تماماً! أخذ الله عليهم الميثاق وهم تحت الطور الذي يكاد ينقض عليهم، ثم ما إن ذهب عنهم الخوف حتى تولوا فكانوا من المعرضين! وعلى هذا الأساس تعامل معهم رسول الله ﷺ فنجح أيما نجاح.

ولقد أثبتت الوقائع، والأحداث والواقع، أن جميع محاولات التقريب لم تجد مع الشيعة شيئاً، وأن الأفكار التقريبية والدعوات اللينة أو (الهادئة) وكلمات المدح والتزلف تنقلب عندهم - لفساد مزاجهم - إلى سلاح متفجر يحاربوننا به ويفجرونه في وجوهنا كل حين. إن هذا لا يزيدهم إلا عتواً وخبالاً، ولا نكسب منه إلا مزيداً من الأدلة أو الأسلحة التي تستعمل ضدنا بوقاحة وصلف!

هل أجدت معهم هذه المقولات الخائفة: (لولا علي لهلك عمر) (لولا السنتان لهلك النعمان) (إن جعفر الصادق هو إمام المذاهب)..  
الخ؟!

على العكس! لقد استعملوها بالمقلوب واعتبروها أدلة على جهل عمر وأبي حنيفة، وأن الأصل هو التشيع وما عداه ففرع وعالة.

إن السيد - أيها السادة! - لا يحترم إلا سيّداً مثله أو يزيد عليه.





(٩)

## عقدة الاستخذاء

أراد الأصمعي أن يثبت من مضارع الفعل (استخذى) أهو مهموز أم غير مهموز؟ فسأل أعرابياً: أتقول: استخذيت أم استخذأت؟ فرد عليه: لا أقولهما. قال: ولم؟ قال: لأن العربي لا يستخذى.

### عقدة النقص هي الأساس

تظهر على المتشيع فارسياً صفتان تبدوان - في ظاهرهما - متناقضتين، لكنهما في الحقيقة جد متناسقتين: فهو من ناحية متكبر متغطرس ولكن مع من هو دونه، أو مع من يقوم تجاهه بمراسيم الاحترام، وذلك بسبب عقدة (السيد). وهو متذلل متمسكن يتملق، لكن مع من هو أقوى منه، أو من يذله بسبب عقدة النقص.

إن المثل القائل: (يتمسكن حتى يتمكن) ينطبق عليه تمام الانطباق. ولقد رأينا العجم في مجتمعنا - والمستعجمين - يرتقون سلم الوجاهة والنفوذ من تحت سطح البحر خدماً في البيوت والدوائر وفراشين، ويمتهنون مهناً دنيئة و.. ومن هناك يرتقون!

وقد عبّر الباحث الأمريكي جاك ميلوك - كما مر بنا سابقاً - عن هذه الصفة عند الفارسي أصدق تعبير حين قال: (إن الملق والمداهنة والكذب والغش يجب أن تكون جميعاً الأدوات التي يحتاجها الفرد لأجل أن يتقدم

ويصعد إلى أعلى. لقد قال زعيم إيراني: إن الإيرانيين هم مثل الحرباء. إنهم يغيرون ألوانهم كل يوم وتتلون سياساتهم بما يتناسب مع ألوانهم المتغيرة. إن استعمال تعبيرات مثل: (إنني عبدك المطيع) أو مثل (إنني التراب الذي تطأه قدمك) أو (دعني اقبل رجلك ألف مرة)<sup>(١)</sup> هي جميعها جزء صغير من مفردات قياسية للغة اليومية التحادثية. مثلهم كمثل إخوانهم اليهود الذين ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]. وفي الوقت نفسه لا يخلجون من قولهم: ﴿وَنَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١١٨].

من مظاهر الملق عند المستعجم تقديسهم للعلماء إلى حد التأليه، واتخاذهم أربابا من دون الله يتذللون لهم ويقبلون أيديهم ويمارسون معهم جميع طقوس الخضوع الذليل التي لا تليق بعربي أو مسلم كريم. هذه الخاصية الخلقية الفارسية لها أكثر من جانب يفسرها إضافة إلى النظر إليها من خلال عقدة النقص الأصلية.

### المضطهد يقدر القوة

عقدة الاضطهاد مثلاً لها دور فاعل في تكوينها. المضطهد المغبون يميل إلى عشق القوة، وقد يصل به الأمر إلى حد التقديس، والوله المجرد؛ فهو يقدر القوة كيفما كانت، ومن أي جهة صدرت! فإذا كانت في جانبه أصابه الزهو، وتلبسته الكبرياء، ومضى يذل الآخرين ويستعبدهم

(١) إن هذا يذكرني بما هو شائع في الجنوب العراقي من هذه الألفاظ وأمثالها: أبوس إيدك، أنا خادمك، عبيدك (مع ترقيق الباء). والإشارة إلى الأشياء بأسمائها المصغرة: خبيرة (خبزة)، مَيَّة (ماء)، ثليجة (من الثلج)، ثوب (ثوب)، رُجِيَّة (رَقِيَّة)، بَطِيخَة (بطيخة)، طَمِيطَاية (من الطماطم)، حَويرة (من الخيار)، بعد رَوِيحتي (روحي)، بعد عوينتي (عيني) الخ... وهذا يدل على تأصل المذلة والعبودية والمسكنة في تلك النفوس. وإلى ذلك أشار عبدالرحمن الكواكبي بقوله: (يستدل على عراقية الأمة في الاستعباد أو الحرية باستنطاق لغتها: هل هي قليلة ألفاظ التعظيم كالعربية مثلاً، أم هي غنية في عبارات الخضوع كالفارسية وتلك التي ليس فيها بين المتخاطبين أنا وأنت، بل سيدي وعبدكم) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٥٠، عبدالرحمن الكواكبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ، ١٩٧٣م، دار القرآن الكريم، بيروت.

يريد منهم أن يعبدوه أداءً لحق القوة المقدسة التي يمتلكها. وإذا كان ضعيفاً لا يملك القوة، توجه بالتقديس والتذلل نحو من يمتلكها، فيعامله بالمذلة والملق والاستخذاء! لقد عبد الفرس النار؛ لأنها رمز القوة المتناغمة مع نفوسهم: النار قوة هوجاء مخربة، والفرس كذلك.

ولربما يفسر هذا أساس علاقتهم مع الشيطان المخلوق من نار، وهي كعلاقة إخوانهم المنافقين به. ويسمون القوة العظمى في العالم - التي هي أمريكا - (الشيطان الأكبر)، الذي ما إن قدم إليهم حتى قدموا له فروض الطاعة، وتعاونوا معه. أما عداؤهم له، فادعاء فارغ يقوم على عقدة الاستعراض لا أكثر. وقد تكون في الآيتين الآتيتين أشارت إلى هذا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾﴾... ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

### اجتياف عملية التبخيس

جانب آخر يفسر هذه الخاصية الفارسية هو اجتياف عملية التبخيس والتقزيم التي يغرستها القوي في نفس الضعيف، فيتمثلها بدوره مشاعر قلة ودونية لذاته، وإعجاب وانبهار بالقوي المتسلط، تنعكس على تصرفاته ملقاً وذلة ومسكنة، كما قال تعالى عن إختوتهم اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبُغْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢]. انظر إلى الذلة والمسكنة كيف اجتمعت مع التكبر والعصيان والعدوانية إلى حد قتل الأنبياء!

يقول د. حجازي: (إن أبرز مظاهر اجتياف التبخيس والعدوانية للذين يفرضهما عليه المتسلط هو الإعجاب به والاستسلام له في حالة من التبعية الكلية. وبمقدار ما ينهار اعتباره لذاته يتضخم تقديره للمتسلط ويرى فيه نوعاً من الإنسان الفائق الذي له حق شبه إلهي في السيادة والتمتع بكل الامتيازات. تلك علاقة رضوخ «ماسوشي» من خلال الاعتراف بحق

المتسلط بفرض سيادته. ومن هنا تبرز حالات الاستزلام والتزلف والتقرب. ويتحدد الاعتبار الذاتي انطلاقاً من درجة التقرب من المتسلط... الذي يعود فيزدريه من جديد لرضوخه واستكانته وتبعيته، محملاً إياه كل الوزر، معتبراً دونيته كجزء من لا يتجزأ من طبيعته؛ مما يبرر لنفسه كل أشكال القهر التي يمارسها<sup>(١)</sup>.

وهذا ملاحظ بوضوح على المجتمعات الشيعية من خلال علاقتها بالحاكم، وتقربها منه بأنواع القربات، وعلاقتها بالمستعمر كذلك. ومن أوضح الأمثلة علاقتها بالمرجع أو (السيد)، وتقديسها له تقديساً يصل أحياناً إلى حد العبادة، مع استهانتهم بهم، ومعاملتهم الفوقية لهم!



الماسوشييه وعنده الاستعداد.....

(١) التخلف الاجتماعي، ص ٤١.



(١٠)

## عقدة الشك

(كان معنا في الزنزانة معتقل إيراني الجنسية، لا يكلم أحداً، فهو يفهم العربية ويتكلمها قليلاً. ولكنه لا يكلمنا؛ لأنه يشك بأن أحداً من بين المعتقلين معنا في الزنزانة مدسوس من قبل المخابرات. وزع أغلب وقته في روتين منتظم: إما يصلي أو يدعو ويتوسل إلى ربه. ويأخذ التوسل



السادية وعقدة السيد

والدعاء هذان أغلب وقته. قبل الغروب يومياً، أي قبل أن تصبح الزنزانة معتمة، يبدأ بفاصل البكاء الذي يتراوح بين نصف ساعة وأكثر، ويردد كلمات أو جملاً. لا يوجه كلامه إلى أحد بل يكلم نفسه فقط. كان يرافقنا عندما نذهب إلى الحمام، ويكون

عادة متهيناً كالأخرين لدورة الحمام، ولكنه لا ينظر باتجاهنا، ولا يرغب في أن ينظر إليه الآخرون، بل يعيش طوال أيامه معنا في عزلة مطبقة. لم نكن نفهم ما يعني أو يقول، هل هو دعاء أم عتاب أم شكوى إلى الله! لا ندري. ثم يعمد ويمسك قدمه اليمنى ويبكي بصوت خافت وحزين، كالأنين، ويتكرر هذا البكاء والأنين في الصباح التالي. علمت من الذين كانوا أقدم مني في الزنزانة أن هذا الرجل قضى في هذه الزنزانة ما لا يقل عن ثلاث أو أربع سنوات. فهو أصلاً كان راعياً على الحدود العراقية - الإيرانية. ولم يمض على نقلي لهذه الزنزانة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، حتى جاء الحارس ونادى الرقم المعين، وأخذ هذا الإيراني جميع ملابسه وغادر. فرحنا جداً له وقال الجميع: (خلص هذا المسكين). كان هذا كل ما تم من همس بحق هذا الرجل، ولكنه همس لا يعبر إلا عن جزء من شعور كل منا بالظلم في حقه، والقسوة المريعة التي كنا نعيشها ونعاني منها<sup>(١)</sup>.

جاء هذا في كتاب لرفعت الجادرجي سجل فيه قصة اعتقاله على أيدي المخابرات العراقية السابقة، كنت أقرأ فيه - ومن باب التنويع والترويح - فلفت انتباهي ما جاء في ثناياه - دون قصد من الكاتب - عن حالة ذلك الشخص الإيراني الذي كان معتقلاً معهم. والصورة تعبر بوضوح عن الشخصية الشكاكة التي يتمتع بها الفارسي.

جاء في النصوص الفارسية القديمة: (هل ادعى لك الملك ذات مرة أنك آمن تماماً وأنت في معيته؟ إذن ابدأ منذ تلك اللحظة في الإحساس بعدم الأمان. فإذا ما دأب إنسان على تسمينك، فلا بد أن تتوقع أنه سرعان ما يذبحك)<sup>(٢)</sup>.

(الفارسي) شخص ساكن أو مسكون بالخوف، يتوجس دوماً من

(١) جدار بين ظلمتين، ص ١٦٠، بلقيس شرارة ورفعة الجادرجي، ط ١/٢٠٠٣، دار الساقى، بيروت - لبنان.

(٢) الطاغية، ص ٣٥٨، د. إمام عبدالفتاح إمام. مصدر سابق.

تصرفات الآخرين ويشك في نواياهم. إن شعوره الحقيقي بالضعف تجاه المحيطين به، والذي تسبب في إصابته بعقدة النقص، جعله يلتجئ إلى هذه الحيل النفسية عبر التاريخ من أجل حماية نفسه منهم. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى - ولأجل السيطرة عليهم - فإنه يثير لديهم الخوف من كل ما هو أجنبي، وينمي هذه العقدة في نفوسهم ليحقق التفافهم حوله على أنه الملاذ الآمن الوحيد. وإلى هذا أشار د. عماد عبدالسلام بقوله: (لقد أدرك الفرس أن تحقيق سيطرتهم على عدد كبير من القوميات يفوقهم بعضها عددا وحضارة لا يكون إلا بإخضاعها إلى ضغط تحد خارجي وإثارة شعور التوجس لديها من خطر ما يأتي من الخارج)<sup>(١)</sup>.

وبفعل تراكم الزمن وعوامله ترسخ هذا الشعور، حتى غدا عقدة بل صار سجية لا تفارق (الفارسي) أبداً، ومرضا معدياً يصيب الآخرين الذين يثقون به ويتأثرون بفكره وديانته. فتجد أحدهم لا يطمئن أبداً إلى سلامة نية الآخرين تجاهه، ويفسر تصرفاتهم الطبيعية وأعمالهم الطيبة، ويؤولها دائماً، أو يحملها على غير ظاهرها. وهو ما لمسنه واضحاً وفاشياً في أوساط المستعجمين أو المتشيعين فارسياً حتى من تغير منهم في فكره، ولكنه ظل مستعجماً في عقله ونفسه وشعوره وخلقه، ويمارس عملية (إسقاط) ما بداخله من عيوب على الآخرين. ولا بأس أن أثبت هنا ما قاله الباحث الأمريكي جاك ميلوك: (إن هذا الشعور بالارتياح يجعل الإيراني يعتقد بأنه ليس هناك شيء بنفس البساطة والاستفادة التي ربما يظهر عليها، وإنه لا يمكن قبول الأمور على أساس قيمتها السطحية أو الظاهرية).

### قصة الملا ناصر الدين والحمال..!

وفي قصة (الملا ناصر الدين والحمال)، تصوير دقيق لهذه النفسية المفعمة بالشك والتوجس والارتياح من الآخرين. وذلك عندما يطلب ناصر الدين من أحد الحمالين مساعدته في نقل حقيبة إلى داره:

(١) مقدمة كتاب الصراع العراقي الفارسي، مصدر سابق.

- الحمال: فديتك بنفسي يا مولاي وأين دارك؟

- ناصر الدين: (باستغراب) يا لك من شخص متوحش وسيئ الصيت وربما سارق يجب رفضه! هل تظنني ساذجاً حتى أخبرك موقع داري؟ (!).

### التوجس من كل شيء

يقول الشخص الإيراني العادي: إذا ما كنت نزاعاً إلى الثقة بالآخرين فسوف يقوم البقية باستغلالي؛ لذلك فإنه من السخف والحمافة أن يكون المرء واثقاً مما حوله. إن المعنيين بدراسة إيران وشؤونها متفقون عموماً على الاستنتاج القائل بأن الارتياب وعدم الاطمئنان والتخفي الديني تحت مظهر كاذب هي مميزات الإيرانيين<sup>(١)</sup>.

حتى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة تعاملوا معها على هذا الأساس. إن لكل آية أو حديث عندهم باطنا غير ظاهره. وكل قول أو تصرف لعالم أو إمام يمكن أن يفسر تفسيراً يغيّر ما يتبادر إلى الذهن منه. من هنا نشأ القول عندهم بـ(التقية).

إن ظواهر النصوص والتصرفات ما هي في تصورهم - إلا أغطية كثيفة لمقاصد بعيدة جداً بعداً يمكن أن يصل إلى حد الانقطاع بين الصلة الظاهرية والباطنية للفظ فلا يعود للغة وضوابطها عندهم أي اعتبار! يروي الكليني عن موسى بن جعفر أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فقال: إن هذا القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور. وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الباب ادعاؤهم أن رسول الله ﷺ إنما اصطحب أبا بكر في الهجرة حتى لا يشي به أو يدل عليه!

(١) جاك ميلوك، مصدر سابق.

(٢) أصول الكافي، ١/٣٧٤.

## تفسير التاريخ

وهكذا تعاملوا مع أحداث التاريخ. فهم لا ينظرون إلى الحدث بموضوعية كما هو عليه، بل يفسرونه طبقاً إلى هذه العقدة. بل يصنعونه ثم يروونه كما يحلو لهم ويتمنون أن يكون قد وقع، لا كما وقع بالفعل. فعلي زوج ابنته أم كلثوم لعمر (تقية) وخوفاً واغتصاباً! وسمى أولاده باسم أبي بكر وعمر وعثمان ملقاً و(تقية) كذلك. والحسن بايع معاوية (تقية) أيضاً.

إنهم (يسقطون) ما في نفوسهم المكبوتة على الآخرين. كما يقول د. عزت راجح:

(إن الكبت يجعلنا نسقط عيوبنا ومقاصدنا السيئة على غيرنا من الناس فَنَسِيءُ تأويل سلوكهم. فالمرتاب في نفسه الذي لا يعترف لنفسه بذلك يرى الريبة في غيره. والذي يكبت العداوة للغير يرى العداوة في سلوكهم. والزوج الذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجته يميل إلى اتهامها بالخيانة. والأناني أو البخيل أو المغرور الذي ينكر هذه الخصلة لديه ينسبها إلى الناس، ويغالي في تقديرها لديهم)<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أنهم يكابرون منطق الأحداث مكابرة عجيبة؛ فلا يصدقون - مثلاً - أن أحداً من (الأئمة) مات ميتة طبيعية: فهم بين مسموم ومقتول ومخنوق!

حتى (المهدي) المعدوم اختفى خوفاً على نفسه من القتل رغم إجماع المؤرخين على العلاقة الحسنة بين البيت العباسي والبيت العلوي آنذاك! وليس (المهدي) هذا إلا صورة طبق الأصل عن الشخصية الفارسية المأزومة والمصابة حتى النخاع بعقدة الشك! فإنه رغم تغير الأحوال وظهور دول تنادي صباح مساء - حتى بحت أصواتها - بخروجه وفرجه

(١) أصول علم النفس، ص ١٧٥.

العاجل، إلا أن المسكين لا يصدق كلامهم ولا يثق بأحد منهم! فمن يدري لعلهم نصبوا له كميناً وهذا النداء ما هو إلا خديعة ومكر، أو فخ لاصطياده فهو مستمر بالاختفاء وعدم الظهور، حتى يفاجأ بيوم النشور! وإلا لخرج منذ زمن بعيد.

إن هذه النفسية المعقدة المفعمة بالشك لا تستجيب لسياق المنطق. ورواياتهم مليئة بالتناقض لكنهم يتقبلونها رغم تناقضها؛ لأنهم يفكرون بنفوسهم لا بعقولهم. وإذا كان الأمر كذلك فإن النفس المعقدة المعوجة تنتج فكراً معقداً معوجاً متناقضاً. ويمسي العقل في هذه الحال مجرد نقطة عبور خالية من الحرس!

تأمل كيف يعتقدون أن الحسن بن علي عليه السلام قد مات مسموماً أيضاً وعلى يد زوجته! إن امرأة تسم زوجها حتى الموت ليست صالحة، وليست أهلاً لأن يتزوجها الصالحون. فكيف تزوجها الحسن وهو - عندهم - معصوم من الخطأ!

لكن عقدة الشك والتعصب والحقد وعقداً أخرى تكفي لبلع هذا التناقض وزيادة دون أدنى شعور به! مع جنوحهم إلى الاحتجاج بالمشابهات مثل اقتران نوح عليه السلام ولوط عليه السلام كذلك بامراتين كافرتين مع عصمتهم. وهو نوع من الاحتجاج للخطيئة بالخطأ! فد(العصمة) التي ألصقوها بالحسن لا تشبه عصمة الأنبياء الثابتة لهم عليهم السلام. (فعصمة الأئمة) مطلقة غير قابلة للخطأ وعصمة الأنبياء ليست كذلك. ثم إن الزواج من امرأة تتأمر على زوجها بسبب شهوتها ورغبتها في رجل آخر إلى حد القيام بسمه يستلزم سوء الاختيار والخطأ الحتمي فيه من قبل الزوج. ولا شك أن سيدنا الحسن عليه السلام حين اختار هذه المرأة إنما اختارها لدينها وخلقها. ولا بد أنه سأل عنها وتثبت من ذلك ثم بعده أقدم على الزواج منها. فما فعلته بعد - مما يقوله الرافضة - يستلزم عدم التثبت، والخطأ في تصور صلاحها وهو يتناقض مع (العصمة) المطلقة أو يضطر إلى القول بأن الحسن تزوجها لغايات دنيوية فقط، وهو ما لا يليق بصغار الصالحين فكيف بكبار المصلحين!؟

ثم أن الشيعة يعتقدون أن (الإمام) يعلم الغيب وما كان وما يكون<sup>(١)</sup>، فهلا علم الحسن بأن امرأته غير صالحة أو أنها ستسمة فلماذا أقدم على الاقتران بها؟ أفيعمل إنسان على جلب الشر والسوء لنفسه؟! أم لم يقل الله تعالى وهو يخاطب نبيه ﷺ:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؟!

لقد تزوج هذه المرأة (جعدة بنت الأشعث) بعد موت الحسن ابن عمه العباس بن عبدالله بن عباس، ثم تزوجت من يعقوب بن طلحة. أفيغيب عن أبناء عم الحسن أنها سمته ويعلم ذلك الشذاذ المفترون؟ أم أنهم آمنوا على أنفسهم من امرأة تسم زوجها؟ أم ماذا؟!

ورغم كل هذا فالأسطورة باقية تقاوم جميع عوامل التعرية! وتستطيع أن تجرب بنفسك وتناقش رافضياً حول هذا الموضوع لترى مكونات الحشوة الدماغية التي ترقد مستقرة في قحفه! وتسمع أن الحسن صار يلفظ قطع كبده من فمه! وأنا لا ادري ما الذي جاء بالكبد إلى المعدة مع أن الكبد في يمين التجويف البطني والمعدة في شماله! ما هذا الأنبوب المجوف الذي يصل بينهما؟ أم أن أحشاء (الأئمة) تختلف تشريحياً عن أحشاء بني آدم؟!

من هنا نفهم قول د. موسى الموسوي عن الخميني: (إن الرجل شديد الظن بكل شيء، ومن الصعب عليه أن يسمع كلاماً ويحمله على الصحة أو الإخلاص. ومن هنا جاءت معاملته لكثير من المتعاونين معه سيئة)<sup>(٢)</sup>.

هل رأيت مدى عمق هذه العقدة (عقدة الشك والتوجس) في النفسية الفارسية؟!!!

(١) راجع أصول الكافي للكليني ٢٦١/١ باب (إن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم).

(٢) الأستاذ الخميني في الميزان، ص ٦، د. موسى الموسوي.





(١١)

## عقدة الغدر

وقف الفاروق عمر رضي الله عنه يوماً وهو يخاطب جموع العرب المتوجهين لتحرير العراق: (احذروا العجم فإنهم غَدَرَة مَكْرَة). فالغدر خلق أصيل عرف به العجم منذ القدم.

والسبب الأصيل وراء هذا الخلق الذميم هو (عقدة النقص) أو الضعف؛ فإن الضعيف إذا سنحت له الفرصة لا يتركها تفلت من يده لخوفه من فواتها إلى الأبد، وانعدام الثقة بالنفس وقدرتها على اصطناع الفرص عند الحاجة؛ فهو لا يعفو عند المقدرة أبداً.

ومن أسباب الغدر عقدة اللؤم التي تجعل صاحبها يتمرد على من يحسن إليه ويبغضه ويتطير من رؤيته؛ لأنها تشعره بنقصه أمامه. لكنه لا يجد مبرراً لعداوته في العلن فيضطر إلى الكيد به في السر. وهذا هو الغدر ذلك الخلق الفارسي الأصيل. تغذيه عقدة التوجس والارتياح والشك في كل تصرف أو فعل فلا يأخذه على ظاهره، بل لا بد له من تفسير سلبي في الباطن؛ إذن لا بد من التوقي منه بتوجيه الضربة الأولى. ولقد مر بنا سابقاً في الدراسات النفسية قول جاك ميلوك: (إن الفرس يشبهون رجلاً مدفوعاً في حياته بواسطة رغباته الطبيعية التي يتربع على قمته الخوف. وذلك من أجل الحفاظ على أنفسهم من أخطاء الهجمات. وبسبب شكوكهم، وعدم ثقتهم بالآخرين فليس لديهم القدرة على الامتزاج. إنهم

يبحثون عن الأمان في الانعزالية عن الناس أو بواسطة توجيه ضربتهم الأولى).

## شواهد التاريخ

والشواهد على غدر الفرس لا تحصى.

يحدثنا التاريخ أن (الهرمز) قائد الفرس في (ذات السلاسل) لم يخجل أو يتردد من الخروج المخزي على تقاليد الفروسية حين بيت كميناً وطلب من خالد بن الوليد قائد العرب أن يبرز له حتى إذا التقيا خرج الكمين ليقتل خالداً! مع أن الشرف العسكري، وأعراف العسكرية تستلزم أن تكون المباراة واحداً لواحد، أو اثنين لاثنين...

وهكذا.

ومن شواهد التاريخ ما فعله الشاه أحمد القاجاري بالشيخ خزعل الكعبي أمير المحمرة، حين دبر له مكيدة في نيسان سنة ١٩٢٥ بمساعدة البريطانيين، قادها الحاكم الإيراني فضل الله زاهدي الذي تظاهر بالانسحاب والعودة مع جنوده إلى طهران إثر معارك بين الجيش الفارسي والقوات العربية في الأحواز، حصل بعدها صلح بين الطرفين، وقد أبدى زاهدي رغبته في توديع الشيخ خزعل، مع ضمانات من القنصل البريطاني بضمن سلامته. وفي حفلة التوديع التي أقيمت على اليخت الخزعلي في شط العرب نفذ الحاكم الفارسي نيته المبيتة فغدر بالشيخ خزعل، وقام جنوده باعتقاله واقتياده إلى طهران، ليموت في معتقله سنة ١٩٣٦ بعد إحدى عشرة سنة قضاها في الاعتقال<sup>(١)</sup>.

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، لتتكرر المشاهد نفسها بين الفرس والعرب، وما خبر النعمان بن المنذر عن هذا ببعيد. والغبي الغبي من وثق بالفرس

(١) الشيخ خزعل أمير المحمرة، ص ٧٣-٧٤، مجموعة من المؤلفين، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان.

وشيعتهم! وهل دمر دولة الإسلام على مر العصور إلا العقدة التاريخية المتكررة: (الوزير الفارسي والخليفة العربي)<sup>(١)</sup>؟! وهل كان للخلافة الإسلامية العباسية أن تسقط لولا خيانة ابن العلقمي الوزير الفارسي في دولة الخلافة وغدره بها، الذي راسل التتار، وخفض عدد الجند حتى صار عدد جيش الخلافة المدافع عن بغداد عشرة آلاف جندي فقط؟!

### وتتكرر الشواهد

ويكرر التاريخ نفسه ليقوم أحفاد ابن العلقمي الجدد (السيستاني وآل الحكيم وآل الخوئي وأحمد الجلبى وأياد علاوي وإبراهيم أشقوري الجعفري) بالدور نفسه. قصة احتلال التتار لبغداد نفسها قد تكررت على أيدي هؤلاء المجرمين مرة أخرى. وغدر السيستاني وأبالسته بالعراق الذي يعيشون فيه ويتنعمون بخيراته. والعربي يقول: البئر الذي تشرب منه الماء لا ترم فيه حجراً. فتجد عموم أهل السنة في العراق اليوم يقاومون المحتل الأمريكي، بينما تجد الشيعة - إلا من رحم - قد خانوا دينهم الذي يدعون الانتساب إليه، وباعوا وطنهم الذي يعيشون فيه، وغدروا بمواطنيهم أشنع الغدر حين اصطفوا مع المحتل الكافر، وصاروا يضربون أهل السنة في ظهورهم، متوهمين أن فرصة تاريخية سنحت لهم، لا بد من استغلالها لإنهاء الوجود السني في العراق. فأى خيانة؟! وأي خسر وغدر؟!!!

كما غدر الخميني وجوقته بكل من تحالف معهم، من أهل السنة وغيرهم، الذين ضحوا في سبيل إزاحة الشاه، حتى إذا تم له ما أراد انقلب عليهم قتلاً وسجناً وتشريداً. ولا يستثنى من ذلك حلفاؤه من علماء الدين الشيعة داخل إيران وخارجها، مثل حسين علي منتظري رئيس مجلس خبراء الدستور والمرشح السابق لخلافة الخميني، وصبحي الطفيلي الأمين

(١) مقولة ذكية للأخ الوفي والشيخ العربي حسن علوان السلطاني (أبو خالد) أحد شيوخ عشيرة أبو سلطان الزبيدية في ناحية المدحتية في الحلة. عجل الله تعالى بفكاك أسرهم من سجون الشعبين.

السابق لحزب الله في لبنان، ومحمد حسين فضل الله الأب الروحي  
للحزب الخ... هذا.. وشعار الفرس: إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط  
عدو واحد!



(١٢)

## عقدة الخداع والتضليل

مر بنا قول الخبراء بـ(أن الشعور بعدم الأمان مغروس عميقاً عند الإيرانيين) و(أن الناس في أثناء توقعاتهم بحصول التضليل وحلول الخديعة بهم يقومون بالبحث عن موازنة التحالفات بأخرى معاكسة لها. وبهذه الطريقة تتحقق نبوءة كل واحد فيهم بوقوع التضليل).

### يخدع بعضهم بعضاً

أي أن الإيراني يتوقع عادة أن الغير يحاول خداعه وتضليله فيقوم هو من جانبه بخداعه وتضليله حماية لنفسه على قاعدة (أتغدى به قبل أن يتعشى بي). والنتيجة أن الجميع يخدع بعضهم بعضاً! بحيث تحول الخداع والتضليل و(التقية) إلى ظاهرة اجتماعية في كل مجتمع مستعجم فضلاً عن المجتمع الإيراني العجمي. وهذا كله ناتج عن ضعف الثقة بالنفس المشتقة أصلاً عن عقدة النقص.

### الرغبة الخفية بالانتقام

ويفتح لنا د. حجازي نافذة أخرى، نطل منها على هذه السمة النفسية عند الشيعي وترسخها من خلال علاقته بالحاكم ونظراته إليه. وذلك حين يبين أن علاقة الإنسان المضطهد (المقهور) بالمتسلط ليست جامدة بحيث

لا يصدر عنه على طول الخط إلا الطاعة والخضوع. وإنما يحاول أن ينتقم لنفسه بوسائل شتى كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، فيقول:

(يحاول الإنسان المقهور الانتقام بأساليب خفية (الكسل، التخريب) أو رمزية (النكات والتشنيعات). وهذا يخلق ازدواجية في العلاقة: رضوخ ظاهري، وعدوانية خفية. أبرز مثل على هذه الازدواجية هو موقف الرياء والخداع والمراوغة والكذب والتضليل... وهكذا يصبح الكذب جزءاً أساسياً من نسيج الوجود المتخلف على مختلف الصعد وفي كل الظروف. ويعمم على كل العلاقات: كذب في الحب والزواج، كذب في الصداقة، كذب في ادعاء القيم السامية، كذب في ادعاء الرجولة، كذب في المعرفة، كذب في الإيمان... معظم العلاقات زائفة، معظم الحوار تضليل وخداع)<sup>(١)</sup>.

إن هذا - مع التحليلات السابقة عن النفسية العدوانية - يؤكد القول بأن الشيعي لا يعرف الوسطية في علاقته مع الآخر. فهو إما مستخذٍ متمسك مخادع حين يشعر بالخوف والقوة القاهرة، وإما مستكبر عدواني متسلط حين يشعر بالأمان ويمتلك زمام السيطرة على الآخرين.



(١) التخلف الاجتماعي، ص ٤١-٤٢.

(١٣)

## عقدة الكذب

الكذب هو الشعار القومي لـ(الفرس)! إلا من صهرهم الإيمان، أو بقيت في نفوسهم بقية من عناصر الفطرة الأصيلة تقاوم عوامل التعرية. يقال: إن أكبر دولتين في القدرة أو التفنن في تزوير العملة إيران والكيان الصهيوني! والتزوير أحد أنواع الكذب. وكذلك هم متفوقون في تزوير التاريخ!

### شاهدان من إيران

المحمرة وعبادان والحويزة - وغيرها من مدن قطر الأحواز - هي أسماء عربية، أطلقت عليها منذ نشأتها. وقد غيرها الفرس في عهد رضا خان بهلوي إلى الفارسية، ساعين إلى محو كل ما يوحي إلى العروبة في الأحواز. وحين جاء النظام (الإسلامي) منع تداول هذه الأسماء العربية؛ مدعياً أن حزب البعث في العراق هو الذي غير أسماءها من الفارسية إلى العربية! والعجيب أنك ترى مؤرخين إيرانيين يظهرون على شاشات التلفزيون الإيراني، وهم يؤكدون أن نظام البعث هو الذي فعل ذلك. في مكابرة وقحة لإنكار كل الحقائق التاريخية الصارخة، والوقائع الناطقة بغير ما يقولون ويدّعون!

يقول الدكتور موسى الموسوي عن الخميني: (والخميني لا يأبى من

الكذب أمام الخاصة والعامة على السواء. وإذا كذب يصبر في الكذب ما استطاع إلى الإصرار سبيلاً. فقد رأينا كيف أن كل أجهزته عندما اعترفت بشراء الأسلحة من إسرائيل أنكر الخميني ذلك أكثر من مرة. وحينما ثبت ذلك أمام العالم بعد سقوط الطائرة الأرجنتينية، وانكشفت حقيقة النظام الحاكم في إيران، واعترفت إسرائيل بذلك في آخر الأمر. كرر الخميني إنكاره لشراء الأسلحة، وبإصرار وعناد وكأنما الشيخ العجوز يعيش في عالم آخر لا يرى الشمس في رابعة النهار).

### شاهدان من العراق

لقد أظهرت الانتخابات الأخيرة التي جرت في العراق (٢٠٠٥/١٢/١٥) ارتكاب عمليات تزوير من قبل القائمة الشيعية ذات الخمسات الثلاثة الشهيرة (٥٥٥)، ربما لم يشهدها العالم من قبل، ولا من بعد! وهي القائمة التي يقف وراءها إيران والمرجعية الشيعية بكل ثقلها: ففي الانتخابات السابقة (٢٠٠٥/١/٣٠) حكم السيستاني بالنار على كل من لا ينتخبها، وفي هذه المرة أشار إليها بقوله: انتخبوا القوي الأمين. وشاعت فتاوى أخرى بقوة في الشارع العراقي، لم تفصح بشكل رسمي عن مصدرها، تلجئ الشيعة إلى (اختيار) هذه القائمة، وإلا فإن النار مصير كل مخالف. والتزوير أوضح تصرف عملي على الكذب.

وفي صبيحة إعدام الرئيس صدام حسين خرج الشيعي موفق الربيعي مستشار الأمن العراقي على قناة العربية قبل ظهور شريط فيديو الإعدام بقليل ليقول: (إن صدام حسين عند صعوده إلى غرفة الإعدام كان خائفاً ومرتباً، وشديد الارتباك، وتلفظ بعبارات غير مفهومة. وتمت معاملته وفق الشرائع الإسلامية أثناء إعدامه، وكذلك أثناء مماته، وبحضور رجل دين من السنة، ولم يمس بأي سوء). ويشاء الله تعالى أن يفضح زيف هذه الادعاءات بعد ظهور شريط الإعدام. الذي يخالف هذه الدعوى حرفاً حرفاً!!! وقد شاهد العالم كله كيف دخل الرجل غرفة الإعدام، بكل ثبات وجراً وإقدام، شهد له به الأعداء والخصوم قبل المحبين، في موقف جسد عنفوان العراقيين،



واختزن تاريخ أنفثهم وزهوهم على مدى العصور. ومات وهو يتلفظ بالشهادتين بكل فصاحة ووضوح، وليس (بعبارات غير مفهومة). بعد أن استهزأ بجلاديه، ورفض أن يضع لثام الموت على وجهه. بل كانوا هم الذين يضعون لثام الجبن والنقص على وجوههم. ولم يكن من أحد من أهل السنة حاضراً لا من علماء الدين ولا غيرهم. حتى إذا سقطت جثته بادروها بالرقص على أوصالها - كما اعترف هذا الدجال نفسه - وأظهرت الصور أثر حز سكين نافذ في نحره. بينما قطعت رقبة أخيه برزان ووضعت على جسده! فعن أي شرائع إسلامية يتحدث هذا العلاج المجوسي؟!!

### قوم يشتكى الكذاب من كذبهم

مر بنا في بداية الكتاب قول الشاه محمد رضا بهلوي: (إن الكذب ذاته يجري تمجيده عند الفرس على أساس أنه فضيلة) مقتبساً في شكواه ما جاء في قصيدة الشاعر الفارسي المشهور سعدي من قوله: (إن الكلمات التي تخذعك وتضللك ولكنها تسعد قلبك هي أغلى من الصدق...الخ). فما بالك بقوم يشتكى الكذاب من كذبهم؟!!

ولا أدل على القابلية المذهلة للكذب من ذلك الركام الهائل من المؤلفات الضخمة التي كتبها كهنة التشيع، القائمة على الكذب والدس والافتراء المحض. أحدهم ألف كتاباً من أحد عشر مجلداً باسم (الغدير) بناه على كذبة تاريخية اسمها بيعة الغدير! أحد عشر مجلداً من الكذب! أما محمد باقر المجلسي فهو بحق - كما يلقب - مخترع المذهب! لقد ألف هذا الأفاك كتاباً بلغ حجمه مائة وعشرة مجلدات كلها كذب. وأصل الأصول عند الشيعة هو كتاب (الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني. لقد أوصل الشيعة أنفسهم عدد الروايات المكذوبة فيه - من مجموع ستة عشر ألف رواية - إلى أكثر من تسعة آلاف رواية. ومنهم من جعلها أحد عشر ألف رواية، أي إن ما يزيد على ثلثيه كذب. هذا بشهادتهم هم! وقس على ذلك.

وشاهد الكذب الشيعي الفارسي لا تحصى! وإذا عرف السبب بطل العجب!

## الجنود

أما إذا أردنا البحث في جذور هذه الظاهرة فنقول: يظل السبب الأساسي لهذه العقدة - وكل عقدة - لدى (الفارسي) رغبته في السيطرة على من يفوقه عدداً ومعنى. إن شد القوميات الإيرانية المختلفة باتجاه الداخل وعزلها عن امتداداتها الخارجية تحت القبضة الفارسية لا يتم إلا بالكذب والدعاوى التي تصور لهذه القوميات أن خطراً ما يهددهم من الخارج! فإن لم يكن هناك من خطر حقيقي اختلقوا أسباباً للمشاكل والخصومات الخارجية يدعون فيها دائماً أنهم مظلومون معتدى عليهم فالكذب بالنسبة لـ(الفارسي) ضرورة من ضرورات الحياة كالطعام والشراب والهواء لا يستطيع المقاومة والبقاء بدونه.

وقد عشنا الواقع عياناً وسماعاً، وقرأنا الكتب وتعاملنا مع الرفض فما رأينا أكذب منهم! حتى تستطيع أن تقول: إن الكذب عند الرفض مهنة! ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال: **سبحان من خلق الكذب وجعل تسعة أعشاره في الرفض.**

ودخل الإسلام بلاد فارس فما تغير من كذبهم إلا الاسم، أما المضمون فقد بقي كما هو! كما هو ديدنهم مع كل عنصر من عناصر الدين. يأخذون منها الاسم والمصطلح ليعطوا لكل اسم بعد تطويعه وتحويره ما يناسبه من مضامين فارسية مجوسية. فالزنا والإباحة المجوسية: (متعة). وأكل أموال الناس بالباطل: (خمس) و(حقوق شرعية). وتآليه البشر وعبادة (رجال الدين): (إمامة). والفتن وتحليل دم المسلم والاغتيال السياسي: (جهاد)...وهكذا!

## الكذب تسعة أعشار دين الفرس

أما الكذب - الشعار القومي للفرس فأطلقوا عليه اسم: (التقية)، وجعلوه تسعة أعشار الدين! وقالوا: جعفر الصادق يقول ذلك<sup>(١)</sup>! ولا أدري

(١) أصول الكافي للكليني ٢/٢١٧.

كيف ينسب للصادق تقديس الكذب إلى هذا الحد! وعن محمد الباقر أنه قال: (التقية من ديني ودين آبائي. ولا إيمان لمن لا تقية له)<sup>(١)</sup>. ولا شك أن هذا هو دين العجم وإيمانهم الذي دفعهم للقيام بأكبر عملية تزوير للدين في التاريخ كتاباً وسنة وأحكاماً. وللتاريخ أيضاً! وليس هو دين الله رب العالمين.



---

(١) المصدر نفسه ٢/٢١٩.



(١٤)

## عقدة اللؤم (نكران الجميل)

المتشيع فارسياً شخصاً لئيم. لا سيما من تمكن منه هذا التشيع ففضى على جميع العناصر الفطرية الطيبة في داخله. فهو لا يعرف الوفاء، والجزاء على الإحسان بالإحسان. إن له ذاكرةً لا تلتقط إلا إساءة من أساء إليه. وإذا ألجئ أحدهم إلى تذكيره بالإحسان بادر إلى إنكاره وجحوده. واللئيم عادة ما يقصد بالإساءة من أحسن إليه.

### جذور اللؤم

تستند هذه العقدة - في نشوئها - على عقدة الشك والتوجس. والمصاب بمرض الشك يفسر كل شيء على غير ما يظهر عليه. إن لكل تصرف ظاهر عنده مقصداً باطناً، ونية مخبوءة، هي التي تحرك الآخر، وتدفعه إلى ما تدفعه إليه.

ولهذا - وبسبب عقدة الشك عند (الفارسي) - فإن الإحسان لا يجدي مع الشيعة نفعاً. رغم أن المرء مجبول على حب من أحسن إليه. إلا (الفارسي) لشكه، وتوجسه، ووجود عقد أخرى تتساند فيما بينها - كالدونية وعقدة النقص - فهو لئيم يكره من يحسن إليه، يسيء به الظن، ويعتقد أنه بذلك إنما يريد إذلاله! أو يبتغي به منفعة ذاتية يتخذها وسيلة إليها. فهو كما قال الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فإذا لنت معهم بالكلام قالوا: ضعيف. وإن أحسنت إليهم قالوا: متملق. وإن أعلنت بالأخوة قالوا: ماكر مخادع. وإن تقربت منهم قالوا: كيد وخطة مدبرة! وهي أخلاقهم (يسقطونها) على الآخرين! ولا أرى سيدنا علياً عليه السلام عنى غيرهم حين قال: "عجبت لقوم إذا أكرمتهم احتقروك، وإذا احتقروهم أكرموك!"

### إنكار الإحسان وانقلاب آثاره

وإذا استقرينا التاريخ فقد لا نجد أحدا أحسن إلى الشيعة كما أحسن إليهم الخليفة العباسي المأمون بن الخليفة الرشيد حتى أفضى بولاية العهد إلى العلوي علي بن موسى ولقبه بـ(الرضا) حتى صار علماً عليه، وزوجه ابنته!

لقد كلف هذا الأمر - نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي - تضحيات جسيمة وخسائر فادحة كادت أن تؤدي بملكه؛ إذ ثار عليه العرب في عمه إبراهيم خليفة للمسلمين، واستمرت الحروب بينهما سنتين أزهدت فيها آلاف الأنفس ببغداد، وبايعوا بدله!

لم يكن المأمون مضطراً إلى هذه المغامرة. فليس من قوة أجبرته على ذلك وجعلته يتحمل في سبيله ما تحمل. وقد كان في استطاعته أن يعزل علياً ويحبط محاولة عمه الذي ثار معه العرب في العراق جميعاً. لكنه ظل وفياً بعهده حتى تغلب عليه واستقرت له الأمور.

ويشاء الله تعالى أن يموت ولي العهد وصهر الخليفة وابن عمه علي بن موسى الرضا حتف أنفه. فكيف تعاملت العقلية (الفارسية) المعقدة مع الحدث؟ قالوا: لقد مات مسموماً، والذي سمه المأمون! واخترعوا قصة عنقود العنب المسموم الذي قدمه له المأمون بنفسه. ثم صاروا يجسدون هذه الأسطورة على شكل صورة تجمع بين المأمون وعلي هذا في قصر الخلافة الفاره: المأمون يقدم العنقود لعلي، وعلي ماد يده إليه. والصورة منتشرة جداً، تعلق في البيوت والمقاهي والمطاعم والمحال العامة!

ولم يكسب المأمون من عنائه وجهوده التي حرقها في خدمتهم سوى اللعن والطعن وتشويه السمعة!

وهذا شأنهم مع كل حاكم من غير ملتهم، مهما تقرب إليهم، ومهما تسامح معهم وخدم قضيتهم وعمرّ مزاراتهم ومشاهدتهم وقام بعمارته وزيارتها!

ماذا كسب صدام حسين من وراء ذلك؟ وماذا جنى ابنه عدي الذي سخر جريدته (بابل) لنشر ما لم يحلم الشيعة بنشره من عقائدهم وأفكارهم؟ بل نشر لهم على صفحاتها تباعاً كتباً كاملة، واحد منها كتاب المراجعات! حتى قال عنه كثير من المراقبين: إنه تحول إلى مذهب الشيعة، وصار شيعياً! النتيجة الوحيدة التي خرج بها هي اللعن على رؤوس الملائ، والوصم - أو الطمغة الجاهزة لكل مخالف - بالطائفية. ولم يحصل على كلمة واحدة منصفة - لا أقول: كلمة مدح أو ثناء - من أحد منهم! وقد كانوا هم أنفسهم يكيلون له في حياته من ذلك بالأطنان! بل ولا كلمة رحمة حتى بعد موته قتيلاً على أيدي المحتلين<sup>(١)</sup>. بينما كان صدام حسين إذا ذكر عدوه الخميني يترحم عليه، ويقول: نحن العرب من عادتنا الترحم على الميت من أي جنس كان.

حسن العلوي كان السكرتير الصحفي لصدام حسين، وهو محسوب على التيار العلماني القومي، وعلى (المعتدلين) من الشيعة. وله كتاب - كما أخبر هو - عن مآثر عمر بن الخطاب. يقول في كتابه (الشيعة والدولة القومية): ظهر في إحصائية مودعة بوزارة التخطيط أواخر السبعينات، أن (٨٠٪) من حملة الشهادات العليا في الفروع العلمية، كانوا من أبناء الشيعة.

(١) يقول د. علاء بشير الطبيب الخاص للرئيس صدام حسين وهو يتحدث عن حركة غوغاء الجنوب سنة ١٩٩١ وعمن شارك في قمعها من رجال الحكومة: كان عدي هو الوحيد الذي رفض المشاركة. روى لي صديقه وسكرتيه الخاص أن قصي حاول جاهداً أن يقنع أخاه: «لا بد أن تقود أنت أيضاً إحدى الوحدات». أجاب عدي: «لا، ليس عندي الرغبة في اغتيال الشيعة» كنت طبيباً لصدام، ص ١٦٢، د. علاء بشير، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

انظر إليه كيف تأبى عليه عقدة اللؤم إلا أن يفسر هذا بما يتناسب مع عقده الموروثة! يقول: إنها ردة فعل من الشيعة على سياسة التمييز الطائفي<sup>(١)</sup>!!

هل نسي هذا العلوي أن أغلب - إن لم يكن كل - الصحفيين الذين كانوا يحيطون بصدام هم من الشيعة؟ وكان هو واحداً منهم، بل على رأسهم. وكان مقرباً جداً من الرئيس<sup>(٢)</sup>.

موسى الصدر مؤسس حركة (أمل) الشيعية في لبنان أحد الأمثلة التي لا تخطئ على اللؤم الشيعي الفارسي. لقد استطاع هذا السفاح أن يقيم علاقة وثيقة مع حركة فتح - ذات الخلفية السنية، فقامت بتدريب وإعداد الجناح العسكري لحركة أمل! ودعمها بالسلاح وتقديم الخدمات لها!<sup>(٣)</sup>

(١) الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، حسن العلوي، ص ٢٢٧، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران - قم.

(٢) اعترف العلوي في صفحة ٢٣١-٢٣٢ من كتابه السابق قائلاً: وقد برز صحفيون شيعة في الخطوط الأولى دفاعاً عن السلطة وقيادتها، كسامي مهدي وحמיד سعيد وعبدالجبار محسن وعبد الأمير معلقة وصاحب السماوي وعقاب سالم وحسن العلوي. هذا والذين لم يذكرهم صاحبنا من الصحفيين الشيعة الذين كانوا في (الخطوط الأولى) يبلغون أضعاف عدد المذكورين! ولا أدري هل كان وجود هذا الحشد من الشيعة في الخطوط الأولى من السلطة، (ردة فعل من الشيعة على سياسة التمييز الطائفي) أيضاً؟ ثم ها هو اليوم يصرح - مراراً وتكراراً في القنوات الفضائية - أن صدام حسين لم يكن طائفيًا، ويأتي على ما يقول بشواهد لمسها بنفسه!

ملاحظة/ كانت وزارة الإعلام العراقية في آخر تشكيلة لها قبل الاحتلال تتكون من (١٠) مديريات عامة، انتماء مدراءها العامين كالتالي: (١) مسيحي، (١) كردي، (١) سني، و (٧) شيعة! علماً أن وزير الإعلام (محمد الصحاف شيعي).

(٣) ذكر ياسر عرفات في حوار مع مجلة التضامن، في ١٩٨٥/١١/٢، أن حركة فتح دربت عناصر حركة أمل، وقال: " نحن أول من أمدّها بالسلاح، بل أنا من أسماها أمل، لأن الإمام موسى الصدر كان واقفاً معنا وضد من يشهر السلاح ضدنا " ! وقد كان عرفات مغترا بثورة الخميني، وكان في طليعة الذين زاروا طهران فور وصول الخميني إليها، وزعم أنه إمامه.. وأيدت منظمة التحرير إيران في حربها ضد العراق، وضلل عرفات شعبه فأصبحوا ينتظرون بفارغ الصبر سقوط بغداد لأن الخميني قال لهم: =



وقد استفادت الثورة الخمينية من الكوادر التي تدرّبت في لبنان في ترتيب أوضاعها بعد الانقلاب على الشاه!

لكنه ما إن تمكن وصار في غنى عن منظمة التحرير، وبدأت تعلن المصالح المختلفة أساساً عن نفسها حتى بدأ يهاجم - وبصورة شخصية - المنظمة. ولم يتوان عن استعمال أخس الأساليب في محاربتها، ومحاولة اجتثاثها. مثل اتهامه لها بالعمل على قلب الأنظمة العربية الحاكمة وعلى رأسها النظام اللبناني! ودعا الأنظمة إلى مواجهة الخطر الفلسطيني! كما نقلت ذلك وكالة الأنباء الفرنسية في ١٢/٨/١٩٧٦، ونقلته أيضاً بعض الصحف اللبنانية! ما جعل ممثل منظمة التحرير في القاهرة يصدر تصريحاً يندد فيه بمؤامرة الصدر على الشعب الفلسطيني. كما لم يخجل الصدر من القول: لسنا في حالة حرب مع إسرائيل والعمل الفدائي في الجنوب يخرجنا! (١)

ولم يكتف الصدر وشيعته بذلك، وإنما أخذوا يطالبون بوقف العمل الفدائي، وإخراج الفلسطينيين من الجنوب. ومن أجل ذلك وقعت صدامات ونظم الشيعة إضراباً عاماً في صيدا وطالبوا بإخراج المنظمات المسلحة من الجنوب!

= إن الطريق إلى القدس يمر من بغداد والكويت والرباط وعمان! ولا زال بعض القيادات الفلسطينية مثل قادة منظمة (الجهاد) على اغترارهم! ويعترفون علناً بإمامة (إمامنا آية الله العظمى السيد علي الخامنئي)، ويمتدحون إيران. وكذلك بعض قادة منظمة (حماس)، إلى حد أن أحد كبارهم قبل يد خامنئي أمام أعين الكاميرات! وهذا ساهم في تشييع الكثير من الفلسطينيين، ممن صارت فلسطين - وليس الله جل وعلا - هي معبودهم. وليس خوفي من تشييع أهلنا في فلسطين على مستوى الأفراد فحسب، وإنما الخوف كل الخوف من التحول الجماعي. وعندها سينشغل الفلسطينيون باليهود فحسب، وإنما بمشكلة الصراعات الطائفية بين الشيعة والسنة عندهم، كما هو الحاصل اليوم عندنا في العراق. (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال: ٥٣). نسأل الله تعالى ألا يقع لإخواننا في فلسطين ما وقع لنا في العراق! آمين.

(١) مجلة الدستور الصادرة في فرنسا، ١٩٧٨/٦/٢٦.

وكان الصدر أول من طالب بقوات طوارئ دولية تتمركز في الجنوب، زاعماً أن لبنان في هدنة مع إسرائيل، ولا يجوز أن يخرقها الفلسطينيون، وعندما جاءت قوات الطوارئ نجح في أن تكون نسبة كبيرة من هذه القوات من إيران. وتعاون معظم زعماء الشيعة في الجنوب مع اليهود وصنيعتهم سعد حداد. كما يفعلون اليوم في بغداد!

### التاريخ القديم

وتاريخ إيران القديم - والحديث - مليء بالشواهد!

ففي عام ٦٦٤ ق.م حصل شقاق في البيت العيلامي المالك لجأ على إثره أبناء الملك السابق (اورتاكو) إلى البلاط الآشوري مع رماة سهامهم ومرافقيهم بسبب عدااء الملك الجديد (تيومان) لهم. ومنحهم الملك الآشوري (آشور بانيبال) حق اللجوء، ورفض كل طلبات الملك العيلامي بتسليمهم إليه. وبعد حوالي عشر سنوات أي في عام ٦٥٣ ق.م. هاجم تيومان ملك عيلام بلاد بابل بجيش كبير، فتصدى له الآشوريون وأوقعوا به هزيمة منكرة وقبضوا على الملك العيلامي (تيومان) وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى (آشور بانيبال) في نينوى. بعدها أعاد آشور بانيبال أولاد الملك السابق الذين لجأوا إليه ونصبهم على عرش عيلام. فانظر كيف رد هؤلاء عليه؟ وكيف كان (إحسانهم) إليه؟!

بعد عام واحد أي في سنة ٦٥٢ ق.م. قامت ثورة انفصالية في بابل بقيادة (شمش شموكين) شقيق (آشور بانيبال) فما كان من ملك عيلام - الذي كان لاجئاً في البلاط الآشوري أكثر من عشر سنين آمناً منعماً ثم تمكن بفضل آشور بانيبال من استرداد عرشه - إلا أن سارع لمساندة الثائر الانفصالي ضد أخيه وأرسل جيشاً بقيادة ابن (تيومان) مع قواد آخرين لمساعدته. فكان هذا أول مكافأة قام بأدائها ملك عيلام، تجاه ملك آشور رداً على إحسان الأخير إليه<sup>(١)</sup>.

(١) الصراع العراقي الفارسي، ص ٧٢-٧٤، مصدر سابق.

## الخميني الدجال

كذلك فعل حفيده وخلفه الخميني الدجال تماماً! الذي آواه العراق، وقدمت له حكومته أسباب العيش والحماية ثلاثة عشر عاماً. فكان أول عمل قام به بعد تولي العرش سنة (١٩٧٩) أن شن حرباً ضروساً على البلد الذي آواه، بعد عام واحد فقط من ذلك، دامت ثماني سنين!

انظر إلى بعض ما أسداه العراق والحكومة العراقية إلى الخميني، على لسان خبير به هو الدكتور موسى الموسوي إذ يقول: (ولكي أضع النقاط على الحروف أود أن أسجل هنا للتاريخ قائمة بتفاصيل المساعدات التي كان يتلقاها الخميني من الحكومة العراقية التي هو اليوم في حرب معها؛ ليعلم الشعب الإيراني قبل الشعب العراقي حجم المساعدات التي تلقاها الخميني من الحكومة العراقية طيلة العشر سنوات التي قضاها في كنفها ليعود بعد ذلك إلى إيران ويجازي العراق وشعبه جزاء سنمار.

(١) أعطت الحكومة العراقية الأولوية القصوى بين اللاجئين السياسيين المتواجدين آنذاك في العراق للخميني وحاشيته وسهلت لهم العيش والحياة وزودت كثيراً منهم بالجوازات العراقية بعد أن حرّمهم الشاه من هويتهم الإيرانية فسهلت لهم التنقل بين البلاد والاتصال بالعباد.

(٢) خصصت وزارة الإعلام للخميني قناة خاصة في القسم الفارسي بإذاعة بغداد كان يبث منها ما يتصل بالخميني ونضاله ضد الشاه. وكان المذيعون فيها جماعته والمنتسبين إليه. وكان يذاع منها برنامج يومي اسمه (النهضة الروحية).

(٣) كان مصطفى بن الخميني على اتصال وثيق بالحكومة العراقية. وكان يجري الاتصال بأركان الدولة مباشرة، أو عن طريق المرحوم جنرال بختيار. ويطلب المساعدات المختلفة لجماعة أبيه. وكانت طلباته لا ترد.

(٤) كانت الجهات المعنية بشؤون التدريب العسكري تدرب جماعة الخميني خارج مدينة النجف. وكان ممثل الخميني لدى الحكومة للإشراف

على التدريب هو الشيخ يزدي زاده الموجود حالياً في إيران. وكانت الحكومة تعطي لهم المال والسلاح.

(٥) كان الخميني يستقبل شخصيات كبيرة في الدولة. وكانت أحاديثه معهم هي التعبير عن الشكر والامتنان للحكومة، مع الدعاء لها بالتوفيق والتسديد.

(٦) كان الخميني يقدم الرجاء إلى الرئيس العراقي في القضايا المتعلقة به، وكان رجاءه يقبل حتى في المناسبات الخطيرة. كما حدث ذلك في عام ١٩٧٠ عندما حكمت محكمة الثورة على السيد حسن الشيرازي بالإعدام لاتهامه بالتجسس لصالح دولة أجنبية. وكان هذا الشخص محسوباً على الخميني، ومن حاشيته. فكتب رسالة بخطه إلى الجنرال تيمور بختيار الموجود آنذاك في بغداد يطلب منه نقل رجائه إلى الرئيس صدام الحسين الذي كان آنذاك نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، يطلب الرحمة والعفو عن المتهم. فقبل رجاءه وعفى عن الشيرازي. وأطلق سراحه بعد شهرين. الأمر الذي لم يحدث له نظير من قبل.

(٧) عندما توفي ابنه مصطفى قدم الخميني رجاء إلى الرئيس العراقي يطلب إصدار الأمر بدفن ابنه (بصورة استثنائية) في الروضة الحيدرية، الأمر الذي كان ممنوعاً بقرار من مجلس قيادة الثورة. ورفع الخميني هذا الرجاء عن طريقي، فرفعته إلى الرئيس العراقي عن طريق وزير الأوقاف. فقبل الرجاء، ودفن ابنه حيثما أراد الخميني.

(٨) كان أحمد بن الخميني يقدم الرجاء إلى الحكومة يطلب حماية أبيه من اغتيال السافاك، فكانت الحكومة تجند لحماية الخميني رجالها، وبالتنسيق مع أحمد.

وعندما غادر الخميني العراق إلى الكويت، ولم تسمح له السلطات الكويتية بالدخول إلى أراضيها بقي في الحدود الكويتية حيران لا يدري ماذا يفعل؟ فعلمت حكومة العراق بذلك، فوافقت على عودته إلى العراق. وقيل له عندما وصل إلى بغداد إنه يستطيع العودة إلى النجف والعيش فيها إذا شاء على شرط أن يحترم قوانين العراق.

وبعد كل هذا ليت شعري كيف يمرر الخميني والخمينيون حربهم مع العراق؟! وكيف يمررون هذا الموقف العدائي لهذه الدولة التي أكرمهم<sup>(١)</sup>؟

والتاريخ يعيد نفسه. فكذلك فعل كسرى (برويز) من قبل مع (النعمان بن المنذر) الذي احتضن والده (المنذر بن النعمان) جد كسرى المذكور (بهرام بن يزدجرد) فقام بتربيته ورعايته ولما مات أبوه (يزدجرد) أراد عظماء المملكة حجب الملك عنه فجهز (المنذر) عشرة آلاف (وقيل ثلاثين ألف) فارس من فرسان العرب وذوي البأس والنجدة بقيادة ابنه (النعمان) ووجههم إلى (طيسفون) أو (المدائن) مما جعل الفرس يذعنون للأمر ويتوجون (بهرام) ملكاً عليهم. فماذا كان الجزاء؟ قتل حفيده (برويز) (النعمان بن المنذر) وسلبه ملكه<sup>(٢)</sup>!

وفي الوقت الذي يحاول الإيرانيون نكران فضل الحضارة العربية عليهم بشتى الطرق والأساليب ومنها اعتبار بعض الشخصيات العربية المفكرة ذات أصل فارسي نجد الشعب الأسباني - مثلاً - لا يزال إلى اليوم يعترف بفضل الحضارة العربية عليه بصراحة وفخر<sup>(٣)</sup>.

### التاريخ القريب

وآخر ما عبرت به هذه الخصلة الذميمة عن نفسها تلك الصيحات الشيعية العالية المتكررة في العراق التي تتهم العرب بلا استثناء بـ(تواطئهم مع النظام السابق، وسكوتهم عن ظلمه للشيعية، وعدم إعانتهم أو الدفاع عنهم). ولكل واحد يسمع هذا أن يقول: كم من دولة عربية شاركت - بالموقف السلبي أو الإيجابي - في العدوان الأخير على العراق، الذي يسميه الشيعة تحريراً لهم؟ وهل كان بالإمكان تحقيق هذا (التحرير) التاريخي للشيعية، والذي أسفر عن وصولهم إلى قمة السلطة، لولا

(١) الأستاذ الخميني في الميزان، ص ١٤-١٥، د. موسى الموسوي.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٣) الحقد الفارسي لماذا؟، ص ١٥٦، مصدر سابق.

التسهيلات العربية؟ من أين دخلت جيوش (الفتح والتحرير)؟ أليست من أراض عربية؟! وكم دولة عربية آوت مجاميع الخونة الشعبوية الذين أسموا أنفسهم بـ(المعارضة)، وقدمت لهم الدعم المادي والمعنوي؟

كيف يمكن أن ينكر دور سوريا في إيوائهم، وإعانتهم؟! ومن العجيب أن الحكومة الشيعية الحالية في العراق، إذا سنت أمريكا أسنانها على سوريا، سنت تلك الحكومة سكاكينها وحرابها واندفعت أمامها في اتهام سوريا العربية. لكنها تصمت صمت القبور إذا تعلق الأمر بإيران الفارسية! ليس تعلقهم بإيران لأنها ساعدتهم، والعرب لم يساعدهم.

كلا! الأمر أعمق من هذا.

أين ذهبت مئات الملايين الدولارية التي أنفقتها بعض دول الخليج على آل الحكيم وغيرهم من الزمر الشعبوية؟ كل هذا وغيره قدمه (العرب) للشيعية ومع ذلك يتهمونهم بكل وقاحة ولؤم ونكران جميل بأنهم لم يقفوا معهم، بل ساعدوا على ظلمهم!!!

يقول د. موسى الموسوي عن الخميني: (إن أحد أقربائه المتصلين به سألني يوماً هل تذكر يوم كنا في بيتك مع الخميني وتغدينا على مائدتك؟ قلت: نعم. إنه كان في عام ١٩٥٥ وعندما كنت مقيماً في طهران. فأضاف محدثي معلقاً: فإذا كان صحيحاً ما سمعناه عن أيام إقامته في العراق، ومن أنه كان يطلب منك العون في بعض الحالات، فكن على حذر منه؛ فإنه سيقتلك إذا ظفر بك؛ لأن الخميني يحقد على شخصين، ويريد أن يزيحهما من الوجود إذا استطاع: شخص أساء إليه، وشخص أحسن إليه؛ لأنهما يذكرانه بأيام ضعفه، وهو لا يريد أن يذكر تلك الأيام، حتى ولو كانت له.

وقد ثبت لي صحة هذا الكلام بعد أن قتل الخميني الجواهريان ودستمالجي، وكلاهما من أخلص المخلصين له، وكانا قد قدما له عشرات الملايين لنجاح ثورته عندما كان في العراق وفي باريس... كما أن قتل الشباب المجاهدين الذين على أكتافهم وبنضالهم وصل إلى سدة الحكم،

وحربه مع العراق الذي آواه وأسنده وقدم له العون طيلة ١٥ عاماً خير دليل على سداد رأي الرجل وسداده<sup>(١)</sup>.

هكذا تجد الشيعي - إلا من رحم - في كل مكان هو هو، مهما اختلفت بيئته، وتنوعت ثقافته؛ لأن العقيدة والتربية واحدة. فالمهجرون من الشيعة في جنوب لبنان، حينما آواهم أهل السنة في قراهم رفضوا الدخول إلى أي مدرسة أو مسجد يحمل اسماً لصحابي جليل أو زوجة من زوجات النبي ﷺ، ورفضوا أيضاً قبول المساعدات التي تحمل اسماً أو شعاراً لأهل السنة، لا سيما من المملكة العربية السعودية. ومن قبلها منهم تحت وطأة الاضطراب مزق الاسم والشعار معلناً أن مال المملكة مال خبيث!

### بيت العنكبوت

ومن مظاهر اللؤم وعدم الوفاء تأمر البيت العجمي على نفسه. البنت تكيد لأمها، والولد لأبيه كي يحل محلّه. فحين يكبر الولد في إيران كثيراً ما يبذل قصارى جهده كي يثبت قانوناً أن أباه خرف، أو مريض عقلياً؛ ليطبق في حقه قانون الحجر على أموال السفينة، فيتسلمها ولده من بعده، ويكون مصير الوالد دار العجزة أو مستشفى الأمراض العقلية. وهذا التصرف اللئيم مقتصر على العجم حصراً؛ ولهذا لا تجد في دار العجزة التي في الأحواز عربياً واحداً؛ فليس اللؤم من شيمة العرب.

### شواهد من واقع المجتمع المستعجم

وقد صادفتنا في تعاملنا مع المجتمع الشيعي المستعجم حالات غريبة جداً للؤم ونكران الجميل! في إحدى نواحي محافظة بابل كان لي صديق يشغل وظيفة إمام وخطيب المسجد السني الوحيد في الناحية. انعقدت علاقة بينه وبين شاب من جيران المسجد، لا زال يدرس في إحدى الكليات، فقير الحال، ترك له والده مسؤولية العائلة وفارق الحياة. وقد أرهاق كاهله الجمع

(١) الأستاذ الخميني في الميزان، ص ٦-٧، د. موسى الموسوي.

بين الدراسة والقيام على شأن العائلة. فكان صديقي الشيخ كثيراً ما يعينه، ويشكو حاله عند أهل الخير ليجمع له بعض المال ليواصل المسير. ويخبرني الشيخ يوماً أن لصوصاً سرقوا بيت الشاب، فلم يتركوا له غير الجدران! وقد تبرأ منه أعمامه وأقاربه، ولا يدري ماذا يفعل؟ وفكرت طويلاً حتى هداني الله فذهبت إلى أخوال لي في إحدى قرى اللطيفية، وشرحت لهم الحال فتأثروا لما قلت. وعدوني خيراً، وأمهلوني عدة أيام. وحين رجعت إليهم في الموعد المضروب وجدتهم قد جمعوا له أثاثاً كاملاً كانت السيارة التويوتا البيكب تنوء بحمله، ويفيض عنها، ليس في بيت أحد منا أثاث مثله! وذهب معي في سيارته أحد أخوالي وهو وجه قومه، إلى تلك الناحية التي تبعد عن بيته أكثر من مائة كيلومتر. وكان بيده ينزل الأغراض إلى داخل الحجرات! كذلك كان الشيخ وأنا معهم. كان موقفاً مؤثراً سالت له دموع والدته الشاب الذي كان ساعته ينظر متعجباً ومبهوئاً مما يرى!

ومرت بضع سنوات ليعتقل الشيخ في ليلة ظلماء. وبعد البحث والتنقيب توصلنا إلى أنه معتقل لدى جهاز المخابرات في بغداد في البناية المعروفة بـ(الحاكمية).

قضى الشيخ في المعتقل تسعة أشهر في تهمة كاد أن يدفع لها حياته، لولا أن من الله تعالى عليه ببعض الخيرين من ضباط الجهاز الذين تفهموا موقفه ولملموا القضية لينقذوه من حكمها. هل تعلم من الذي وشى به وكتب التقرير الأصفر إلى الجهة المذكورة مع الوثيقة الدامغة بخط الشيخ؟ هل تصدق إذا قلت لك: إنه ذلك الشاب الذي كان الشيخ يحسن إليه سنين عدداً!!!

وقد رأينا من خلال التجربة في المناطق الجنوبية أن الشك وسوء الظن، كثيراً ما يفسد العلاقة بين المعطي المحسن وبين المعطى إليه. مثلاً طالب العلم يرسله الشيخ للدراسة في مدرسة من المدارس الدينية أو غير الدينية. ومن باب عمل المعروف ولحاجة الناس يقوم الشيخ على شؤون الطالب المادية. ويبذل في ذلك ماء وجهه وهو يدور على هذا وذاك يستجدي إحسانهم من أجل هذا الطالب وغيره من أمثاله. لكن الطالب هذا يتوهم في



نفسه - وكذلك أهله - أن الشيخ مرتبط بجهة ما في هذا الكوكب تزوده بالمال حسب عدد الطلاب، وأنه يتقاضى منها راتباً لقاء جهده هذا، وأنه لولا انتفاعه لما فعل ما فعل. ولا بد أن له مقاصد الله أعلم بها من وراء حرصه هذا غير المفهوم وسعيه المحموم وراء الطلاب وتجميعهم والصرف عليهم. وهكذا تنقلب الأمور ويمسي الطالب هو المحسن، والشيخ متلقٍ لإحسانه. لا بد أنه كنز ثمين فعليه أن يحرص عليه، وإلا تركه إلى سواه! لقد تولد عنده شعور خطير ألا وهو أن هذا المال حق من حقوقه يجب عليك أدائه له، وأنت ملزم بذلك تجاهه فيكون الأساس الإيماني قد انتفى وحل محله شعور بأنك تشتري - وهو يبيع - ولاءه لك بهذا المال. ويشعر كذلك بأنه يعطيك مقابل ما يأخذ، حتى لو كان هذا المقابل وهماً أو شيئاً مبهماً لا يستطيع التعبير عنه، وأن هذا العطاء المتبادل شخصي لا ديني: فأنت تعطيه مالاً يستفيد منه مقابل شيء تستفيد منه أنت يحققه هو لك، أقله أنه صار من أتباعك! فإذا قصرت أو قطعت ما كان موصولاً لأي ظرف أو سبب شمع بأنفه وثنى بعطفه! ثم استطال لسانه ليدخله فيما لا يحل! وساءت الظنون وبدأت الطعون، وعدت مذموماً مخذولاً! وهكذا تسهم عقدة الشك في تنمية وتغذية عقدة اللؤم ونكران الجميل.

شاهد من عصر التغول الشيعي في العراق على موقع (الرابطه العراقية) وفي يوم (٢٠٠٧/٤/١١) كتب أحد المنكوبين باللؤم الشيعي يروي قائلاً: (في صباح يوم مشؤوم استيقظنا على صوت عبارات نارية قريبة منا! نزلت من الطابق العلوي، وإذا بي أسمع أن جارنا (م) قد اغتيل أثناء ذهابه إلى عمله بالقرب من محلتنا. وجدت أن أخي أحمد (العريس الذي زف إلى عروسه قبل أربعة أيام فقط) قد خرج إلى الشارع الرئيس مع بعض الجيران، وهم يحاولون إنقاذ جارنا، ونقله إلى المستشفى. لكنه سرعان ما فارق الحياة. رجع أخي أحمد إلى البيت وكان متأثر جداً، وذهب إلى أمي - التي ما تزال نائمة - ليخبرها بنأى مقتل جارنا ويقول لها بكل بساطة: (لأن جارنا السيد م رجل طيب فقد قُتل). فنهضت أمي مسرعة وذهبت إلى بيت جارنا. وبدأت بالضرب على رأسها والنواح والبكاء. وتجمع أقارب

جارنا وإخوته، وانقلبت الدنيا لمقتله وقامت ولم تقعد. لم تتأخر الجنازة كثيراً في المستشفى؛ لأن أخا المقتول يعمل في وزارة الصحة؛ لذلك ما إن وصلت الجثة إلى المستشفى حتى تسلموا تصريح الدفن، ورجعوا بالجنازة إلى البيت. وكان الجميع بانتظارهم، ومنهم أخوي (أحمد ومصطفى). وعندما خرجوا بالجنازة من البيت كان إخوتي يحملونها مع الآخرين على أكتافهم، حتى أوصلوها إلى الشارع، ليضعوها على السيارة. وقد امتلأ الشارع بالمسلحين والسيارات نوع مونيك. بدأ المسلحون بإطلاق العيارات النارية على الناس عشوائياً؛ ما أدى إلى مقتل ثلاثة أشخاص. ثم أخذوا يرمون الرصاص باتجاه الأرض ليفرقوا الناس. وإذا بسيارتين مظلمتين جاءتا مسرعتين وقد كانتا متوقفتين أمام بيت جارنا. ونزل منها شباب مسلحون، سألوا: من منكم سني؟ فأشار شخص - وهو أحد جيراننا الشيعة، وصديق لإخوتي - على أخي أحمد الذي كان واقفاً جانباً بعد أن أوصل الجنازة إلى السيارة. فهجم المسلحون على أخي وقاموا بضربه بقوة وأصعدوه إلى السيارة. لقد تبين أن هؤلاء المسلحين من فيلق بدر، كم تبين أن جارنا (الطيب)!! هو أحد قياديي الفيلق!!

في أثناء خطف أخي أحمد كان أخي الأصغر مصطفى قد عاد إلى البيت، وتركه هناك مع المشيعين. وعندما سمع بما جرى لأخيه جن جنونه، وأغمي عليه! لكنه أفاق بعد لحظات، ليأخذ مفاتيح السيارة العائدة لأخي أحمد. لم تنفع توسلات أمي ولا توسلات زوجته، في منعه من اللحاق به. وكذلك حاول بعض الحضور، لكنه أفلت من بين أيديهم وذهب بالسيارة مسرعاً ولحق بالخاطفين عند حسينية (الأئمة) المشهورة في حي العامل.

لم يدر أن المجرمين كانوا بانتظاره؛ لقد علموا عن طريق الموبايل من جواسيس منطقتنا بأن مصطفى قد لحق بهم، وما إن وصل إليهم حتى قاموا بالهجوم على السيارة وأنزلوه إلى داخل الحسينية. لم يحرك جيراننا أهل المقتول ساكناً، ولم يتدخلوا لانقاذ أحمد ومصطفى، ولم يقولوا لهم: إن هؤلاء جيراننا، ولا ذنب لهم فيما جرى. بل تواطأوا معهم بسكوتهم على الجريمة. ولم يكتفوا بواحد، وإنما قتلوا أخوي كليهما! وقد قاموا

بتعذيبهما بواسطة المثقب الحديدي (الدريل) والمنشار الكهربائي (الكوسرة). ثم أطلقوا عليهما الرصاص. ورموهما فوق جنازة جارنا القيادي في فيلق بدر. ثم قاموا بختف أربعة شباب من السنة أيضاً - وذلك قبل أن تتحرك الجنازة - وقتلوهم، ورموهم فوق الجنازة. ثم تحركوا بعدها.

أهكذا يكون رد الجميل!!!؟



الشهيد مصطفى عبد ذياب الهيتي

انظر إلى آثار التعذيب بالدريل وغيره...!!!

لقد وقف أخوتي إلى جانبهم، وشاركوهم مصيبتهم، وحملوا الجنازة معهم على أكتافهم. وفضل أخوتي من قبل عليهم لا يعلمه إلا الله! فنحن نطبق حديث نبينا محمد ﷺ وهو يوصينا بالجار ولكن ماذا كان الجزاء من جارنا؟!

ملاحظة / لم يكتف جيراننا بقتل أخوتي دونما ذنب، وإنما كتبوا على دارنا - بعد خروجنا منها - (الدار لا يباع ولا يؤجر)!





(١٥)

## عقدة التحلل

اشتهرت شعوب كثيرة بالفساد الخلقي والإباحية، لكن الشعب الوحيد - على ما يبدو- الذي أظرفساده بالدين، وأعطاه مشروعية دينية هو الشعب الإيراني، ومنذ أقدم عصور التاريخ.

فالزراذشتية تبيح زواج الابن بأمه والأب بابنته والأخ بأخته<sup>(١)</sup>. والمزدكية تقول باشتراك الناس في الأموال والنساء وأصبحت دين الدولة الرسمي في عهد الملك قباذ الأول عام ٤٨٨م. يقول ابن النديم: (وصاحبهم القديم مزدك أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم عن حرمة الآخر ولا يمنعه)<sup>(٢)</sup>. والخرمية - وهي ديانة متطورة عن المزدكية، وتعني بالعربية دين الفرح - تمتاز بالإباحية العامة<sup>(٣)</sup>.

ولعل هذا ما جعل هؤلاء يأتون هذه الرذائل دون أن يدركوا - ربما - أنهم يقتطفون منكراً من الفعل، أو يرتكبون منهياً في حكم الشرع أو الخلق

(١) دماء على نهر الكرخا، ص ٧٣، حسن السوداني.

(٢) الفهرست، ص ٤٩٣. نقلاً عن دماء على نهر الكرخا، ص ٧٣.

(٣) دماء على نهر الكرخا، ص ٧٤.

العام، كما قال تعالى في أمثالهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ١١، ١٢].  
ومن هنا يمكن إطلاق وصف (العقدة) على هذا المرض الخلقي الوبيل.

### الرديلة هي العلامة الفارقة

تسللت هذه الرذائل متسترة بالدين إلى جميع الفرق الباطنية التي انتسبت للتشيع. مثل الواقفة الذين وقفوا بالإمامة على موسى بن جعفر. وهم اتباع محمد بن بشير وقد قالوا بإباحة المحارم والفروج والغلمان وترك الفرائض<sup>(١)</sup>. والخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي بالولاء الذين يبيحون المحارم من الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر وشهادة الزور وترك الفرائض<sup>(٢)</sup>. والمنصورية أتباع أبي منصور العجلي بالولاء، وقد استحلوا المحارم ونكاح الأمهات والبنات<sup>(٣)</sup>. والنصيرية أتباع محمد بن نصير النميري بالولاء الذي قال بألوهية الحسن العسكري وادعى النبوة وحلل المحارم ونكاح الرجال. ويروي بعضهم أنه رآه و غلام على ظهره<sup>(٤)</sup>.

إن التشيع أو التشيع الفارسي ليس إلا حالة متطورة لهذه الفرق التي كان أحد أسباب اندثارها، وعدم قدرتها على الصمود والاستمرار، وضوحها وعلنيتها؛ بسبب قلة خبرتها في ذلك الزمن وتخبطها في تجاربها.

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، ص ٣٥، محمد البنداري.

(٢)(٣)(٤) أيضاً، ص ٣١.

## استبطان التشيع الاثني عشري لرذائل الفرق الباطنية كلها

يخطئ من يتصور أن هذه الفرق بادت وانتهت حقيقة. كلا فإن كل الذي حصل هو أنها صارت تستفيد من التجارب والأخطاء لتكون أكثر باطنية. وتغلف مقاصدها لتظهر باسم التشيع لأهل البيت أو الأمامية أو الاثني عشرية. وهو ما نطلق عليه اسم الرفض أو التشيع - وقد يسمى بالتشيع الفارسي - الذي يعتبر حالة متطورة جداً عن تلك الحالات البدائية الأولية. إن إباحية الجنس والمال في الديانة المزدكية والخرمية وغيرها من الديانات الفارسية القديمة ظهرت عند الإمامية بشكل مقبول مؤطر باسم شرعي، ويمكن ربطه ببعض الألفاظ القرآنية. أما إباحية المال فظهرت باسم (الخمس) و(الحقوق الشرعية) وما شابه. وأما الإباحية الجنسية فظهرت باسم (المتعة) التي تغني صاحبها وتعوضه عن أشد حالات التحلل والفساد الجنسي. والتي هي تقليد زرادشتي قديم. تقول د. شهلا حائري وهي حفيدة المرجع الديني الإيراني آية الله حائري: (عند الزرادشتيين يحق للزوج أو رب العائلة إعطاء زوجته أو ابنته من خلال إجراءات رسمية رداً على طلب رسمي إلى أي رجل من قومه، يطلبها كزوجة مؤقتة لفترة محددة. وفي هذه الحالة تبقى المرأة زوجة دائمة لزوجها الأصلي وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتة لرجل آخر. وأي طفل يولد خلال فترة الزواج المؤقت يعود إلى الزوج الدائم أو لوالد المرأة وفقاً للحالة)<sup>(١)</sup>.



محمد باقر الصدر مع إحدى النساء . . تمارين قبل أن يبدأ (الدرس)

(١) المتعة، ص ٤٠، د. شهلا حائري.

أما أخبار المراجع فحدث ولا حرج! وأن المرجع الفلاني أهديت إليه شابة لكنه لكبر سنه وتقدم شيخوخته غير قادر على تلبية فطرتها، فتولى ابنه الشاب المهمة عنه فشيء عادي وعلى كل لسان! ولا من مشكلة! وشهد بذلك شاهد من أهلها المعمم عباس الخوئي ابن المرجع الشيعي المشهور أبي القاسم الخوئي. لقد تحدث عن فضائح أخلاقية حصلت في بيت الخوئي نفسه ومن قبل أقاربه الأذنين. من ذلك السبب الذي جعل أباه يطلق زوجته والدته محمد تقي وعبد المجيد الذي قتله أتباع مقتدى عشيية دخوله النجف مع (الإخوة) المحتلين. والتفاصيل موجودة في قرص ليزري. وقد ذكر فيه حكايات عن علمائهم ومراجعهم يخجل القلم من تقيدها.

### إتيان الذكور

وللقوم ولع خاص بالشذوذ ونكاح الذكر أو الغلام. ولعل هذا هو السبب وراء انتشار اسم (غلام) بينهم. وقد تحدث عباس الخوئي عن نفشي اللواط بين علمائهم! ثم عقب قائلاً: المشكلة ليست في هذا، المشكلة حين يصير الملوط به مرجعاً، وقد حصل!!!

التقيت بعض الأحوازيين فإذا هم يحدثوننا الحديث نفسه! حدثونا عن حي في مدينة أصفهان اسمه (سي وسه ل)، هو عبارة عن مركز دعاة علني متخصص بممارسة اللواط! وذلك تحت سمع وبصر حكومة دولة إيران (الإسلامية) دون أي تضيق أو محاسبة!! ومن المعتاد أن يسأل سائق التاكسي أثناء الطريق من يستأجره إلى ذلك الحي: كم تريد عمر الغلام: ١٠ سنوات، ١١، ١٢؟! كما أن كثيراً من مدرسي الحوزات لا يتزوجون قبل الأربعين، فإذا سألت أحدهم كيف لك أن تعيش من دون زواج؟ يضحك ويجيب: "عايشين على... وعلى الطلاب" (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)!

وحدثني أحد الأقارب - كان يسكن الديوانية في الجنوب العراقي - له جار يدرس في إحدى مدارس الحوزة النجفية. يقول: لفت نظري أن جاري هذا يذهب إلى النجف صباحاً ويعود مساء كل يوم. فسألته: لماذا لا تبني في القسم الداخلي للطلبة؟ فأجابني: لا أدري ماذا أقول لك؟!



هل تصدق أن ثلاثة أرباع الطلبة يمارسون اللواط مع بعضهم بعد انتهاء الدوام؟!

وإليك هذه العجيبة - وهي مفردة يومية من مفردات حياة كثير من معلمي الشيعة - حدثني من لا أتهمه، قريب وصديق لي يعمل في استيراد السيارات. يقول: رأيت شاباً شيعياً من أهل مدينة العمارة في الجنوب العراقي، كان يبحث عن عمل في (المنطقة الحرة) في (عدرا) بسوريا. اتجه بنا الحديث إلى أن قال هذا الشاب: لي صاحب يسكن قريباً مني في حي السيدة زينب، وكنا نبحث عن عمل فلا نجد. مرت الأيام سريعة، فلاحظت تغيراً على صاحبي في ملبسه ومأكله، وجيبه! قلت له: يظهر أنك وجدت عملاً؟! قال: نعم. قلت: ألا يمكن أن تشركني فيه؟ قال: لا ينفعك، ولا تقدر عليه. قلت: أخبرني عن هذا العمل؟ ما طبيعته؟ قال: دعه، لا تسأل عنه (!). وألححت عليه، وكان بيني وبينه علاقة حميمة وميانة. فقال بعد تلكؤ وتردد: تعرفت في هذه المنطقة على معلمي شيعيين اثنين مابونين، أزور كلاهما مرة في الأسبوع... وأحصل من ورائهما على مبالغ محترمة.

وقد انسحب هذا الولع على علاقتهم الزوجية فتاوى أجمعوا بها على جواز ممارسة الأسلوب نفسه مع الزوجة. على أن بعضهم يغلف فتواه بالكراهة التي هي مجرد كلمة لا أثر لها عند الفعل.

ويشيع في الوسط الإيراني نكاح المحارم الذي انتقل بالحث والعدوى إلى جميع المجتمعات التي تدين بالتشيع. إن أشد المجتمعات تديناً بالتشيع، أشدها ابتلاء باللواط ونكاح المحارم والشذوذ الجنسي. والنجف مثال! وقد كان في سجن أبي غريب على عهد النظام السابق، ومن مدينة الثورة فقط معقل (جيش المهدي)، التي صارت تسمى مدينة الصدر (٨٠٠٠) سجين بجريمة زنا المحارم. وقد روى لي الثقات أن أحد المحكومين بجريمة الشذوذ الجنسي شاب من مدينة العمارة الشيعية وعده أبوه بأن يزوجه من الفتاة التي يحبها إن هو رجع إلى الخدمة العسكرية. وحين رجع إلى بيته في الإجازة الدورية وجد أباه قد تزوج تلك الفتاة! فما كان منه إلا أن أمسك،

ثم عراه من ملابسه، وربطه بقضبان الشباك، ثم قام بنكحه!!! هل سمعتم بمثل هذه الجرائم الجنسية، وتخيلتم صور شذوذها!!!

وما كثرة الحديث عن هذه الفاذورات في (الرسائل العملية) للفقهاء إلا انعكاس للواقع الاجتماعي الفاسد.

### فتاوى الفقهاء

والعجيب أن الفقيه لا يهتم من جريمة مثل نكاح والد الزوجة وعمها وأخيها وأمها سوى صحة العقد من فساده، والسؤال عما إذا كان الفعل وقع قبل العقد أم بعده!! مع أنه يلقب نفسه بـ (الحاكم الشرعي) اللقب الذي يخوله حق التصرف بالأموال والأنفس والأعراض!

انظر مثلاً إلى ما يفتي به فقيه كبير لدى الشيعة كالحوئي: إذا تزوج امرأة ثم لاط بأبيها أو أخيها أو ابنها لم تحرم عليه<sup>(١)</sup>.

كما أن عملية جنسية شاذة مقرفة لا يفعلها إلا شياطين، ينفذها ثلاثة مع بعضهم في وقت واحد (ذكر وأنثى وخنثى) لا تثير لدى الأخ الخوئي انتباهاً إلى شيء سوى التفكير في مسألة الغسل وعلى من يجب؟! يقول الخوئي: لو أدخلت الخنثى في الرجل أو الأنثى مع عدم الإنزال لا يجب الغسل على الواطئ ولا على الموطوء! وإذا أدخل الرجل بالخنثى وتلك الخنثى بالأنثى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأنثى!<sup>(٢)</sup>.

هذا في كتاب اسمه (منهاج الصالحين)! ولا أدري ماذا يتضمن كتاب أكثر من هذا حتى يسمى عندهم بـ(منهاج الفاسدين)؟! إن ن قوماً يجعلون شر أنواع الفساد، وأكثره شذوذاً منهاجاً للصالح وسبيلاً للصالحين هم أفسد خلق الله، وأضلهم عن سواء السبيل.

ولإدمان ذوات هؤلاء، وتطبعها بهذه الرذائل والنجاسات حتى صارت

(١) المسائل المنتخبة، ص ٣٠٠ - مسألة (٩٩٢).

(٢) منهاج الصالحين، ٤٧/١.

جزءاً لا يتجزأ منها، ومفردات يومية يتعاملون بها دون أن تشير لديهم أدنى تحسس تجاهها تجدهم يتهمون، وبلا تردد، أشرف الخلق بمثلها. بدءاً بالصحابة الأخيار والذين تبوءوا الدار والإيمان، وشهد الله تعالى لهم بصدق النية وحسن الخلق! حتى وصلوا بتهمهم إلى أطهر بيت على وجه الأرض - بيت النبي ﷺ، فاخترقوا حجابهم ولاكوا بالسنتهم القذرة سمعة أزواجه أمهات المؤمنين، وهم يعوون كالكلاب ويطوفون كالذباب. إنها رذائلهم (يسقطونها) على غيرهم ولا يتصورون مدى وقع هذا الفعل على الطيبين الطاهرين حين تتهم رموزهم الطاهرة الزكية بهذه التهم الفارسية المزدكية التي لم يعرفها المجتمع العربي قبل ظهور التشيع، حتى قال أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لولا ما قصه الله علينا من أمر قوم لوط لما خطر في بالي أن ذكراً ينزو على ذكر!

من هذا الباب كثرة ذكر المسائل الجنسية في كتبهم ورسائلهم العملية، وبأحط الألفاظ والأوصاف المرذولة. تذكر هذه الرسائل أعمالاً شنيعة يهتز لها العرش لا لشيء إلا لذكر الحيل والمخارج (الشرعية) للتحلل من إثمها! فتحس أن هذه الجرائم والرذائل ممارسات عادية قد أدمن الناس على فعلها ويمكن إتيانها أو ارتكابها بلا نكير لا من العلماء، ولا من غيرهم! كل الذي يشغل الفقيه من جريمة، مثل اللواط، هو هل إن الاغتسال منها واجب أم على الأحوط!! ويفرط في ذكر أمور يخجل حتى القلم من تسطيرها مثل: اللواط بوالد الزوجة أو أخيها أو عمها أو جدها، أو إتيان أمها وخالتها، ومصائب وبلاوي عمت وطمت وقال الغلام وحكى الأمر وأدخل فأوقب<sup>(١)</sup>.

**السؤال:** أنا فتاة أبلغ من العمر ١٥ عام أبي متدين جدا وأنا ألبس الحجاب الكامل خارج المنزل والحمد لله ولكن أبي يقبلني كثيراً بين ثديي أو في فمي أو يأتي من خلفي ويحتضنني ويقبلني في نحري فأقول له أليست هذه الأفعال حرام فيقول لي إنها حرام إذا كانت بشهوة لكن أنا

(١) سياحة في عالم التشيع، ص ١١٥، المؤلف.

Address: [http://www.abtahi.com/Arabic/asp/all\\_reply.asp?number=8](http://www.abtahi.com/Arabic/asp/all_reply.asp?number=8)

آيت الله السيد حسن البطحي  
WWW.ABTABI.COM

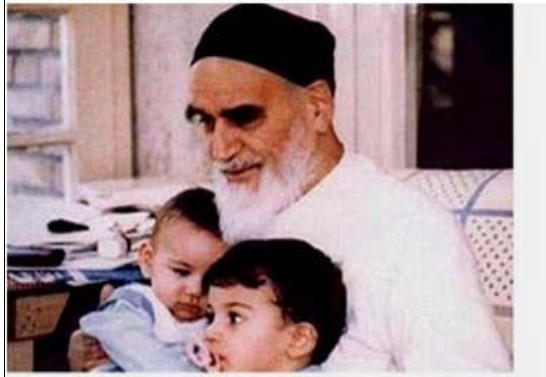
210- ایامه اربع من العمر 10 عام ابی رجل متدین جدا ونا السی الحجاب الكامل خارج  
المرکز والحمد لله ولكن ابی یعلی کثیرا بین ندی او فی قمی او یابی من جلفی  
ویمضی ویمضی فی بحر فاکول له البیت هذه الاطفال حرام فیقول لی انها حرام اذا  
کانت بشهوة لکن ای الفعل معک ذلك بعاطفة الآلوة وان الرسول محمد کان یقبل ابنته  
السيدة فاطمة من نحرها وبن نديها وفي قمها ومضی لسانها فهل الرسول کان یفحش  
فی ابنته لا وانا الرسول فعل ذلك فهذه رخصة لأب اب یفعل مع ابنته ذلك ویقول لی  
اننی لا المس العورة وهی القبل والدبر وکل ما لیس بعورة مصرح برؤیه او لمسه او تمیله  
وانه یفعل هذا أيضا من خوفا علی من اغراءات الشباب فالفتاة التي تسلم نفسها لأب  
شاب تكون مفتقدة لمشاعر الحب والحنان داخل المنزل. فهل ما یفعله أبی حلال أم حرام  
حرام وانا کان حرام کیف کان الرسول یفعل هذا مع ابنته السيدة فاطمة الزهراء وشکرا  
علی هذا الموقع المفید.  
و علیکم السلام ورحمة الله وبرکاته ان فعل والدک جائز بالشرط الذی هو یفعله و ذلك  
فی قلبه و لا یظنی به السوء، اهلا بکم.

أفعل معك ذلك بعاطفة الأبوة وأن الرسول محمد كان يقبل ابنته السيدة فاطمة في نحرها وبين ثدييها وفي فمها ويمص لسانها فهل الرسول كان يفحش في ابنته لا وإذا الرسول فعل ذلك فهذه رخصة لأي أب أن يفعل مع ابنته ذلك ويقول لي إنني لا ألمس العورة وهي القبل والدبر وكل ما ليس بعورة مصرح برؤيته أو لمسه أو تقبيله وأنه يفعل هذا من خوفه علي من إغراءات الشباب فالفتاة التي تسلم نفسها لأي شاب تكون مفتقدة لمشاعر الحب والحنان داخل المنزل. فهل ما يفعله أبي حلال أم حرام وإذا كان حرام كيف كان الرسول يفعل هذا مع ابنته السيدة فاطمة الزهراء وشكرا على هذا الموقع المفيد.

**الجواب:** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إن فعل والدك جائز بالشرط الذي هو يقوله وذلك في قلبه ولا تظني به السوء. أهلا بكم.

تزعجني جداً الطريقة التي يتعامل بها بعض رموز أهل السنة مراجع الشيعة، يلقبون الواحد منهم بـ(سماحة السيد)، ويتقدمون إليه بأن يتعاون معهم في سبيل نصرة الدين والدفاع عن الوطن، ويرسلون إليهم الوفود لحل القضايا، فلا يرجعون منهم بشيء! كيف لا؟ وهؤلاء - إلا أقلهم -

بهذا المستوى! وما الكبرياء التي يتظاهرون بها إلا غطاء يتعوضون به عما هم فيه من نقص وانحدار؛ فلا ينفع مع صنف كهذا إلا الازدراء والتعامل بفوقية تجعلهم يدركون أننا أكرم مما يتوهمون، وأن خباياهم مكشوفة وليست خافية علينا كما يتصورون.



٢١٦ — تحرير الوسيلة ج ٢

مسألة ١١ - المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة، والأحوط تركه خصوصاً مع عدم رضاها.

مسألة ١٢ - لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دوماً كان النكاح أو منقطعاً، وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضعة، ولو وطأها قبل التسع ولم يقضها لم يترتب عليه شيء.

تحرير الوسيلة ج ٢ ص ٢١٦ للخميني





(١٦)

## عقدة الاستعراض

ما زلت أذكر - ومنذ أكثر من ربع قرن - شخصاً كان سكيراً يؤذي أهله وجيرانه. ذهب يوماً إلى الحج. وعاد منه، فكنت أراه يفتح الباب الخارجي لداره ثم يقرأ القرآن قرب الباب بصوت مرتفع، يسمعه ويراه الراح والغادي. أنا أقرأ القرآن؛ إذن أنا تبت، أنا تغيرت، اعلّموا ذلك!

### المظاهر المبهجة

الشخصية الفارسية شخصية استعراضية مظهرية تهتم بالشكل والمظهر اهتماماً كبيراً، وذلك تعويضاً عما تعانيه من عقدة نقص متأصلة في نفسياتها المريضة. تدفع هذه العقدة صاحبها إلى أن يتحول إلى مخلوق يخفي ذاته من أجل التستر على خوائها الداخلي بكل ما يمكن أن يبهير الآخرين ويثير غيرتهم. إن هذا الخواء يقض مضجع الإنسان الناقص، ويدفع به دفعاً إلى مزيد من الإقبال على المظاهر التي تستر عليه وتخفيه. تجد ذلك واضحاً في الزي الديني للمراجع والعلماء: العمامة الكبيرة البالغة الكبر، واللحية الطويلة، واللباس الخاص الذي يحرص الواحد منهم حرصاً مبالغاً فيه على عدم ظهوره للناس ولقائه بهم إلا من خلاله. هذا مع الكالوش المتعدد الألوان حسب الدرجة العلمية (الأسود ثم الأحمر ثم الأصفر البرتقالي الشبيه بالشمس أو النار)، والمحابس المتعددة

الملونة، ذات الفصوص الكبيرة في أصابع كلتا اليدين. وتستطيع بالمقارنة مع الزي الديني السني، وقلة حرص العالم على ملازمة لبسه أن ترى الفرق، وتدرّك دلالة القصد.

كما تجد (الاستعراض) واضحاً في المسيرات والمواكب والحشود، والمسرحيات التي تسمى بـ(التشابه) اعتماداً على الشخصية الإيحائية لدى (الفارسي). وتجده أيضاً في الألقاب الفخمة التي يتعوض بها مراجع الشيعة عما يعانون منه من عقدة نقص: السيد، المرجع الأعلى، ولي أمر المسلمين، زعيم الحوزة... إلخ. وكذلك في أسماء أحزابهم وتنظيماتهم: المجلس الأعلى، فيلق بدر، حزب الله، المجلس الإسلامي الأعلى، الهيئة العليا لكذا وكذا.

يقول برنارد شو: (الإنسان بحاجة إلى الإلحاح اللفظي على ما يفتقر إليه). فالمهزومون يفرطون في الحديث عن الانتصارات، والعميان يسرفون في استعمال الأفعال التي تعني الإبصار، ودرجات الألوان والمسافات. والجائع يكثر من ذكر الطعام. كذلك العطشان في حديثه عن الماء.

### إخفاء المرجع

قد يتخذ الاستعراض مظهراً عكسياً بأن يُخفي المرجع نفسه فلا يظهر للعامة إلا نادراً من أجل إخفاء هيبة غامضة مضخمة، والإيحاء بالشخصية المبهمة المستعصية على الإدراك والفهوم (تشبهاً بالآله الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار).

### الدعاوى الفارغة والتصريحات الرنانة

وتجد (الاستعراض) لدى الشيعة في الدعاوى الرنانة الفارغة من المحتوى لإثارة الانتباه وجلب الإعجاب. وآخر ما طلّعوا به علينا من ذلك ما صرح به الرئيس الإيراني المتشدد محمود أحمددي نجاد من دعوته إلى محو دولة إسرائيل، وعرضه نقلها إلى ألمانيا، أو إحدى دول أوروبا، وإنكاره وقوع المجازر التي تعرض لها اليهود على يد هتلر.



## إخفاء الذات

إن هذه العقدة تتماشى مع عقدة النقص من ناحية أخرى: فالفارسي لنقصه حريص على إخفاء ذاته، وإظهارها بعكس ما هي عليه. إنه كائن يخفي ذاته من أجل التستر على خوائها الداخلي، ويتمظهر بكل ما من شأنه أن يبهر الآخرين ويشير إعجابهم وغيرتهم. وليس من باب الشرع والتدين حرصه على إخفاء المرأة الفارسية بغطاء (التشادور) والبوشيه، إنما هو من باب الحرص على التخفي والتستر على الذات. فالكثير من هؤلاء النسوة في الواقع لسن أكثر من مجرد سلعة معروضة لـ(المتعة)، وقد تفرج على جسدها مكشوفاً عارياً العشرات من الرجال من طالبي اللذة المتاع الرخيص! فأين هذا من هذا؟!

## المسيرات والمظاهرات

وتجد هذه العقدة واضحة في مسيراتهم ومظاهراتهم الشعبية، وهم يستعرضون قوتهم من خلال الدبكات والهوسات النارية، والشعارات والأعلام والصور والوعد والوعيد. من أجل ماذا؟

مثلاً: في يوم ٢٠٠٥/١/١٥ أظهرت الشاشات الفضائية صورتين: أحدهما في حي الثورة الشيعي في بغداد، والأخرى في الأنبار والموصل السنتين. بين الصورتين من المفارقة ما بين الأرض والسماء! في (الثورة) مسيرة ضخمة بالدبكات والهوسات والشعارات والأعلام! وأقول مرة أخرى: من أجل ماذا؟ وعلام كل هذا؟! إنهم يطالبون بتوفير النفط والغاز والبنزين والكهرباء! أما في الأنبار الباسلة - ومعها الموصل - فظهرت صورة للمجاهدين - بأبي هم وأمي!!! - ملثمين يحملون قاذفاتهم وأسلحتهم الأخرى، يهاجمون الأمريكان ويحرقون آلياتهم وناقلات جنودهم. ولكن.. بلا هوسات ولا دبكات ولا أعلام ولا ضجيج.

وفي المقابل يخرج مستعرضاً بعض الخائبين، ومن أقدر مدينة في

الشرق الأوسط بلا منازع وأكثرها وساخة وعفونة ليسميتها بـ(مدينة الصدر المقدسة، وفي رواية: المنورة)!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا.

وتتوالى هذه الصور والمشهد يتكرر: مظاهرات رنانة واستعراضات فارغة في المدن الشيعية من أجل توفير فرص عمل، ومطالبة بالتعيين في سلك الشرطة في السماوة، ومظاهرات في الرميثة، وتفاخر فارغ بما فعله الأجداد في ثورة العشرين:

اليوم نُعيد الماضي      واحنا احفادك يا شعلان  
الشاهد هذا المركز      هذا اليمك موش بُعيد  
ماذا تتصور يريد (أحفاد شعلان)؟ إنهم يطالبون بالتعويض عن الشلب  
الذي مات بسبب انقطاع الماء! بئس الخلف!  
وصدق الشاعر فلاح عسكر حين قال:

احنا من اول التاريخ معروفين      احنا اهل السيوف الباشطة الزينة  
وانتو من اول التاريخ معروفين      حيا الزوالي الحدر رجلىنا  
❦ ❦ ❦

(١٧)

## عقدة الصفاقة

الصفاقة: قلة الحياء، ومثلها الوقاحة.

و(الفارسي) بطبعه وقح صفيق، بسبب اعتياده على إتيان النواقص التي يندفع إليها مضطراً لحماية نفسه كالكذب والخداع والغدر والاعتداء، وهو يحاول الوصول إلى غايات أكبر من حجمه. وبسبب كثرة هذه الرذائل أو النواقص التي يرتكبها فإنها كثيراً ما تنكشف، مما يزيده جرأة في تعاطيها حتى تصير مفردات يومية يتعامل بها في حياته الاجتماعية دون تردد أو خجل! لهذا صار (الفارسي) ذا طبيعة وقحة لا يتأثر بإتيان الرذائل. تسند ذلك عقدة النقص، والناقص لا يستنكف من النقائص؛ لأنه كما قيل: الذي في الأسفل لا يخشى السقوط. وفيه وفي أمثاله قال الشاعر العربي:

من يَهْنُ يسهل الهوانُ عليه      ما لجُرحٍ بميتٍ إيلامُ

يطلق على الشخصية المصابة بمرض الوقاحة في علم الأمراض النفسية اسم (الشخصية السيکوباثية Psychopathic Personality). على أنني أذكر القارئ بأن (الفارسية) ليست قومية بقدر ما هي شخصية. فقد يكون المرء فارسياً في أصله، لكنه طبيعي في شخصيته. ولربما يكون عربياً في أصله، لكنه (فارسي) في شخصيته.

## معالم الشخصية الصفيقة

يقول سيجموند فرويد فيقول عن الشخص السيكوباثي: "كثيراً ما نجده يندفع بقوة لاتباع نزعاته وأهوائه المكبوتة دون أدنى اعتبار للقيم والمعايير الأخلاقية، أو لما يفرضه المجتمع من أنظمة وتقاليد". ويقول عن هذه الفئة من المرضى: "نجد من بينهم الكاذب الماهر ذا الخيال الخصب، والخائن المراوغ، والأرعن المتهور الأناني. ومنهم كذلك من لا يقبل أي نقد أو نصح أو إرشاد"<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور علي الوردي عن هذا المرض وصاحبه: "وقد يصح تعريبه بـ(داء الصفاقة)، فالشخص المصاب بهذا الداء يتميز عن غيره بوجود ضعف في تناسق ذاته من الناحية الزمنية فهو لا يبالي بما فعل في الماضي أو ما سوف يفعل في المستقبل ولا يستحي منهما. إنه قد يستقرض منك مبلغاً من النقود على أن يرجعه إليك بعد ساعة. ثم تمضي عليه الساعة والساعتان وعشرات الساعات دون أن يشعر بأهمية وعده. وربما قابلك بعدئذ بوقاحة كأنه لم يستقرض منك شيئاً وهو قد يتسم لك ابتسامة بلهاء ثم يكرر الوعد لك مرة بعد مرة بلا جدوى. إن الشخص (الصفيق) قد يخونك أو يغشك أو يغتابك أو يهاجمك بصلافة ثم ينسى ذلك ويريد منك أن تنساه أيضاً.

ومما يجدر ذكره أن الشخص السوي قد يرتكب مثل هذه الأفعال، ولكنه يخجل منها عادة، ويحاول الاعتذار عنها، أو تبريرها. أما الشخص (الصفيق): فهو يرتكب تلك الأفعال بلا اكتراث كأنه لم يفعل شيئاً يستحق اللوم... لا ننكر أن الشخص (الصفيق) قد يستفيد في بعض الظروف فقلة الحياء فيه تجعله ناجحاً في انتهاز الفرص أحياناً. إنه يستطيع أن يتزعم كل مظاهرة ويقف في كل حفلة ويتزلف لدى كل متنفذ. والمعروف عن بعض المتنفذين أنهم يحتاجون إلى شخص من هذا الطراز، لكي يقوم بخدمتهم في المهمات التي لا يرضى أن يقوم بها الأشخاص الأسوياء"<sup>(٢)</sup>.

(١) الشذوذ النفسي عند الجنسين، ص ١٨٨-١٨٩، سيجموند فرويد.

(٢) لمحات اجتماعية، ٣١٢/٢-٣١٣، الدكتور علي الوردي.

### الصفافة عند الفرس فضيلة وليست رذيلة

على أن الوقاحة أو الصفافة عند الفرس سجية اجتماعية محمودة، وليست رذيلة ممقوتة. إن الأدب الفارسي يمجّد (الوقاحة) كما يمجّد (الكذب). ولا بأس بإعادة ما مر بنا سابقاً من قول الخبير الأمريكي جاك ميلوك عن هذه الصفة: (في قطعة أدبية مشهورة في الأدب الفارسي ينصح أحد الحكماء الإيرانيين من ذوي العقل الراجح ابنه حول الكيفية التي يتوجب على الابن اتباعها من أجل أن يكسب حياته في إيران: (لا تتخوف من سوء استعمالك للحق أو للسلطة، ولا من الإذلال أو تشويه السمعة أو الافتراء... وعندما يجري طردك خارج أحد الأبواب، تعال وادخل بابتسامة من باب أخرى... كن وقحا ومتغطرسا وغيباً؛ لأنه من الضروري في بعض الأحيان التظاهر بالغباوة؛ لأن في ذلك فائدة).

و(الوقاحة) ظاهرة لمسناها في الوسط الشيعي المستعجم. جاءني مرة واحد من هؤلاء يناقشني في مسائل تتعلق بالشيعية والتشيع قال لي: كيف تتهم علماءنا بأنهم يقولون عن (الإمام علي) إنه دابة الأرض؟ قلت له: هذه حقيقة وليست تهمة. وممن قالها محمد صادق الصدر قال: مستحيل. قلت: علام هذا المستحيل؟ إن له رسالة اسمها (الرجعة) فيها هذا الكلام. قال هذا غير صحيح. قلت: هل اطلعت على الرسالة؟ قال: نعم وليس فيها ما تدعيه عنه.

كنت لحظتها أبحث بين الكتب. ولما أخرجت الرسالة وأخذت أقلبها لأقع على موضع الشاهد منها إذا به يقول: نعم موجود هذا الكلام وليس فيه من شيء فالدابة كل ما دب على الأرض (!!)) وعجبت من (صفافته)!! لقد قالها دون تلثم! ودون أن تتغير ملامح وجهه! واستمر في حديثه وجدله كأنه لم يفعل شيئاً! مع أنه لو كان إنساناً سوياً لذاب خجلاً ولاذ بالصمت ليغادر الجلسة إلى أقرب حمام كي يغسل العرق الذي جلله! ولكنها (الصفافة)!

إن هذا يذكرني بصفافة يهود، ووقاحتهم الباردة، يوم أسلم حبرهم عبدالله بن سلام رضي الله عنه (وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك فأرسل إليهم فاسألهم عني: أي رجل ابن

سلام فيكم؟ قال: فأرسل إليهم فقال: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابن عالمنا وأفقهنا وابن أفقهنا. قال: رأيتم إن أسلم تسلمون؟ قالوا: نعيذه بالله من ذلك. قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا<sup>(١)</sup>.

نعم! إنها الصفاقة تلك السجية اليهودية الفارسية التي من مظاهرها ما نراه أثناء الخصومة حين يتمادى البعض منهم إلى حد (الفجور) فلا يدع وسيلة لإيذاء خصمه وتشويه سمعته وبصورة علنية سافرة إلا استخدمها، حتى إذا انتهت أسباب الخصومة يعود هؤلاء المختصمون إلى حد (الفجور) أصدقاء يتحدثون كأن لم يكن بينهم من شيء! والمتدينون منهم يغلفون هذه (الصفاقة) بأسماء ومبادئ شرعية كالعفو والصفح والمغفرة و(عفا الله عما سلف)...الخ وما هي إلا وقاحة وصفاقة ورقاعة لأن أصحاب العفو والصفح والمغفرة لا يفجرون في الخصومة.

خاصمني بعض هؤلاء خصومة فاجرة شديدة لم تنفع معها كل محاولات الإصلاح والنصيحة. ومرت الأيام فإذا أحدهم يقبل بعد صلاة الجمعة ليسلم عليّ ويصافحني. ومددت يدي أرد عليهم السلام. وبعد حين سمعت أنهم يشكون من عدم تقديري لهم؛ لأن سلامي عليهم كان بارداً! لعلمهم كانوا يريدونه بالأحضان ومضخماً بالقبلات! مع أن حقهم - الذي لا يستحقون غيره - كان الطرد بلا سلام ولا كلام!

إن داء (الصفاقة) هو الذي يجعل (الشيعي) لا يتردد من سب الصحابة في وجهك ببرودة أعصاب وجمودة وجه كأنه يترحم عليهم! دون أن يعير لشعورك أدنى اعتبار. حتى إذا أنكرت عليه قال لك متغيظاً: لماذا تكرهون (أهل البيت)؟ ولك مني جائزة مجزية إذا تمكنت من حل هذا اللغز الذي يجعل من الدفاع عن الصحابة هجوماً على (أهل البيت)!!

(١) رواه البخاري، وأحمد واللفظ له.

## هكذا تكشف الصفاقة عن سوءتها..!

ما إن تسلم عبدالعزيز الحكيم رئاسة الدورة الشهرية لما سمي بـ(مجلس الحكم) في العراق حتى أعلن على الملأ - بلا تردد ولا حياء - أن على العراق أن يعوض إيران (١٠٠) مليار عن خسائرها في الحرب. هل كان يشعر أنه رئيس مجلس حكم العراق وليس إيران؟ لا أظن! هذا.. وفي الوقت نفسه يطالب الدول العربية بشطب ديونها التي بذمة العراق!!!

ومن أرض الأردن - البلد العربي ذي الانحدار البدوي الأصيل - هاجم وزير الداخلية المفروض على العراق باقر صولاغ، وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قائلاً: (لسنا في حاجة إلى نصائح بدوي يركب الجمل)! لا شيء سوى أن الأخير انتقد إيران على تدخلها السافر في شؤون العراق. ونسي صولاغ أن الرسول ﷺ كان يركب الجمل. ولكن عقله الباطن الذي يختزن احتقار العربي أبي إلا أن يفصح عن نفسه. كما نسي أنه وزير داخلية العراق، لا وزير داخلية إيران. والملاحظ أن الجوقة الحاكمة في العراق لا يثيرها شيء كما يثيرها توجيه النقد لإيران، وتنبري للدفاع عنها بصفاقة تحسد عليها!

وقد افتتح إبراهيم الجعري دست منصبه كرئيس لوزراء العراق فكان أول قرار اتخذه الإفراج عن (٤٠٠) معتقل إيراني في السجون العراقية، وغلق ملفاتهم جميعاً بصرف النظر عن نوع القضايا التي يحاكمون بها! مع أن سجنونه تعج بالعراقيين والعرب، وزادت أضعافاً متضاعفة.

ومن فوق أرض الإمارات العربية السنية تهاجم الفضائيات الشيعية أهل السنة! في يوم (٢٠٠٥/١٢/١٤) نقلت (فضائية الفيحاء) الشيعية مظاهرة احتجاج على (قناة الجزيرة) التي ظهر فيها قبل يوم في برنامج (الاتجاه المعاكس) شخص تهجم على المرجعيات الشيعية ووصفها بالعميلة. وكان المتظاهرون يرددون (نعال السيد يسوى الدوحة وما بيها). والدوحة هي عاصمة إمارة قطر التي من أرض جارتها (الإمارات) تبث قناة الفيحاء برامجها الفضائية! المدعومة بمال خليجي سني! هل رأيت ماذا تفعل الوقاحة بأصحابها؟! والشواهد على الوقاحة والصلف الفارسي كثيرة منها:

دخل أحدهم على الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت. يقول: فوجدته غاضباً جداً. ولما سألته عن سبب غضبه قال: (قبل أن تأتي بدقائق كان عندي محمد باقر الحكيم جاء يطلب مساعدة الكويت ضد صدام حسين، وقد رفع صوته عليّ وأساء معي الأدب. هذا وهو زائر مشرد، وقد لا يرى بلده، فماذا سيفعل إذا حكم العراق؟!)(١).

ويستقبل المسؤولون في السعودية مقتدى في موسم حج عام (١٤٢٦) استقبال الملوك، ويكرمونه، وينزلونه أعلى المنازل. لكنه ما إن يرجع من هناك، حتى يتهمهم بأنهم وراء تفجير قبة المرقد في سامراء!

أما استخفافه بأهل السنة - الذين مدوا له أيديهم من قبل بكل صدق وعفوية، وصفقوا له، ومجدوه - فقد بلغ به حدّاً أن يعلن في الانتخابات الأخيرة (٢٠٠٥/١٢/١٥) تحالفه معهم، ولكن.. في محافظة واحدة فقط.. هي.. محافظة الأنبار! رمز أهل السنة! دون بقية المحافظات: العربية عامة، أو الشيعية، أو المختلطة.

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب، ما حدثني به صديق من أهالي ناحية (جبله) كان شيعياً فهداه الله تعالى، فقال: كان لنا أغنام، فيها نعجة سوداء اللون، ترك والدي صوفها يطول كي يصنع منه عباءة له. ومر بنا يوماً - حسب العادة الجارية - (سيد) يأخذ منا ما يقدر عليه مما يسميه (حق جدي). رأى (السيد) تلك النعجة تختال بصوفها الأسود الجميل، فما كان منه إلا أن عزلها عن الأغنام ليسوقها ضمن القطيع الذي يريده للمرحوم (جده). وحين قال له والدي: دع هذه النعجة وخذ غيرها بدلاً عنها، وأعلمه بالسبب. لم يقتنع، وأصر على أخذها بعينها! ولم تنفع معه كل المحاولات والاستعطاف والترجي، وصار يتهجم ويصيح، ولم تنته المشكلة إلا حين قام والدي بسبه وضربه، ثم طرده كالكلب الممطور شر طردة!

(١) راوي الواقعة عن الأمير هو جهاد الخازن. وقد ذكرها الأستاذ فيصل القاسم على قناة الجزيرة) في برنامج (الاتجاه المعاكس) يوم الثلاثاء ١٦/٨/٢٠٠٥.



## التلون وتعدد الوجوه

ولعل التلون الذي عرف به الفارسي، وعدم استقراره على حال، أو خلق، له علاقة بهذه السجية. يقول الشيعي المحترق الشيخ محمد الكرمي: (والفرس بطبيعتهم متلونون، فتراهم يقبلون على الشيء بكلهم، وقد يكون ذلك منهم لا لداعي، ثم يدبرون عنه بالمرة الواحدة كذلك! والمثال القريب لهذه الدعوى أننا وجدنا الأمة الإيرانية قبل عشر سنين لا أكثر أخذت تهاجم الدين والمتدينين بصورة بشعة يعلم الله. فنسأؤهم - فضلاً عن كونها بادية الوجوه - بادية في كل ما تملك، ومضيفه على ذلك التحسين والتزيين، بعد أن كانت هي بنفسها تلتاث بحجاب حصين، ولا تترك صلاة الجماعة بحال مقدسة غاية التقديس... والكثير من هاته النسوة كان في وسعهن أن لا يخرجن، كما كان في وسع أزواجهن أن يمنعهن. ولكن القوم لبوا هذا النداء<sup>(١)</sup> بصورة مستغربة للغاية! حتى إن الأمم النازعة الجلباب - كالغربيين - رأوا في إيران عندما دخلوها صورة مهيجة، لم يجدوها ولا في باريس فرنسا، أو نيويورك أمريكا! ولذلك غدوا يطاردون نساءها في أي زاوية كن، بعد أن طمعوا في كثير من سافراتها. وحتى إن الرجل كان بنفسه يهيئ لزوجته وبنته وسائر نسائه التي في بيته آلات الزينة، كيما تبدو إلى الخارج ببزة جالبة، ووضع جاذب. ولما أن تدهور ذلك الوقت بصاحبه أخذ يهيئ له ولأهله جلايب التستر والحجاب، ناقماً على الوضع السابق، الذي ما صيره نقمة إلا هو لعنه الله وقلل من أمثاله. وكان في وقت سفوره يهزأ بالدين والمتدينين، ويسخر من العمام والمعممين بما لا جابر له على ذلك أصلاً. غاية ما هناك رأى السلطة الحاكمة مخالفة لهذا النوع، لا أنها جابرة له على توهينه وتحقيره. فعاد - بعد أن انتكست أعلام تلك الدولة - مقبلاً على ما كان جافياً له، ساخراً منه!

ونحن كلما أردنا أن نتعقل جهة لذلك الإدبار، وهذا الإقبال، لم

(١) يشير إلى دعوة الشاه رضا بهلوي النساء إلى السفور اقتداء بمصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

نجد للقضية في وجهتيها السلبية والإيجابية وجهاً يعلم الله سوى التلون  
البارد فحسب<sup>(١)</sup>.



---

(١) الحياة الروحية، الحلقة الثانية، ص ٢٤٧-٢٤٧، محمد الكرمي، مصدر سابق.

(١٨)

## عقدة الذنب

الشيعي يلطم نفسه، ويجلد ذاته، ويفري بالزناجيل الحديدية ظهره! يشدخ رأسه، ويخمش وجهه، ويجز شعره، ويشق ثوبه! لماذا؟ وعن أي عقدة نفسية يعبر؟

### عقدة النقص والخجل من الذات

تؤدي (عقدة النقص) إلى شعور المرء بالخجل والحاجة إلى الابتعاد والتواري عن الأنظار. ويحصل بمرور الزمن نوع من الإدانة للنفس، والشعور بالذنب الذي يتحول شيئاً فشيئاً إلى عقدة تؤثر على سلوك الإنسان، وتحكم تصرفاته لا شعورياً، حتى لو لم يكن هناك من ذنب مرتكب! كما يقول العلامة «يونس»: (إن المرء يمكن أن يشعر بالذنب لا على أثر فعل ممنوع، ولكن أيضاً عندما لا يستطيع الوصول إلى تحقيق ذاته، وإبراز فرديته الخاصة والعميقة)<sup>(١)</sup>.

### اجتياف عملية التبخيس

هذا وقد لاحظ علماء النفس أن الظلمة والمستبدين يحتقرون شعوبهم، ويمارسون تجاهها عملية تبخيس وتحقير مستمر. وهذا يؤدي -

(١) أيضاً، ص ١٧٩.

بمرور الزمن - إلى أن تجتاف (تقبل وتتقمص) الجماهير المقهورة - أو تلك التي تعاني من (عقدة الاضطهاد) - عملية التبخيس والتحقير هذه، وتمسي أسيرة الوهم بأنها لا تستحق من المكانة أكثر مما هي عليه من الذلة والتبعية والمهانة؛ فتنعكس عدوانية المتسلط وقهره لها ذاتياً على شكل مشاعر إثم ودونية فـ(يزدري إنسان العالم المتخلف ذاته ويخجل منها، ويود لو تهرب من مواجهتها، كما ينقم عليها في نفس الوقت. وهنا يكيل النعوت السيئة لنفسه، متهماً إياها بالتقصير والتخاذل والجبن. ويميل إلى إنزال العقاب بنفسه حتى إنه يرى أحياناً في القهر والظلم الإنسانيين، كما في قسوة الطبيعة واعتباطها، عقاباً مستحقاً له على تخاذله واستكانته)<sup>(١)</sup>.

فكيف إذا كانت الذات أساساً قد أحاطتها الخطايا والذنوب، وغرقت فيها إلى الأذقان؟! والجواب يفهم من خلال ما قاله د. حجازي: (هناك ذات مدانة محقرة ومعنفة دون هوادة، وذات أخرى تدينها، تحقرها وتشتط في سقمها سوء العذاب. هذه الذات الأخرى ضمنية، بها يتماهى (يذوب) الإنسان المقهور في حربه ضد ذاته المهانة التي يحاربها. إنه نوع من الاحتيال على واقع لا قبل للمرء بمجابهته حتى يحتفظ بقيمة ضمنية لذاته الحميمة والحقيقية (في نظره). ليس هناك من مذنب إلا وينبذ جزءاً من ذاته معتبراً إياه خارجاً عن أصالته، ومسقطاً عليه كل اللوم، وكل التبخيس بغية الاحتفاظ بذاته الحقيقية (الخفية) دون مساس. بذلك فحسب يستطيع أن يعيش، وإلا فليس أمامه سوى الانتحار، إذا لم يحتم بالازدواجية. حتى الانتحار، يتضمن في النهاية نوعاً من الازدواجية: تدمير الذات السيئة، أو بالأحرى تدمير الصورة السيئة عن الذات بعد تحميلها كل الإثم أملاً في خلاص وهمي، في تطهير ذاته الحقيقية مما ألم بها من سوء ومهانة. ولكن مأساة المنتحر تكمن بالتحديد في أن تدمير الذات المدانة وصورتها السيئة يتم من خلال الجسد (وعاء الذات الوحيد)،

(١) أيضاً، ص ٤٠.

وبالتالي القضاء الفعلي على الوجود. أما في وهم المنتحر فالأمر لا يعدو القدرة على فعل خطير وجذري من أجل الخلاص<sup>(١)</sup>.

كما أن المصاب بعقدة الذنب يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير - ولو بعقاب نفسه - التماساً للراحة، وتخفيفاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر؛ فيندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. وهو يفتش عما يؤذيه ليجد الراحة بل اللذة في هذا الأذى أو العقاب (الماسوشية). وفي ضوء هذا التفسير نجد أن الشيعي من خلال اللطم والتطير - ناهيك عن الممارسات الماسوشية الأخرى الشائعة في الأوساط الدينية الشيعية، وما قرب منها وتأثر بها، كاللواط - إنما يمارس الانتحار - وإن بصورة رمزية - للخلاص من ذاته المذنبة المدانة.

### احتقار الأمثال والأتباع

هناك ملاحظة مهمة عن صاحب هذه الشخصية أشار إليها د. حجازي بقوله: (بينه وبين هؤلاء تقوم علاقة ازدراء ضمنى؛ لأنهم يعكسون له مأساته وعاره، كما يعكس مآساتهم وعارهم. ويصيب المرأة والأتباع في عملية التحقير هذه النصيب الأوفر... فما يلقاه من تبخيس ومهانة، وما يفرض عليه من تبعية يعود فيمارسه على زوجته ونساء أسرته، كما يمكن أن يفرضه على أتباعه ومن هم في إمرته)<sup>(٢)</sup>.



(١) أيضاً، ص ١٧٧.

(٢) أيضاً، ص ٤٠. هذه مسألة نفسية في غاية الأهمية نعرف من خلالها أن المهزوم نفسياً لا يحترم أتباعه، ولا يعتبر آراءهم، على العكس ممن يعامله معاملة الند أو الخصم.



## تأليه الحاكم

كان الملك أو (حاكم المدينة) في بلاد ما بين النهرين يعتبر نائباً عن الإله أو وكيلاً عنه. وفي حفل التتويج يرتدي الملك زي الكاهن رمزاً لاتحاد الدين بالدولة. وبينما يظهر حمورابي في مسلته وهو يتلقى القوانين من الإله، كان الفرس يعتبرون الملك إلهاً وليس نائباً عن الإله. ويطلقون عليه لقب (ملك الملوك). وله السلطة المطلقة في طول البلاد وعرضها، فكانت الكلمة التي تصدر من فيه كافية لإعدام من يشاء بغير محاكمة، ولا بيان للأسباب. وكان في بعض الأحيان يمنح أمه أو كبيرة زوجاته حق القتل القائم على النزوات والأهواء. وقلمما كان أحد من الأهالي - ومنهم كبار وأعيان - يجرؤ على انتقاد الملك أو لومه. كما كان الرأي العام ضعيفاً عاجزاً عجزاً مصدره الحيطة والحذر، لدرجة أن كان كل ما يفعله من يرى الملك يقتل ابنه البريء أمام عينيه رمياً بالسهم أن يشني على مهارة الملك العظيمة في الرماية! وكان المذنبون الذين تلهب السياط أجسادهم بأمر الملك يشكرون له تفضله بأنه لم يغفل عن ذكرهم.

وعندما غزا الاسكندر فارس وجد القوم يسجدون للامبراطور ويؤلهونه؛ فأعجبه ذلك، وسعى لأن يكون إلهاً فابتدع سياسته الخاصة بالمزج وإدماج العناصر المقدونية بالفارسية في إمبراطوريته، واتخذ في المناسبات الزي الفارسي، ومراسم البلاط الفارسي. وإذ ذاك أزمع على

اقتباس تلك العادة الفارسية: عادة السجود للملك. وهي التي يتعين بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك السجود له<sup>(١)</sup>.

يقول السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي: (كانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي. وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً فكانوا يكفرون<sup>(٢)</sup> لهم وينشدون الأناشيد بألوهيتهم. ويرونهم فوق القانون، وفوق الانتقاد، وفوق البشر. لا يجري اسمهم على لسانهم ولا يجلس أحد في مجلسهم. ويعتقدون أن لهم حقاً على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم. وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة.

وخصصوا بيتاً معيناً وهو البيت الكياني فكانوا يعتقدون أن لأفرادهم وحدهم الحق أن يلبسوا التاج ويجبوا الخراج. وهذا الحق ينتقل فيهم كابراً عن كابر وأباً عن جد لا ينازعهم ذلك إلا ظالم، ولا ينافسهم إلا دعي نذل. فكانوا يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك لا يبغون عنه بدلاً ولا يريدون عنه محيصاً<sup>(٣)</sup>.

ويقول أيضاً: (كانت السيادة والقيادة الدينية والحكم في قبيلة "ميديا". ثم انتقلت هذه الزعامة إلى قبيلة "مغان" منذ غلبة الديانة الزردشتية وتأثيرها على إيران. وكان الفرس يعتقدون في طبقة الكهنوت priest class أنهم ظل الإله على الأرض، ولم يخلقوا إلا لخدمة الإله. ولا بد للحاكم أن يكون من هذه القبيلة؛ فإن ذات الإله تتجسم فيه، وإن منصب الإشراف على بيت النار وتنظيمه حق يختص بهذه القبيلة وحدها.

ويقول الأستاذ دوزي (DOZY): «قد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى

(١) الطاغية، ص ٦٩، د. إمام عبدالفتاح إمام، مصدر سابق، بتصرف.

(٢) أي يضعون أيديهم على صدورهم أمامهم ويطأطئون رؤوسهم على عكس ما يفعلون في صلاتهم! وقد شددوا في هذه المسألة حتى حكموا ببطلان صلاة من كفر في صلاته!

(٣) ماذا خسر العالم بالخطط المسلمين، ص ٤٩-٥٠، السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي.



الملك نظرة فيها معنى إلهي. ونظروا هذا النظر إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب، وإن إطااعته إطاعة الله»<sup>(١)</sup>.

### إسقاط عناصر الديانة الفارسية على الإسلام

وبعد أن اكتسح الإسلام بلاد فارس أسقط الفرس صفات التأليه هذه على من أسموهم بـ(الأئمة) من البيت العلوي، وحصلوا الملك الوهمي في هذا البيت فاعتقدوا أن كل من نازعه الملك دعي ملعون. ومن هنا ولدت فكرة (الإمامة). إنها فكرة فارسية مجوسية ألبرت ثوبا عربيا وعنوانا إسلاميا. انظر إلى عقيدة الخميني في (الأئمة) تجدها هي هي عقيدة الفرس القدماء في كهنتهم وملوكهم. فهو يقول: (إن للأئمة مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، كانوا قبل العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محققين، وجعل لهم من المنزلة والزلزلة ما لا يعلمه إلا الله)<sup>(٢)</sup>.

ثم قاموا بإسقاط هذه الصفات - بعد (الأئمة) - على الفقيه الذي يلقبونه - ويلقب هو نفسه أيضاً - بـ(الحاكم الشرعي)! تأمل هذا النص في أوثق المصادر عند الإمامية: (عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرط انه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله)<sup>(٣)</sup>.

(١) المرتضى، ص ٢٨٣-٢٨٤، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) الحكومة الإسلامية، ص ٥٢، طبع مكتبة بزرگ الإسلامية، طهران. نقلاً عن المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣) عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ص ١٢٤، إبراهيم الزنجاني، وعقائد الشيعة ص ٩، محمد رضا المظفر، وهو الكتاب المقرر في مدارس الحوزة النجفية.

إن هذه العقدة أو العقيدة هي السبب الكامن وراء تلك الطاعة العمياء الصماء للعلماء مهما كانوا منحرفين فاسدين!

### إسقاط صفات الملك الفارسي على المرجع الشيعي

إن الفقيه في حقيقته ملك من ملوك بلاد فارس القديمة مسلط على النفوس والأموال والأعراض يتصرف فيها مطلق اليد بلا رقيب ولا حسيب، حتى لو أدى ذلك إلى تعطيل الأحكام الشرعية، ومعارضة النصوص السماوية معارضة صريحة! (وقد وقع ذلك فعلاً فقد نشرت صحيفة (كيهان) الصادرة من لندن في عددها ١٨٢، الصادرة في ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ، رسالة للخميني موجهة إلى رئيس الجمهورية سيد علي خامنه إي، بعنوان بقلم عريض: " إن الحكومة تستطيع أن تعطل المساجد أو تهدمها. وإن الحكومة مقدمة على الصلاة والصيام " ويقول فيها:

إن الحكومة هي فرع من ولاية رسول الله المستقيمة، ومن أحكام الإسلام الأولية، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم والحج: فيجوز للحاكم أن يعطل المساجد عند اللزوم، ويخرب مسجداً، ويلغي أي حكم من أحكام الإسلام - سواء كان من العبادات أو غير العبادات - إذا كان مخالفاً لمصالح الإسلام. ويعطل الحج الذي هو من فرائض الإسلام المهمة إذا اقتضت ذلك مصلحة المملكة الإسلامية؛ لأن هذه الحكومة هي ولاية إسلامية مطلقة<sup>(١)</sup>.

### تشيع الخميني..!

وقد شهد العالم كله على شاشات التلفاز وغيره صورة من صور ذلك التقديس الوثني للفقيه أو تأليه الحاكم يوم هلك الخميني!

(١) المرتضى، ص ٢٨٥، أبو الحسن الندوي.



هكذا يؤله الإيرانيون دجاجلتهم

فقد (روت الصحف ووسائل الإعلام العالمية، أنه لما مات آية الله الخميني في ٣ من يونيو ١٩٨٩ في طهران، وحاولت منظمات الحكومة نقل جثته إلى المقبرة التي تسمى بـ(جنة زهراء) على سيارة، انهالت عليها الجماهير وتهافتت، حتى أصبحت عملية النقل مستحيلة، وحملوها على طائرة الهليكوبتر فلما وصلت هناك انهالت الجماهير الحاشدة على التبرك برؤية الجثة، ولم ينفع إطلاق النار والإنذار مرة بعد مرة، وخرت الجموع في حماس ديني على الجثة، واختطففت الأكفان ومزقتها تمزيقاً، واقتسمتها فيما بينها تبركاً بها، حتى أصبحت الجثة عارية ووقعت على الأرض، واضطر المسؤولون الرسميون إلى تأجيل دفنها، وتحقق ذلك بعد ساعات...

وليس كل ذلك إلا نتيجة إيجاد تلك الهالة القدسية الإلهية التي صنعتها عقيدة الإمامة الغالية واعتقاد العصمة والقداسة التي تسمو على

البشرية العامة والعبودية التي يقرها الإسلام، وتنافي سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وتعاليمه<sup>(١)</sup>. وما هذا كله إلا انعكاس مُحَوَّر للرواسب الاعتقادية الإيرانية، والجاهلية الزرادشتية القديمة، ولكن.. بأثواب جديدة.



(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢٠)

## العقلية الخرافية

هذه آخر عقدة من بين العقد والأمراض النفسية التي أشرناها على الشخصية الفارسية. وهي وإن كانت تتعلق بالعقل والفكر أكثر من النفس، لكن انعكاساتها على التصرف أو السلوك فرضت عليّ إدراجها ضمن (العقد النفسية)، ولأن فهم تلك الشخصية - وسليلتها الشيعية - يبقى ناقصاً دون التعرّيج على هذه الحالة. فأقول:

الفرس قوم مشهورون بأساطيرهم وخرافاتهم. ذوو عقلية خرافية شغوفة بالأساطير والقصص الغريبة، وقابلة لتصديقها ببساطة. وتواريخهم تعج بالأساطير عن ملوكهم وأوصافهم السوبرمانية. وقد انتقلت هذه الأساطير باسم الدين إلى تواليهم الدينية وألصقت تلك الأوصاف الطرزانية بـ(الأئمة) و(المراجع) الذين يلتقون في سراديبهم بـ(صاحب الزمان) ذلك الرجل الأسطوري الذي تغيب في سرداب منذ اثني عشر قرناً وسيخرج يوماً ليملاً الأرض - بلمسة ساحر - عدلاً بعد أن ملئت جوراً!

في إحدى إشراقات محمد صادق الصدر الكهنوتية أثناء إحدى خطب الجمعة، وذلك بعد عام من إقامته الجمعة رغم اعتراض علماء الشيعة عليه، وتفسير بعضهم له. استدل على صحة ما فعله، فهل تتصور أن دليله الخارق على ذلك أنه قال: ما أقيمت الجمعة في منطقة إلا وانقطع المطر عن تلك المنطقة، فلم تمطر السماء عليها. وها أنتم ترون انقطاع المطر

عنا ههنا منذ عام! فإذا بقطعان الحضور يضجون بأعلى أصواتهم: "اللوهمّ صل على محماد والي محماد"! فلا تدري مم تعجب: من الناعق أم من القطيع الذي لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون؟!!

حدثني أحد الأسرى العائدين من إيران أن ضابطاً إيرانياً برتبة نقيب من مسؤولي أقفاص الأسرى أظهر يوماً دهشته من بعض (الأعمال) اليدوية التي صنعها الأسرى فقال له أحدهم ساخراً: إن هناك ما هو أعجب! إن بعض الأسرى يخطط ليصنع طيارة من (قزانات) الطعام ليهرب بها إلى العراق. وصدق الضابط ما قالت العصفورة فأصدر أمره فوراً بعدم إبقاء (القزانات) لحظة واحدة بعد الانتهاء من توزيع (الطعام)!

يقول أدور سابيليه: (ولد الخميني سنة ١٩٠٠ وبعد بضعة أشهر من ولادته مات والده مصطفى الذي غادر إلى زيارة النجف، غير أنه اغتيل في الواقع على مسافة قريبة من قريته. وبسبب ميل الإيرانيين دائماً إلى الإيمان بالأساطير فإنهم أشاعوا رواية تقول بأن والد آية الله الخميني قد اغتيل من قبل رضا شاه والد العاهل الأخير. وهذا ما جعل الابن ينشأ على روح الكراهية نحو أسرة بهلوي. مع أن رضا بهلوي لم يكن معروفاً بعد في عام ١٩٠٠، ولم يتسلم السلطة إلا في عام ١٩٢٠ لكي يجلس على العرش عام ١٩٢٥ أي بعد مرور ربع قرن على وفاة مصطفى!)

والحقيقة أن هذا الأخير قد مات على أثر مشاجرة حدثت بين ملاك الأراضي. غير أن زوجته (هاجر ساغافي) عادت سيراً على الأقدام إلى المدينة، وأدت شهادة بشأن وفاة زوجها حيث قالت بأنه أدين وحكم عليه شنقاً<sup>(١)</sup>.

ولهذا يصدقون ما يقوله (الروزخونية) عن (مقتل) الحسين و(السبايا) والقصص العجيبة عن رأسه الذي رفع على رمح يدل التائبين المتوجهين إلى الشام! و... إلخ من هذه الخرافات.

(١) إيران مستودع البارود، مصدر سابق.

## القهر والتعلق بأوهام الخلاص السحري

للدكتور مصطفى حجازي كلام دقيق عن المجتمع الاضطهادي أو المقهور، أو ذلك الذي يعاني من (عقدة الاضطهاد)، وكيف تتسبب أزماته المستعصية في صناعة العقلية الخرافية. وأنه إزاء هذه الأزمات: (لا يملك الإنسان المقهور حلاً سوى الهروب إلى الماضي: الخرافي أو الواقعي الذي قد تحمل أمجاده بعض العزاء له. كما قد يهرب من إطار الزمن بتفجير الديمومة من خلال الغرق في الممارسات التي تنسيه واقعه المؤلم: كالذكر، والمخدرات، والزوار، والتخريف. ومن وسائل الهرب الشائعة التمسك بأوهام الخلاص السحري من خلال معجزة ما، تقلب الواقع وتنسف معطياته وتغير مصيره: الخلاص على يد زعيم منقذ، أو من خلال تدخل الحظ)<sup>(١)</sup>.

وهذا يلقي الضوء على الطابع الخرافي لعقلية المجتمع الشيعي، والطابع الحزين لنفسيته. وإليه يعود التعلق الطفولي السمج بالتمثيلية التراجيدية الحسينية، وأسطورة مقتله وما فيها من خرافات ومبالغات لا تمت للحقيقة التاريخية بصلة. ولماذا يتعلق بها الشيعة تعلقاً إلى حد الهوس والخروج عن مقتضى العقل؟

يعود د. حجازي في موضع آخر إلى الخرافة ليتكلم عن منشئها وعلاقتها بالمجتمعات الاضطهادية التي تشعر بالقهر والحرمان، ويعزووها إلى (عقدة النقص والاضطهاد) بما يلفت الانتباه إلى السر في كون العقلية الفارسية ميالة إلى الخرافة ميلاً شديداً صبغ تاريخها وعقائدها وفكرها، وانعكس بوضوح على ما أفرزته من تشيع، تجد ذلك بوضوح في مؤلفات علمائهم بدءاً بكافي الكليني، ومروراً ببحار المجلسي وإلى ما لا نهاية من المؤلفات الخرافية! ناهيك عن تعلقهم بالأولياء وآثارهم ومراقدهم وتصوراتهم المضحكة عن قدراتهم الأسطورية الخارقة للزمان والمكان! ولقد كنت فيما مضى أعجب كيف لكتاب خرافي مثل كتاب (الكافي) أن

(١) التخلف الاجتماعي، ص ٤٧.

يحظى بهذه المنزلة الرفيعة عند الشيعة؟! وكيف لعالم يريد أن يكسب الناس ويؤثر فيهم أن يكتب لهم مثله؟! ثم اهدت بعد زمن أن سر نجاح هؤلاء العلماء في الأوساط الفارسية والمجتمعات الشيعية، وشيوع هذه التوليفات بينهم، يكمن في الخرافة نفسها! فلولا أنها خرافية مفعمة بالخرافات والأساطير لما شاعت بينهم.

يقول د. حجازي:

(لا يستطيع الإنسان أن يتحمل وضعية القهر والعجز ببساطة أو أن يتقبلها بواقعيته المادية الخام. لا بد له في كل الحالات من الوصول إلى حل ما يستوعب مأساته، ويقضي له شيئاً من السيطرة عليها، وإلا أصبحت الحياة مستحيلة. فإذا لم تيسر له الحلول الناجعة التي تمكنه من التحكم الفعلي بالواقع على مستوى ما، لجأ إلى الحلول الخرافية والسحرية...

السيطرة الخرافية على الواقع، والتحكم السحري بالمصير، هما آخر ما يتوسلها عندما يعجز عن التصدي والمجابهة قبل أن ينهار ويستكين. وتشكل هذه السيطرة بالتالي أحد خطوط الدفاع الأخيرة له. ويتناسب انتشار الخرافة والتفكير السحري في وسط ما مع شدة القهر والحرمان، وتضخم الإحساس بالعجز، وقلة الحيلة، وانعدام الوسيلة. كلما طال عهده بالاعتباط ينصب عليه من الطبيعة والناس، وضائق أمامه فرص الخلاص، اندفع إلى التماس النتائج من غير أسبابها، واستبدال السببية المادية بالسببية الغيبية... وهكذا تنتشر ممارسات سحرية خرافية، وشعوذات تتلاعب بأمل الإنسان في الخلاص أو تحرك خوفه من الحاضر وقلقه على المستقبل...

تقوم السيطرة الخرافية على المصير على أسس نفسية نكوصية. يتقهقر الإنسان المتخلف الذي يؤمن بها من العقلانية التي يجب أن تميز حياة الراشدين إلى مرحلة التفكير الطفلي الذي يخلط الواقع بالخيال، والحقائق بالرغبات، والصعاب المادية بالمخاوف الذاتية. تغطي عليه الذاتية الطفلية ويقع في شرك التفكير الجبروتي. إنه يسقط على ممارسي الشعوذة، وعلى وسائل التصدي السحري للواقع، القدرة المطلقة التي كان يعتقد أنها تميز



والديه اللذين يبدو أن له قادرين على كل شيء، مالكين لزمان كل أمر. ويقوم مع عوامل السيطرة الخرافية ورموزها نفس علاقة الاتكال الطفلي التي كانت له مع والده والتي تستبدل فيما بعد بعلاقة الاتكال الديني. في كل هذه الحالات هناك احتمال برموز القوة التي تسيطر على القدر من الأخطار العديدة التي تتهدد الوجود (وجود الطفل كوجود الإنسان المتخلف). يشكل هذا الاحتمال الضمانة الوحيدة له نظراً لعجزه وقلة حيلته، مما يعطل الاعتماد على القوى الذاتية، وينفي المسؤولية الشخصية في تحمل أعباء المصير. وبمقدار هذا الانتفاء وذاك التعطيل، لا بد لانتكاليته من التفاقم مما يدفع به إلى مزيد من توسل الممارسات الخرافية...

وهكذا يضع الإنسان المقهور أمله في الصور الخيرة ورموزها الخرافية، كما يسقط مخاوفه وعجزه ومشاعر ذنبه الناتجة عن فشله الوجودي على أعداء خرافيين بدورهم. ومن خلال تجنب هؤلاء، والتقرب من أولئك تتم له السيطرة الخرافية على حاضره، ويشعر بشيء من التحكم بالقوى التي تحرك مصيره<sup>(١)</sup>.

### التفكير الارتغابي Wishful thinking

تستطيع أن تقول: إن الشيعي يعتقد ما يريد أن يعتقد، ولا يريد أن يعتقد ما ينبغي أن يعتقد. وهو ما يسمى بـ(التفكير الارتغابي Wishful thinking) الذي توجهه الرغبات لا الوقائع. وهو تفكير نكوصي بدائي يجعل الشخص يميل إلى تصديق ما يحب، وإلى إنكار ما يكره واعتباره باطلاً. بهذا المنطق الطفولي كتبوا التاريخ، وصوروا وقائعه: تاريخ الصحابة، مقتل عثمان، معركة الجمل وصفين والطف التي قتل فيها الحسين، تاريخ الأمويين والعباسيين والعرب عموماً. وهو نقيض (التفكير الواقعي Realistic thinking) الذي يبذل جهداً في معرفة الوقائع، وإخضاع العقائد والقناعات إلى نتائجها. والتفكير الارتغابي الذي لا يتقيد بالواقع، ولا يحفل بالقيود الاجتماعية والواقعية هو الذي

(١) أيضاً، ص ١٤٥-١٤٨.

يعرض الشيعة دوماً إلى خيبة الأمل، ويشوه الأمور في أعينهم فيرونها كما يريدون، لا كما هي عليه في الواقع، ومن ثم يحول هذا التفكير بينهم وبين حل المشكلات التي يقعون فيها، بل هو السبب في وقوعهم في المشكلات، والعداوات والقتل والسجون والتشريد، دون أن يكفوا ويرعوا، أو يعتبروا ويتنبهوا إلى أنهم هم السبب فيما تجنيه أيديهم عليهم على مر العصور!

الحقيقة أن موضوع عقلية الشيعي، وكيف يفكر؟ تحتاج إلى بحث خاص، خارج اختصاص هذا الكتاب. عسى أن يتهياً له في المستقبل من يقوم به، ويعطيه مستحقه من الاهتمام.

### حديث (لو كان الإيمان عند الثريا...)

لا شك في أن كل فكرة راسخة أو أصل ثابت يمكن أن تثور في وجهه شبهات، وتشوش عليه اعتراضات، تبلبل فكر غير الراسخين من الناس. ليس أوضح ولا أثبت ولا أرسخ من دعوة الإسلام إلى التوحيد، ولكن يوجد من يشكك في هذه الحقيقة بشتى الحجج كالطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود. وهل هناك أعظم من حقيقة الوجود الإلهي، غير أن جبلاً كثيراً من البشر انساق وراء شبهات الإلحاد.

كذلك ما نحن فيه من الحديث عن تلك العقد، والعقدة الأخيرة منها. فربما انطلى على الكثيرين دعوى الشعوبية أن المبرزين من علماء الأمة هم من الفرس لا من العرب. ويكفيني في هذه العجالة أن أذكر أن أئمة المذهب الفقهية السنية أربعة: ثلاثة منهم عرب هم الإمام مالك (ت ١٧٩هـ). وهو عربي الأصل أصبحي. ثم الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) وهو عربي قرشي: يتصل نسبه برسول الله ﷺ في الجد الثالث عبد مناف. ثم الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) وهو عربي من بني شيبان من عرب العراق. وإذا أضفنا إلى القائمة المذهب الزيدي، وهو مذهب مسند معتبر يصبح العدد أربعة من خمسة لصالح العرب. فالإمام زيد بن علي عربي هاشمي. ولم أشأ أن أتكثر بإضافة الإمام جعفر بن محمد؛ لعدم وجود مذهب فقهي له محفوظ لا عند الشيعة ولا عند أهل السنة. وقد أثبت هذا في كتابي

(أسطورة المذهب الجعفري). وأما أقدم كتاب في الحديث فهو موطأ الإمام مالك، ثم مسند الإمام الشافعي. ثم مسند الإمام أحمد، وهو موسوعة حديثية ضمت حوالي أربعين ألف حديث عن النبي ﷺ. وهؤلاء كلهم عرب، كما أسلفت. وإذا كان الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) أعجمياً فإن الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) عربي من قبيلة قشير العربية. ونسبته إلى نيسابور نسبة مكان لا نسب. ومن كبار المحدثين العرب أبو داود (ت ٢٧٥هـ) صاحب السنن، فهو عربي من الأزد. وغيره كثير. وإمام اللغة بلا منازع هو العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أول معجم في اللغة (العين)، ومكتشف علم (العروض)، وكان إماماً متفرداً في علم النحو وغيره من فنون لغة العرب. من تلاميذه سيويه الذي نسب إليه الكتاب المعروف بـ(الكتاب) في النحو؛ فقد ذكر الإمام ثعلب أنه في الأصل إملاءات الفراهيدي على أربعين من تلاميذه أحدهم سيويه. ذكر ذلك الشيخ محمد سعيد العرفي في كتابه (الأمة العربية وسر انحلالها)، وبين أن اليد الشعبية هي التي قامت بجمعه ونسبته إلى سيويه، ورفعت من شأنه، وتغافلت عن الفراهيدي كي يقال: إن إمام لغة العرب فارسي لا عربي. على أنه ليس بضائر أن يكون ضمن إكليل علماء الأمة فرس وترك وبربر وهنود وغيرهم من الأعاجم الذين أكرمهم الله بالإسلام، أو بالعيش في ظل حضارته، التي حمل العرب مشعلها الأول، ليسلموه إلى بقية الأجيال في أمة كبيرة عظيمة، اختلط فيها العرب بالعجم؛ فكان من الطبيعي أن يأخذ كل قوم حظهم من معطيات حضارتها حسب نسبتهم. وليس بمستغرب أن يكون الكثير من علماء الأمة، أو أكثرهم من غير العرب؛ فنسبة العرب العديدة وسط أولئك الأقوام هي الأقل مقارنة بالمجموع.

### روايات الحديث

هذا.. وربما أشكل على البعض ما رواه الإمام البخاري ﷺ تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال: قلت: من هم يا رسول الله؟

فلم يراجعها حتى سأل ثلاثاً. وفيما سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء). وفي رواية (لناله رجال من هؤلاء) دون تردد. وفي رواية لمسلم بلفظ: (لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله). وله بلفظ (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). ورواه أحمد بلفظ (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). وبلفظ (لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله). كلهم عن أبي هريرة.

فقد رأيت من أهل السنة من توهم فراح يتصور أن في الحديث مدحاً للعجم أو الفرس بإطلاق، دون اعتبار لكل المعطيات المناقضة على أرض الواقع، والتاريخ الدامي والمليء بالدس والتآمر، والتخريب والتحريف، والكوارث التي لم تصب الأمة بمثلها أبداً! وذلك على يد الفرس! ولو لم يكن إلا التشيع لكفى به شراً!

ولو عدنا بالنظر إلى نصوص الحديث لوجدناها تتحدث عن رجال من الفرس يؤمنون ويدينون بدين الإسلام. وليس في هذا نكرة ولا غرابة؛ فإن الأمم كلها قد دخل في دين الإسلام منها رجال، آمنوا بهذا الدين وحملوه إلى غيرهم. والفرق هو مناسبة وجود سيدنا سلمان الفارسي ﷺ؛ ما جعل النبي يشير إليه. وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ فأمن من الفرس رجال، وكان منهم العلماء والدعاة والمجاهدون في سبيل الله. ولسنا ننكر ذلك، ولا نفلسهم عليه. وفي ذلك يقول ابن حجر في (فتح الباري) عند شرح الحديث: "ووقع في بعض طرقه عند أحمد بلفظ (لو كان العلم عند الثريا). قال القرطبي: وقع ما قاله ﷺ عياناً فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من غيرهم". وهذا من باب قوله تعالى عن اليهود والنصارى وأمثالهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣] هـ. قلت: وقد آمن رجال من اليهود منهم الصحابي الجليل عبدالله بن سلام ﷺ، وكثير من النصارى فكان منهم العلماء والعباد والمجاهدون. وليس أن يقع مثله من الفرس ببدع من الحوادث، أو خوارقها!

على أن للصورة صفحة أخرى غطت على ذلك وزادت عليه. هي صفحة الفتن والشُرور التي لم نر مثلها من غيرهم، خصوصاً نحن أهل العراق، في تاريخنا أبداً! ولا يبعد أن يكون الفرس هم المقصودون بقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله يشير إلى المشرق فقال: (ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان). وفي رواية لأحمد بلفظ (ها هنا أرض الفتن) وأشار إلى المشرق. جاء في بعض الروايات تفسيرها بأهل نجد وأهل الإبل وربيعه ومضر. لكن لا يمنع هذا أن يكون المقصود أبعد من ذلك. سيما وقد جاء عن الفاروق رضي الله عنه قوله: (يا ليت بيننا وبين فارس جبلاً من نار). وهو والد عبدالله بن عمر راوي حديث الفتن السابق.

هذا إذا أخذنا بلفظ الجمع (رجال). أما إذا أخذنا برواية الأفراد: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء) - وهي رواية صحيحة متفق عليها - فالأمر يخف كثيراً؛ فقد يكون المقصود به سلمان نفسه، أو أبا حنيفة رضي الله عنه. وعندها لا يحتاج الموضوع إلى تعليق أصلاً!

هذا.. ولم أجد الحديث بهذا اللفظ (العلم) عند أحمد - كما قال ابن حجر - ولا غيره. وذلك من خلال البحث في الكتب التسعة بواسطة القرص المدمج. إنما هو (الإيمان والدين). وليس من شرطهما البروز في العلم. وعلى أية حال فالحديث يمكن أن يكون فيه إشارة إلى قلة الدين والإيمان في أمة الفرس؛ فأن ينال رجل أو رجال منها الدين أو الإيمان - أو حتى العلم - أمر في غاية القلة. فهو إلى الذم أقرب منه إلى المدح. والله تعالى أعلم.

### الشعوبيون يستغلون الحديث ويضيفون إليه

أما الرواية التي جاء فيها: عن أبي هريرة تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ قالوا: ومن يُستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله على منكب سلمان ثم قال: (هذا وقومه، هذا وقومه). فهي رواية ضعيفة، تفوح منها رائحة الشعبوية. رواها الترمذي وضعفها هو نفسه بعد أن رواها فقال: هذا حديث غريب، في

إسناده مقال. والغريب في اصطلاح الترمذي هو الضعيف. وسبب ضعفها من جهة إسناده أن فيها راوياً مجهولاً. قال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا شيخ من أهل المدينة عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية... الحديث. فالحديث منقطع بين عبدالرزاق والعلاء بن عبدالرحمن. هذا ولم يسلم بعض الرواة الآخرين من مقال؛ فالحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج. فكيف والواقع التاريخي يشهد بعكسه تماماً؟!

نقول هذا الكلام لأننا لم نرتض لأنفسنا أن نجلس وراء المكاتب، أو خلف الجدران الصماء، لا ندري بما يدور وراءها. نتطلع إلى الناس من فوق بروجنا العاجية؛ فنفسر النصوص بما يمكن أن تحتمله من معانٍ، دون النظر إلى الواقع، أو مصداقها منه. ولا ندرك كيف يتصيد الخصوم كلماتنا وينفذوا من ثغراتها؛ ليستثمروها في صالح معتقداتهم، وتحقيق أهدافهم، وخدمة أغراضهم. هذا واحد من دجاجلة الشيعة هو علي الكوراني. انظر إليه كيف يتعامل مع هذه النصوص! فيقول:

(الآيات والأحاديث في مدح الإيرانيين: وردت الأحاديث حول الإيرانيين وحول الآيات المفسرة بهم بتسعة عناوين: " قوم سلمان. أهل المشرق. أهل خراسان. أصحاب الرايات السود. الفرس. بني الحمراء أو الحمراء. أهل قم. أهل الطالقان " وسترى أن المقصود فيها غالباً واحد. وقد تكون أحاديث آخر عبرت عنهم بعناوين أخرى أيضاً. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قال ﷺ: ﴿هَآئِئْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. قال صاحب الكشاف (ج ٤ ص ٣٣١) " وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال: " هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس ". وقال صاحب مجمع البيان: " روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: " إن تتولوا يا معشر العرب، يستبدل قوماً غيركم، يعني

الموالي" ... وفي الحديث الشريف معنيان متفق عليهما، وهما: أن الفرس هم الخط الثاني عند الله تعالى لحمل الإسلام بعد العرب، والسبب في ذلك أنهم يصلون إلى الإيمان مهما كان بعيداً عنهم، وكان طريقه صعباً. كما أن فيه ثلاثة أمور محل بحث: أولها: هل أن هذا التهديد للعرب باستبدال الفرس بهم خاص بوقت نزول الآية في عصر النبي صلى الله عليه وآله أو مستمر في كل جيل، بحيث يكون معناه: إن توليتم في أي جيل يستبدل بكم الفرس؟ والظاهر أنه مستمر، بحكم قاعدة أن خصوص المورد لا يخصص الوارد، وأن آيات القرآن تجري في كل جيل مجرى الشمس والقمر، كما ورد في الحديث واتفق عليه المفسرون. وثانيها: أن الحديث الشريف يخبر أن رجالاً من فارس ينالون الإيمان أو العلم، ولا يخبر أنهم كلهم ينالونه. فهو مدح لأفراد نابغين منهم وليس لهم جميعاً. ولكن الظاهر من الآية والحديث أنهما مدح للفرس بشكل عام لأنه يوجد فيهم رجال ينالون الإيمان والعلم. خاصة إذا لاحظنا أن الحديث عن قوم يخلفون العرب في حمل الإسلام. فالمدح للقوم بسبب أنهم أرضية للنابغين، وأهل لاطاعتهم والاقتراء بهم. وثالثها: هل وقع إعراض العرب عن الإسلام واستبدال الفرس بهم، أم لا؟ والجواب: أنه لا إشكال عند أحد من أهل العلم أن العرب وغيرهم من المسلمين في عصرنا قد أعرضوا وتولوا عن الإسلام. وبذلك يكون وقع فعل الشرط ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ويبقى جوابه وهو الوعد الإلهي باستبدال الفرس بهم. كما لا إشكال عند المنصفين أن هذا الوعد الإلهي بدأ يتحقق ...

في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ في (البحار: ج ٦٠ ص ٢١٦) عن الإمام الصادق عليه السلام، " أنه قرأ هذه الآية. فقلنا جعلنا فداك من هؤلاء؟ فقال ثلاثاً: هم والله أهل قم، هم والله أهل قم، هم والله أهل قم ... "

أما الأحاديث الواردة من طرق الفريقين في مدح الإيرانيين ومستقبل دورهم في حمل الإسلام، فهي كثيرة... وهو يدل على أن الوعد الإلهي سيتحقق في العرب فيتولوا عن الدين، ويستبدل الله تعالى بهم الفرس،

ولا يكونوا أمثالهم. ويدل على أن الفتح الإسلامي في هذه المرة سيكون ابتداء من إيران في طريق القدس والتمهيد للمهدي عليه السلام<sup>(١)</sup>.

### تركيبة متشابكة من العقد النفسية المركبة

نحن إذن أمام تركيبة غريبة من العقد النفسية المركبة المتشابكة، يقوم بعضها على بعض، ويغذي بعضها بعضاً، وتتساند فيما بينها لتنتج حقداً متأججاً تعبر عنه باستمرار (عدوانية) لا تهدأ إلا لتثور. فهدوؤها كمون، وثورانها جنون!

أطلق د. عماد عبدالسلام على هذه التركيبة النفسية مصطلح (العقدة الفارسية).

إن (العقدة الفارسية) جزء لا يتجزأ من النفسية (الفارسية) يلتجئ إليها صاحبها كضرب من الحيل النفسية من أجل حماية نفسه التي يشعر على الدوام بأنها مهددة لذلك هو لا يستطيع التخلي عن هذه العقدة - أو العقيدة أيضاً - لأنه سيجد نفسه المهددة بالخطر قد صارت بلا حماية وبتعبير آخر: إنه يرى أن التخلي عن هذه العقدة يساوي التخلي عن حياته! لذا فإن المصابين بـ(العقدة الفارسية) لا يجيدون الإصغاء إلى نداء العقل والحكمة، أو الضمير والرحمة، أو المبادئ والقيم، أو الأعراف والقوانين.

لغة واحدة يفهمونها هي القوة! إنهم يحترمون القوي أيما احترام! ويستجيبون له استجابة غير طبيعية. إنهم يستخذون له ويتملقونه ويوسون قدميه بل حذاه، وينحنون إلى حد الافتراش! لكنهم ينقضون على من يروونه أضعف وأدنى، يذلونه ويجبرونه على الملق والاستكانة. لا يعرفون الوسطية؛ فهم بين ضعيف مستخذي، وقوي مستضري! ومنهاجهم: تمسكن حتى تتمكن.

النار معبودهم. وبينهم وبين النار مشاعر وحوارات.. وصفات مشتركة: الهيجان والجنون، والتدمير والتخريب، والقوة العمياء، والقسوة

(١) عصر الظهور، ص ١٩٥-٢٠١، علي الكوراني.



والحقد الأسود. إنهم يرون أنفسهم ويجدونها فيها. فعبادتهم لها تعبير عن أنانيتهم وعبادتهم لهذه النفوس الهائجة المخربة الحاقدة.

### (الفارسية) وباء

تجد (الفارسية) في المجتمعات التي تزرع تحت وطأة التشيع ظاهرة منتشرة كالوباء المتوطن. صحيح أن البعض قد أفلتوا منها، كما هي طبيعة الوباء: لا بد أن يُفلت منه بعض الأفراد. إلا أن المحصلة النهائية للمجتمع أنه مجتمع مريض.

ومع ذلك فإن كل مجتمع يسلط على عموم أفرادهِ ضغطاً اجتماعياً لا يمكن مقاومته، بحيث يجعل كل واحد منهم يتبنى ما عليه المجتمع من أفكار وميول وعادات وأخلاق وسلوك، حسب قانون اجتماعي يسميه المختصون بـ(التنويم الاجتماعي).

يقول الدكتور علي الوردي: (إن الإنسان يخضع في حياته الاجتماعية لتنويم يشبه من بعض الوجوه التنويم المغناطيسي وهو ما يمكن أن نسميه بـ(التنويم الاجتماعي). فالمجتمع يسلط على الإنسان منذ طفولته البكرة إحياءً مكرراً في مختلف شؤون العقائد والقيم والاعتبارات الاجتماعية. وهو بذلك يضع تفكير الإنسان في قوالب معينة يصعب الخروج منها. هذا هو الذي يجعل الإنسان الذي نشأ في بيئة معينة ينطبع تفكيره غالباً بما في تلك البيئة من عقائد دينية وميول سياسية واتجاهات عاطفية وما أشبه. فهو يظن أنه اتخذ تلك العقائد والميول بإرادته واختياره ولا يدري أنه في الحقيقة صنيعة بيئته الاجتماعية. ولو أنه نشأ في بيئة أخرى لكان تفكيره على نمط آخر)<sup>(١)</sup>.

وهكذا تجد المجتمع الشيعي يسلط على أفرادهِ - طبقاً إلى هذا القانون - ضغطاً اجتماعياً يجعلهم يستسلمون في النهاية، ويصابون بـ(العقدة الفارسية). ويتحول التشيع عندهم - شاءوا أم أبوا - إلى تشيع فارسي بكل

(١) لمحات اجتماعية ٦/١، مصدر سابق.

ما فيه من أفكار وميول وعادات وأخلاق وسلوك وعقد نفسية تصب في محصلتها النهائية في مجاري المصالح الفارسية.

ولقد لاحظنا ميدانيا أن هذه العقدة قد يتعدى ضررها - عن طريق العدوى - إلى غير الشيعة من المستوطنين في تلك المجتمعات، فتجد بعضهم شيعياً (فارسياً) في خلقه وسلوكه، وإن كان غيره في اعتقاده وفكره!



## الفصل الخامس:

## التحليل النفسي لأهم عقائد وطقوس التشيع

## الجزور الفارسية بشهادة الفرس أنفسهم

أود أن أبتدئ هذا الموضوع بشهادة لأحدى الشخصيات الشيعية المرموقة هي الدكتور علي شريعتي الذي أدرك العلاقة الحميمة بين التشيع المنحرف والشخصية الفارسية، وأن هذا التشيع ما هو إلا تعبير أمين عن تلك الشخصية فقال في معرض حديثه عن صعوبة التفريق بين (التشيع الصفوي) المنحرف و (التشيع العلوي) الصحيح لكون المنحرفين استعملوا الأسماء نفسها مع تفريغها من محتواها الصحيح وزرقها بالمحتوى المنحرف.

يقول د. علي شريعتي: (المشكل هنا أن المذهبين لهما من حيث الاسم نفس الأصول ونفس الفروع دون اختلاف، وهذا يجعل الفرز والتشخيص أكثر تعقيداً، ذلك أن التشيع الصفوي جاء وأرسى دعائمه على هيكلية مضاهية لهيكلية التشيع العلوي، واستعار نفس القوالب الفكرية والعقائدية لهذا التشيع بعد أن أفرغها من مضمونها ومحتواها الواقعي وركب عليها نفس أسسه ومبادئه بأسلوب ماهر وهادئ وبالاستعانة بعلماء ذوي خبرة واختصاص، وذلك لكي يتسنى له تمرير هذه العملية على ذقون الناس، وقد نجحوا بالفعل إذ لم ينتبه الناس لعملية التبديل تلك، رغم أنها

طالت كل شيء وشملت الله والكتاب والنبى والإمام وسائر الشخصيات البارزة في الدين والتاريخ، لقد تبدل كل شيء من دون أن يشعر أي أحد! وإلى يومنا هذا ما زال الناس غير قادرين على اكتشاف عملية التزوير التي تمت وتم من خلالها تبديل اللب والإبقاء على القشور فقط!

ليتهم أعلنوها صراحة وقالوا رسمياً بأن ديناً جديداً قد جاء أو أن فرقة جديدة قد ظهرت إلى الوجود، ولكن كيف يفعلون ذلك وهم يدركون تمام الإدراك أن مسعاهم هذا لن يكتب له النجاح ولن يخدم مصالحهم ولا يحقق الأهداف التي تدور في خلدتهم. ومن هنا حافظوا على جميع المصطلحات المتداولة في التشيع (العلوي - الإسلامي) وحرصوا على إبقاء نفس الأصول والفروع، نفس الأسماء والشخصيات والأعلام، بل لجأوا إلى القيام بعمليات تجميل واسعة لكي تبدو تلك المصطلحات والأسماء أكثر بريقاً ولمعاناً وجاذبية، ولكن في ظل هذا البريق واللمعان زرقوا موادهم السامة والمخدرة والتي كانت تحمل التشيع اسماً وهي في الواقع عناصر معادية للتشيع الحقيقي ومناوئة لأهدافه. إنها عناصر تشيع (صوفي - صفوي) تم تمريرها على المجتمع دون أدنى مقاومة، وذلك لأن الضمير الاجتماعي لم ينجح في اكتشافها نتيجة لشدة التشابه وصعوبة التمييز، فعملية التمويه كانت دقيقة ومخططة ومدروسة، واندفع الشيعة وراء المظاهر الظاهرية والمراسيم الشكلية والشعائر المفرغة من المضمون<sup>(١)</sup>... هو تشيع يتعاطى مع كل العقائد والعقائد النبيلة المشار إليها بشكل مختلف ويحولها إلى أحقاد دفينه وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والإيرانيين... وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشيعة في سبيل تحقيق أهدافه ومراميه المتمثلة بإقامة الدولة الصفوية<sup>(٢)</sup>.

والآن نتوقف عند أهم العقائد والسلوكيات والممارسات العملية أصولاً وفروعاً في التشيع الفارسي، وكيف تمكن المزورون من إفراغها من

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ٢٤٧-٢٤٨، الدكتور علي شريعتي.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

مضمونها، وزرقها بموادهم السامة والمخدرة التي تعبر عن عقائدهم وعقدتهم القديمة، حتى تتضح العلاقة أكثر بين التشيع الفارسي والعقد النفسية التي يعاني منها أصحابه، وتتأكد نظرتنا في كون هذا التشيع ما هو إلا إفراز نتن لتلك العقد المتأصلة في أعماق نفوس حملة العقيدة الشيعية الفارسية من أي الشعوب والأعراق كانوا، وفي أي الأماكن والأصقاع وجدوا.

## ١. الإمامة

عقدة السيد - الناشئة عن عقدة النقص - تجعل من الشخصية الفارسية شخصية نفاجية أو نرجسية. والنفاجية حالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغة الخرافية لقدراتها وممتلكاتها ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات. إنه مبالغة في الادعاء لا تستند إلى أي إحساس من الواقع الذاتي أو الموضوعي. والنفاجي كائن مهووس بالعظمة وارتفاع الشأن، فهو يبالغ في كل ما يمت إليه بصلة خصوصاً في تصوير قدراته. وقد يصل النفاج إلى حد هذيان العظمة، وادعاء ألقاب مفرطة في تفخيمها. والنفاج نوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر نقص ذاتية شديدة. إنه رد فعل تمرد خرافي على العجز، بحيث يكون التضخيم الخارجي متوازٍ عموماً مع النقص الداخلي.

من هنا صار الفارسي يشعر بأحقية في السيطرة على الآخر، وإلغائه من خارطة الاعتبار. وقد تعمق هذا الشعور بمجيء الدولة الساسانية التي سيطر عليها وحكمها كهنة بيت النار في إصطخر؛ فاختلط عندهم الملك بالدين، وصار البيت الديني هو البيت المالك؛ فكان سبباً في شيوع الاعتقاد الديني لديهم بأن الملك يجب أن يكون محصوراً في بيت واحد هو البيت الديني، وأن من نازعه الملك أو خرج عليه فهو ملعون خارج على الدين نفسه. وحين جاء الإسلام تحول هذا التصور الفارسي إلى بيت النبي ﷺ فاعتقد عامة الفرس عدم جواز خروج الملك منه إلى غيره. وقد استغل الكهنوت السياسي الفارسي هذه التصورات بعد أن ألبسوها لبوس

الدين وأعطوها اسماً مناسباً هو (الإمامة)، ليجعلوا جمهور المتشيعين لهذه العقيدة أناساً يعتقدون بأن كل حاكم من غير (أهل البيت) خارج على الدين تجب محاربته، ويسوغ الخروج عليه لإرجاع الحق المغتصب إلى أهله. وهذا هو منشأ جميع الفتن الشيعية في أوساط الأمة، بدءاً من الفرقة الطائفية، وانتهاءً باستعداد الأجنبي على البلدان التي يستوطنونها، وخدمته بالعمالة والجاسوسية، وتقديم جميع أشكال العون له ضد أبناء الوطن. فعقيدة (الإمامة) نابعة من (عقدة السيد) عند الفرس المتأتية من (عقدة النقص)، وتحقق الأغراض الفارسية في إثارة القلاقل في بلاد العرب والمسلمين؛ خدمة لأحلامهم وأهدافهم التوسعية، وتلبية لما يعتمل في نفوسهم من حقد على الأمة، والاندفاع للثأر منها بشتى السبل والأساليب.

## ٢. العصمة

تنبع هذه العقيدة من أكثر من زاوية في تركيبة العقد النفسية لدى الشيعي. أهمها عقدة الشعور بالذنب. ففي فطرة الإنسان شوق إلى تمثيل صفات الطهر والنظافة والنقاء، خصوصاً المتلطف بالذنوب والآثام، وأشد منه من وصل به الأمر إلى حد العقدة؛ إن شعوره بالعجز عن بلوغ تلك الدرجة من السمو والاستقامة يجعله في حاجة إلى مثال يعاكس صفاته تماماً، يرى فيه الصورة المثالية التي يشاق إليها ويتمنى أن يرى عليها نفسه. وتستمر التفاعلات النفسية لتصل إلى نهايتها عن طريق عملية (التماهي الإسقاطي)، وهو - كما سيجيء في موضوع المصطلحات النفسية - عملية نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر مكروه لديه أو محبوب. وفي حالتنا يعمل التماهي الإسقاطي عمله ليصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية والطهر والخير الذي يرغب أن يتمثله في ذاته. كذلك فإن عقدة الذنب تؤدي إلى اليأس من الخلاص الذاتي من تبعات الذنوب عند الله تعالى، لا سيما إذا كان صاحبها في الواقع لا يقدر أو لا يريد تركها أو التخلص منها؛ فيدفعه ذلك إلى التعلق بوسائط يستشفع بها عند الله عساها تحقق له الخلاص المطلوب. وحتى تكون الوساطة

صالحة للاستشفاع الذي لا يردّ، فلا بد أن تكون طاهرة مقدسة إلى الحد الأقصى.. عكسه تماماً! وهذا ما يدفعه إلى الغلو في وصفها إلى حد التقديس الكامل الذي لا يليق إلا بالله! فيتصورها لا تخطئ ولا ترتكب ذنباً صغيراً ولا كبيراً. ومن هنا نشأ القول بعصمتها. من (عقدة الذنب) إذن نشأت عقيدة (العصمة) لدى الشيعة. وهي نفسها عقيدة تقديس الفرس لملوكهم، وأن دماً إلهياً يجري في عروقهم، الناشئة من العقدة نفسها. انتقل مضمون هذه العقيدة بعد أن لبس الفرس لبوس الإسلام ليظهر بالشكل الذي يلائم التغيير الحاصل. وبهذه التحويلات الشكلية حافظوا على عقائدهم الأولى. فالمضمون ثابت، والتغير إنما طراً على الشكل فقط.

### ٣. المرجعية الدينية

وجود المرجعية الدينية والتعلق الهوامي بها عند الشيعة راجع إلى عدة عقد. أولها (عقدة النقص) وما تثيره من خوف من الآخر؛ فحتاج إلى الاحتماء بزعيم أسطوري يلبي ميولها النكوصية في توفير الأمن والرعاية، ويحقق أحلامها الخيالية في الأخذ بحقها والانتقام لها. وتأتي بعدها (عقدة الاضطهاد) التي يعبر عنها د. حجازي خير تعبير فيقول: (الجماهير المغبونة والمقهورة متعطشة بشكل مزمن للقوة في مختلف رموزها وعبر شكلها الأساسي: البطش والغلبة من ناحية والعظمة والتعالي من ناحية ثانية. وهي مستعدة للانقياد وراء زعيم عظامي يقودها في هذا الاتجاه، يفجر ميولها للتشفي والعظمة، ويعبر عنها... إنها تنساق وراءه وتستسلم له بشكل رضوخي طفلي، تتعطل فيه إرادتها وقدرتها على الاختيار والنقد والتقدير، ولا يبقى سوى طاقة انفعالية متفجرة تفيض على كل شيء، وتكتسح أي صوت للعقل، وأي نداء لليقظة. الجماعة المقهورة عاطفية انفعالية تعشق العنف والسطوة، وتعشق الرضوخ لرموزها وأبطالها، وتتحرق عطشاً للإثارة الانفعالية والتهيج الذي يلهب حماسها. في ذلك كله تغيير سحري للمصير من بؤس وركود وموات ومهانة، إلى نشوة وامتلاء وتضخم ذاتي وإحساس بالاعتبار الوجودي. من خلال التهيج والإثارة تحس

الجماعة أن كل فرد فيها يعيش. تشبث الجماهير المقهورة بقيادة من هذا النوع تشعرها بالحياة، وتعوض لها نقصها، وتستبدل مشاعر العجز، بأحاسيس الجبروت والسيادة. وتتضخم أهمية هذه الجماعة على حساب الخارج تضخماً مفرطاً يجعلها تنغلق على ذاتها في حالة من النرجسية الكلية (لا ترى إلا نفسها، ولا تحس بقيمة خارج قيمتها، ولا تعترف بوجود سوى وجودها). وبمقدار ما تغرق في انغلاقها، تسير نحو العزلة وتقطع علاقات التفاعل والمشاركة مع بقية الجماعات، كي تحل محلها علاقات عدا وحق، واضطهاد متبادل.

من خلال انهيار علاقات التفاعل والمشاركة، والانغلاق على الذات تجد الجماهير المقهورة حلاً سحرياً لمأزقها من خلال أولاية الانشطار العاطفي والوجداني. العواطف المتجاذبة التي يمتزج فيها الحب والحق، التقرب والنفور، التعاون والصراع، تنشطر بشكل جذري إلى عواطف متناقضة (الحب القاطع، العدوانية الخالصة). أما الحب فيتوجه كله إلى الجماعة من خلال الالتفاف حول الزعيم والتعلق العاطفي به. هذا القلق يؤدي إلى حالة ذوبان كلي في الجماعة وفقدان تام للفردية والأصالة الشخصية لأفرادها كما يخلق حالة اعتماد مطلق على الجماعة، مصدر كل اعتبار وقيمة، ومصدر الاعتراف بالذات وتحقيقها. ينشأ نوع من اللحمة العاطفية والوجدانية بين أعضاء الجماعة من خلال التعلق بالزعيم الذي يشكل مثلها الأعلى: مصدر ونموذج القوة والقدرة، روح الجماعة والمعبر عن آمالها وشخصياتها ومخاوفها. وكذلك حامي الجماعة والمدافع عنها الحافظ لمصالحها.

هذا الانشطار في الجماعة يلغي كل تناقضاتها الداخلية ويجعلها مرجع كل فرد فيها، ومصدر كل توجه. وينشأ، محل الخوف والتهديد المتبادل، تعاطف وتعاضد واحتماء متبادل. كل فرد في الجماعة يصبح مرآة للآخر، والكل يرى نفسه في المرآة الكبرى وهي الزعيم. كل الصراعات تزول بشكل سحري، مما يشكل وظيفة هامة جداً لهذه الميول التعصبية<sup>(١)</sup>.

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١٨٧-١٨٨.



## ٤. تحريف القرآن

اللؤم والحققد والشك عقد نفسية فارسية انعكست على القرآن الكريم حين لبس العجم لباس التشيع؛ فادعوا أن يد الصحابة امتدت إليه بالتحريف؛ فليس القرآن الموجود بين أيدينا هو القرآن نفسه الذي أنزل على قلب النبي محمد ﷺ. لقد مر بنا أن العقلية الفارسية تعودت أن تنظر إلى الإسلام وحضارته بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاديتها في الوقت نفسه لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها. فلقد اعتنق الفرس الإسلام كسائر شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحروف العربية لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها. لقد وجدوا في القرآن أكبر خطر يهدد سيطرتهم، ووجدوا في القول بتحريفه أكبر عامل تخريب داخلي للإسلام وتقويض لهيمنته الحضارية. وبدلاً من أن يشعروا بالمنة الربانية والكرامة الإلهية في نزول القرآن ووصول نوره إليهم ليدفعهم ذلك إلى خدمته وحمله إلى الأمم من حولهم، بدلاً من ذلك صار مثلهم كمثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها، فقالوا بتحريفه وتعطيله بحجة تحريفه. وما لم يتمكنوا من إلصاق التحريف به لفظاً قالوا بتحريفه معنى مستنديين إلى أكبر قاعدة للتحريف المعنوي ألا وهي القول بأن للقرآن ظاهراً غير مراد هو ما يتبادر من معناه، وباطناً مراداً هو معنى آخر لا علاقة له باللفظ البتة. وهو ما يتفق مع طبيعة الفرس الباطنية المخادعة التي تجعلهم يظهرون غير ما يبطنون، وطبيعتهم الشكاكة المتوجسة التي تجعلهم على الدوام يفسرون الأمور على غير ما تبدو عليه.

وتضرب عقيدة التحريف بجذورها الخفية إلى (عقدة السيد) من حيث علاقتها بعقيدة (الإمامة) المرتبطة بهذه العقدة. والقول بالتحريف نتاج منطقي لتسلسل القول بـ (الإمامة). وذلك لخلو القرآن الكريم من نص صريح عليها؛ فقالوا: إن نصوص (الإمامة) مما حذف منه. ومن هذا الباب قال البعض منهم بتحريف النقص دون تحريف الزيادة.

وهكذا تجد أن هذه العقيدة نابعة من مجموعة عقد فارسية، وتخدم في الوقت نفسه أغراض الفرس وأهدافهم.

## ٥. المهدي المنتظر

نشأت هذه العقيدة من تفاعل عدة عقد في النفسية الفارسية أولها عقدة النقص، ثم عقدة الاضطهاد وعقدة الحقد، وما يترتب عليها من الحاجة للانتقام والتشفي والثأر والعدوان.

إن عقد النقص تؤدي إلى التعلق بأوهام الخلاص، على يد منقذ سحري، من خارج الذات. وقد كتبت بحثاً مطولاً في كتابي (المهدي المنتظر هذه الخرافة) عن الجذور الفكرية والنفسية لخرافة المهدي المنتظر، مما جاء فيه قول الدكتور مصطفى حجازي: (تميز مشاعر الدونية بشكل عام موقف الإنسان المقهور من الوجود. فهو يعيش حالة عجز إزاء قوى الطبيعة وغوائلها، وإزاء قوة السلطة على مختلف أشكالها. مصيره معرض لأحداث وتغيرات يطغى عليها طابع الاعتباط أحياناً والمجانبية أحياناً أخرى. يعيش في حالة تهديد دائم لأمنه وصحته وقوته وعياله. يفتقر إلى ذلك الإحساس بالقوة والقدرة على المجابهة الذي يمد الحياة بنوع من العنفوان ويدفع إلى الاحترام والمجابهة. الإنسان المقهور عاجز عن المجابهة. تبدو له الأمور وكأن هناك باستمرار انعداماً في التكافؤ بين قوته وقوة الظواهر التي يتعامل معها. وبالتالي فهو معظم الأحيان يجد نفسه في وضعية المغلوب على أمره، يفتقد الطابع الاقتحامي في السلوك، سرعان ما يتخلى عن المجابهة منسحباً أو مستسلماً أو متجنباً إما طلباً للسلامة وخوفاً من سوء العاقبة، أو يأساً من إمكانية الظفر والتصدي. وبذلك يفقد موقفه العام من الحياة الطابع التغييري الفعال، ويقع في أسلوب التوقع والانتظار، والتلقي الفاتر لما قد يحدث. ثم هناك انعدام الثقة بالنفس، إذ لا شيء مضمون في وجوده. فقدان الثقة هذا يعمم على كل الآخرين أمثاله. وهكذا يشعر أنه وإياهم لا يستطيعون شيئاً إزاء قهر الطبيعة وقوى المتسلط. ويصل الأمر حد انعدام الثقة بقدرة الجماهير على الفعل والتأثير،

مما يلقي به، وبشكل نكوصي، في الاتكالية على منقذ منتظر بشكل سحري. صورة هذا المنقذ على العكس من صورته عن ذاته. إنه القوي المتمتع بالجبروت، الكفيل بقلب الأمور رأساً على عقب، حامل الخلاص العاجل. ومن البديهي أن هذا الموقف يهيء هذه الجماهير إلى التعلق بالزعيم الفرد، تعلقاً يغري بالتسلط والدكتاتورية تحت شعار إنقاذ الوطن وخلاص الجماهير. إنسان العالم المتخلف يفتقر نظراً لما يعانيه من مشاعر دونية إلى الإيمان بالجماهير. يحس إحساساً عميقاً بأنه لا يمكن أن يُنتظر شيء يذكر من هذه الجماهير المقهورة على غرار. وإذا كان هناك من خلاص ممكن فهو بالتأكيد لا يأتي، في نظره، عن طريق هذه الجماهير العاجزة<sup>(١)</sup>.

وقلت بعد كلام طويل في سياق التحليل النفسي لهذه العقيدة:

(نستخلص مما سبق جملة عناصر متفاعلة ومقدمات ونتائج أهمها:

- ١ - إنسان مقهور يشعر بالقهر والظلم المسلط عليه شعوراً عميقاً.
- ٢ - يعاني من عقدة الشعور بالضعف أو النقص إلى حد فقدان الثقة بالنفس والشعور التام بعجزه عن التغيير من خلال ذاته.
- ٣ - فقدان الثقة هذا يعمم على الجمهور المقهور أو كل الآخرين أمثاله فيشعر أنه وإياهم غير قادرين على التغيير.
- ٤ - وعليه يكون التطلع إلى الإنقاذ الخارجي هو السبيل الوحيد أمامه للخلاص من مأزقه.
- ٥ - العلاقة مع المنقذ الخارجي سحرية وخيالية، يضيفي المقهور فيها عليه صفات أسطورية ينزهه بها عن كل أوجه القصور والعجز التي يشكو منها الإنسان المقهور، ويضعه في مرتبة المثل الأعلى له، وتجعله قادراً على تغيير الأمور بشكل فجائي سحري، ومن دون تدخل

(١) أيضاً، ص ٤٢-٤٣.

المقهور الذي يظل قاعداً ينتظر الخلاص والخير والأمن والهناء على يد ذلك المنقذ الذي سينشق عنه حجاب الغيب!

إذن المصاب بعقدة الشعور بالنقص أو الضعف يشعر - دائماً وأبداً، بسبب أو بغير سبب - بالاضطهاد والقهر، وأنه إنسان مضطهد مقهور، أو مغبون مغلوب على أمره. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يحس بالعجز عن التغيير من خلال ذاته المجردة أو الجمهور المقهور من أمثاله دون منقذ من خارجه.

وقد تمثل هذا المنقذ الخارجي في عقيدة الشيعي بالمهدي المنتظر، وفي سلوكه بالاستعانة بالأجنبي للخلاص من القهر الداخلي... فعقيدة المهدي المنتظر أساسها عقدة نفسية متأصلة عند الفارسي هي عقدة الشعور بالنقص، إضافة إلى عقدة الحقد الدفينة ضد العرب والتي تأججت أخيراً بفعل إزالة العرب لدولة العجم ما جعل هؤلاء يتطلعون باستمرار إلى رجل من آل كسرى يكون على يده تحقيق الخلاص والانتقام).

وفي التراث الشيعي روايات كثيرة عن قيام المهدي بمجازر فظيعة ضد العرب عامة والعراقيين خاصة، وأنه يبتدئ أول ما يبتدئ بانتقامه بقريش! ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وغيرهما من المساجد. بل ورد فيها أنه رجل من آل كسرى! كما جاء على لسان محمد باقر المجلسي الذي روى نقلاً عن ابن عياش في المقتضب بسنده عن النوشجان بن البومردان قال: (لما جلا الفرس عن القادسية، وبلغ يزدجرد بن شهريار ما كان من رستم وإدالة العرب عليه، وظن أن رستم قد هلك والفرس جميعاً، وجاء مبادر وأخبره بيوم القادسية وانجلائها عن خمسين ألف قتيل، خرج يزدجرد هارباً في أهل بيته ووقف بباب الإيوان، وقال: السلام عليك أيها الإيوان! هأنذا منصرف عنك، وراجع إليك أنا أو رجل من ولدي لم يدن زمانه ولا أن أوانه. قال سليمان الديلمي: فدخلت على أبي عبد الله ع فسألته عن ذلك وقلت له: (أو رجل من ولدي)؟ فقال: ذلك صاحبكم القائم بأمر الله ﷺ السادس من ولدي، قد ولده يزدجرد فهو ولده)<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٥١/١٦٣-١٦٤.

وهكذا تجد هذه العقيدة - كغيرها من عقائد التشيع الفارسي - تبتدئ من عقدة نفسية فارسية، وتنتهي بخدمة أغراض وأهداف الفرس، وما جماهير الشيعة إلا ضحية ساذجة لا تدري إلى أين يسير بها جزارها: إلى حتفها؟ أم إلى علفها؟!

## ٦. الرجعة

عرفنا أن الطبيعة الفارسية طبيعة حقودة، لا تنسى أحداً تسبب لها بأذى، ولا تغفر إساءة من أساء إليها أبداً. ولا شيء يشغلها كما يشغلها هم الثأر من خصومها، والتشفي بتعذيبهم وقتلهم والانتقام منهم. ومن هنا عبدوا النار؛ لأنها تناسب طبيعتهم الحاقدة المخربة. وكعادة المقهور دائماً تجد الفرس يراود مخيلتهم الحلم بزمن نموذجي يتحقق لهم فيه الانتقام التام من أعدائهم، تساعد على هذا الخيال عقليتهم الخرافية. كل هذا جعلهم يتطلعون إلى يوم يقتلون فيه من تسبب في زوال دولتهم - وأولهم أبو بكر وعمر وابنتاهما عائشة وحفصة - شر قتلة على يد علي أو امبراطورهم المهدي الذي سيقم لهم دولة تمتد إلى آخر الدهر. وغلفوا ذلك بتغليف دينية أسموها (الرجعة). من عقدة الحقد الفارسي إذن خرجت عقيدة (الرجعة)، التي تخدم الفرس حين تجعل الشيعة يشعرون بالعزلة النفسية عن مجتمعاتهم وحكوماتهم ودولهم، متطلعين دوماً إلى يوم الخلاص الذي يتم لهم فيه النصر على أعدائهم والانتقام منهم وقتلهم شر قتلة.

## ٧. شفاعة أهل البيت

يعول الشيعة كثيراً على مبدأ شفاعة (أهل البيت)، ويعتقدون أن من آمن بـ(ولايتهم) وإن كثرت ذنوبه، وإن لم يعمل عملاً صالحاً لن تمسه النار أبداً. وقد أدت هذه العقيدة بهم إلى الاستغراق في الذنوب والآثام، مع الانتماء الاسمي للدين والتعصب للطائفة، والتمسك بالشعائر القشرية والتعويل عليها في النجاة من النار والفوز بالجنة. فتجد أفسد الناس

وأشدهم تهتكاً، وأكثرهم انحذاراً، وأجراًهم على المعصية وأكل أموال الناس بالباطل، واستباحة دمائهم وأعراضهم حين يقبل محرم ينبري ليستعرض عضلاته في اللطم والنواح، ويظهر أمام الناس بمظهر الحريص على المذهب من خلال قيامه بطبخ الهريس في الشارع، والسهر ليلة عاشوراء حتى مطلع الفجر، ونصب قُلل الماء عند باب داره أو محله. هذا كل حظه من الدين حتى إذا تقضت الأيام العشرة انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. لكنه يحسب أنه يحسن صنعاً، ويعمل صنيعاً سينجيهِ يوم القيامة بما ينيله من شفاعة (أهل البيت)!

وعند التحليل النفسي تجد مبدأ (الشفاعة) نابعاً من (عقدة الذنب) الفارسية. وقد مر بنا في موضوع العصمة أن عقدة الذنب تؤدي إلى اليأس من الخلاص الذاتي من تبعات الذنوب عند الله تعالى، لا سيما إذا كان صاحبها في الواقع لا يقدر أو لا يريد تركها أو التخلص منها؛ فيدفعه ذلك إلى التعلق بوسائط يستشفع بها عند الله عساها تحقق له الخلاص المطلوب.

## ٨. الغلو في أهل البيت

يعتقد الشيعة في أهل البيت العلوي عقائد غالية تخرجهم عن رتبة البشر، وترفعهم إلى مرتبة الألوهية، وينسبون إليهم خوارق ومقدرات أسطورية خارجة عن الذوق والعقل. وعقيدتهم هذه في (أهل البيت) ما هي إلا انعكاس وامتداد لعقيدة الفرس في ملوكهم و(أهل بيت النار) عندهم. وهي ناشئة عن (عقدة النقص) التي تؤدي بأصحابها إلى ردود فعل خرافية، ومبالغة في الادعاء لا تستند إلى أي أساس تعويضاً عن الشعور الشديد بالنقص، بحيث يكون الادعاء الخارجي مكافئاً للشعور الداخلي بالنقص. وهذا هو منشأ الخرافة في العقلية الفارسية، وكل الخرافات والأساطير والتصورات الهذائية التي ألصقت بـ(أهل البيت) والتشيع عموماً، والتي تمتلئ بها كافة المؤلفات الشيعية بلا استثناء.

## ٩. سب الصحابة

سب الصحابة ﷺ وتكفيرهم، وإنزالهم في الشق المناوئ لـ(أهل البيت)، يشكل الركيزة الثانية - بعد الإمامة - من ركائز الاعتقاد عند الشيعة. وهو ناشئ من عدة عقد فارسية أولها (عقدة الحقد) على العرب المتجذرة في نفوس الفرس منذ الجاهلية، حتى إذا جاء الإسلام زادها حدة وأواراً؛ إذ ارتبط مجيئه بزوال دولة الفرس وملكهم وسلطانهم، وانطفاء نيرانهم، وخفوت بريق عقائدهم ودينهم. وكان ذلك كله قد تحقق على يد الصحابة؛ فحقد الفرس عليهم أشد الحقد وأعمقه - لا سيما الفاروق عمر بن الخطاب مبيد الأكاسرة ومزلزل عروش القياصرة ﷺ وأرضاه - وسعوا في الكيد لهم والنيل منهم بكل وسيلة، وسلخوا إليه كل سبيل. وقد تضافرت على ترسيخ هذه العقيدة القذرة مع عقدة الحقد (عقدة الشعور بالاضطهاد): إذ اعتبر الشيعة أن تاريخ اضطهادهم بدأ - بزعمهم - من يوم تأمر الصحابة على علي واغتصبوا الخلافة منه يوم (السقيفة). ومن يوم أن منعوا الرسول ﷺ من كتابة الكتاب الذي لو كتب لما اختلفت الأمة من بعده أبداً. ولولا تلك المؤامرة لاستقام الأمر لعلي وشيعته، ولم يخرج من يدهم إلى غيرهم. وقد عملت عقدة (الوقاحة أو الصفاقة) الفارسية عملها في نشر عقيدة تكفير الصحابة، وإشهار سبهم دون حياء أو خجل من أهل السنة، أو مداراة لهم، ولا خجل من الأكاذيب المفضوحة والتهم الواضحة البطلان التي يلصقونها بخير جيل لخير أمة أخرجت للناس! وبينما ترى أهل السنة يحاولون بكل السبل دفع تهمة كره (أهل البيت) عن أنفسهم؛ فيمدحونهم ويغلون في حبهم ومدحهم، ترى الشيعة وبكل وقاحة يجهرون بسب الصحابة وقذفهم بكل تهمة مهما كانت مكشوفة الزيف وواضحة البطلان!

وقد تأملت تهم الشيعة التي يوجهونها إلى الصحابة ﷺ فوجدتها نقائص شائعة بينهم يحولونها لاشعورياً بواسطة حيلة (الإسقاط) النفسية إلى الصحابة. وبواسطة التكرار والإشاعة على طريقة: (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس) صدقوها هم، ورسخت عندهم حتى صارت عقيدة لا يتطرق

إليها الشك بحال. خذ مثلاً (الأبنة) التي يتهمون بها كل من تسمى بأмир المؤمنين من خلفاء المسلمين بدءاً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما هي إلا رذيلة مشتهرة ومنتشرة في الأوساط الدينية الفارسية وما قرب أو تقرب منها وتأثر بها وسار على هديها منهم. ثم تغلغل هذا الوباء ليعتزل في البلاد المجاورة حيثما حل (رجال الدين) الفرس، وانتشر من هناك إلى ما حولهم من المناطق. ولهذا تجد أكثر المدن شهرة بهذه الرذيلة هي مدينة النجف لكثرة الحوزات الدينية فيها! وقس على ذلك.

### ١٠. اتهام أهل السنة بكره (أهل البيت)

يصر جمهور الشيعة إصراراً سمجاً على اتهام أهل السنة بكره (أهل البيت) ومناصبتهم العداء، ويطلقون عليهم لقب (النواصب). ورغم أن هذه الدعوى لا تجد لها أي سند من الواقع لكن الشيعة لا يحاولون عنها فكاً، ولا ينون في إشاعتها والتباكي بها!

والتحليل النفسي يكشف عن نشأتها من جملة عقد يعاني منها الفرس، وخصال يتصفون بها، أولها الكذب، وقد ظلوا يشيعونه حتى صدقوه! وحتى وصل بهم الأمر إلى حد عقدة الوهم ووهم الاضطهاد = (البارانويا)<sup>(١)</sup>. فدعوى كره (أهل البيت) منعكسة عن سب الشيعة للصحابة وكرههم لهم. وعن طريق عملية (الإسقاط) قاموا بتحويلها إلى أهل السنة متهمين إياهم بكره (أهل البيت). وقد فعلت (عقدة الاضطهاد) فعلها في تسهيل هذا التحويل من حيث أن المصاب بها يتصور أن الآخر هو الذي يضطهده ويعتدي عليه وليس العكس.

وأرى أن هذه التهمة تعبر أيضاً عن شعور دفين بكره (أهل البيت) في النفسية الفارسية، يتحول عن طريق (الإسقاط) إلى أهل السنة. ولهذا الفعل أمثلة كثيرة يسوقها علماء النفس. (فالكاذب أو الجحود أو الأناني أو المتعصب الذي لا يفطن إلى وجود هذه الخصال في نفسه، ينسب الكذب

(١) سبقت الإشارة إلى هذه العقدة عند الحديث عن (عقدة الاضطهاد) عند الشيعة.



والجحود والأنانية والتعصب إلى غيره. ومن هذا الباب لا يصدق الكذاب ما يقوله الناس؛ لأنه يرى فيهم نفسه المطبوعة على الكذب. ومن أمثلة ذلك: الزوج الذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجته يميل إلى اتهامها بالخيانة. والأب الفاشل في عمله يميل إلى اتهام ابنه بالإهمال في دراسته. والمدرس الكسول لا يغفر لتلاميذه الكسل؛ لأنهم يصورون له الناحية التي يكرهها من نفسه. كذلك نرى القاضي الذي تعتلج في نفسه ميول إجرامية يميل إلى الصرامة في أحكامه. ومتى رأينا عيوبنا في الناس ملنا إلى وعظهم واشتدنا في محاسبتهم على عيوب نتسم بها ولا ندري. فيكون الوعظ في هذه الحالة مظهراً للإسقاط. من هنا نرى أن أحكامنا على الغير كثيراً ما تكون أحكاماً على أنفسنا، فهي اعترافات أكثر من أن تكون اتهامات. ولكن أكثر الناس لا يشعرون<sup>(١)</sup>.

مما يؤيد ما ذهب إليه، أن (مهدي الشيعة) حين يظهر يصب انتقامه على قريش، فلا يبقى منها إلا ما خرج عن طاقته، وأفلت عن طوقه! وما (أهل البيت) إلا من لبة قريش؛ فهذا القتل الذريع سيضملمهم حتماً، لو وقع الأمر كما تتخيل النفوس المريضة التي وضعت الروايات التالية في ذلك تنفيساً عن أحقادها:

روى المجلسي عن أبي عبد الله ع أنه قال: (إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف)<sup>(٢)</sup>. وروى محمد بن إبراهيم النعماني في كتابه (الغيبة) عن أبي عبد الله ع أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فما يأخذ منها إلا السيف)<sup>(٣)</sup>. تأمل تخصيص قريش بالحق، وقصدها بالانتقام!

ويروي النعماني عن محمد الباقر ع أنه قال: (لو يعلم الناس ما

(١) أصول علم النفس، ص ٤٦٠-٤٦١، الدكتور عزت راجح.

(٢) بحار الأنوار، ٣٥٥/٥٢.

(٣) الغيبة، ص ٢٣٤.

يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس. أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يقبل منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم<sup>(١)</sup>.

## ١١. مخالفة أهل السنة

يتفق فقهاء الشيعة على مقولة ينسبونها إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو منها بريء، تنص على أن (ما خالف العامة ففيه الرشاد)<sup>(٢)</sup>. وهي رواية مشهورة متفق عليها عندهم علماً وعملاً، ناشئة عن (عقدة السيد) التي تجعل صاحبها يأنف من التشبه بالآخر ومحاكاته، ويستنكف من أي قول أو فعل يشير إلى المساواة بينهما، فضلاً عن التبعية له. وتعبّر بصورة أخص عن احتقارهم للعرب وازدراءهم للدين الذي جاءوا به، وحمله الفرس عنهم مكرهين. وفي الوقت نفسه تحقق أهدافهم في إثارة الفرقة وتمزيق الصف وتجويف الدين وتخريبه من الداخل.

## ١٢. التقية

لم تبلغ أمة في الكذب والنفاق كما بلغ الفرس! وقد بحثنا الأسباب الباعثة في موضع سابق، وتبين لنا كيف أن هذه الصفة متأصلة في طبيعتهم تأصل الروح من الجسد لا تفارقه إلا بالموت.

كلنا يعرف لماذا تبني عبدالله بن أبي بن سلول النفاق وصار رأس المنافقين في المدينة؟ وللذكرى أقول: حين دخل النبي ﷺ المدينة كان أهلها على وشك تتويج ابن سلول ملكاً عليهم. وبمجيء النبي انصرف الناس عن ابن سلول ونسوه، وانشغلوا بالنبي ﷺ والدعوة الجديدة، فانتفخ حقداً على النبي وأصحابه لأنهم كانوا السبب في حرمانه من الملك. ولما

(١) الغيبة، ص ٢٣٣.

(٢) أصول الكافي، الكليني، ٦٨/١.

يئس من رجوع ملكه تبني المراوغة والخداع وتظاهر بالإيمان وأبطن الكفر، وصار يثير المشاكل ويفرق الصفوف ويؤلب الكفار على دولة الإسلام الناشئة، ويقتنص الفرص للطعن المبطن برسول الله ﷺ وذلك بتشويه سمعته في أصحابه وأزواجه، فهو الذي أثار الغبار على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك المعلومة.

الأمر نفسه وقع حين دخل المسلمون العرب إلى العراق وأبادوا جيوش النار وأزاحوا الفرس عن الملك واستولوا على عروشهم ودولتهم وتيجانهم وسبوا نساءهم وذريتهم ومرغوا أنوف كبريائهم وعنجهيتهم بالوحد. حتى إذا يئس الفرس من رجوع ملكهم وإزاحة العرب عن سلطانهم فعلوا ما فعل المنافقون أول مرة ولكن بصورة أعمق وأوسع فتبنوا المراوغة والخداع وتظاهروا بالإيمان وأبطنوا الكفر وصاروا يثيرون المشاكل ويفرقون الصفوف ويؤلبون الكفار على دولة الإسلام الناشئة، ويقتنصون الفرص للطعن المبطن برسول الله ﷺ وذلك بتشويه سمعته في أصحابه وأزواجه. والمؤرخون يذكرون أن الفرس بقيادة يزيدجرد اجتمعوا بعد هزيمتهم في معركة نهاوند الفاصلة وقرروا التظاهر بالدخول في الإسلام لتخريبه من الداخل. وهكذا كان. وتوسلوا لذلك بوسائل منها مبدأ (التقية) الذي يبيح لهم التظاهر بالإسلام مع إبطان الكفر، والكذب والتحايل والخداع وإظهار شيء وإخفاء نقيضه متى ما احتاجوا إلى ذلك وإن لم يكن إلجاء أو إكراه، ومع المسلمين وغيرهم. وهي صفات الفرس النفسية ألبسوها لبوس الدين. فـ(التقية) ناشئة عن الطبيعة النفسية الفارسية التي تمتن الكذب وتعتاش عليه، وتخدم في الوقت نفسه أغراض الفرس، وتحقق أهدافهم.

وأما جذورها البعيدة فيمكن تحسسها من خلال علاقتها بـ(عقدة النقص). وفي ذلك يقول د. حجازي: (عقدة العار هي التهمة الطبيعية لعقدة النقص. الإنسان المقهور يخجل من ذاته، يعيش وضعه كعار وجودي يصعب احتماله. إنه في حالة دفاع دائم ضد افتضاح أمره، افتضاح عجزه وبؤسه. ولذلك فالسترة إحدى هواجسه الأساسية. إنه الكائن المعرض

للافتضاح، ويخشى أن ينكشف باستمرار، يخشى ألا يقوى على الصمود. يتمسك بشدة بالمظاهر التي تشكل ستراً واقياً لبؤسه الداخلي. هاجس الفضيحة يخيم عليه (فضيحة العجز أو الفقر أو الشرف، أو المرض). حساسيته المفرطة جداً لكل ما يهدد المظهر الخارجي الذي يحاول أن يقدم نفسه من خلاله للآخرين... ولكن الرجل المقهور يسقط العار أساساً على المرأة: المرأة العورة أي موطن الضعف والعيب.

بسبب هذا الإسقاط يربط الإنسان المسحوق شرفه كله، وكرامته كلها بالحياة الجنسية للمرأة<sup>(١)</sup>. إن هذا يفسر بوضوح منشأ التقية والبوشية الفارسية.

### ١٣. السجود على التربة والإسبال في الصلاة

كان الفرس إذا وقفوا بين يدي ملوكهم وقفوا ورؤوسهم مطرقة بكل خشوع، وأيديهم على صدورهم علامة على التذلل والاستسلام والخضوع. أما التراب فيعتبر من العناصر المقدسة - إضافة إلى النار - في العقيدة الفارسية المجوسية؛ ولذلك يحرق المجوس موتاهم ولا يدفنونهم في التراب تقدساً له أن يضم جسد الميت النجس حسب اعتقادهم. وقد انعكس ذلك على الفقه الشيعي قولاً بنجاسة جسد الميت؛ فإذا مسه أحدهم بادر إلى الاغتسال، ولا يكفي للتطهر مما أصابه من النجاسة غسل اليد أو حتى الوضوء! ما يشير إلى عمق هذا الطقس في نفوسهم وأنه مرتبط بعقيدة عميقة الجذور.

نأتي الآن إلى تفسير العلاقة بين السجود على التربة وإسبال اليدين في الصلاة وبين أصلهما الفارسي المجوسي فنقول: إن الإسبال - حسب النظرة الفارسية - يتناقض مع التذلل والخضوع الذي يرافق التكتف، فأداء الصلاة مسبلاً لا متكتفاً يعني الإشارة المبطنة إلى عدم الاعتراف بالصلاة من قبل مؤديها. ووضع التربة في قبلة المصلي ما هو إلا إشارة - ولو من

(١) التخلف الاجتماعي، ص ٤٥-٤٦.

بعيد - إلى أن هذه الصلاة ما هي إلا طقس يؤدي تجاه أحد الرموز المقدسة عند المجوس وهو التراب. وهو ما يفسر احترام المصلي للتربة إلى حد تقبيلها والتمسح بها، واعتقاد قدرتها على الشفاء من الأمراض. وقد وجدنا بعض الترب مرسوماً عليه صورة الشمس، وبعضها صورة النار! وهذا دليل آخر يؤكد ما ذهبنا إليه. وقد اشتط الفقه الشيعي في التمسك بالإسبال في الصلاة إلى حد القول ببطلان صلاة المتكفف. وهو مذكور في نواقض الصلاة في (الرسائل العملية) التي يصدرها كل فقيه صالح للتقليد. وذلك يحقق للفرس هدفاً سياسياً من أهدافهم هو إشاعة الفرقة بين المسلمين، والحيلولة دون التقائهم بأي شكل من الأشكال ولو كان هو صورة ظاهرة لا أكثر.

#### ١٤. زيارة المراقد وانتشار ظاهرة الأضرحة

زيارة المراقد هي أعظم طقس عبادي يمارسه الشيعة في حياتهم الدينية، على اعتبار أن (الإمامة) هي أعظم الأصول النظرية عندهم؛ فزيارة (الأئمة) لتقديم مراسيم الولاء والتقديس لهم، ثم طلب الحاجات منهم، لا بد أن تكتسب الأولوية في سلم الطقوس العملية.

ويقف د. حجازي هنا عند هذه الظواهر والرموز كي يتناولها بالعرض والتحليل الذي تدرك من خلاله كيف تفعل (عقدة النقص) فعلها في نشوء الدافع النفسي للتعلم بالأولياء ذلك التعلق الخرافي البدعي، بل الشرقي، ونسبة الكرامات التي هي في حقيقتها - على الأغلب الأعم - خرافات رسختها الإذاعة والإشاعة لتستوطن تلك الأرضية النفسية المفعمة بالشعور بالحرمان والاضطهاد؛ لأنها هي البيئة الأنسب لنموها وترعرعها وانتشارها، فيقول:

(تنتشر ظاهرة التعلق بالأولياء. واللجوء إليهم لاستجلاب الخير ودرء الشر، بكثرة في القطاعات المقهورة من السكان. وتتفشى خصوصاً حيث يعم الجهل والعجز وقلة الحيلة، وحيث يتعرض الإنسان لأقصى درجات الاعتباط من الطبيعة يأتيه كتهديد لقوته وصحته وولده، ومن الإنسان يصيبه

كقمع وتسلب واستغلال. الإنسان المقهور بحاجة إلى ولي لشدة شعوره بعجزه وقصور إمكانياته على التصدي والمجابهة والتأثير. ويحتاج إلى حماية نظراً لشدة إحساسه بالعزلة والوحدة في مجابهة مصيره المحفوف بالمخاطر حين تلم به النوائب أو يصاب في نفسه أو ذويه أو أمنه أو قوته. فالولي ملاذ ومحام يتقرب إليه ويتخذ حليفاً ونصيراً، كي يتوسط له لدى العناية الإلهية. الولي هو ولي الله، ومن خلال التقرب منه تتحقق الحاجات وتعم الرحمة الإلهية. وتسقط على الولي قدرات خارقة لها علامات، هي الكرامات التي تميزه عن سائر البشر...

من الواضح أن هذه الكرامات تشكل النقيض تماماً لوضعية الإنسان المقهور. فهي ترسم صورة الإنسان الفائق الذي يعوض صورة الإنسان المهان واقعياً. وهي تجسد آماني الجماهير المغلوبة على أمرها في أمل الخلاص من خلال وجود نموذج الجبروت الطفلي هذا. ومن خلال إمكانية التقرب من الولي صاحب الكرامات الخوارق، الذي يفلت من قيود الواقع والزمان والمكان، بواسطة الأدعية والندور والقرايين. تلك أوالية ضرورية للتوازن النفسي لهذه الجماهير العطشى إلى إرضاء حاجاتها لمصير مغاير لمصيرها، العطشى لمظاهر الجبروت (القدرة على تحقيق الأماني). فقط من خلال أمل كهذا تظل حياة القهر ذات الآفاق المسدودة والتهديد الدائم ممكنة.

تحدث الكرامات إجمالاً لأناس اصطفتهم العناية الإلهية دون أن يكون لهم في ذلك فضل أو إرادة (دون جهد أو تدريب وإعداد وإدارة كفاح). فقد يكون صاحب الكرامة ذكياً أو غيباً عالمياً أو جاهلاً. وتلمح في ذلك الاعتبار الذي يميز وجود الإنسان المقهور، الخاضع لقدرية ليس له فيها أي مسؤولية. ذلك ما يدفع به إلى القبول بقدره من ناحية ويجنبه مشاعر الذنب النابعة من فشله من ناحية ثانية، ويدغدغ في نفسه أمله الطفلي بتغيير ما ورائي يصيب مصيره، فيحوّله من حال إلى حال من ناحية ثالثة، إذ قد يجد نفسه يوماً صاحب كرامة دون أن يدري أو يقصد. ويكون له الخلاص والرفعة بعد بؤس وضعة. حينما يستفحل عجز الإنسان

وقصوره، وحده الخلاص الخرافي يظل ممكناً كأمل يبقّي له على رفق من الحياة<sup>(١)</sup>.

وعن انتشار ظاهرة الأضرحة يواصل د. حجازي حديثه الشيق، فيتطرق إلى الأسباب النفسية الكامنة وراء ذلك في المجتمعات الاضطهادية. إن زيارة واحدة للجنوب العراقي تريك الفرق الشاسع في عدد المراقدين المناطق الشيعية والمناطق السنية التي لا تكاد ترى فيها مرقدًا لولي إلا بصعوبة. ذهبنا مرة في سفرة إلى البصرة. وما إن صرنا على مشارف الحلة حتى التفت فرأيت صاحبي قد أخرج ورقة وصار ينظر إلى بعض المراقدين التي بدأت تطل بأعناقها ونحن على الطريق الدولي. قلت له: ماذا تفعل؟ قال: أريد أن أحصي عدد الأضرحة على الطريق. فضحكت لطيبة قلبه، قلت: ستتعب. لكنه ابتسم واستمر يكتب. ثم ما إن سارت بنا السيارة بضع عشرات من الكيلوات حتى وضع القلم جانباً وهو يضحك معلناً الاستسلام! وفي مرة سابقة كنا متوجهين إلى السماوة سالكين الطريق القديم، ننظر عن يمين وشمال فنرى لافتات حديدية لا حصر لها، كل واحدة منها مكتوب عليها عبارة (إلى الإمام فلان). كان معنا صديق من أهل الفلوجة، بينما نحن في وسط الطريق، والسيارة تنهب بنا الأرض نهباً إذا به يقطع علينا لحظات صمت مرت بنا وهو يقول ضاحكاً بقوة متعجباً: انظروا ما مكتوب: (إلى الإمام خلف)! هل سمعتم بإمام اسمه خلف؟! ونظرنا فإذا لافتة من سطرين: الأول هو (إلى الأمام خلف) وتحتة مكتوب (القائد صدام حسين) فتكون العبارة كاملة هكذا: (إلى الأمام خلف القائد صدام حسين)! لقد استعجل صاحبنا فقرأ السطر الأول، ولم يجد نفسه في حاجة إلى قراءة ما بعده لكثرة ما قرأ من أمثالها! وصاح متعجباً قبل أن ينتبه إلى تكملة العبارة في السطر الثاني. وشهد الزمان ساعتها نكتة قوية ضحكنا لها كثيراً!

يقول د. حجازي: (تنتشر أضرحة الأولياء ومقاماتهم في كل أرجاء

(١) أيضاً، ص ١٤٩-١٥٠.

المجتمع المتخلف. ولا تكاد تخلو منه قرية، أو حي في المدن الكبرى. وتشكل هذه الأضرحة نواة التجمعات السكانية، تقوم حولها أماكن العبادة ثم تحيط بها المساكن والمنازل والفنادق، وتنتشر الأسواق التجارية. فهي إذاً محج وملجأ وأماكن للتبرك واستجلاب الخير كما أنها أماكن للحماية من غوائل الطبيعة والناس. من جاور ضريح الولي فهو في مأمن، ولا بد أن يناله قسط من بركته. تتجمع الجماهير المقهورة سكانياً حول أضرحة الأولياء ومقاماتهم، كما يتجمع أعضاء حزب معين حول شخص الزعيم طلباً للهداية والحماية، وتقرباً من مصدر الخير.

وهناك أسطورة تخصص الأولياء في قضاء الحاجات. فهناك من يشفي من الصداع، وآخر من العقم، وثالث من الحسد، ورابع يرد الكيد، وخامس يمد بأسباب القوة على الحبيب الهاجر، وسادس ينصر على الغريم، وغيره يرد الغائب وهكذا. ويبرز في التجمعات السكنية المتخلفة عدد من مقامات هؤلاء الأولياء يغطي كل الحاجات التي تعجز الجماهير عن تحقيقها بجهداها، والتي قصر الحاكم في القيام بواجب تلبيتها. بالإضافة إلى النذور والقرايين، تحتل الأدعية والابتهالات مكانة خاصة في التقرب من الأولياء، والتماس قضاء الحاجات على أيديهم ووبركتهم وتتنوع الأدعية لتشمل مختلف الأغراض وتصلح لقضاء الحاجات المتنوعة للفئات المغبونة. فهناك أدعية للشفاء من المرض، وأخرى لتفريج الغم، وثالثة لإزالة الكرب، ورابعة لتوسيع الرزق، وخامسة لتوكيد المحبة، وسادسة للخلافات الزوجية وهكذا...

من خلال هذه الصور الخيرة للأولياء وكراماتهم وبركتهم، والأدعية وغيرها من وسائل التقرب منهم، يملأ الإنسان المقهور خواء عالمه العاجز المحدد بأمل القدرة على التصدي لواقعه، والتحكم بمصيره بمقدار ما يتخذ من هذه الرموز حلفاء له. جبروت الرجاء يحل محل قوة الفعل التغييري. روحية الاستجداء والاحتماء تحل محل المطالبة بالحق والتصدي لانتزاعه<sup>(١)</sup>.

(١) أيضاً، ص ١٥٠-١٥٢.



## ١٥. المتعة والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم

كتبت في آخر كتاب (نكاح المتعة نظرة قرآنية جديدة) تحليلاً اجتماعياً عن علاقة هذا النوع من الصلات الجنسية بالحضارة الفارسية جاء فيه ما ملخصه: من خصائص الحضارة الفارسية أنها حضارة قامت على الفساد والتحلل الخلقي والإباحية الجنسية. وقد اختلفت في ذلك عن الحضارة الغربية بأنها قد أطرت فسادها بإطار الدين، على عكس أختها الغربية التي ظلت واضحة في فسادها، صريحة جلية في عهرها. وإذا كانت هناك شعوب أخرى قد اشتهرت بالإباحية والفساد الخلقي فإن الشعب الوحيد - على ما يبدو - الذي غلف فساد بالدين، وأعطاه مشروعية دينية هو الشعب الإيراني. ومنذ أقدم عصور التاريخ. فالزرادشتية تبيح زواج الابن لأمه والأب لابنته والأخ لأخته<sup>(١)</sup>. والمزدكية تقول باشتراك الناس في الأموال والنساء وأصبحت دين الدولة الرسمي في عهد الملك قباد الأول عام ٤٨٨م. والخرمية - وهي ديانة متطورة عن المزدكية، وتعني بالعربية دين الفرح - تمتاز بالإباحية العامة<sup>(٢)</sup>.

وتسللت هذه الرذائل متسترة بالدين إلى جميع الفرق الفارسية التي انتسبت للتشيع. ولست في مقام تفصيل أسمائها وأفعالها.

إن إباحية الجنس والمال في الديانتين: المزدكية والخرمية، وغيرهما من الديانات الفارسية القديمة ظهرت بشكل مقبول مؤطر باسم شرعي، ويمكن ربطه ببعض الألفاظ القرآنية.

أما الإباحية الجنسية عند المتشيعين بتشيع الفرس فظهرت باسم (المتعة) التي تغني صاحبها، وتعوضه عن أشد حالات التحلل والفساد الجنسي. والتي هي تقليد زرادشتي قديم لا يختلف تخريجه الفقهي كثيراً عما موجود في الفقه الشيعي الحالي! بحيث يستطيع كل متأمل أن يستنتج أنهما

(١) دماء على نهر الكرخا، ص ٧٣، حسن السوداني.

(٢) أيضاً، ص ٧٤.

يخرجان من عمامة واحدة، وأن هذا ما هو إلا نسل (محسن) عن ذاك! وفي ذلك تقول د. شهلا حائري حفيدة المرجع الديني الإيراني آية الله حائري: (عند الزرادشتيين يحق للزوج أو رب العائلة إعطاء زوجته أو ابنته من خلال إجراءات رسمية رداً على طلب رسمي إلى أي رجل من قومه يطلبها كزوجة مؤقتة لفترة محددة. وفي هذه الحالة تبقى المرأة زوجة دائمة لزوجها الأصلي وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتة لرجل آخر. وأي طفل يولد خلال فترة الزواج المؤقت يعود إلى الزوج الدائم أو لوالد المرأة وفقاً للحالة)<sup>(١)</sup>.

وكذلك نكاح المحارم الذي كان يمارس في إيران قبل الإسلام انتقل تقليده - بصورة أو بأخرى - إلى جميع الفرق والمجتمعات التي صارت تدين بهذا الدين الدخيل الغريب على حضارتنا الإسلامية وجذورها العربية.

ومن معلوماتنا القرينة الموثقة أن أكثر المتشيعين فارسياً تعاطياً للواطية هم طلاب الحوزات الدينية! والتحليل النفسي يشير إلى علاقة هذه الرذيلة بـ(عقدة الذنب) التي تجعل صاحبها يميل إلى التعرض بكل وسيلة إلى معاقبة نفسه؛ فيتحول إلى شخص (ماسوشي) يتلذذ بإيقاع العقاب من قبل الآخر والخضوع له إلى حد الانبطاح والافتراش. ومن هنا نشأت رذيلة (الأبنة) في تلك الأوساط. وقد دلت الملاحظة العلمية النفسية على أن (الماسوشي) كثيراً ما يكون (سادياً) أيضاً تجاه من هو أضعف منه، وهو دائم البحث عن ضحية يمارس عليها (ساديته) التي تبلغ قمته بافتراشها وممارسة اللواط بها. وهذا برأبي هو الجذر النفسي لتفشي هذه الرذيلة في المجتمع الإيراني قبل الإسلام، واستمرارها عند جميع الفرق الباطنية التي تسترت بالتشيع، ومنها انتشرت إلى كل الأوساط التي تأثرت بها وتشيعت لأفكارها.

## ١٦. الخمس والحقوق الشرعية

عقدة السيد التي تعاني منها النفسية الفارسية تجعل المصاب بها ينظر

(١) المتعة، ص ٤٠، د. شهلا حائري. والكتاب رسالة دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجيلوس.

إلى نفسه نظرة مضخمة، ويشعر بحالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغة الخرافية لقدراتها وممتلكاتها ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات، كنوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر نقص ذاتية شديدة، بحيث يكون التضخيم الخارجي متوازياً عموماً مع النقص الداخلي. وهي تسمى في علم النفس بـ(النَّفَاج). والنَّفَاجي كائن مهووس بالعظمة وارتفاع الشأن. أصيبت هذه الشخصية النَفَاجية بنكسة حادة شديدة الانحدار بمجيء الإسلام الذي حرم ملوكهم وقادتهم ودهاقتهم من مظاهر عظمتهم، وشردهم في أصقاع الأرض. تمكن هؤلاء بمرور الزمن من التسلل داخل المنظومة الإسلامية بطرق شتى أهمها التخفي وراء عبادة الدين والظهور بمظهر (رجل الدين). فإذا علمنا أن العقلية الفارسية تمزج بين بيت الدين وبيت الملك إلى درجة التلازم الكامل أدركنا أن (رجل الدين) هذا ما هو - في قرارة نفسه - إلا حاكم متوج اتخذ تاجه شكل العمامة نتيجة للظروف التي استجدت، والتي ما عادت تسمح له بالظهور كما يريد. ومن هنا تجده قد أحاط نفسه بهالة من الألقاب الضخمة التي تعبر أصدق تعبير عما يجول في دخيلة نفسه من إحساس بحقيقة وضعه الذي ينبغي أن يكون عليه، ويرغب في أن يعامله الناس طبقاً إليه مثل: ولي أمر المسلمين، الحاكم الشرعي، زعيم الحوزة، الإمام الأكبر، المرجع الأعلى، وهي ألقاب سياسية أكثر منها دينية. ناهيك عن الألقاب الفخمة الأخرى الفارغة مثل: آية الله العظمى، رئيس المجلس الأعلى، وهلم خراً!

رجل الدين الشيعي إذن حاكم فارسي مقنع. ولا تكمل شخصية الحاكم إلا بممارسة جباية الأموال من الرعية للقيام بمقومات الحكم. على أن تؤدي هذه الأموال بطريقة يشعر فيها المالك أنه ملزم بأدائها، ويجلس بين يدي المرجع متذللاً متمسكاً يقبل يده امتناناً بقبولها منه. وذلك كما كانت الرعية تؤدي أموالها إلى الحاكم الفارسي من قبل.

وأخيراً أقول: إن المتأمل بدقة يظهر له بوضوح تام أن تشريع ما يسمى بـ(الخمسة) و(الحقوق الشرعية) مكمل لعقيدة (الإمامة)، وأن كليهما يخرج من مخرج واحد هو (عقدة السيد) الفارسية المجوسية.

## ١٧. النياحة ومراسيم العزاء الحسيني

من الطقوس المشهورة في فلكلور الشيعة الفارسي مواكب اللطم بالأيدي على الوجه والصدر، وبالزناجيل على أعلى الظهر ووسطه، وتطبير الرأس بالآلات الحادة كالحرية وما شابهها. وتراهم يؤدون هذه الطقوس العنيفة جماعياً؛ ما يزيد في عنفها ووحشيتها حتى تصل ببعضهم إلى الموت أو الإغماء! يترافق ذلك مع النياحة والبكاء والعيول... إلى آخر مراسيم عاشوراء.

هذا، وسواه في الفلكلور الشيعي، ناشئ عن أكثر من عقدة نفسية فارسية: أولها العدوانية، ثم عقدة الاضطهاد، وعقدة الذنب.

أما العدوانية، وعلاقتها بهذا الطقس الشيعي المتخلف، فيمكن فهمها من خلال هذا التحليل العلمي للدكتور مصطفى حجازي:

(العدوانية تنخر وجود الإنسان المقهور عموماً. وتنخره أكثر فأكثر في العالم المتخلف. وهي عبء وتهديد للتوازن النفسي، ودافع للإقدام على العديد من تصرفات تدمير الذات. كما أنها، في الوقت نفسه، دفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي تأتيه من الخارج...)

عندما لا يتمكن الإنسان من تحمل مسؤولية عدوانيته المتراكمة، يحل المأزق الناتج عنها الذي يتهدد توازنه، بالمداورة تحت وطأة القمع المفروض عليه، والذي يخشى ردود فعله. يشيع العنف المقمع إذًا مع ازدياد حدة القمع المفروض من الخارج من ناحية، وازدياد إحساس الإنسان بالعجز عن التصدي له من ناحية ثانية.

والعنف المقمع قد يرتد على الذات متخذاً شكل السلوك الرضوخي والميول التدميرية الذاتية، أو هو يتوجه إلى الخارج على شكل مقاومة سلبية<sup>(١)</sup>...

أما العدوانية المرتدة على الذات؛ فلأنها لا تجد طريقها إلى الخارج

(١) مثل النكات، تخريب الممتلكات العامة، السرقة... الخ.

إلا بشكل باهت وهزيل لا يساعد على تصريفها والتحرر من وطأتها داخلياً؛ ولذلك فهي ترتد إلى الذات، وتعنف بها وتقسو عليها وتنزل بها مختلف أشكال العنت وتسومها سوء العذاب. إنها وضعية الرضوخ في سيكولوجية الإنسان المقهور الذي يلوم نفسه، ويشتط في تبخيسها والخط من شأنها. إنه يحملها مسؤولية الفشل المصاحب لوضعية القهر، ويصل في ذلك حد التماهي بعدوان المتسلط الذي يغرس في ذهن الإنسان المقهور الدونية والتخلف والعجز والجهل. ويوهمه بأنه كائن منحط خلق هكذا وسيظل كذلك. ذلكم هو الكفر بالذات الذي يشيع في فترات الهزيمة والنكسات في المجتمع المتخلف: إننا لسنا جديرين بالحياة ولن يصدر عنا أي خير، لا نصلح لأي رفعة، ولا يحق لنا أن نحيط أنفسنا بأي اعتبار أو تقدير. وتصل الإدانة (النابعة من توجيه العدوانية إلى الذات المذنبية لتقصيرها وقصورها) حد النكاية بالنفس، وبالأخرين المشابهين لنا...

تتضمن هذه الإدانة للذات دفاعاً عنها بشكل خفي. فالإدانة الذاتية تظل أخف وطأة من إدانة الآخرين. وفي إدانة الذات والخط من شأنها نوع من التكفير عن الخطيئة الوجودية تجاه المصير، تتضمن ولا شك، بشكل كامن، الأمل في الغفران. فمن يدين ذاته يأمل في الحفاظ عليها من إدانة أشد وطأة. كما يأمل، في الوقت نفسه، في إثارة مشاعر صفح ضميره، وصفح الآخرين على حد سواء. وإدانة الذات بهذا الشكل وسيلة كارثية للسيطرة على الميول التدميرية المتصاعدة، التي تصاحب العدوانية المتراكمة والموجهة نحو الذات. من خلال هذه الإدانة (الجزئية والمرحلية دوماً) يفرغ العدوانية المتراكمة من التهديد بالاندثار الذي تتضمنه. فمن يجسد خطيئته في عقاب محدد ومحسوس، يأمن شر العقاب الجذري الغامض الذي يثير في لا وعيه عقدة الهجر والفناء. إذ أن الإنسان يخشى سوء العاقبة ما دامت لم تحدث بعد. أما وقد حدث فإنه يطمئن إلى أنه لن يتعرض لما هو أسوأ منها<sup>(١)</sup>.

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١٧٥-١٧٧.

**وعقدة الاضطهاد - المتغلغلة عميقاً في نفسية الفارسي، والتي انتقلت بالحث والعدوى إلى كل شيعي - جعلت الشيعة في شعور دائم بالظلم والغبن، وصبغت نفوسهم بالحزن والأسى، وعبأتها بالانفعالات المتأججة والمتحفزة للثورة في كل حين. وهل يمكن أن تتخيل شيعياً لا يلهج بأنه مظلوم، مضطهد، مستضعف، مغتصب الحقوق؟ هذا أحوجه إلى أن يفتش عما ينفس عن كربه وأحزانه، ويفجر الدموع مدرارة من عيونه وأجفانه، بما يسمى في مصطلح علم النفس بـ(التفريغ أو التصريف Catharsis) ومعناه: (تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطبيعة المؤلمة، من خلال وضعية يثار فيها الوجدان، وتنبعث الأحزان إلى درجة تزول معها الضوابط الواعية، في حالة من المشاركة بين الشخص الذي يعاني وآخرين يتعاطفون معه. يعقبه عادة ارتياح عام وعودة السكينة إلى النفس التي تنقاد للتعبير عن المعاناة أو المأساة بحرية تسمح بتصريف كل التوتر المتراكم. كالمشاركة الوجدانية في حالات الموت)؛ فكانت النياحة على (الحسين المظلوم) خير وسيلة مشرعة لتحقيق ذلك. إنه في الظاهر يبكي على الحسين، لكنه في الحقيقة إنما يبكي على نفسه الحزينة إلى حد العقدة، التي ورثت الحزن من عقدة الاضطهاد الفارسية، التي لبست آثارها ثوب الدين لتظهر بالشكل المعلوم.**

**وأما عقدة الذنب: فبعد أن انتقلت من الفرس إلى كل المجتمعات الشيعية جعلتهم يشعرون بالحاجة الماسة إلى عقوبة النفس وجلد الذات تكفيراً عن ذنوبها. فقد مر بنا أن المصاب بعقدة بالذنب يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير - ولو بعقاب نفسه - التماساً للراحة، وتخفيفاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر. وهكذا ترى أن من يعاني عقدة ذنب يندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. سواء كان هذا العقاب مادياً أو معنوياً، فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. فتظهر عقدة الذنب واضحة لدى الشيعي وهو يجلد نفسه ويلطم صدره ويشدخ رأسه إلى حد فقدان الوعي أو الموت تحت ذريعة خيالية هي حب الحسين! وكان أول طقس نياحي في تاريخ الإسلام يوم خرج الشيعة في مسيرة جماعية إلى قبر الحسين بعد مقتله**

بقليل وهم سيكون وينوحون على خذلانهم إياه يوم ورطوه فاستقدموه ثم تركوه فلم ينصروه حتى قتل هو وأصحابه وأهله، يقودهم سياسي محنك متعطش إلى السلطة هو الدجال المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم خرج بهم - بعد أن ارتووا من البكاء والعويل - للقتال أخذاً بثأر الحسين. وقد تم له ما أراد فقتل والي الكوفة عبيدالله بن زياد، وتولى الحكم بعده. لكنه - وكالعادة - لم يدم ملكه طويلاً. وقد عرفت حركته هذه بحركة (التوابين). فالشيعة - حين يكون على الحسين ويجلدون أنفسهم و(يطبرون) رؤوسهم - لا يدرون أنهم مسيرون بعقدة الذنب التي تدفعهم لمعاقبة أنفسهم على ما اقترفوه من آثام واجترحوه من خطايا، ومنها أنهم كانوا السبب في مقتل الحسين يوم دعوه لينصروه لكنهم خذلوه وقتلوه. نعم! الشيعة لا يعلمون بواعيتهم = (العقل الواعي) أنهم كانوا السبب في قتل (إمامهم)، لكنهم يدركون أو يستشعرون بخافيتهم = (العقل الباطن) أنهم هم الذين قتلوه، فالحسين قتله أهل الكوفة شيعة علي، لا يجادل في ذلك أحد، وإن كانوا بقيادة رجل من غيرهم؛ فهذا لا يبرر لهم أن يرتكبوا فعلاً بمستوى قتل (إمامهم). وقد استغل دجاجة الفرس ذلك من أجل تحريك جموع الشيعة نحو وهم هو الأخذ بثأر الحسين! فتراهم على مر التاريخ يخرجون ليثيروا الفتن والحروب ضد أهل السنة بهذه الحجة الواهية محملين إياهم تبعة القتل، بواسطة حيلة (الإسقاط) النفسية، التي حولوا بها التبعة عن نفوسهم وألصقوها بغيرهم. وهذا - من ناحية أخرى - يخدم أغراض الفرس، ويمهد لتحقيق أهدافهم. وهكذا تجد أن هذا الطقس يصدر عن عقد فارسية، ويخدم أهدافاً فارسية.

وقد شهد على مثله شاهد من أهلها هو الدكتور علي شريعتي في كلام طويل نقتطف منه ما يلي: (من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية حيث تضامن الاثنان لمواجهة الامبراطورية الإسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني وشكلت خطراً جدياً على أوروبا. وقد وجد رجالات التشيع الصفوي أنه لا بد من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضامن السياسي فعملوا

على تقريب التشيع من المسيحية... ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوروبا الشرقية - وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض - وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك حتى أنماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات. واقتبس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى بالتالي إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني ولا في الشعائر الدينية الإسلامية. ومن بين تلك المراسيم النعش الرمزي والضرب بالزنجيل والأقفال والتطبير واستخدام الآلات الموسيقية وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرداً، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسيم أن يشخص أن هذه ليست سوى نسخة من تلك... إن الشيء الذي كانت تهدف إليه الصفوية من هذه الأعمال ليس سوى تأجيج المشاعر الصفوية غير المنضبطة عبر ممارسة تلك الطقوس التراجيدية وعلى النمط المسيحي لا على النمط الذي يرتثيه الدين الإسلامي الحنيف والذي يحرص على أن يكون كل عمل يزاوله الإنسان شيئاً هادفاً وله على الصعيد التربوي نتائج وثمار محددة<sup>(١)</sup>.

ثم قال في موضع آخر: (إن التشيع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المسلم وتقوم فلسفة وجوده على أساس بث الفتنة وزرع الاختلاف بين أعضاء الجسد الإسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الأم الكبير، وما وجد التشيع الصفوي إلا من أجل تحقيق هذا

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي. مقتطفات من الصفحات: ٢٠٦ - ٢١٨، الدكتور علي شريعتي.



الغرض، ويؤيد هذا التصور أن التشيع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في أوروبا لضرب القوة الإسلامية التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الامبراطورية العثمانية البغيضة، وقد كانت الضربة التي وجهها التشيع الصفوي بمثابة طعنة في الظهر، تجلت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفويين وسلاطين أوروبا الشرقية تمخضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على العدو المشترك للمسيحية الغربية والتشيع الصفوي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية.

ومن هنا نرى أن مراسيم (التشبيه) وهي نسخة طبق الأصل من طقوس دينية يؤديها المسيحيون على خشبة المسرح، بدأت تتضمن لقطة جديدة يدخل في غضوننها شخصية ترتدي الملابس الإفرنجية من السترة والبنطال وتنضم إلى معسكر الإمام الحسين وتقاتل معهم بحماسة واستبسال منقطعي النظر (إلى أن قال عن التشيع هذا: (هو تشيع يتعاطى مع كل العقائد والعقائد النبيلة المشار إليها بشكل مختلف ويحولها إلى أحقاد دفينه وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والإيرانيين. ويحيل الاختلاف بين التشيع والتسنن الذي يعكس في واقعه الاختلاف بين إسلام الشعب وإسلام الحكومة، بين إسلام الرب وإسلام الأرباب، بين إسلام النبي وإسلام الخليفة المزعوم! يحيله إلى حقد أعمى بين السنة والشيعة، بين المجتمع السني الموجود الآن وبين المجتمع الشيعي الذي يعايشه، وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشيعية في سبيل تحقيق أهدافه ومراميه المتمثلة بإقامة الدولة الصفوية)<sup>(١)</sup>.

**النيران والمشاعل:** وقبل أن أنهي من الموضوع أو تنبيه القارئ إلى النيران والمشاعل التي ترافق بكثافة هذه المراسيم والطقوس. وكل من شاهد مواكب النواح واللطم وضرب الزناجيل التي تظهر على الشاشة الإيرانية يرى بصورة لا يمكن أن تخطئها العين مشاهد النيران التي تؤجج في مواقع كبيرة هنا وهناك، والبرج الذي يرتفع في طرف ساحة المسيرة

(١) أيضاً، ص ٢٦٤، ٢٦٣.

كيف تنبعث منه النار، والمشاعل التي يحملها الأشخاص المشاركون في المسيرة وكيف يحمل كل واحد منهم المشعل بيد ويلطم صدره باليد الأخرى! ومنهم من يحمل جوقة من المشاعل ويمشي بها بين القطيع! كذلك ليلة العاشر من محرم تحيي بإشعال النيران إلى الصباح. وليلة (المحيا) - وهي ليلة الخامس عشر من شعبان من كل عام التي يعتقد الشيعة أنها ليلة مولد المهدي - أهم وأبرز طقس فيها إشعال النيران مع ترديد عبارة (مشعل يا دايم)! حتى تمثيلية (المقتل) تنتهي بإحراق الخيام بالنار والدوران حولها!!

وهذا كله يشير إلى العلاقة الواضحة بين الطقوس الشيعية الدينية والطقوس المجوسية الفارسية بصورة لا تقبل الشك، ولا تحتاج إلى التأكيد لدى كل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

#### ١٨. التمسك الشديد بالتقاليد والبدع

التشيع في صورته الحالية دين ابتدعه الفرس، ليضاهئوا به دين الإسلام، ويضربوه به، وينخروه من الداخل. فالبدعة أساسه وبنائه، وإطاره ومضمونه، وروحه وجسده. عقائده وبدع وشعائره كذلك! فالعصمة والإمامة وتقديس المراجع، والتقية وتحريف القرآن وتكفير الصحابة، وعاشوراء والنياحة والللطم والتطبير ومواكب العزاء، والمراقد والقباب والزيارات والسدانة والندور، والحج والصيام والأذان والأدعية والصلوات - على الطريقة الشيعية - والتربة، والأعياد والنيران والخمس والحقوق، والصور والأعلام والطبول... وقائمة لا تنتهي من هذه البدع والخزعבלات. ومع ذلك ترى الشيعة يتمسكون بها أشد التمسك.

يكشف لنا التحليل التالي السر وراء انتشار البدع عند الشيعة، وتحول الدين عندهم إلى مجموعة من الطقوس والتقاليد المتوارثة (فلكلور شعبي)، يتمسك بها العوام تمسكاً لا فكاك لهم عنه:

(التمسك بالتقاليد يحمي الإنسان المقهور من مشاعر الخزي الذاتي،

المرتبط بالمهانة التي تتصف بها مكانته الاجتماعية. التمسك بالتقاليد يحمي الإنسان المقهور من مجابهة ذاته، تلك المجابهة التي تقلقه كثيراً، من خلال أولية الهروب نحو الخارج، الذوبان التقليدي والشائع، والانضواء تحت قانون العرف.

وتصل الوظيفة الدفاعية للتمسك بالتقاليد أوج فعاليتها بما تتضمنه من استلاب عقائدي يتعرض له الإنسان المقهور. فالتمسك بالتقاليد واحترام الأعراف ومراعاة العادات، يعاش كمصدر للاعتبار الذاتي، نظراً لما يتضمنه من قبول اجتماعي. إن الإنسان المقهور الذي لا شرف له يتخذ من تمثل التقاليد والأعراف مصدراً للشرف والاعتبار، يتخذ من قدرته على مراعاة المعايير السائدة مصدراً للكبرياء والرضا عن الذات...

إن أكثر العناصر استلاباً وقهراً في المجتمع المتخلف هي أشدها عدوانية وعنفاً على من حاول التمرد على التقاليد، وتحدي المعايير وخرقها. فهناك في المجتمع المتخلف تعبئة نفسية ضد كل من يخرج على التقليد، إنها الفضيحة تلاحقه، وهو يستباح في سمعته وورقه وحياته. ويأخذ العدوان عليه طابع التشفي والبطش والتشهير، يتحالف الكل للنيل منه. وفي كل ذلك تصريح واضح لما تراكم عند كل فرد من أفراد الجماعة، خصوصاً المقهورين منهم، من حقد وعدوانية نابعين من الإحباط والمهانة اللذين يتضمنهما الغبن المفروض عليهم. في هذا الحقد المتشفي الذي يصب على العنصر الخارج على العرف (خصوصاً إذا كان امرأة) إحساس بشيء من الاعتبار الذاتي من خلال تأكيد الانتماء للجماعة والتمسك بمعاييرها. وفيه بالإضافة إلى ذلك نوع من الشعور بالكبرياء والتعالي، من خلال صب العار على الضحية التي لحقت بها فضيحة المساس بشرف التمسك بالمعايير والأعراف. وفيه أيضاً إسقاط لمشاعر الذنب الذاتية التي لا بد أن تصاحب الإحساس بالفشل والمهانة عند الإنسان المقهور، والتي تظل عادة مكبوتة، على العنصر المتمرد: هو المذنب وهو الذي يستحق العقاب. وعند هذه النقطة لا يعرف التشفي حدوداً، وهو متناسب عادة مع درجة القهر الذي يزرع تحتها الإنسان. والحقيقة أن هذا التشفي يتضمن في بعض أوجهه دفاعاً ضد الإغراء بالتمرد على غرار العنصر

المارق، الذي تجرأ على خرق مقدسات الجماعة. فهذا التمرد الكامن موجود دائماً عند الإنسان المقهور. ولكنه يجمع في الحالات العادية خوفاً من الأخطار التي يتضمنها على شكل ردة فعل اجتماعية قمعية. وبمقدار ما يزداد الإغراء بالتمرد ويشتد الخوف من الإقدام عليه تستشري عند الإنسان المقهور ردود فعل التشفي في حالة من الهروب عن مجابهة الذات من خلال الذوبان في الجماعة، والتعصب لمعاييرها وتقاليدها<sup>(١)</sup>.

تجد الأمثلة كثيرة في المجتمع الشيعي، على هذا التحليل العلمي لأصحاب النفسية الاضطهادية - ذكرنا بعضها آنفاً - والعداء السافر لكل من خرج عليها، ومحاربتة في سمعته ومكانته، ومضايقته في رزقه ووظيفته. وأشد الناس تعصباً في ذلك هم أشدهم تخلفاً وشعوراً بالاضطهاد (إن أكثر العناصر استلاباً وقهراً في المجتمع المتخلف هي أشدها عدوانية وعنفاً على من حاول التمرد على التقاليد، وتحدي المعايير وخرقها): فالذي قام باغتيال السيد محمد اسكندر الياصري رَحِمَهُ اللهُ تعالى نائب ضابط هارب من الخدمة العسكرية، مبتور الذراع. والسيد محمد اسكندر من خيرة العلماء العاملين، الذين خرجوا على تقاليد الطائفة البالية، وتحدي معاييرها الزائفة، وحاولوا إصلاحها من الداخل.

## ١٩. تجميد التاريخ

وقبل أن نقرأ التحليل التالي استحضر في مخيلتك كيف يستغرق الشيعي في أحداث معينة من الماضي، ويجمد حيالها حتى كأن عجلة التاريخ قد توقفت حركتها عند أعتابها، وتوقف الزمن فلا حاضِر إلا ذلك الماضي بأحداثه تلك: (باب خبير، الخندق وأسطورة ابن ود العامري، غدير خم، خرافة كسر ضلع الزهراء، معركة الجمل، صفين، الطف)، وما يرافق ذلك وغيره من الأحداث من الطعن في تاريخ الأمة وتشويهه ليتطابق مع الرغبة المنحرفة للنفسية الفارسية في ما تتمنى هذه النفسية أن يكون عليه تاريخنا، لا ما هو عليه في الواقع. والعكس يفعلُه فيما يرغب أن يكون

(١) أيضاً، ص ١٠٩-١١٠.

عليه مثله الأعلى، وهو الإمام، لا ما هو عليه في الحقيقة. يجتر الشيعي من خلال تلك الحوادث - التي رسم صورتها كما تشتهي نفسيته المريضة، وجمدها على تلك الصورة - شعوره بالغبن والاضطهاد، ويسترجع لحظات من النشوة حين ترسم في ذهنه صورة إمامه الأسطورية في الفروسية وقاتل الأعداء، أو الصبر على تحمل المعاناة، أو المثالية في التعبير عن قيم الرجولة والشهامة والمروءة، أو القدرة الفائقة على حل المشاكل وتحقيق الخلاص السحري من المآزق (المهدي المنتظر):

يقول د. مصطفى حجازي: (يتنكر الإنسان المقهور لهذا الحاضر الذي يشكل مرآة تعكس له مأساته، أو هو يجتر هذا البؤس. ولكن الغالب هو التذبذب ما بين التنكر والاجترار. وهو يدافع عن نفسه إزاء كل ذلك بالهروب في الماضي المجيد ذاتياً وقومياً. فالماضي حصن من لا حاضر له، ولا مستقبل له... ويحدث نوع مما يسمى بالتماهي الإسقاطي (تمثل صورة البطل ليس كما هو حقيقة، بل كما نرغبه أن يكون كاملاً فائقاً ذا جبروت) في علاقة الإنسان المقهور بأبطال القصص الشعبي.

البطل في القصص الشعبي أسطوري. فهو من الناحية الجسدية القوة المطلقة، التي تأتي بالخوارق وتجابه كل التحديات. وهو في السلاح قمة الخبرة والفروسية. يصور على درجة كبيرة من الضخامة، فرسه نادرة وسلاحه لا يتمكن سواه من حمله والقتال به. وشجاعته تصمد أمام كل امتحان، وهو يخرج دائماً منتصراً من أقسى امتحان. ويتحلى بطل القصص الشعبي بكل الفضائل النفسية والخلقية، ويتمتع بكل قيم الرجولة والشهامة والكرم. وهو إلى ذلك البطل القوي العادل الذي يتصدى لكل معتد، وكل ظالم، وكل عدو داخلي أو أجنبي، مدافعاً عن جماعته وأهله المعرضين من دونه لأشد الأخطار الحياتية. إنه البطل المنقذ، مبعوث العناية الإلهية كي يرفع التهديد عن الإنسان الضعيف، إنه رمز العدل والأمن الوجودي.

استعراض حياة هذا البطل الأسطوري، كما يرويها رواة القصص الشعبي، هي دائماً سلسلة من الأزمات وحلقات متصلة من الخطوب. لا يخرج

من أزمة حتى يقع في التي تليها، ولا ينتصر على خطب حتى يقع في مأساة جديدة. حياته ملحمة دائمة من الثبات أمام أقسى اختبارات الحياة، والخروج منتصراً منها. وهي إلى ذلك حلقة متصلة من التفاني من أجل الآخرين.

بطل القصص الشعبي بكل أسطوريته، هو مجرد إسقاط لأمل الإنسان المقهور في الخلاص، لرغبته الدفينة في امتلاك القدرة على مجابهة قدره. حياته مجرد مرآة للاختبارات المتلاحقة التي يتعرض لها الإنسان المقهور ويعجز عن اجتيازها، بينما ينجح البطل في ذلك. من هنا ندرك سبب إقبال الجماهير على حلقات رواية هذه القصص، وندرك سبب الاندماج في الاستماع إلى الراوي. إنها لحظة عزاء وسلوى عن آلام الواقع الراهن، إنها لحظة عز وكبرياء وأمل وشعور بالاعتبار الذاتي من خلال التماهي بطولات الفارس صانع الخوارق. ويزداد انتشار حلقات القصص الشعبي بمقدار الغبن المفروض على الإنسان، ومقدار خلو الحاضر من الأمجاد. قصص البطولات الشعبية من الأمجاد. قصص البطولات الشعبية من الناحية النفسية، عرض لمأساة الجماهير، من ناحية، وأملها في الخلاص، في تغيير المصير من ضعف إلى قوة، ومن مهانة إلى عز، من ناحية ثانية<sup>(١)</sup>.

والعبارات الأخيرة تفسر غرام الشيعي بسماع قراءة (المقتل)، وحرصه على القيام بطقوس العزاء والنياحة.

## ٢٠. الشعوبية والتآمر على الوطن

كل الشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام تحب العرب وتجلهم وتكن لهم الاحترام والتقدير على ما جلبوه لهم من خير تمثل في الدين الذي حملوه إليهم وتكبدوا المشاق والدماء في سبيل إيصاله إلى تلك الشعوب. إلا الفرس!.. فإنهم يبغضون العرب ويزدرونهم حتى إنهم إذا أرادوا الإشارة إلى أحد باحتقار نبزوه بقولهم: (عرب) بترقيق الراء على طريقتهم بالنطق!

(١) التخلف الاجتماعي، ص ١١٢-١١٣.

**عقدة اللؤم:** وبغض الفرس للعرب ناشئ من (عقدة اللؤم) أو نكران الجميل. فالسبب الذي حمل بقية الشعوب على حب العرب هو نفسه الذي حمل الفرس على بغضهم. وهي عقدة متفرعة عن عقدة قديمة يشعرون بها تجاه العرب هي (عقدة النقص). فقد مر بنا قول البروفسور عماد عبدالسلام: إن التحدي الحقيقي الذي كان يواجه الفرس على مدى التاريخ هو ذلك التحدي القادم من غرب إيران أي من الوطن العربي. بيد أنه - على قوته - لم يكن عسكرياً بقدر ما كان حضارياً. ولما لم يكن هذا الغرب يمثل إلا مصدر إشعاع للحضارة، لا خطراً مادياً حقيقياً فإن العقلية الفارسية تعودت أن تنظر إلى هذه الحضارة بعين واحدة. إنها تتأثر بها لأنها مضطرة إلى ذلك لنقص في مستواها الحضاري، وتعاذيلها في الوقت نفسه لأنها تمثل خطراً يهدد سيطرتها على القوميات العديدة التي تحيط بها، فلقد اعتنق الفرس الإسلام كسائر شعوب المشرق لكنهم حاربوه من داخله، وتعلموا الآداب العربية لكنهم حاربوها بما تعلموه منها، وكتبوا بالحروف العربية لكنهم شنوا حرباً على اللغة العربية نفسها. وكان إحساس الفرس بتخلفهم تجاه الفعل الحضاري الآتي من الغرب يتخذ وضعاً حاداً انعكس على شكل رد فعل غير حضاري نحوه استهدف تدمير الحضارة فيه، أو مكافأة تأثيره على الأقل، ولكن بالفعل العسكري وحده.

لقد تحول مركب النقص الحضاري هذا على مر العصور إلى عقيدة راسخة معادية لكل الحضارات العربية أو التي وجدت في الأرض العربية. بل انه تحول في اللاوعي الفارسي إلى نزعة عدوانية مدمرة لكل فكرة بل قيمة تأتي من هذا الاتجاه. وظف الحكام الفرس هذه العقدة النفسية في صالح هيمنتهم على القوميات المحيطة بهم بأن أشعروها على الدوام بأن تصديهم لهذه المؤثرات رهين باستمرار الهيمنة المركزية عليها. وهذا ما توحى به إيران إلى الشيعة في العراق وغيره من الدول المجاورة. وتطرح نفسها على أنها المنقذ للشيعة، والمدافع عن حقوقهم، لا منقذ لهم ولا مدافع عنهم غيرها، وأن الآخرين المحيطين بهم يريدون أن يتلعوهم، ويُلغوهم من الوجود؛ فلا منجى لهم إلا إيران، ولا ملجأ إلا إليها.

وهي السياسة القديمة نفسها التي مارسها الفرس مع مواطنيهم من القويات الأخرى في عزلهم عن أقوامهم الأصلية، عن طريق تخويفهم منهم، وإظهارهم بمظهر الخطر العظيم على وجودهم بغية ضمان اصطفا فاهم إلى جانبهم وضمهم تحت جناح سيطرتهم وحكمهم. وهذا ما يتخيله جمهور الشيعة في العراق، وهو السر الذي لأجله يصرحون بعدم رغبتهم في تدخل العرب في شؤونهم، وترك العراق للعراقيين، واتهام العرب بأنهم لم يقفوا في محنتهم إلى جانبهم. إن عامة الشيعة اليوم يجدون في إيران الرئة التي يتنفسون بها؛ فهم يشعرون بالاختناق حين يولون وجوههم شطر العرب، ولا يستشعرون الراحة والطمأنينة إلا في كنف إيران، العدو الأول للعراق وللعرب عموماً.

وهو السبب الذي يدفعهم إلى الوقوع في شرك المخططات الشيعوية، ومنها الانخلاع من الوطنية الصادقة، والرضا بالمحتل واستقدامه ومعاونتته للدخول إلى وطنهم والتشبث به خشية أن يقعوا تحت حكم الآخر الذي يصوره دهاقتهم وحشاً مرعباً يريد أن ينقض عليهم ويقتلعهم من الوجود. قبل أيام من موعد الانتخابات الأخيرة (٢٠٠٥/١٢/١٥) اجتمع القادة الدينيون للمحافظات التسع الشيعية في النجف، وخطب فيهم الشيعوي المخذول الإيراني عبدالعزيز الحكيم داعياً إياهم للتصويت لقائمتهم سيئة الصيت وإلا فإن (الأمويين) - حسب تعبيره - والتكفيريين قادمون، إشارة واضحة منه إلى العرب السنة. وهدد بانفصال ما أسموه بـ(إقليم الجنوب) إذا زورت نتائج الانتخابات ولم تأت طبقاً لما يريدون.





### فتوى السيستاني في تحريم الجهاد وعدم جواز قتال المحتل الأمريكي

وطن الشيعي طائفته: وبهذه الطريقة التلويحية تمكن الفرس - كعبدالعزیز هذا وأسياده - من سلخ المتشيع بتشيعهم من الانتماء إلى وطنه، أو الشعور بعلاقة المواطنة مع الآخر. وتعويضه بالانتماء إلى المرجع والطائفة فحسب. فوطن الشيعي طائفته أينما كانت، ليس له وطن غيرها؛ وأمه وأبوه (مرجعه) ولو كان شيطاناً مريداً! ولذلك تجده يتعصب لإيران، وينتمي إليها، ويخدم أهدافها، متخذاً منها ملاذاً يطمئن إليه. وتمثل (الحوزة) الرمز الأقرب للانتماء، وما (الحوزة) إلا وكر أو مؤسسة من مؤسسات إيران الاستخبارية. ومن هنا صار الشيعي - وإن كان عربي الأصل - شعبياً يتعلق بإيران، وينفر من العرب، سريع المبادرة إلى معاونة كل من يتآمر على وطنه طمعاً بالخلاص من الوهم. يعزز ذلك شعوره بالاضطهاد والخوف من الآخرين، حكاماً ومحكومين. إنهم يهددون كيانه، ويمحون وجوده. هكذا يشعر.

**النظرة إلى الحاكم:** يتكلم د. حجازي عن نظرة الإنسان الاضطهادي إلى المتسلط أو الحاكم، ليربط بينها وبين ضعف الشعور الوطني، وكيف يتحول إلى إنسان غوغائي مخرب مدمر متى ما ضعف أثر السلطة (صفحة الغدر والخيانة سنة ١٩٩١ مثلاً) فيقول: (أما صورة المتسلط فهي بدورها عامل تفجير للعدوانية. إنها لا تمثل الأب الحاني العطوف، بل تثير صورة الأب المهدد القاسي. تعايش كسلطة مهددة لا يتمكن المرء من التماهي الإيجابي بها، الذي يتم عادة مع صورة الأب الطيبة، والذي يفتح السبيل أمام نشأة العلاقات الإنسانية الإيجابية... وطالما استحال التماهي مع صورة إيجابية متعاطفة وحامية للحاكم، فإن ذلك يزعزع روابط الانتماء إلى الجماعة والإخاء في المواطنة. فقدان روابط الانتماء الاجتماعي يقود مباشرة إلى فقدان الالتزام تجاه الآخرين، وفقدان الاحترام لما هو عام ومشترك، مما يفتح السبيل أمام بروز الأنوية المفرطة. تنهار قيمة الآخر،

في هذه الحالة، لأن العلاقة معه لا تؤمن للمرء قيمته الذاتية، لا تمدّه بالاعتراف بذاته من خلال اعتراف الآخرين به. وهكذا تسود الأنانية على حساب المصلحة العامة. تبرز هذه الأنانية التي لا تعرف حدوداً ولا ترعى للآخرين حرمة حين تضعف السلطة القائمة أو تغيب عن المسرح لأمر ما. عندها يتحول المجتمع إلى غابة ذئاب. انعدام الشعور بالانتماء، مع ما يستتبعه من انعدام للشعور بالعدالة والعدل في نيل الحظوظ، يولد عند الإنسان قلق الوحدة، وقلق التهديد يأتيه من الآخرين، مما يفجر عدوانيته دون حدود. تتخذ العدوانية هنا تحديداً طابع تغليب المصلحة الذاتية بشكل مطلق، وقد تتخذ طابع السلب واستباحة الآخرين في حالات خاصة<sup>(١)</sup>.

**عقيدة الإمامة:** إن (عقيدة الاضطهاد) تجعل الشيعة يعيش شعوراً متصلاً بالغبن والمظلومية، و(عقيدة النقص) تجعله يتطلع إلى مخلص خارجي. وعقيدة (الإمامة) الناشئة من (عقيدة النقص) و(عقيدة السيد) والتي يكفر على أساسها الآخر تبرر له هذا التطلع، واستعداد الكافر الأجنبي عليه أملاً بالتخلص منه؛ فكلا الفريقين في اعتقاده كفار. وعلى فرض أن الآخر مسلم - وهو ليس أكثر من مسلم في الظاهر كافر في الباطن كما عليه إجماع علمائهم - فإن الكافر العادل خير من المسلم الجائر كما يشيع دعاة الشيعة الفارسي في الزمن القديم والحديث.

### ليسوا سواء

هذه هي أهم العقائد والشعائر والممارسات العملية في الشيعة، المنقلبة عن العقد النفسية الفارسية. على أننا لا نجنح إلى تعميمها على كل الشيعة. ففي كل الأحوال تبقى أقلية تخالف التيار، تبتغي الحق، وتعبّر عن الخصائص الأصيلة للنفسية العربية السليمة. وهي وإن كانت في غالبها مستغفلة، وفي النهاية غير قادرة على إحداث التأثير المطلوب في سير التيار العام، لكن الواجب الشرعي يحتم علينا أن ننوه بها، ونبحث عنها. كما

(١) التخلف الاجتماعي، ص ٢٠٥-٢٠٦.

نسعى كذلك لتشجيعها، والأخذ بيدها إلى شاطئ السلامة وبر الأمان؛  
 أملاً في الوصول إلى جعلها فاعلة في وسطها بالاتجاه المؤثر الصحيح.  
 والله تعالى يقول: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ  
 آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].





## الفصل السادس:

## الصلة النفسية بين الشيعة واليهود

بين الفرس والشيعة وبين اليهود صفات مشتركة، و.. صلات.

وهو ما يفسر لنا سر العلاقة التاريخية الجامعة بينهما. ف(عندما جاء قمبيز إلى مصر قدم اليهود فروض الولاء لهذا الملك الفارسي الذي أظهر عطفه على اليهود، ولم يمس معبدهم بسوء. في حين أن كثيراً من معابده المصريين تعرضت للتدمير والتخريب. وساهم اليهود في إخماد ثورة المصريين ضد الفرس)<sup>(١)</sup>.

وقمبيز هذا هو ابن الملك الفارسي كورش الذي تأمر مع أخواله اليهود فاحتل العراق ودمر بابل، وأعاد اليهود إلى فلسطين وبنى لهم هيكلهم؛ فاعتبروه مخلصاً ربانياً لهم، ووصفوه بأنه المسيح المنتظر. وقد مجدوه بذلك في توراتهم فقالوا: (هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش، الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحل أحزمة ملوك، لأفتح أمامه المصراعين، فلا تغلق الأبواب. إنني أمشي أمامك، وأمهّد الهضاب، وأحطم مصراعي النحاس، وأكسر مزاليح الحديد، وأعطيك مكنونات

(١) الجيتو اليهودي، ص ٥٦، الدكتور سناء عبد اللطيف حسين، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

الكنوز وذخائر المخابى، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك، إله إسرائيل، لأجل يعقوب عبدي، وإسرائيل الذي اصطفيته دعوتك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفني) (أشعيا ٤٥ : ٤-١)<sup>(١)</sup>.

وقديماً عبد اليهود العجل رمز القوة عند قدماء المصريين. ولو كانت نفوسهم سوية أبية لكفروا به وحطموه؛ لأنه معبود أعدائهم الذين أذلّوهم واضطهدوهم. لكنها نفوس خربة منحرفة لا تستجيب إلا لمنطق القوة التي تقدسها وتحترمها إلى حد العبادة. ولا تنقاد إلا لمن يذلها ويقهرها. ولأمر ما كانت معجزتهم (العصا) - علامة الانصياع والإذلال. وقد أخذ الله تعالى عليهم الميثاق تحت الطور الذي رفعه فوقهم كالظلة. وكانت مواعظ النبي محمد ﷺ ومحاولاته السلمية تذهب دائماً أدراج الرياح: فكان ﷺ في كل مرة يلتجئ إلى القوة كحل أخير أو نهائي وحيد، لدفع ضرهم، إن لم يفلح في كسب نفعهم. حتى قال الرب جل وعلا: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ [البقرة: ٧٥، ٧٦]. وهي أخلاق المصابين بعقدة (الفارسية) يحرفون كلام الله، وتسعة أعشار دينهم التقية والكذب!

### تشابهت قلوبهم فتشابهت عقائدهم

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُ عَلَيْنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨) [البقرة: ١١٨]. فأرجع الله تعالى السبب في تشابه العقائد إلى تشابه القلوب. وهو كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَلِكَ

(١) الشخصية الإسرائيلية، ص ٦٧، دكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية،

١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ [الذريات: ٥٢، ٥٣].

فإذا كان الزعم بأن اليهود كالشيعة يعانون من أمراض وعقد نفسية، وأن هذه العقد هي التي كونت عقائدهم، وأن الفريقين متشابهون في أصول أمراضهم وعقدهم؛ فلا بد أن ينعكس هذا التشابه في العقد تشابهاً في العقائد. وهذا ما سنثبته في هذا الفصل إن شاء الله. والذي أريد أن أصل إليه هو أن تشابه العقائد راجع إلى تشابه القلوب والعقد. فتكون النتيجة - ضرورة - تشابه العلاج الذي ينبغي أن يوصف للطرفين. وإذا كان اليهود علاجهم قد وضعه الله تعالى بين ثنايا كتابه، وطبقه رسوله ﷺ في سنته وسيرته، فما علينا إذن غير تعيين عناصر هذا العلاج، ونقله إلى دائرة الشيعة.

علماً أن التشابه بين الطرفين لاحظته المختصون منذ زمن مبكر. منهم شيخ الإسلام في (منهاج السنة). وكتبت فيه مؤلفات. ولهذا لم يكلفني هذا الموضوع سوى الجمع والتأليف، مع زيادات مهمة ليست كثيرة. فجزى الله خيراً من سبق وكتب فيه، ووفر علينا عناء البحث من أول الطريق. ولا ننسى أن المؤسس الأول للتشيع - عبدالله بن سبأ - كان فارسياً يهودياً؛ فاللقاء بين اليهود والفرس والشيعة كان من البداية.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول في تشابه الفريقين في العقائد.**

**المبحث الثاني في تشابههما في العقد والأمراض النفسية من خلال البحث في المعالم النفسية لدى الشخصية اليهودية.**

**المبحث الثالث في عناصر العلاج الرئيسة، من خلال النظر في المنهج القرآني في التعامل مع اليهود.**

## المبحث الأول تشابه عقائد الشيعة مع اليهود

### الدفعة الأولى: خمس عقائد مشتركة

مما يلفت الانتباه عند النظر في حديث القرآن الكريم عن اليهود جملة آيات في موضع واحد منه تطرقت إلى ذكر خمس عقائد من عقائدهم، وقد تصدرت بالتيئيس من إيمانهم بسبب وجودها عندهم. هذه العقائد الخمسة موجودة بنصها عند الشيعة!

يقول تعالى:

١ - ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) [البقرة: ٧٥]. وفي الآية الحديث عن عقيدة التحريف المشتركة بين اليهود والشيعة.

٢ - ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) [البقرة: ٧٦]. وفيها عقيدة (التقية) المحرفة عند الطرفين. ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) [البقرة: ٧٧].

٣ - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) [البقرة: ٧٨]. وغالب الشيعة - وفي مقدمتهم علماءهم - جهلة بما في الكتاب، لا يعلمون عنه ﴿إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. وحوزاتهم ليس فيها درس للقرآن! ولا من منهاجهم حفظ جزء واحد منه! ويبقى الطالب يدرس أكثر من عشر سنين لا يمسك بيده في حجرة الدرس المصحف يوماً من الأيام! ونادراً ما سمعت معمماً شيعياً يتلو آيات من القرآن إلا ويخطئ فيها! وقد حرفوا معانيه وطوعوها لأمانيتهم وظنونهم؛ فهم أولى العالمين بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨).



٤ - ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وهذا ما يفعله علماء الشيعة بلا استثناء.

٥ - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْكَا مَا مَعْدُودَةٌ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]. بل إن الشيعة سبقوا اليهود في هذه! فاليهود سلموا بأن النار ستمسهم أياماً معدودة. أما الشيعة فيعتقدون أن النار لن تمسهم قط مهما عملوا من ذنوب، وارتكبوا من فواحش واجترحوا من معاصي!!! والمعروف أن عقائد الشيعة وطقوسهم تتطور مع الزمن، فلا يأتي عليهم زمان إلا والذي بعده شر منه. فلعلهم طوروا هذه العقيدة بعد أن أخذوها عن اليهود.

### سلسلة من العقائد والطقوس المتشابهة

وهذه بعض العقائد والطقوس المشتركة بين اليهود والشيعة:

اليهود	الشيعة
١. تعطيل العقل والتسليم للحاخام أوجبت اليهود تصديق الحاخام حتى لو قال بأن يدك اليسرى هي اليمنى! جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء وزيادة... فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق ولا تجادله). الكنز المرصود في تعاليم التلمود، يوسف نصر الله، ص ٤٦.	١. تعطيل العقل والتسليم للفقهاء أو الإمام وكذلك قالت الشيعة بوجوب تصديق الإمام حتى لو قال بأن الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار! فقد ادعوا أن جعفر بن محمد سئل: يا ابن رسول الله إن الرجل يُعرف بالكذب يأتينا بالحديث عنكم أنرده؟ قال: يقول لكم: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار؟ قالوا: ما يبلغ هذا الحد. فقال: إن قال لك: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار فلا تكذبه؛ فإنك أن كذبتك إنما كذبت جعفر بن محمد. بصائر الدرجات، ص ١٥٤.

اليهود	الشيعة
<p>٢. الحاخامات يعلمون الملائكة الدين يزعم اليهود أن الحاخامات (الربانيين) يعلمون أهل السماء. جاء في التلمود: (أن الربانيين يعلمون أهل السماء). همجية التعاليم الصهيونية ص ٢٥. بل قالت اليهود بأن الله يستشير الحاخامات في حلول أي مشكلة معضلة. جاء في التلمود: (إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في السماء). الكنز المرصود، ص ٤٦.</p>	<p>٢. الأئمة يعلمون الملائكة الدين ويزعم الشيعة أن أئمتهم هم الذين علموا الملائكة التوحيد. جاء في رواية طويلة فيما افتروه على النبي ﷺ أنه قال لعلي: (... ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واستعظموا أمورنا فسيحنا لتعلم الملائكة أنا مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا فسيحت الملائكة لتسيحنا ونزهته عن صفاتنا... فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده). علل الشرائع، ص ٥.</p>
<p>٣. الشريعة كلام الحاخامات يتمسك اليهود في جميع أنحاء العالم بتعاليم التلمود، ويعتبرونه كتاباً منزلاً. إذ يرون أن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام التوراة على طور سيناء مدونة. ولكنه أعطاه التلمود مشافهة. ولا يكتفي اليهود بهذا، بل يضعون التلمود في منزلة أسمى من التوراة والتلمود من ستة آلاف صفحة. جاء في التلمود: (يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة أي التوراة). الكنز المرصود، ص ٤٥. بل جاء فيه: (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة. ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى).</p>	<p>٣. الشريعة كلام الأئمة أو المراجع يقول الخميني دجال الشيعة: (إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة). الحكومة الإسلامية، ١١٢. قارن هذا القول بما ينسبه الكليني كذباً إلى جعفر الصادق أنه قال: (ما جاء به علي (ع) آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه... المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله). أصول الكافي: ١٩٦/١.</p>

اليهود	الشيعة
٤. الرد على الحاخام كالرد على الله يعتقد اليهود بأن من جادل حاخامه كمن جادل الله. جاء في التلمود: (من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ؛ وكأنه جادل العزة الإلهية)/ الكنز المرسود، ٤٦.	٤. الرد على الإمام أو الفقيه كالرد على الله ويتعتقد الشيعة العقيدة نفسها في الإمام بأن الراد على أئمتهم كالراد على الله. يقول محمد رضا المظفر: (أن أمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته و... ولا يجوز الرد عليهم والراد عليه كالراد على رسول الله والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى) عقائد الإمامية، ص ١٠٦. وكذلك الأمر بالنسبة للفقهاء (الحاخامات) يقول محمد رضا المظفر وغيره: (عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله) عقائد الشيعة لمحمد رضا المظفر ص ٩.
٥. اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. وذلك بأن أنزلوا كلامهم منزلة كلام الله أو أشد. أحلوا لهم وحرّموا عليه فأطاعوهم حتى لو كان في خلاف طاعة الله.	٥. اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله وكذلك يفعل الشيعة بعلماءهم حذو القذة بالقذة. وما أسلفناه في الفقرة السابقة أوضح شاهد.

اليهود	الشيعة
٦. الحاخامات أعلى مرتبة من الأنبياء يدعي اليهود أن حاخاماتهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام. جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء لأن أقوالهم هي قول الله الحي) الكنز المرصود، ص ٤٦.	٦. الأئمة أعلى مرتبة من الأنبياء ويدعي الشيعة أن أئمتهم أفضل من الأنبياء والرسل والملائكة المقربين عليهم السلام. يقول الحر العاملي: (الأئمة الاثني عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم). الفصول المهمة ص ١٥٢. ويقول حاخام إيران الأكبر الخميني: (إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل... وورد عنهم عليهم السلام: إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل). الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.
٧. عصمة الحاخام يعتقد اليهود بعصمة حاخاماتهم. يقول الحاخام روسكي أحد كتبة التلمود - معلقاً على خلاف وقع بين حاخامين: (إن الحاخامين المذكورين قالوا الحق؛ لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ) الكنز المرصود، ص ٤٧.	٧. عصمة (الإمام) ويعتقد الشيعة بعصمة أئمتهم. وهذا أمر أطبقوا عليه جميعاً، ولا يحتاج إلى شواهد. يقول محمد رضا الظفر: (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً) عقائد الإمامية ص ١٠٤.
٨. عقيدة الرجعة وقد ذكرها ابن سبأ اليهودي الفارسي يوم قال للذي نعى علياً عليه السلام: (كذبت! لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض).	٨. عقيدة الرجعة وهذه العقيدة موجودة عند الشيعة بنصها. وقد ألفوا فيها مؤلفات مستقلة. ومن رواياتهم فيها: عن أمير المؤمنين (ع) قال: أنا قسم الله بين الجنة والنار لا يدخلها الداخل إلا على حد قسمي... وإني لصاحب الكرات ودولة الدول. الكافي، ١/١٩٨. قال في الحاشية: أي الرجعات إلى الدنيا.

اليهود	الشيعة
٩. عقيدة البداء جاء في التوراة أن الله قد بدا له أن شعبه المختار شرد في الأرض فحزن كثيراً وأخذ يبكي وينوح.	٩. عقيدة البداء والعقيدة نفسها يرددها الشيعة. ورووا في فضلها الكثير، منه: عن أبي عبد الله: قال: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه. الكافي، ١/١٤٨.
١٠. شتم عيسى عليه السلام زعم اليهود بأن عيسى عليه السلام يعذب أشد العذاب في لجج الجحيم جاء في التلمود (أن يسوع الناصري موجود بين القار والنار) الكنز المرصود، ص ١٠١.	١٠. شتم الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> وزعم الشيعة أن الخلفاء الراشدين يعذبون بتابوت في نار جهنم يتعوذ أهل النار من حره: يروي القمي في تفسير (قل أعوذ برب الفلق) قال: الفلق جب في نار جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره. فسأل الله من شدة حرة أن يتنفس فإذن له فتتنفس فأحرق جهنم. قال: وفي ذلك الجب صندوق من نار جهنم يتعوذ أهل الجب من حر ذلك التابوت الصندوق. وهو التابوت وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين. فأما الستة التي من الأولين فأبن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى. وأما الستة التي من الآخرين فهم الأول والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم لعنهم الله) تفسير القمي، ٢/٤٩٩.

اليهود	الشيعة
<p>١١. رمى السيدة مريم بالفاحشة رمى اليهود لعنهم الله مريم <small>عليها السلام</small> بالفاحشة مع تبرئة الله لها. جاء في التلمود: (إن يسوع الناصري موجود بين القار والنار. وقد أتت به أمه من العسكري (باندار) عن طريق الخطيئة). المصدر السابق.</p>	<p>١١. رمى السيدة عائشة بالفاحشة ورمى الشيعة لعنهم الله عائشة <small>عليها السلام</small> بالفاحشة مع تبرئة الله لها. فبلغ الحقد في نفوس هؤلاء اليهود أن يتهموا عائشة في عرضها. فهذا الكليني صاحب تلمودهم الكافي يصمها في عرضها ودينها وعفتها لعنه الله. يدعي هذا اللعين أن الحسن قال لأخيه الحسين: (واعلم أن سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله). وأن الحسين بن علي قال لها: (قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small> قربه). وأنه قال: (وقد أدخلت أنت بيت رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small> الرجال بغير أذنه) الكافي، ٢/٢٤٠-٢٤١. ورمى عائشة <small>عليها السلام</small> بالبهتان الذي يهتزله عرش الرحمن، شائع في كتب الشيعة.</p>
<p>١٢. شعب الله المختار يدعي اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم خاصة الله من بين كل الشعوب. وهي قضية معروفة مسلّمة.</p>	<p>١٢. شعب الله المختار ويدعي الرافضة أنهم شيعة الله وخاصة الله وصفوته من خلقه: فعن جعفر بن محمد أنه قال: (نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه) أمالي الطوسي ص ٧٦. ويسمون أهل السنة (عامّة)، وهم الخاصة.</p>

اليهود	الشيعة
<p>١٣. اليهود مخلوقون من ذات الله يزعم اليهود أن أرواحهم - دون باقي الأرواح - مخلوقة من الله تعالى. فقد جاء في التلمود: (تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود.</p>	<p>١٣. الشيعة مخلوقون من ذات الله ويدّعي الشيعة أن أرواحهم مخلوقة من نور الله تعالى، ولم يجعل الله ذلك لأحد غيرهم إلا للأنبياء: يروي الكليني في تلمودهم الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: (إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً. وخلق شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل ذلك الطينة، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء. ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همج للنار وإلى النار) الكافي ٣٨٩/١. ورووا عن الصادق أنه قال: (خلقنا الله من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منا) الاختصاص، ص ٢١٦.</p>
<p>١٤. اليهود أفضل من الملائكة يعتقد اليهود أنهم أفضل من الملائكة. جاء في التلمود: (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. فإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت) إسرائيل والتلمود، ٨٠.</p>	<p>١٤. الشيعة أفضل من الملائكة ويعتقد الشيعة أيضاً أنهم أفضل من الملائكة. رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (أنتم للجنة والجنة لكم أسماءكم الصالحون والمصلحون وأنتم أهل الرضا عن الله برضاه عنكم والملائكة إخوانكم في الخير إذا اجتهدوا) صفات الشيعة وفضائل الشيعة، ص ٥٣.</p>

اليهود	الشيعة
<p>١٥. اليهود هم الناس وغيرهم حيوانات يدعي اليهود أنهم هم الناس، أما غيرهم فليسوا ناساً من الناس، وإنما خلقهم الله على هذه الصورة لخدمة اليهود. جاء في التلمود: (خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم) إسرائيل والتلمود، ص ٦٩. وجاء في التلمود: (الأمم الخارجة عن اليهود ليست فقط كلاباً بل حمير أيضاً) الكنز المرصود، ص ٦٨. وجاء في تفضيلهم الحيوانات على باقي الأمم: (إن الكلب أفضل من الأجانب؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضاً أن يعطيهم لحماً بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم) المصدر السابق، ص ٦٨.</p>	<p>١٥. الشيعة هم الناس وغيرهم حيوانات ويعتقد الشيعة كذلك أنهم والأئمة هم الناس. أما ما عداهم فليسوا ناساً من الناس. بل أنجس من الكلب. وهذا ما نصت عليه رواياتهم وعلمائهم. ففي رواية عن أبي عبد الله أنه قال: (الشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ما هم؟) تفسير العياشي، ص ٤٠. وعن أبي بصير قال: (حججت مع أبي عبد الله فلما كنا في الطواف قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال يا أبا بصير: إن أكثر من ترى قردة وخنازير، قال: قلت له: أرنيهم؟ قال: فتكلم بكلمات ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير، فهاطني ذلك. ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرة الأولى). بصائر الدرجات للصفار، ص ٢٦٠. ويروي الطوسي عن محمد بن الحنفية أنه كان يحدث عن أبيه أنه قال: (ما خلق الله ﷻ شيئاً أشر من الكلب. والناصب أشر منه) أمالي الطوسي، ٢٧٩، وبحار الأنوار، ٢٧/٢٢١.</p>



اليهود	الشيعة
<p>١٦. الجنة لليهود فقط وما عدا ففي النار يدعي اليهود أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود وغيرهم ليس لهم غير النار. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. وجاء في التلمود: (هذه الجنة اللذيذة لا يدخلها إلا اليهود أما الباقون فيزجون في النار) همجية التعاليم الصهيونية ص ٥٥. وفي نص آخر: (النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين فلا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين) الكنز المرصود، ص ٦٢.</p>	<p>١٦. الجنة للشيعة فقط وما عدا ففي النار ويدعي الشيعة كذلك أنهم وحدهم سيدخلون الجنة، أما أعداؤهم فيدخلون النار. فعن علي أنه قال: (سيؤتى بالرجل من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن جاز الولاية والتقية... الخ ويوقف بإزاءه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة من النواصب فيقال: هؤلاء فداؤك من النار. فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النواصب النار) تفسير فرات، ١١٣. وفي رواية عن أبي عبد الله جاء في آخرها: (والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد) الكافي، ٧٨/٨. وعنه أنه قال: (أن الله خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الناصب من طينة النار) بصائر الدرجات، ص ٣٦.</p>
<p>١٧. اليهود في الجنة مهما فعلوا يدعي اليهود أنهم لا يدخلون النار وإن كانوا مذنبين. جاء في التلمود: (إن النار لا سلطان لها على مذنب بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ٧٩.</p>	<p>١٧. الشيعة في الجنة مهما فعلوا ويدعي الشيعة أيضاً الدعوى نفسها أن لا يدخل النار منهم أحد. روى البحراني أن النبي ﷺ قال لعلي: (جئت أبشرك. اعلم أن في هذه الساعة نزل علي جبريل وقال: الحق يقرئك السلام يقول: بشر عليا أن شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنة). الكشكول، ١٥٣/١. والروايات فيه كثيرة. منها: عن أبي عبد الله (ع) قال: ... وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة. أصول الكافي، ٣٧٦/١.</p>

اليهود	الشيعة
<p>١٨. نجاسة غير اليهود يعتقد اليهود بنجاسة مخالفهم مطلقاً، وأن النجاسة لازمة لأصل خلقهم. يقول أحد كتبة التلمود: (لماذا الغويم - غير اليهود - نجسون؟ لأنهم يأكلون أطعمة رديئة وحيوانات تزحف على بطنها). فضائح التلمود، ص ٩٠. وفيه أيضاً: (محرمه الأشياء التالية الخاصة بالغويم: الحليب الذي يستدره الغويم من البقرة في غياب اليهودي ومحرم أيضاً خبزهم) المصدر السابق، ص ١١٤.</p>	<p>١٨. نجاسة غير الشيعة ويعتقد الشيعة بنجاسة مخالفهم مطلقاً، لا سيما أهل السنة، ويغسلون الإناء الذي يأكلون فيه، أو يتلفونه. وأن النجاسة لازمة لأصل خلقهم. فعن خالد القلانسي قال: قلت لأبي عبد الله: ألاقي الذمي فيصافحني قال أمسحها بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصب قال: اغسلها) الأصول من الكافي، ٢/٦٥٠. ويقول الخميني حاخام الشيعة الأكبر: (وأما النواصب والخوارج لعنهم الله فهما نجسان من غير توقف) تحرير الوسيلة، ١/١٠٧.</p>
<p>١٩. لولا اليهود لانعدمت البركة من الأرض يعتقد اليهود أنه لولا اليهود لم يخلق الله هذا الكون، ولولاهم لانعدمت البركة من الأرض. جاء في التلمود: (لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود، ص ٦٩.</p>	<p>١٩. لولا الشيعة لانعدمت البركة من الأرض ويعتقد الشيعة أنه لولاهم لم يخلق الله هذا الكون ولولاهم ما أنعم الله على أهل الأرض. فعن أبي عبد الله أنه قال: (لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً. والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم على أهل خلافتكم، ولا أصابوا الطيبات) الكافي، ٨/٢١٢.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٢٠. كل ما في الأرض لليهود يزعم اليهود أن كل ما في هذه الأرض هو ملك لهم. ولا يحق لغير اليهود أن يمتلك شيئاً منه. وأنه يجوز لليهودي أن يسترد الأملاك بأي وسيلة إذا أمتلكها غير اليهودي. ففي التلمود: (الحقيقة المقررة عند الربانيين أنه يمكن لليهودي أن يأخذ أي شيء يخص المسيحيين أياً كان السبب حتى بالاحتيال ولا يمكن أن يعتبر هذا العمل لصوصية؛ لأنه (أي اليهودي) لم يأخذ سوى ما يخصه هو). فضح التلمود، ص ١٣١. وفيه أيضاً: (جميع ما يخص الغنوم هو كالصحراء يستطيع أن يدعي أنها ملكه أول من يسرع متولياً عليها). المصدر السابق. ويقول أحد أحبارهم: (إن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مال لك لها مثل رمال البحار. وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكة الأصيل). همجية التعاليم الصهيونية، ص ٧٧.</p>	<p>٢٠. كل ما في الأرض للشيعة يزعم الشيعة أن كل ما في هذه الأرض هو ملك للأئمة، وقد منحوه لهم. وإن امتلك أحد من غير الشيعة شيئاً فإنه حرام عليه. وإذا قام القائم فسوف يسترده منه. ونسبوا ذلك للأئمة. فقد رووا عن أبي عبدالله أنه قال: (إن الأرض كلها لنا وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون.. وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صغرة). الكافي، ٤٠٨/١. وعن أبي عبدالله (ع) قال: ما كان لنا فهو لشيعتنا، وليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه وإن ولينا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه، يعني ما بين السماء والأرض. أصول الكافي، ٥٤٤/١.</p>
<p>٢١. استحلال مال غير اليهودي وبناء على ما سبق استحلوا سرقة أو أخذ مال الغير. وهذا ما قاله الله عنهم في كتابه حين قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنهُ يَقْطِرَ يَوْمَهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّعُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِ سَيْلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].</p>	<p>٢١. استحلال مال غير الشيعي وكذلك الشيعة، وللسبب نفسه يستحلون أخذ مال الآخر بأي وسيلة كانت. (خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس) تهذيب الأحكام للطوسي، ٣٨٤/١ ووسائل الشيعة للحر العاملي، ٣٤٠/٦. وشيعة اليوم على هذه العقيدة. يقول الخميني عند حديثه عن (الخمس) في كتابه تحرير الوسيلة: (والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس. بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج الخمس) تحرير الوسيلة، ٢١٨/١. والخوئي منهاج الصالحين، ٣٢٥/١.</p>

اليهود	الشيعة
٢٢. استحلال دم غير اليهود جاء في التلمود: (اقتل الصالح من غير اليهود. ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها، بل عليه أن يسدها بحجر) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود ص ٧٢.	٢٢. استحلال دم غير الشيعة أما موقف الشيعة من دماء المسلمين فهم يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم خاصة أهل السنة (النواصب، بتعبيرهم) <sup>(١)</sup> . بل قد جاءت الروايات في كتبهم بالحث على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم أينما وجدوا. وهذه واحدة من كبائرهم: عن ابن فرقد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم ولكن أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في البحر فافعل. قال: ماتقول في ماله؟ قال: خذ ما قدرت عليه) بحار الأنوار للمجلسي، ٢٧/٢٣١.

(١) قال نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية، ٣٠٧/٢، ط تبريز): (ويؤيد هذا المعنى أنَّ الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أنه لم يكن ممن نصب العداوة لآل البيت). وقال حسين بن الشيخ محمد آل عصفور البحراني في (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ص ١٥٧، ط بيروت): (على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على علي عليه السلام). وقبلها قال (في ص ١٤٧ من كتابه): (بل أخبرهم تُنادي بأنَّ الناصب هو ما يُقال له عندهم سنياً). ويقول في الموضع نفسه: (ولا كلام في أنَّ المراد بالناصبية هم أهل التسنن). وقال حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي في كتابه (هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار ص ١٠٦، ط ١): (كالشبهة التي أوجبت للكفار إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنواصب إنكار خلافة الوصي). وهناك نصوص أخرى كثيرة تثبت ما قلناه. فالناصب عند الشيعة هم مجمل أهل السُّنة والجماعة (أو العامة بتعبير آخر). لكنهم يستعملون هذه الألفاظ المتشابهة ليلوذوا بها عند الإحراج، وخوف الفضيحة. ويوضح ذلك التطبيق العملي لفتاوى علمائهم في قتل (النواصب). فإن عوام الشيعة اليوم في العراق كشراذم جيش الدجال (المهدي) وغيرها يقتلون عامة أهل السنة طبقاً لتلك الفتاوى. وللاستزادة راجع: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ص ٩٩، الشيخ يوسف البحراني، طبعة قم، ١٤١٩هـ. علماً أنَّ الكتاب ألفه صاحبه - وهو في مجلدين كبيرين - من أجل إثبات أن الناصب هو السني، وتعريفه: من قدم أبا بكر وعمر على علي، وإن كان لا يبغضه، بل يحبه ويجله. فقط لا غير.

اليهود	الشيعة
<p>٢٣. التعامل بالربا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَيُظْلَمُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُجِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].</p> <p>وفي التلمود: (أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي وأن لا نقرضه شيئا إلا تحت هذا الشرط وبدون ذلك نكون ساعدناه) الكنز المرصود في تعاليم التلمود، ص ٨٠. وفي التلمود أيضا: (غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا). المرجع السابق، ٨٠.</p>	<p>٢٣. التعامل بالربا والأمر نفسه جاء في المصادر المعتمدة عند الشيعة. ففيما نسبوه زورا وبهتانا إلى جعفر الصادق أنه قال: (ليس بين السلم وبين الذمي ربا ولا بين المرأة وبين زوجها ربا) من لا يحضره الفقيه، ٣/ ١٨٠. ويقول حاكم إيران: (وأما ما اغتنم منهم بالسرقة والغيلة وكذا بالربا والدعوى الباطلة فالأحوط إخراج الخمس فيها من حيث كونها غنيمة) تحرير الوسيلة، ١/ ٢٥١. (مسألة ١) - لا يجوز الاقتراض من البنك بشرط الفائض والزيادة لأنه ربا محرم. وللتخلص من ذلك الطريق الآتي وهو: أن يشتري المقترض من صاحب البنك أو وكيله المفوض بضاعة بأكثر من قيمتها ١٠٪ أو ٢٠٪ على أن يقرضه مبلغا معيناً من النقد. أو يبيعه متاعاً بأقل من قيمته السوقية ويشترط عليه في ضمن المعاملة أن يقرضه مبلغاً معيناً لمدة معلومة يتفقان عليها. وعندئذ يجوز الاقتراض ولا ربا فيه. منهاج الصالحين للخوئي، ١/ ٤٠٦. وقد أوردت وكالة رويترز في ٨/٥/٢٠٠٥ ما يلي: حددت إيران أمس أسعار الفائدة التي تتقاضاها كل البنوك الحكومية على قروضها عند ١٦٪ مقارنة مع الحد الأقصى السابق البالغ نحو ٢٥٪ في خطوة قال محللون: إنها ستلحق ضرراً كبيراً بالقطاع المصرفي، بحسب صحف إيرانية.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٢٤. ضربت عليهم الذلة والمسكنة قال الله تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. ويقول جل في علاه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَجْلِي مِنَ اللَّهِ وَجَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].</p> <p>ولذلك يستعمل اليهود مع خصومهم تقية الشيعة كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُمُوهُمْ بَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦].</p>	<p>٢٤. ضربت عليهم الذلة والمسكنة مما يثبت انتماء الشيعة لليهود هو ضرب الله ﷻ عليهم الذلة والمسكنة؛ وهذه هي العلة التي من أجلها تجد الشيعة يستخدمون النفاق باسم التقية. وهي خلق اليهود كما أخبر الله عنهم في أكثر من مناسبة في كتابه. وهكذا تجدهم على مر العصور والأزمان يتقلبون في الذلة والمسكنة والهوان. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الشيعة: (وليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصور). مجموع الفتاوى، ٤٨٠/٢. ويؤيده قول محمد رضا المظفر: (ومن المعلوم أن الأمامية وأئمتهم لا قوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلقه أية طائفة أو أمة أخرى). عقائد الأمامية، ص ١٢٣؛ فلهذا كانت الذلة والمسكنة التي ضربها الله على اليهود سبباً رئيساً ودافعاً قوياً لاتباعهم أسلوب النفاق والتقية مع مخالفيهم واللف والدوران والتذلل والخضوع لهم. وهذا عقاب من الله ﷻ في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٢٥. التقية وهذه من جنس سابققتها. جاء في التلمود: (مصرح لليهودي أن يجامل الأجنبي ظاهراً ليتقي شره على أن يضم له الشر والأذى) عبدالله التل، جذور البلاء ص ٨٠. وفي نص آخر: (إن النفاق جائز وإن الإنسان - أي اليهودي - يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافرين ويدعي محبتهم كاذباً) الكنز المرصود، ص ٧٠.</p>	<p>٢٥. التقية وهذه هي عقيدة الشيعة. روى كاذبين عن أبي عبدالله أنه قال: (خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية) الكافي، ١٧٥/٢. وعن أبي عبدالله (ع) قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية.. ولا دين لمن لا تقية له. الكافي، ٢١٧/٢.</p>
<p>٢٦. التلاعب بالعبارات والألفاظ قال تعالى عن اليهود: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْسِينَةِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦] وجاء في التلمود: (إن أحد حاخاماتهم كان يسلم على غير اليهودي بقوله: السلام معك. وإنما كان يوجه نيته إلى أستاذه وليس إلى غير اليهودي) الكنز المرصود في تعاليم التلمود، ص ١٧. وكانوا يسلمون على المسلمين بقولهم: السام عليكم .</p>	<p>٢٦. التلاعب بالعبارات والألفاظ ومن أساليب الشيعة تلاعبهم بالعبارات والألفاظ في النفاق وتحريف الكلم عن مواضعه. روي النباطي في الصراط المستقيم يقول: (سلم اليأس المعدل على قوم فلم يردوا فقال: لعلكم تظنون في ما قيل من الرفض. إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من أبغض واحداً منهم فهو كافر. فردوا بذلك ودعوا له) وعنى بالواحد علياً. الصراط المستقيم لمستحقي التقديم، ص ٧٣/٣. ويقول: (لقي الطافي خارجياً فقال: لا أفارقك أو تتبرأ من علي. فقال: أنا من علي ومن عثمان برئ). ويعني بذلك أنه من أصحاب علي. ومن عثمان بريء) المصدر السابق.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٢٧. استخدام الرموز للطعن يستعمل اليهود الرموز في كتبهم لمن أرادوا الطعن فيه حتى لا يفتضح أمرهم. فيرمز اليهود لعيسى عليه السلام بعدة رموز منها (جيشو). ويرمزون إليه بـ(ذلك الرجل) و(النجار) و(ابن الحطاب). فضح التلمود، ص ٥٦.</p>	<p>٢٧. استخدام الرموز للطعن ويرمز الشيعة في كتبهم للخلفاء الراشدين وأمّهات المؤمنين ﷺ أجمعين برموز تشبهها برموز اليهود: فيرمزون لأبي بكر وعمر ﷺ (بالجبت والطاغوت) و(صنمي قريش) و(زريق وحبتري) و(فرعون وهامان) و(العجل والسامري) و(الأول والثاني) و(فلان وفلان) وغيرها من الرموز. ويرمزون لعثمان ﷺ بـ(نعثل) و(الثالث). ويرمزون لعائشة ﷺ بـ(بأم الشرور) و(صاحبة الجمل) و(عسكر بن هوسر). ويرمزون لمعاوية ﷺ بـ(الرابع)... وهكذا.</p>
<p>٢٨. تحريف الكتاب قال تعالى عن اليهود: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].</p>	<p>٢٨. تحريف الكتاب وهو صنعة الشيعة أيضاً. فبالإضافة إلى دعواهم الكاذبة التي أجمع عليها علماءهم في تحريف القرآن الكريم، تجرأوا فحرفوا بعض آيات الكتاب! فعن أبي عبد الله (ع) قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل (ع) إلى محمد (ص) سبعة عشر ألف آية. الكافي، ١/٦٣٤. وعن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال: إيانا عنى خاصة: أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا: (فإن خفتهم تنازعاً في أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم) كذا نزلت. فكيف يأمر الله ﷻ بطاعة ولاية الأمر ويرخص في منازعتهم؟ إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). الكافي، ١/٢٧٦. وكتب المخدول حسين الطبرسي صاحب أحد الكتب الثمانية المعتمدة في المذهب كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)!!!</p>



اليهود	الشيعة
<p>٢٩. استحلال محاش النساء اليهود يجيزون نكاح المرأة من دبرها. جاء في التلمود أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت له أن زوجها يأتيها على خلاف العادة فأجابها: (لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتي لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك). الكنز المرصود، ص ٩٧. وذكر أيضاً: (أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك بزوجته). المصدر السابق، ص ٩٧.</p>	<p>٢٩. استحلال محاش النساء وكذلك الشيعة يجوزون نكاح المرأة من دبرها. فعن عبدالله بن يعفور قال: سألت أبا عبدالله عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس إذا رضيت. الاستبصار، ٣/٣٤٣. وفتاوى علمائهم في ذلك معروفة مشهورة. جاء في (رسائل الشريف المرتضى، المجموعة الأولى ص ٣٠٠): مسألة سادسة وخمسون (حلية الوطء دبراً وقبلًا): مباح للزوج أن يطأ زوجته في كل واحد من مخرجيها. وليس في ذلك شيء من الحظر والكراهة.</p>
<p>٣٠. إيقاد الحروب بين الأمم ذكر الله تعالى في كتابه أن ديدن اليهود إثارة الفتن وإيقاد الحروب بين الأمم والشعوب. كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].</p>	<p>٣٠. إيقاد الحروب بين الأمم وهذا هو شأن الشيعة على الدوام. وكما فعل اليهود مع الرسول ﷺ في المدينة، حين كانوا يحرضون الكفار على غزو المسلمين، كذلك كان الشيعة - وإيران من وراءهم - يفعلون على مر التاريخ. ومن أشهر شنائعهم تحريض المغول على غزو بغداد قديماً. وتحريض أمريكا وحلف الصليب على غزو بغداد حديثاً. وهذا شأن كل ضعيف وسط مجموع لا يحس بالانتماء إليه؛ لعله يحصل على فرصة وسط الفتنة والخراب، أو ينتقم من مواطنيه الذين يحقد عليهم. كما قيل: (الهز يفرح بعزا "مأتم" أهله).</p>

اليهود	الشيعة
٣١. خيانة الأوطان من المعروف عن اليهود أنهم يشعرون بالضيق وعدم الانتماء إلى أي وطن يسكنونه؛ فهم دائماً يتآمرون على أوطانهم. وهذا أحد أسباب نكباتهم المستمرة على أيدي الشعوب.	٣١. خيانة الأوطان وكذلك الشيعة. ليس لهم من ولاء لأوطانهم؛ لأنهم لا يشعرون بالانتماء إليها. إنما ولاءهم وشعورهم معلق بإيران. ولذلك هم دائماً التواطؤ مع الأجنبي ضد أوطانهم. إنهم الخطر الأكبر على أي بلد يكونون فيه. والعراق اليوم خير شاهد ومثال. ولكن الأمر كما قيل: ما أكثر العبر وأقل المعبرين!
٣٢. التركيز على الفتن في عرض تاريخنا ويتشابه اليهود والشيعة حتى في طرحهم لمواد التاريخ الإسلامي! ففي كتاب "التعليم في (إسرائيل)" للدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف: أمّا دراسة الإمبراطورية الفارسية فيجري التركيز على "كورش" وتصريحه لليهود بالعودة إلى (إسرائيل) ثم بناء الهيكل الثاني. وفي منهاج التاريخ للصف السادس يكوّن التاريخ الإسلامي ٥٦٪ من مقرّر التاريخ، لكن يتمّ التركيز في هذا المنهاج على الخلافات في التاريخ الإسلامي بين علي ومعاوية، والخلافات بين الفرق الدينية والصراع بين الأمويين والعباسيين. كما يفرد المنهاج فصلاً لما يسمّيه بالجهود اليهودية في الحضارة الإسلامية، مثل التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية، ولا سيّما في الأندلس وفي مصر الفاطمية، والأمويين.	٣٢. التركيز على الفتن في عرض تاريخنا والمنهج نفسه يسير عليه الشيعة في تناولهم لموضوعات التاريخ! فهم متشبهون حتى في هذه. لا يذكرون إلا أحداث الخلافات والفتن - مع التزوير والحذف والإضافة - التي وقعت بين علي ومعاوية وغيره من الصحابة، معركة الجمل، صفين، الطف، مقتل الحسين، موسى الكاظم، اجترار ما أسموه زوراً بـ(اضطهاد الأئمة). الصراع الأموي - العباسي... إلخ. وكأن تاريخ الأمة الزاهر ليس سوى صراع ودسائس وظلم واضطهاد واقتتال! أين الحديث عن حضارة العرب وعدل المسلمين؟ أين الجهاد الإسلامي المشرف، ووقعات المسلمين العظيمة نشرّاً للرسالة، ودفعاً للغزاة ودفاعاً عن حياض الأمة؟ أين بدر والقادسية واليرموك ونهاوند وحطين وعين جالوت؟ أين شواهد عظمة الإسلام في حضارة الأندلس التي ينعم العالم اليوم بإنجازات الحضارة الحديثة التي هي امتداد لحضارة الأمويين وإنجازاتها في الأندلس؟ أين...؟ أين...!!! لا شيء!!!

اليهود	الشيعة
٣٣. دعوى المظلومية (معاداة السامية) استند اليهود في ترويج فكرتهم على مبدأ مظلومية اليهود بسبب تعرضهم للاضطهاد في أوروبا، وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ(معاداة السامية). وهكذا بنى اليهود كيانهم في فلسطين تحت ذريعة المظلومية.	٣٣. دعوى المظلومية (معاداة أهل البيت) والشيعة يستندون إلى الأساس نفسه، فيروجون فكرتهم بطرح مبدأ المظلومية في العراق وغيره، وتعرضهم للظلم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام في بلاد العرب. وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ(معاداة أهل البيت). وهكذا جلب الشيعة الغزاة الأمريكان إلى العراق، واستعطفوا العالم تحت ذريعة المظلومية وأسطورة الأغلبية المضطهدة!؟
٣٤. الاعتماد على العصابات والمليشيات اعتمد اليهود في تنفيذ مشروعاتهم على العصابات الصهيونية الممثلة بالأحزاب والحركات الصهيونية الهاغانا والاشتيرن وغيرها التي ارتكبت المجازر الرهيبة بحق الشعب العربي الفلسطيني لإخضاعهم وتهجيرهم من أرضهم ليقطنوا الخيام.	٣٤. الاعتماد على العصابات والمليشيات والشيعة تمارس في العراق اليوم النهج والأسلوب الصهيوني نفسه. وذلك من خلال مليشيات جيش الدجال بقيادة مقتدى، والمجلس المسمى بـ(الأعلى) وعصابته قوات غدر، وحزب الدعوة، والجلبي، وتكوين فرق القتل والموت والخطف والاغتيال والتصفيات والتطهير المذهبي في كافة مناطق العراق. وتدعم قوات الاحتلال الأمريكي بتدمير مدن سنية كاملة وتهجيرهم منها، واللجوء إلى الخيام.
٣٥. اعتماد الدعاية والإعلام اليهود يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنيابة والبكاء. وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.	٣٥. اعتماد الدعاية والإعلام والشيعة كذلك يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنيابة والبكاء. وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.

## مقارنات سريعة

وهذه مقارنات سريعة تلقي مزيداً من الضوء على موضوع التشابه الشديد بين اليهود وإخوانهم الشيعة، ملخصة بتصرف عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة):

اليهود	الشيعة
٣٦. قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود.	٣٦. وقالت الشيعة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.
٣٧. قالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح أو ملك السلام و ينزل السيف.	٣٧. وقالت الشيعة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.
٣٨. واليهود يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.	٣٨. والشيعة يؤخرون صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم.
٣٩. اليهود يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون: هذا من عند الله.	٣٩. والشيعة يكتبون الكذب ويقولون: هذا من كلام الله تعالى ويفترون الكذب على رسول الله ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ ﻭﺍﻟﻤﻨ ﺍﻟﻤﻌﺮﻭﻑ ﻋﻨﺪ ﻋﻠﻤﺎﺀ ﺍﻟﺤﺪﯨﺚ ﺃﻥ ﺍﻟﺸﯩﻌﺔ ﻭﺿﻌﻮﺍ ﺍﻟﻨﺼﯩﺐ ﺍﻟﺄﻛﺒﺮ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﺣﺎﺩﯨﺚ ﺍﻟﻤﻮﺿﻮﻋﺔ.
٤٠. اليهود لا يرون المسح على الخفين.	٤٠. والشيعة لا يرون المسح على الخفين.
٤١. اليهود يحرمون الجري (نوع من السمك) والأرنب والطحال.	٤١. والشيعة يحرمون الجري والأرنب والطحال.
٤٢. اليهود لا يصلون إلا فرادى.	٤٢. والشيعة أدركناهم لا يصلون في معابدهم إلا فرادى. يقولون: لا جماعة حتى يأتي المهدي. ولم نر مجموعة من الشيعة في سفر يصلون جماعة.

اليهود	الشيعة
٤٣. اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين. كما أخبر الله تعالى فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].	٤٣. والشيعة تجدهم لشركهم أشد الناس عداوة لأهل السنة والجماعة. وإليهم الإشارة بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ومن خالطهم أو سمع عرف.
٤٤. اليهود تخلفوا عن نصرة موسى ومن تلاه من الأنبياء والرسل عليهم السلام. وقد سجل الله لنا قولهم لموسى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].	٤٤. والشيعة تخلفوا عن نصر أئمتهم كما خذلوا علياً وحسيناً وزيداً وغيرهم. قبحهم الله ما أعظم دعواهم في حب أهل البيت وأجنبهم عن نصرهم!
٤٥. اليهود لا يعدلون في حبهم ولا بغضهم. فبينما ترى اليهود يغفلون في بعض الأنبياء والأحبار ويتخذونهم آلهة أرباباً، ويدلون لهم أعظم الذل، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، إذا بهم يقدحون في فريق آخر من الأنبياء ويرمونهم بالخبت وبما هو فوق الخبت كذباً وزوراً.	٤٥. كذلك الشيعة، فبينما تراهم يغفلون في علي وبعض ذريته ويؤلهونهم ويزعمون أن الله حلّ في ذواتهم لشرفهم وقداستهم، إذا بهم يقدحون في الفريق الآخر من الصحابة والمسلمين أشد القدح، ويرمونهم بالكفر والنفاق كذباً وزوراً.

### وتفوقت الشيعة على اليهود والنصارى بثلاث خصال:

- ١ - سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الشيعة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد. فهؤلاء الشيعة ينطبق عليهم قول الله تعالى عن اتليهود في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

٢ - قالت اليهود والنصارى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أَنْكَامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]. وقالت الشيعة: لن تمسنا النار أبداً!

٣ - ولم نسمع عن اليهود أو النصارى أنهم مزقوا كتبهم (التوراة والإنجيل) التي يقدسونها، وهي محرقة. وفعلها الشيعة بالقرآن الكريم، كلمة الله المحفوظة بحفظه، يوم هجموا على مساجد المسلمين في ٢٢/٢/٢٠٠٦ وما بعدها! ولقد رأى العالم على شاشات القنوات الفضائية المصاحف المحرقة بالنار، والمخرقة بالرصاص. وبعضها مزق تمزيقاً باليد! وقد مزق جدهم كسرى كتاب رسول الله ﷺ.

### التعاون اليهودي

- الإيراني أو (اليهودي - الشيعي)

يأتي التعاون اليهودي - الإيراني (أو الشيعي) انعكاساً للتشابه والتداخل العقائدي والنفسي بين الطرفين. وقديماً قالت العرب: على أشكالها تقع الطيور) وقالت: (شبيه الشيء منجذب إليه). على أن هذا لا يمنع أن تتقاطع المصالح؛ فيحصل الخلاف، ويقع الصراع عرضاً. على العكس من الصراع العربي - الإسرائيلي، أو الإسلامي - اليهودي، فإنه صراع مبدئي استراتيجي، والعداوة بينهما لا يمكن أن تنتهي إلا بزوال أحدهما.

ولسنا نقول: إن أهل الباطل لا يختلفون ولا يقتتلون. فحتى الإخوة يقتتلون أحياناً. ولقد تقاتل الصحابة فيما بينهم. وقد كنت أقول - ومنذ بداية الاحتلال الأمريكي الإيراني للعراق - لا بد أن يصطربوا ويقتتلوا. هذا هو منطق الاجتماع والتاريخ والواقع. إنما قتال هؤلاء فيما بينهم يعرض في وسط الطريق، لمصالح متعارضة، ولا يمنع عودتهم إلى الخط الأول من جديد، ولا يمنع من تلاقي مصالحهم ضد الأمة. بل التاريخ شاهد على أن الشيعة واليهود والصليبيين يتحالفون على الدوام ضد أمة الإسلام.

والشيعة قوم طائفيون، تستثيرهم الأخطار التي تتجه نحو الطائفة. فإذا قاتلوا فإنما يقاتلون دفاعاً عن الطائفة، وليس عن الوطن. وهذا هو السر الذي يجعلهم يتواطأون مع المحتل الأمريكي والبريطاني في العراق؛ لأنهم يرون أنه لا يستهدفهم كطائفة، بل يستهدف أهل السنة. وهذا ما يريدونه، ولو على حساب الوطن! حتى إذا وجدوا الخطر يستهدف طائفتهم، أو - بمعنى مساوٍ آخر - يصل إلى إيران، أو (حزب الله) في لبنان تحركوا ضده، متلبسين بالشعارات الوطنية والدينية. وهناك الكثير ممن يجهلون الحقيقة - وعلى رأسهم العلماء - يصدقون بدعاواهم في ذلك، فيحصل التضليل. كما حصل لمناوشات مقتدى مع الأمريكان، و(حزب الله) مع إسرائيل. إن حزب الله قاتل دفاعاً عن نفسه ومصالحه، وتنفيذا لمخطط إيران، بعد أن اشتد الحصار السياسي حولها بسبب مشروعها النووي. وها هم شيعة العراق في الجنوب، تزامن بداية تحرشهم بالأمريكان والبريطانيين، وقتالهم لهم مع أزمة إيران، ورغبتها في إرسال رسالة عملية لأمريكا وحلفائها أنها قادرة على فعل شيء كبير يضر بمصالحهم في العراق، بل قد ينهي مشروعهم؛ عسى أن يتركوها وشأنها. وسير الشيعة في العراق مظاهرات عارمة تطالب بإرسالهم للقتال في لبنان، مع أن العراق محتل، فهلا قاتلوا دفاعاً عنه أولاً! ويتسترون بالقول: إنهم يختارون تحريره بالطرق السلمية، رافضين الحل العسكري، بل هم يقاتلون أهل السنة الذين يدافعون عن بلدهم، يسمونهم بـ(الإرهابيين)، وعملوا - ولا زالوا إلى هذه اللحظة - المجازر تلو المجازر بهم. وهذا ما يبين، ويثبت أن الشيعة - إذا قاتلوا - إنما يقاتلون دفاعاً عن الطائفة، ونصرة لإيران، وليس دفاعاً عن الوطن.

كما أن لك أن تعلم (أن أمين عام "حزب الله" حسن نصر الله من المؤيدين للاحتلال الأمريكي للعراق معتبراً إياه تحريراً للعراق من أهل السنة. وقد هاجم المجاهدين من أهل السنة في أكثر من خطاب واصفاً إياهم بالخونة والعملاء والتكفيريين والصداميين؛ بحجة أنهم يقتلون أفراد الشرطة العراقية والجيش العراقي اللذين صنعتهما أمريكا ليكونا لها مخالب

قط وأداة لذبح المجاهدين من أهل السنة والجماعة. وهذا الحزب يقوم بتدريب الميليشيات الشيعية في العراق التي صنعتها إيران لتكون عوناً للأمريكان في فرض سيطرته على العراق، وفي مقدمتها ميليشيا ما يُسمى بـ(جيش المهدي وميليشيا بدر وحزب الدعوة) التي تذبح علماء السنة، وتهدم مساجدهم وتختطف أبناء الشعب الفلسطيني اللاجئين في العراق منذ عام ١٩٤٨ وتُعذبهم عذاباً قبل أن تقتلهم بأشنع الأساليب، وتعتدي على شرفهم وأعراضهم وتهددهم كل يوم بالقتل والذبح إذا لم يرحلوا من العراق<sup>(١)</sup>.

ورغم أن الشيعة يتظاهرون بمعاداة اليهود. حتى إن رئيس إيران صرح أخيراً بضرورة محو (إسرائيل) من الوجود، أو تهجير كيانه إلى أوروبا. وكان الإيرانيون يصرون على التظاهر في مكة ضد أمريكا وإسرائيل. لكن الحقيقة - تاريخاً وواقعاً - تشير إلى عكس ذلك. فالفرس هم الذين أطلقوا اليهود من أسر بابل، وأعادوهم إلى فلسطين، على يد كوروش الإخميني ابن اليهودية الذي تأمر مع أخواله اليهود فدمر بابل وحرر اليهود وأعادهم إلى أورشليم بعد أن أزال كيان الدولة العراقية من الوجود، وذلك في سنة ٥٣٩ ق. م. ليعيد التاريخ نفسه في ٢٠٠٣/٤/٩ م. ويتمكن الحلف اليهودي الفارسي نفسه مرة أخرى من تدمير بغداد، وإزالة كيان الدولة العراقية في العصر الحديث. وكانت دولة إيران من أوائل الدول التي اعترفت بالكيان اليهودي سنة ١٩٤٨.

لا أريد الاسترسال في هذا الموضوع؛ فإنه طويل عريض شائك، وقد نخرج عن سياق الكتاب. لكنني لا أرى إنهاء الموضوع دون الإشارة السريعة إلى تعاون إيران الخميني الذي يدّعي الدين والإسلام مع كيان إسرائيل ضد العراق.

لقد خاضت إيران الفارسية الشيعية الحرب ضد العراق ثماني سنين،

(١) من مقالة للفلسطيني محمد أسعد بيوض التميمي على موقع (دنيا الوطن).



وقاتلت أبنائه بأسلحة اليهود، ودكوا بغداد بصواريخ إسرائيلية. في الوقت الذي كان الخميني الدجال (لع) يتمظهر ويتبجح بمعاداته لإسرائيل وأمريكا، ويسمّيها (الشیطان الأكبر)! ثم شاء الله تعالى أن يعريه ويفضحه، حين تكشف للعالم أجمع أن سيلاً من الأسلحة و قطع الغيار كانت تشحن من أمريكا عبر إسرائيل إلى طهران. مع أن أخباراً متقطعة كانت تبرز من حين لآخر عن حقيقة هذا التعاون بين إيران وإسرائيل منذ بداية الحرب العراقية الإيرانية. ثم تبين أن الشيخ صادق طباطبائي كان حلقة الوسط بين إيران وإسرائيل، من خلال علاقته المتميزة مع يوسف عازر الذي كانت له علاقة بأجهزة المخابرات الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي. وقد زار إسرائيل معه في ٦ كانون الأول ١٩٨٠، وانكشف ختم دخوله إلى إسرائيل على جوازه عندما ضبطه البوليس الألماني على المطار وفي حوزته مائة ونصف كيلو من المخدرات مادة الهيروين وذلك في كانون الثاني ١٩٨٣. وقد عرض ختم دخوله إلى إسرائيل على ملايين الناس في التلفزيون الألماني.

وكان من جملة الوسطاء في تصدير السلاح الإسرائيلي إلى إيران أندريه فريدل وزوجته، وهما يهوديان إسرائيليان يعيشان في لندن. وقّع خمس صفقات كبيرة مع أكبر شركات تصدير السلاح في إسرائيل اسمها شركة TAT. الصفقة الأولى بتاريخ ٢٨-٣-١٩٨١، والثانية بتاريخ ٦-١-١٩٨٣. وتوجد صورة لكل وثيقة من هذه الصفقات.

### فضيحة إيران غيت

و في ١٨ تموز ١٩٨١ انكشف التصدير الإسرائيلي إلى إيران بما سمي بـ(فضيحة إيران غيت)، عندما أسقطت وسائل الدفاع السوفيتية طائرة أرجنتينية تابعة لشركة اروريو بلنتس، وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل محملة بأنواع السلاح قطع الغيار. كانت الطائرة قد ضلت طريقها، ودخلت الأجواء السوفيتية. على أن صحيفة التايمز اللندنية نشرت تفاصيل دقيقة عن هذا الجسر الجوي المتكتم. وكان سمسار العملية آنذاك التاجر البريطاني إستويب ألن، حيث استلمت إيران ثلاث

شحنات: الأولى استلمتها في ١٠-٧-١٩٨١، والثانية في ١٢-٧-١٩٨١، والثالثة في ١٧-٧-١٩٨١. وفي طريق العودة ضلت طريقها ثم أسقطت. وفي ٢٨ آب ١٩٨١ أعلن ناطق رسمي باسم الحكومة القبرصية في نقوسيا أن الطائرة الأرجنتينية من طراز (كنادير سي إل ٤٤) رقم رحلتها (٢٢٤ آي آر) قد هبطت في ١١ تموز ١٩٨١ في مطار لارنكا قادمة من تل أبيب، وغادرت في اليوم نفسه إلى طهران، حاملة ٥٠ صندوق وزنها ٦٧٥٠ كيلوغرام. وفي ١٢ تموز حطت الطائرة نفسها في مطار لارنكا قادمة من طهران و غادرت في اليوم نفسه إلى إسرائيل يقودها الكابتن (كرديرو). وفي ١٣ من الشهر نفسه حطت الطائرة نفسها قادمة من تل أبيب وغادرت إلى طهران في اليوم نفسه يقوده الكابتن نفسه.



خريطة مسار الطائرة من إسرائيل إلى إيران

### الرئيس الإيراني يعترف

في مقابلة مع جريدة (الهيرلد تريديون) الأمريكية في ٢٤-٨-١٩٨١ اعترف الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر أنه أحيط علماً بوجود هذه العلاقة بين إيران وإسرائيل، وأنه لم يكن يستطيع أن يواجه التيار الديني هناك، والذي كان متورطاً في التنسيق والتعاون الإيراني الإسرائيلي.

وفي لقاء على (قناة الجزيرة) في ١٧/١/٢٠٠٠ دار الحوار التالي مع بني صدر:

س: تحدثنا عن موضوع الحرب الإيرانية العراقية ومررت إلى إسرائيل، هل كنت على علم بوجود علاقات معينة مع إسرائيل لأجل الحصول على السلاح؟

ج: في المجلس العسكري أعلمنا وزير الدفاع أننا بصدد شراء سلاح من إسرائيل، عجبنا كيف يفعل ذلك؟! قلت: من سمح لك بذلك؟ قال: الإمام الخميني. قلت هذا مستحيل! قال: أنا لا أجرؤ على عمل ذلك لوحدي. سارعت للقاء الخميني وسألته: هل سمحت بذلك؟ قال: نعم إن الإسلام يسمح بذلك، وإن الحرب هي الحرب. صعقت لذلك! صحيح أن الحرب هي الحرب، ولكنني أعتقد أن حربنا نظيفة، والجهاد هو أن نقنع الآخرين بوقف الحرب والتوق إلى السلام. نعم هذا الذي يجب عمله، وليس الذهاب إلى إسرائيل وشراء السلاح منها لحرب العرب، لا.. لن أرضى بذلك أبداً. حينها قال لي: إنك ضد الحرب، وكان عليك أن تقودها؛ لأنك في موقع الرئاسة.

### رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإسرائيليان يعترفان

وفي ٣ حزيران ١٩٨٢ اعترف مناحيم بيغن بأن إسرائيل كانت تمد إيران بالسلاح. وعلل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي أسباب ذلك المد العسكري الإسرائيلي إلى إيران بأن من شأن ذلك إضعاف العراق.

وقد أفادت مجلة ميدل إيست البريطانية في عددها تشرين الثاني ١٩٨٢

أن مباحثات تجري بين إيران وإسرائيل بشأن عقد صفقة تباع فيها إيران النفط إلى إسرائيل في مقابل إعطاء إسرائيل أسلحة إلى إيران بمبلغ ١٠٠ مليون دولار كانت قد صادرتها من الفلسطينيين في جنوب لبنان. وذكرت مجلة أكتوبر المصرية في عددها آب ١٩٨٢ أن المعلومات المتوفرة تفيد بأن إيران قد عقدت صفقة مع إسرائيل اشترت بموجبها جميع السلاح الذي صادرت من جنوب لبنان. وتبلغ قيمة العقد ١٠٠ مليون دولار. وذكرت المجلة السويدية TT في ١٨ آذار ١٩٨٤، ومجلة الأوبزيرفر في عددها بتاريخ ٧-٤-١٩٨٤ عقد صفقة أسلحة إسرائيلية إلى إيران. قالت المجلة الأخيرة: إنها بلغت ٤ مليارات دولار. فهل كانت إسرائيل لترضى بشحن السلاح إلى إيران لو كانت إيران تشكل أدنى خطر على الوجود والكيان اليهودي؟! وهل كانت أمريكا لتعطي السلاح إلى إيران لو أن إيران تشكل الخطر الإسلامي الحقيقي الذي تهابه أمريكا وروسيا و غيرهما؟!

### تصريحات ووثائق صحفية

- ١ - (إن إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام: إن إيران هي العدو). وزير الخارجية اليهودي في حكومة في نتياهو (ديفيد ليفي)/ جريدة هآرتس اليهودية في ١٩٩٧/٦/١.
- ٢ - (إن إيران دولة إقليمية، ولنا الكثير من المصالح الاستراتيجية معها. في إيران تؤثر على مجريات الأحداث، وبالتأكيد على ما سيجري في المستقبل. إن التهديد الجاثم على إيران لا يأتيها من ناحيتنا، بل من الدول العربية المجاورة! فإسرائيل لم تكن ابداً - ولن تكون - عدوا لإيران). الصحفي اليهودي (أوري شمحوني)/ صحيفة معاريف اليهودية في ١٩٩٧/٩/٢٣.
- ٣ - أصدرت حكومة النتياهو أمراً يقضي بمنع النشر عن أي تعاون عسكري أو تجاري أو زراعي بين إسرائيل وإيران. وجاء هذا المنع تغطية لفضيحة رجل الأعمال اليهودي (ناحوم منبار) المتورط بتصدير مواد كيماوية إلى إيران، وتعد هذه الفضيحة خطراً يلحق بإسرائيل

وعلاقاتها الخارجية. وقد أدانت محكمة تل أبيب رجل الأعمال اليهودي بالتورط في تزويد إيران بـ ٥٠ طناً من المواد الكيماوية لصنع غاز الخردل السام. وقد تقدم المحامي اليهودي (امنون زخروني) بطلب بالتحقيق مع جهات عسكرية واستخباراتية أخرى زودت إيران بكميات كبيرة من الأسلحة أيام حرب الخليج الأولى. الشرق الأوسط/العدد (٧٣٥٩).

٤ - قامت شركة كبرى تابعه (لموشيه ريجف) الذي يعمل خبير تسليح لدى الجيش الاسرائيلي ما بين (١٩٩٢-١٩٩٤) ببيع مواد ومعدات وخبرات فنية الى ايران. وقد كشف عن هذا التعاون الاستخبارات الامريكية بصور وثائق تجمع بين موشيه والدكتور ماجد عباس رئيس الصواريخ والاسلحة البايولوجية بوزارة الدفاع الإيرانية. صحيفة هآرتس اليهودية، نقلاً عن الشرق الأوسط عدد (٧١٧٠).

٥ - ونقلت جريد الحياة بعددها (١٣٠٧٠) نقلاً عن كتاب الموساد للعميل السابق في جهاز الاستخبارات البريطانية (ريتشارد توملينسون): وثائق تدين جهاز الموساد لتزويده ايران بمواد كيماوية.

٦ - (في كل الأحوال فإن من غير المحتمل أن تقوم إسرائيل بهجوم على المفاعلات الإيرانية. وقد أكد عدد كبير من الخبراء تشكيكهم بأن ايران - بالرغم من حملاتها الكلامية - تعتبر اسرائيل عدوا لها. وإن الشيء الأكثر احتمالاً هو أن الرؤوس النووية الايرانية هي موجهة للعرب). الصحفي اليهودي (يوسي مليمان)، نقلاً عن لوس انجلس تايمز/ جريدة الأنباء العدد (٧٩٣١).

٧ - (لقد ساعدتنا إسرائيل على اقتلاع الإرهاب الفلسطيني (الوهابي) من الجنوب). لقاء صحفي مع (حيدر الداخ) أحد كبار الزعماء الشيعة من حزب أمل أجرته مجلة الأسبوع العربي ١٩٨٣/١٠/٢٤. وذكرت وكالة رويتر في ١٩٨٢/٧/١ أن القوات الصهيونية لما دخلت بلدة النبطية لم تسمح إلا لحزب أمل بالاحتفاظ بمواقعه وكامل أسلحته.

٨ - (إن العلاقة بين إسرائيل والسكان اللبنانيين الشيعة غير مشروطة بوجود المنطقة الأمنية، ولذلك قامت إسرائيل برعاية العناصر الشيعية، وخلقت معهم نوعاً من التفاهم للقضاء على التواجد الفلسطيني، الذي هو امتداد للدعم الداخلي لحركتي حماس والجهاد). ضابط إسرائيلي من المخابرات " صحيفة معاريف اليهودية ١٩٩٧/٩/٨.

هذا غيظ من فيض هذه العلاقة المشوهة بين اليهود والشيعة، وإسرائيل وفارس. وقبل أن أنهي هذا الحديث أذكر بآيات كريمة من القرآن العظيم، تفصح العلاقة الآثمة بين أعداء الصحابة وإخوانهم واليهود. تبين هذه الآيات أن هناك أُخَوَّتَيْن: أخوة الصحابة، فمن رفضها كان أخاً لليهود والنصارى، يواليهم ويتحالف معهم ضد أمة الإسلام. وحاشا لمن يكره الصحابة ويكفرهم أن يكون مخلصاً أو صادقاً في ولاءه ومحبهته للأمة. بل لا بد لزوماً أن يكون عدواً لها، وهذا ما يصرح به كبار علماء الشيعة، وقد ذكرته في أكثر من موضع وكتاب<sup>(١)</sup>. يقول تعالى بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار، وهم مجموع الصحابة حين نزول الآية:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، الذين أحبوا الصحابة رضي الله عنهم واتبعوهم، وساروا على طريقهم.

ثم قال:

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]. هؤلاء هم الشيعة، أصحاب عقيدة (تقية - النفاق)، الذين تركوا أخوة الصحابة رضي الله عنهم، فجازاهم الله سبحانه بأن

(١) انظر مثلاً: (مصباح الفقاهة)، ١/٣٢٣-٣٢٤، للخوئي، ط ٣ - ١٣٧١، مطبعة الغدير. (والشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب)، ص ٢٥٧، الشيخ يوسف البحراني.

عوضهم عنها بأخوة الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)! يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير! هداهم الله فاستحبوا العمى على الهدى؛ والله لا يهدي القوم الظالمين.

### المبحث الثاني المعالم النفسية لدى الشخصية اليهودية

مهما درست الشخصية (الفارسية) - وسليتها الشيعية - من الناحية النفسية، فإن شخصية مشابهة تقفز إلى الذهن، وتراود صفحة الأفق. تلك هي الشخصية اليهودية. فحين تبحث عن عناصر الشخصية (الفارسية)، تجد في كل خطوة تخطوها ما يشير إلى التشابه بين الشخصيتين: الفارسية واليهودية، حتى تنتهي إلى أن الشخصيتين تتشابهان تماماً، بحيث يمكن القول: إن كل سمة أو عقدة أو مرض نفسي في هذه، موجود في تلك. وهذا ما نجده واضحاً حين نقارن بين ما تحدث عنه القرآن الكريم من صفات اليهود وأخلاقهم وسماتهم النفسية، وبين ما نجده واقعاً من ذلك لدى جمهور المتشيعين بتشيع الفرس. وهذا يشير حتماً إلى أن العلاج يتشابه بقدر ما بين الشخصيتين من تشابه وتقارب نفسي. وعندها ربما لا نحتاج لغير ما ورد في القرآن الكريم من وسائل وأساليب طبقها الرسول العظيم ﷺ في تعامله مع اليهود، ومواجهته لخطرهم.

قادتني هذه الملاحظة - بعد أن انتهيت من كتابة مسودة الكتاب بعدة أشهر - إلى أن أبحث عما كتب من دراسات نفسية عن اليهود، فوجدت الأمر كما توقعت تماماً! حتى كأن ما كتب عن اليهود هو نفسه الذي كتبه عن الفرس أو الشيعة المتأثرين بهم.

ولا عجب!

فإن التحليل النفسي يوصلنا إلى أن الأساس واحد في الحالتين؛ إذ تبدأ العقد النفسية في الشخصية اليهودية من المبدأ نفسه الذي انطلقت منه العقد النفسية الفارسية: شعور القلة العددية بالضعف والخوف ضمن الكثرة

المهددة المحيطة بها. ومن هذا الشعور نتجت (عقدة النقص) و(عقدة الاضطهاد)، وتسلسلت باقي العقد بالطريقة نفسها التي ذكرناها عن الفرس.

وإذا كان هذا التشابه قد ثبت من خلال النظر في الواقع - تجريبياً ونظرياً - فإن هذا يستلزم أن ما حكاه القرآن العظيم عن اليهود - تشخيصاً وعلاجاً - يمكن إنزاله على أولئك الذين دانوا بتشيع الفرس، وهم عامة الشيعة اليوم.

وهذا يدعوني إلى أن أقسم هذا المبحث إلى قسمين:

**القسم الأول:** عن الشخصية اليهودية من خلال الدراسات النفسية الحديثة.

**القسم الثاني:** عن الشخصية اليهودية في القرآن.

#### □ **القسم الأول: الشخصية اليهودية من خلال الدراسات النفسية الحديثة**

اتخذ اليهود تجمعات سكانية انعزلوا بها عن المجتمعات غير اليهودية التي تحيط بهم، شعوراً منهم بالخوف وطلباً للأمن والحماية من المحيط المهدد لهم. مثل (حارة اليهود) في مصر، (وقاعة اليهود) في اليمن<sup>(١)</sup>. و(القاهال) في شرق أوروبا وهي كلمة عبرية تعني جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد<sup>(٢)</sup>. و(الجيتو) وهو عبارة عن حي أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود. و(الشتل) ومعناه (المدينة الصغيرة) وجاء في وصفه أنه حي قذر، شوارعه ملتوية كمناقشات التلمود، تخرج منها حوار وأزقة وزرائب خلفية. وأغنى اليهود فيها يمكن أن يكون في إحدى صور أربع: غني أو فقير، بائع متجول أو صانع<sup>(٣)</sup>.

(١) دائرة المعارف العبرية، الجزء العاشر عمود ٦٠١ - ٦٠٢. نقلاً عن شبكة المعلومات.

(٢) ايفن شوشان. أفراهام، القاموس المركز، ص ٦١٨. نقلاً عن شبكة المعلومات.

(٣) ساخار. هوارد مورلي، مسار التاريخ اليهودي الحديث، ص ١٩١. نقلاً عن شبكة المعلومات.



وهذا يذكرني بـ(حي الثورة) الشيعي القذر - والذي صار بعد الاحتلال يسمى بـ(مدينة الصدر) - وسائر التجمعات الشيعية في بغداد. لقد تأسست هذا الحي في عهد الرئيس عبدالكريم قاسم في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، عندما جلب له أعداداً غفيرة من مدينة (العمارة) في الجنوب، وأسكنهم فيه، وفي مناطق أخرى من بغداد كالشعلة والشاكرية. وظلت (الثورة) تعاني من القذارة والإهمال والعشوائية في البناء، حتى أعاد بناءها وتفصيلها تفصيلاً حديثاً الرئيس صدام حسين في بداية الثمانينيات، وسماها باسمه (مدينة صدام). لكنها سرعان ما عادت إلى سابق (عزها) كأقذر تجمع سكاني في بغداد! ومثالاً يتباكى به الشيعة دليلاً على (الظلم والاضطهاد ومظلمة أتباع أهل البيت).

### دراسة الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين في كتابها (الجيتو اليهودي)

تحدثت الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين في كتابها (الجيتو اليهودي) عن الآثار النفسية الناتجة عن حياة اليهود في الجيتو، ولخصتها في جملة خصائص تجدها تشابه تماماً مع تلك الخصائص النفسية لنموذج الشخصية الشيعية، التي استخلصتها من خلال الدراسة والتتبع الميداني! وأنا أنقل ما جاء من هذه الخصائص كما ورد بنصه:

### أولاً- الشعور بالاضطهاد والخنوع والإذلال

لقد أثرت حيات الجيتو والتشتت والعزلة، وأحداث الاضطهاد التي عانى منها اليهود على سيكولوجيتهم، فأصبح مركب الخوف هو المركب النفسي السيكلوجي الموروث عن تجارب الاضطهاد لدى اليهود.

وكان اليهودي يستجيب لهذا الاضطهاد الذي استمر قروناً طويلاً، إما بموقف الذليل الخانع الذي يتسم بالمازوخية، أو يستجيب بالرحيل والهجرة إلى مكان آخر يتصوره أقل ظلماً وأرحب صدرًا<sup>(١)</sup>.

(١) الجيتو اليهودي، ص ٣٥٨، د. سناء عبد اللطيف حسين. مصدر سابق.

وهذه هي عقدة الاضطهاد وعقدة النقص أو الدونية، والسلوك الماسوشي لدى الشيعة.

### ثانياً - تحقير الذات

هذا وقد تطور الشعور بالاضطهاد والخنوع والإذلال إلى شعور بكراهية النفس والخزي والعار وتحقير للذات اليهودية. والنظريات المعاصرة في الطب النفسي والخاصة بالظواهر النفسية النفسية الداخلية تقرر أن المشاعر الإنسانية تتطور، فكل شعور يؤدي إلى شعور آخر، وهذا ما حدث لليهود إذ تطور الشعور بالاضطهاد إلى شعور بكراهية الذات اليهودية واحتقارها<sup>(١)</sup>.

والشعور بالخزي وكراهية النفس وتحقير الذات، التي ميزت يهود الجيتو، تسمى بالتعبير السيكولوجي العلمي (الشعور بالدونية). ويرجع ذلك إلى الإحساس بالاضطهاد كعنصر مميز للتكوين السيكولوجي الإسرائيلي<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي عقدة النقص أو الدونية أو عند الشيعي.

### ثالثاً - الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين

أيضاً من الآثار السيئة التي تكونت في نفسية يهود الجيتو، الحقد وكراهية الآخرين. فحياة اليهود داخل الجيتو قروناً طويلة جعلتهم لا يشاركون المجتمع، بل انكبوا على دراسة ماضيهم دون النظر إلى المشاركة في التطور الذي يسير فيه العالم - كما سبق أن ذكرنا - وكان نتيجة ذلك تخلف اليهود؛ لذلك أخذوا ينظرون إلى هذا التقدم في البلاد التي يعيشون فيها نظرة حقد وكراهية.

وهكذا تأصلت هذه الخاصية في كيان يهود الجيتو حتى أصبحت ضمن مكونات شخصياتهم، فامتألت نفسياتهم بالحقد على الغير، حتى بين

(١) أيضاً، ص ٣٦٠.

(٢) أيضاً، ص ٣٦١.

اليهود بعضهم وبعض: حقد على الغني من الفقير، وعلى القوي من الضعيف، وعلى السعيد من الحزين<sup>(١)</sup>.

وهذه هي عقدة الحقد عند الشيعة.

#### رابعاً - العدوانية والعنف

من ناحية أخرى أدت العزلة النفسية التي عاش فيها اليهود عبر قرون طويلة إلى اتصاف اليهود بعقلية قاسية تميل إلى الشر والهدم وسفك الدماء. وأصبحت الشخصية اليهودية التي عاشت في الجيتو شخصية عدوانية. فقد كان لحارات الجيتو الفضل في الحفاظ على العنصر اليهودي في شكلها المرضي الذي أصبح داء عضالاً، حتى انقلب إلى موقف رفض للاندماج، ثم إلى عداوة للإنسانية؛ فانقلب يهود الجيتو المضطهد الذليل إلى وحش كاسر عندما أتاحت له ظروف الاستعمار أن يقيم دعائم الصهيونية، فمارس كل ما عرفه من صنوف الإذلال والتعذيب على مدى قرون داخل الجيتو على المستضعفين من عرب فلسطين.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام: كيف استطاع اليهودي الجبان، الذليل، الخانع، المنطوي، المنعزل، الذي عاش على هامش المجتمع أن يتحول إلى سفاح طاغي، يتفجر نشاطاً عدوانياً؟

للإجابة على السؤال السابق نستطيع أن نقول: إنه لا بد أن هناك أحداثاً كانت لها صلة بحدوث تغير عميق في البناء النفسي لليهود الجيتو، نتج عنها هذا التحول. ويبدو أن أحداث فتك النازيين ببضعة ملايين من اليهود - في المعسكرات النازية - كانت بمثابة نقطة تحول في السلوك اليهودي، حيث أن تفسير أي سلوك إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين. أي نمط بناء الشخصية. وهذا يرتد في نهاية الأمر إلى ما يطلق عليه (هوية الذات) أو (هوية الأنا).

(١) ص ٣٦٢-٣٦٣.

ومن الثابت أن (هوية الذات) إنما هي نتاج عملية (التوحد) بالآخرين، تلك العمليات التي تعتبر المحور الأساسي في مدان علم النفس. وهذا المحور هو محور (الأنا- أنت). فبناء الأنا النفسي توضع لبناته الأولى على غرار مكونات الأنا لدى من قام على شؤون الصغير أي الأم والأب. وبناء على ما سبق نستطيع أن نفسر كيف تحول اليهودي من الاستكانة إلى العنف والعدوان، إذ أن ذلك تم عن طريق عملية التوحد الجديدة فيما يختص بهوية اليهود في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الثانية. وهو ما يطلق عليه عملية (التوحد بالمعتدي). والتوحد بالمعتدي هي حيلة لا شعورية تُصطنع للتغلب على الخوف من المعتدي، بمعنى أن الصبية اليهود ومن كان منهم في أول شبابهم، من الذين قبض عليهم وعلى آبائهم في أوروبا، أودعوا في معسكرات الاعتقال النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أفرج عمن بقي منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازيين. مما لا شك فيه أنهم توحدوا بجلاديهم النازيين.

وفي دراسة قام بها الطبيب النفسي اليهودي (منكوفكس) في كتابه بعنوان (مبحث في علم النفس المرضي) ص ٢٨٥ يتحدث عن الأطفال اليهود في معتقل (بوخنفالد)، يقول: (إن التخدير الوجداني - أي انعدام الاستجابة العاطفية لدى مرضى العقل - ليس إلا علامة من علامات التدهور النفسي، خاصة بين الشباب اليهود بعد بقائهم فترة طويلة في معسكرات الاعتقال وهم في سن اللعب. فأطفال معسكر بوخنفالد نشأ عندهم مرض البارانونيا - توهم الاضطهاد لدى مرضى العقل -).

والتوحد بالمعتدي ليس أمراً قاصراً على أطفال (بوخنفالد) وغيرهم من المعتقلات النازية الأخرى، بل قد يتم التوحد بالمعتدين طريق التعاطف اللاشعوري، بمعنى التحليل النفسي.

وعلى هذا يمكن القول أن يهود أحياء الجيتو قد توحدوا بالمعتدي، وبالتالي فإن أفراد الشعب اليهودي في فلسطين من غير خريجي المعتقلات، قد توحدوا بالمتوحدين بالمعتدي من شباب المعتقلات. بمعنى أنهم توحدوا بهم

عن طريق العدوى أو التعاطف اللاشعوري لاتصالهم المباشر بهم. وقد نتج عن مركب الخوف وتوهم الاضطهاد والتوحد بالمعتدي - السابق ذكره - أن قام اليهود بأعمال العنف ضد العرب من قتل وذبح وطرده ومصادرة أراضي واغتصاب منازل؛ لأنهم يعتقدون في أنفسهم أنهم إذا لم يقوموا هم بالاعتداء على العرب فإنهم سوف يكونوا في وضع المعتدى عليهم مثل الماضي، ومن ثم تولد عند اليهود شعور بأن كل من حولهم أعداء لهم<sup>(١)</sup>.

وهذه هي العدوانية أو عقدة الاعتداء عند الشيعة، التي تحدثنا عنها وعن جذورها، وتفجرها بعد الاحتلال الصليبي للعراق. وعلاقة حيلة (التوحد أو التماهي بالمعتدي) النفسية، والبحث عن الذات وعقدة الاضطهاد وعقدة التوجس أو الخوف من الآخر بالموضوع. وهي أمراض وعقد نفسية متشابهة لدى الفريقين حذو القذة بالقذة.

#### خامساً - التشاؤم واليأس وفقدان الأمل والتشكك

يعتبر التشاؤم واليأس من الخصائص المميزة لشخصية يهودي الجيتو. وقد أثبتت نتائج البحوث التي أجريت في مجال الصحة النفسية الإسرائيلية أن التشاؤم واليأس وفقدان الأمل في المستقبل، والتشكك حيال الآخرين وحيال بعضهم البعض من الخصائص المميزة لشخصية يهودي الجيتو خاصة الأشكنازيم<sup>(٢)</sup> منهم. حتى إنهم أخذوا يفقدون الأمل في الخلاص وأصبحوا يتشككون في مقدرة الرب لنصرتهم. وفي ذلك يقول (ماكس نوردو):

(إن اليهود يئنون تحت ظروفهم البائسة في أوروبا الغربية و يبحثون عن الخلاص، ولكنهم فقدوا ذلك الإيمان الذي كان يساعدهم في تحمل العذاب واعتباره مجرد قصاص من إله يحبهم. كما فقدوا الأمل في مجيء المسيح المنتظر الذي سيخلصهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٣٦٤-٣٦٦.

(٢) الأشكنازيم مصطلح يطلق على اليهود القادمين من أوروبا.

(٣) ص ٣٦٩.

وهذا هو الشعور بالإحباط عند الشيعة، والنفسية التشاؤمية المتشككة الحزينة لديهم.

والأس من الخلاص الذاتي النابع من عقدة النقص، واستبطاء تحقق خرافة مجيء المهدي المنتظر؛ الذي يدفعهم على الدوام إلى التعلق بالخلاص على يد الغازي أو المحتل الأجنبي، ومناصرته والتمسك به، إلى أن يفقدوا الأمل به ثانية وتتقاطع مصالحهم فيسلط الله بعضهم على بعض، ويذيق بعضهم بأس بعض، مأزورين غير مأجورين. ومن الأمثلة التاريخية على خيانة اليهود ونقضهم العهد ما فعله يهود بني قريظة من التحالف مع المشركين وجلبهم لغزو وطنهم (المدينة المنورة) نكايةً بمواطنيهم المسلمين. وهو ما فعله ويفعله الشيعة على الدوام.

### سادساً - الشعور بالتمايز

كان الشعور بالتمايز هو الخاصية النفسية الأخرى التي لها جانب كبير في التكوين السيكولوجي لليهود الجيتو خاصة في أوروبا. والشعور بالتمايز مصطلح يشير في العلوم الاجتماعية إلى العملية التي يحدث عن طريقها الانفصال والتفرقة والتفاضل بين الأفراد والجماعات على أساس محكات موضوعية مثل العنصر أو الدين أو السلالة أو مستوى الذكاء أو التعليم... إلخ. ويصاحب هذه العملية تمايز اجتماعي من ناحية المرتبة الاجتماعية والفروق الثقافية والوظيفة والاقتصاد... إلخ.

وقد أخذت هذه الخاصية - من قبل - صورة النقاء العنصري وشعب الله المختار، ولكن الآن في دولة (إسرائيل) قد أخذت هذه الخاصية شكلاً آخر، حيث أصبح الشعور بالتمايز يأخذ صورة التفوق العقلي والذهني لليهود الغربيين. ونظراً لاختلاف العناصر الأساسية للتنشئة الاجتماعية لليهود القاطنين في حارات الجيتو في مختلف بلدان العالم، لذلك نجد أن الجيتو في كل بلد قد ترك بصماته على حياة اليهود في إسرائيل.

ولتوضيح ما سبق، يكفينا أن ندلل على وجود فوارق اجتماعية كبيرة بين الطوائف اليهودية في إسرائيل، حيث اكتسب اليهود القاطنين في حاران الجيتو في أوروبا شعوراً بالتفوق والامتياز. وكان هذا الشعور ضمن العناصر الأساسية التي تضمنتها تنشئتهم الاجتماعية، وبالتالي أصبح ضمن مكونات تركيبهم السيكولوجي. فاليهودي الغربي (الأشكنازي) يعتبر نفسه أكثر حضارة ومدنية وثقافة من اليهودي الشرقي (السفاردي)<sup>(١)</sup>.

(إن الرواسب الذهنية للتفرقة والخلافات القديمة كان لها دورها الفعال في الشعور بالتمايز. والتحليل النفسي لهذا التمايز الناتج عن الرواسب الذهنية القديمة تحمل في طياتها الشعور بالبغض والجفاء من جانب اليهود الأشكنازيم تجاه اليهود السفارديم الذين كانوا يترفعون عليهم في الماضي بما لديهم من ثقافة وعلم نتيجة اتصالهم بالحضارة العربية الغنية بألوان الثقافة والمعرفة والأدب والفلسفة والشعر، في الوقت الذي كان يعيش فيه يهود أوروبا في ظلمات الجهل والشعوذة في الجيتو المغلق. وهذه الرواسب القديمة تركت أثرها السيكولوجي على نفسية اليهود الأشكنازيم الذين سنحت لهم الفرصة لكي يعوضوا ما مر بهم من بؤس بالانتقام من اليهود السفارديم. وهذا هو الشعور الذي يتعرض له الإنسان المضطهد عامة حين تتاح له الفرصة فينفس عن شعوره باضطهاد الأقل منه قوة. ومن ناحية أخرى، فقد جاء في نشرة مجلس الطائفة السفاردية في القدس:

(إن ما يكرهه يهود أوروبا الشرقية في إخوانهم اليهود الذين يأتون من الشرق، هو حقيقة أن هؤلاء اليهود يذكرونهم بأحوالهم الاجتماعية والثقافية التي كانوا يعيشونها منذ بضعة عقود في حارات الجيتو في روسيا و بولندا. وأن رغبتهم في نسيان هذا الماضي هو الذي جعلهم يرفضون السفارديم الشرقيين)<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٣٧٨.

(٢) ص ٣٧٩-٣٨٠.

وهذه هي عقدة السيد النابعة من عقدة النقص لدى الشيعة. تأمل كيف يسمون أهل السنة (أبناء العامة)؟! فهم الخاصة إذن. على طريقة (شعب الله المختار).

### سابعاً - التعصب

كان من أثر الجيتو أن تولدت في نفوس اليهود مرارة دفينية، وغلبهم خوف متواصل جعلهم يتمسكون بكيانهم ويتعصبون لدينهم، وأصبحوا لا يميلون إلى التعامل مع الأجانب. ويوماً بعد يوم كان هذا التعصب ينمو ويزداد. والتعصب في الحقيقة تعريف سيكولوجي يهدف إلى عزل الأفراد والجماعات المتعرضة بعضها عن بعض وإقامة الحدود الفاصلة بينها. والتعصب أيضاً يعتبر مظهراً من مظاهر الجنوح في تأكيد الذات واحترامها. والمغالاة في هذا الجنوح يصل بالفرد إلى أن يعشق ذاته ويحرص على تضيق عالمه الخاص به. وهذا ما فعله اليهود فعلاً، ولا سيما من خلال فكرة شعب الله المختار والبقاء العنصري.

ويقرر (إمبري) أن التعصب يعتبر نوعاً من أنواع النرجسية Narcisisme وعشق الذات. والمغالاة في عشق الذات تجنح بالأفراد إلى ضروب مختلفة من كره ومقت الأفراد الآخرين الذين يختلفون عنهم.

وهذا الشعور بلغ أقصاه عند اليهود. فحبهم لأنفسهم وعشقهم لذاتهم جعلهم يكرهون جيرانهم، بل ويعتبرون كل من هو غير يهودي: أجنبياً وغريباً عنهم.

ومن المعروف أن الطفل في سنواته الأولى يتعلم كيف يميز بين الأشخاص والأشياء، ويصبح من هذه اللحظة قادراً على ممارسة العلاقات الاجتماعية. ويتعلم كيف يحدد لنفسه المسافة الاجتماعية بينه وبين غيره. وتنشئة الطفل اليهودي في الجيتو ركز على تعليمه الأنماط السلوكية التي تتسم بالتعصب. كما ركزت أيضاً على تشكيل شخصيته بطريقة عملت على اتساع هوة البعد الاجتماعي بينه وبين غيرهم.



ويظهر التعصب أيضاً عندما ينظر الفرد أو الجماعة إلى ثقافته أنها الثقافة الراقية بالفطرة. ويتضمن هذا الاتجاه حكماً بالدونية على الثقافات الأخرى. وهذه في الواقع نظرة اليهود إلى ثقافات الشعوب الأخرى.

ونجد في قصيدة (أغنية المهد) التي كتبها (شاؤول تشرنيخوفسكي) للتعبير عن تعصب اليهود لجنسهم حين يقول:

يهودي أنت يا بني      في هذا سعادتك وأيضاً مصيبتك  
فصيلة من سلالة شعب عريق      تفوق عظمتك الشعوب<sup>(١)</sup>

وهذه هي عقدة التعصب لدى الشيعة، بكل حيثياتها التي تحدثنا عنها سلفاً. حتى في تربيتهم لأطفالهم، وكيف يغذونهم الحقد على غيرهم، ويغرسون فيهم الشعور بالخوف منهم، والعزلة النفسية عنهم. وهذا من أهم أسباب الشعور بالاغتراب.

### ثامناً - الشعور بالاغتراب

كما سبق أن ذكرنا أن اليهود كانوا يعيشون في الجيتو بقلوبهم وعقولهم في نطاق حدود تراث مرتبط بالدراسات الدينية والرقعة المادية المحدودة للجيتو؛ مما جعلهم دائماً

وأبداً مختلفين ومتغايرين عمن حولهم. وكانوا دائماً عنصراً أجنبياً وغريباً في أي مجتمع. بالإضافة إلى ذلك فإن الشعور بالاضطهاد وعدم الاستقرار، كل ذلك جعل اليهود يعيشون في حالة اغتراب ونفي دائمة.

والنظريات المعاصرة في الطب النفسي، والخاصة بالظواهر النفسية الداخلية تؤكد على أن نقص الضمان الاجتماعي يؤدي إلى حالة من الانحسار الروحي، والانكماش النفسي والقلق والشك واليأس، ثم تتفاعل هذه المشاعر ويتولد عنها حالة الاغتراب.

(١) ص ٣٨٢-٣٨٣.

والظروف التي مر بها اليهود من عزلة داخل أحياء الجيتو، وانفصالهم عن العالم الخارجي، وتعرضهم للاضطهاد أحياناً، كل ذلك جعل اليهود يصابون بتلك الظواهر النفسية التي نتج عنها إصابة اليهود بحالة الاغتراب<sup>(١)</sup>.

الشعور بالخوف من المحيط - بعنصريه: الطبيعة والإنسان - مغروس عميقاً في النفسية الشيعية. ومن هنا نشأ عنده الشعور بالاغتراب، وما يتبعه من الشعور بالاضطهاد. وهو أساس الشعور بعدم الانتماء إلى المحيط أو الولاء للوطن. الذي استتبع قابلية الاستعمار أو الاستدبار عند جمهور الشيعة.

### تاسعاً - الشعور بعدم الانتماء للجماعة والولاء للوطن

نتج عن عزلة اليهود رفض الانتماء، وعدم التفاعل الحقيقي مع المجتمع، وتقليص عناصر الولاء القومي. وهناك بعض العقائد التي تميزت بها طبيعة الحياة الفكرية والمعيشية في الجيتو، زادت من شعور اليهود بعدم الانتماء للجماعة، وساعدت على انفصالهم عن جيرانهم. منها عقيدة المسيح المنتظر الذي سيقود اليهود إلى صهيون. وحيث أن هذه العقيدة كانت تسيطر على كيان اليهود وفكرهم فقد فتر الإحساس بالارتباط بالمكان الذي يعيش فيه اليهود في شتاتهم؛ لأنهم ينتظرون المسيح الذي قد يظهر في أي وقت فيضطرون إلى ترك هذا المكان الذي يعيشون فيه، ويتبعون المسيح المخلص إلى وطنهم الحقيقي، إلى الأرض المقدسة؛ من هنا فقد اليهود في شتاتهم الشعور بالانتماء للجماعة، أو الولاء للوطن الذي يعيشون فيه<sup>(٢)</sup>.

### عاشراً - حب المال والبخل

من ناحية أخرى فقد ولدت حياة الجيتو صفة البخل عند اليهود، حتى أصبح حب المال والبخل ضمن مكونات الشخصية اليهودية التي

(١) ص ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) ص ٣٨٥-٣٨٦.

عاشت في حارات الجيتو. فقد سبق أن أشرنا إلى أن اليهود اشتهروا من قديم الأزل بحب المال والحرص على جمعه. وقد ساعدت ظروف الاضطهاد التي أحاطت باليهود أحياناً في بعض حارات الجيتو - بالإضافة إلى شعورهم بأنهم يشكلون فئة منبوذة ومنعزلة - إلى جعل اليهود قلقين في أعماقهم، ولا يطمئنون على استمرار ملكيتهم لأي شيء.

ومن هنا أصبح المال يمثل شيئاً جوهرياً في حياتهم، ونمت عندهم صفة حب المال والحرص عليه وعبادة لدرجة البخل الشديد عند الكثير منهم، حيث أدت الصفة المادية للشخصية اليهودي إلى صفة أخرى هي الشخصية البخيلة، حتى أنها أصبحت أصلاً من الأصول المكونة لنفسية اليهودي<sup>(١)</sup>.

وهذا يشبه ما عليه علماء الشيعة ومراجعهم وسادتهم من حب المال، والحرص على جمعه، والبخل بإنفاقه على مستحقه. ولحبهم المال وتعلق نفوسهم الشديد به اخترعوا خمس المكاسب وثلاث الأموات (وهو أن يوصي الميت من باب الاستحباب يعطوا ثلث أمواله إلى المرجع الديني!) والحقوق الشرعية وحق الجد، ورد المظالم (وهو أن يدفع من كانت عليه مظلمة أو تقصير في حق شرعي، أو ترك واجباً مبلغاً من المال إلى المرجع لتغفر له مظلمته). وغيرها من المسميات الباطلة. واستحوذوا على الصدقات والكفارات والذبائح والندور، واحتججوها لأنفسهم. وأجازوا الربا<sup>(٢)</sup>، واستحلوا سرقة أموال (الآخر)، وأخذ ونهب أموال الدول التي يعيشون فيها. وغيرها وغيرها. حتى روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ما من شيء أحب إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام. وإن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل أحد. وفي رواية: درهم يوصل به الإمام أفضل من ألف ألف درهم فيما سواه من وجوه البر<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) نقلت بعض الفتاوى عن تحليل بعض المعاملات الربوية الواضحة في الفصل السابق: التشابه بين الشيعة واليهود.

(٣) أصول الكافي، ١/٥٣٧، ٥٣٨ على التوالي.

## حادي عشر - الخوف والشعور بعدم الأمن والأمان خارج حدود الجيتو

من ناحية أخرى أثرت حياة الجيتو على اليهود الذين عاشوا بين جدرانهم، حيث أصبح الخوف الناتج من توقع العدوان ضمن مكونات الشخصية اليهودية. لذلك نجد أنه على الرغم من المستوى الحضاري المتدني والفكر المتخلف الذي ساد الحياة في الجيتو، إلا أن اليهود كانوا يعيشون بالأمان داخل حدوده، وكانوا ينظرون إلى العالم الخارجي بعين الشك والريبة، وأنه عالم مليء بالأخطار لدرجة أنه عندما حاولت اليهودية الإصلاحية أن تهدم أسوار الجيتو، وأن تستجيب لنداء الاندماج بعد أن انطلقت شعارات الحرية في العصر الحديث، رفض الصهيوينيون هذا الأمر، وعملوا على إقامة دولة إسرائيل لتكون جيتو كبيراً يعيش في ثناياه يهود العالم حتى يشعروا بالأمان.

وامتد هذا الفكر الجيتوي الذي ساد بين اليهود طيلة قرون عديدة ليجعل قادة الصهيونية يقررون إقامة الأسلاك الشائكة، وبناء الأسوار حول مكان إقامتهم حتى بعد ما تجمعوا في أرض الميعاد في دولة إسرائيل<sup>(١)</sup>.

ويصف (فرديناند زفايج) - الباحث اليهودي - شخصية الشباب الإسرائيلي الأشكنازي فيقول: (إنه يشعر كما لو كان محاطاً بتهديد مستمر بالإفناء)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الخوف وعدم الشعور بالأمان من المحيط الخارجي، هو الدافع وراء التعصب الطائفي الشديد عند الشيعة، والتعلق الطفلي بالمرجعية، فلا يشعرون بالطمأنينة إلا داخل هذه الأسوار الوهمية.

## دراسات أخرى

وقد أجمعت على هذا الدراسات الأخرى التي اطلعت عليها. واتفقت

(١) ص ٣٩١-٣٩٢.

(٢) ص ٣٩٣.

على وجود وتسجيل جميع العقد والأمراض والسمات النفسية والسلوكية التي توصلت إلى تشخيص وجودها في الشخصية (الفارسية) وسليتها الشيعية مثل: عقدة النقص أو الدونية، الاستخذاء، عقدة السيد، عقدة الاضطهاد، عقدة الحقد، العدوانية أو عقدة الاعتداء، عقدة الانتقام، الهُجاس، التعصب، الغدر، الخداع، عدم الاعتراف بالآخر، استحلال ما عند الغير، السادو-ماسوشية، التوحد بالمعتدي، التعلق بالمال، العقلية الخرافية، خيانة الوطن، البارانونيا (هذاء الاضطهاد)<sup>(١)</sup>. وتكرار المذابح اليهودية.

(١) من هذا الهذاء اختراعهم لفكرة (الاسامية)، وهي (ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوروبية (أنتيسميتيزم) التي تعني حرفياً (المذهب المعادي للسامية). والمقصود بها عملياً هو (معاداة اليهود) لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في المجتمع الأوروبي، على حسب الدعوى العنصرية التي أشاعوها عن أنفسهم، حيث يعتقدون أن كل ما حل بهم إنما يرجع لكونهم يهوداً، وأن من يسعون لإيذائهم مصابون بداء (الاسامية). والمنطق الطبيعي يقول عكس ما يدعيه اليهود؛ لأن العداة للسامية سلاح إرهاب مسلط على كل من يدفعه ضميره أو تفكيره إلى معارضة مخططات الصهيونية من رجال السياسة والفكر. وقد ترتب على هذا أن تمكن الصهيونيون من احتواء الفكر الغربي فاندفع مفكرو الغرب أو غالبيتهم العظمى إلى مناصرة الصهيونية دون تحفظ تحت وهم أنهم يناصرون قضية عادلة يدفعون بها عن البشرية وزر العنصرية، بما يعكس أضخم عملية (غسيل مخ) عرفت البشرية. ولك أن تلاحظ - مقارناً مع الاقتباس السابق من إحدى الدراسات النفسية عن الشخصية اليهودية - أن الشيعة - بسبب هذاء البارانونيا - يشبهون اليهود حين يرجعون كل ما يصيبهم من نكبات بسبب عقدهم النفسية - وتصرفاتهم العدائية الناتجة عنها تجاه الآخرين - إلى شيء واحد فقط هو كونهم شيعة. وقد ترتب على هذا الوهم المريض - ما ترتب على دعوى الاسامية اليهودية - أن تمكن الشيعة من احتواء الفكر السني، لا سيما البعيد عن الجغرافيا الشيعية، وكذلك الفكر العالمي، بما يعكس أضخم عملية (غسيل مخ) عرفت البشرية. وهذا هو الأساس الذي بنى عليه الأمريكان غزوهم للعراق من أجل تخليص ما سمي بـ (الأغلبية الشيعة المضطهدة) من (الأقلية السنية الحاكمة)، متخذين من ذريعة هلوكوست (المقابر الجماعية) المزيفة وسيلة إلى ذلك. ولك أن تلاحظ أيضاً الشبه العجيب للعملية الإجرامية التي ارتكبتها الشيعة في حق العراق، بالعملية التي تم بها احتلال اليهود لأرض فلسطين، متخذين من ذريعة الاضطهاد والهلوكوست اليهودي على أيدي النازية الألمانية وسيلة إليه! إن الشيعة المستعجمين اليوم يتخذون الذريعة نفسها على أمل اختطاف العراق واحتلاله، وتفريغه من أهله.

## □ القسم الثاني: الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم

### ورثة آدم وورثة إبليس

في أول قصة للخلقة وردت في القرآن جاءت قصة أبينا آدم عليه السلام مع إبليس (لع). بعدها مباشرة جاء الحديث عن بني إسرائيل (اليهود). ثم بعدها جاء الحديث عن أبينا إبراهيم عليه السلام، وورثته أمة الإسلام. ليظهر في النهاية أن أولئك (اليهود) هم ورثة إبليس اللعين، وأن هؤلاء (أمة الإسلام) هم ورثة آدم عليه السلام الحقيقيين.

### ١ - عقدة النقص

تظهر عقدة النقص عند اليهود في القرآن من خلال النظر والتأمل في عدة آيات. منها قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. لقد جاء التعبير لكلمة (حياة) بالتنكير ليقول لك: إنهم حريصون على أية حياة، ولو كانت حياة مذلة ومهانة وعبودية، أو حياة الكلاب والقرود والخنازير والحمير!

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَضِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]. نفوس ذليلة مستكينة، دونية تطلب الدون من الأشياء بدلاً مما هو خير.

وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. إذ حولوا هذه الأفضلية من أفضلية عمل إلى أفضلية جنس أو عنصر. وهذه سمة المصابين بـ(عقدة النقص)، يتعوضون عن نقصهم وسوء أعمالهم بالدعوى الكبيرة الفارغة؛ ليعطوا بها

نقصهم وخواءهم. وانظر إلى تجبرهم حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]! وهذه لا يرتكباها إلا مريض بـ(عقدة النقص).

واليهود جمعوا بين سوء العمل، وكبر الدعوى. يقول تعالى عنهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وفي الآية تظهر حيلة (الإسقاط) النفسية. فاليهود وصفوا غيرهم بـ(الحمير) والبهائم (الغوييم)، بينما هذا الوصف لا ينطبق إلا عليهم ومن شابههم، بشهادة أصدق القائلين جل وعلا. فاليهود إنما (يُسقطون) على الآخرين رذائلهم وصفاتهم. بل بلغت بهم الصفاقة أن (أسقطوا) بخلهم على الله سبحانه! فقالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤].

وهذه الشخصية لا تفهم إلا لغة القوة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]. فأخذ الميثاق كان تحت التهديد بسقوط الجبل فوق رؤوسهم. لكن ما إن ذهب الخوف، وارتفع الطور إلى مكانه عنهم حتى رجعوا إلى ما كانوا عليه من تفلت وعصيان: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]. ولأمر ما كانت معجزة موسى عليه السلام في بني إسرائيل هي العصا.

وتتجلى عقدة النقص أو الضعف عند اليهود من خلال بنائهم الحصون واحتمائهم بها لا يقاتلون إلا من وراء جدرها. قال تعالى: ﴿وَوَلَّيْنَا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢]. وقال: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

ومن ذلك تعلقهم بالتحالفات والقوى الخارجية، وتعويلهم التام عليها، لا على أنفسهم مستقلين عن غيرهم، ما يدل على تأصل الضعف فيهم، وأنه ضعف ذاتي، لا ينجر إلا بالغير. كما قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

الَّذِينَ آتَيْنَا مَا تُحِبُّونَ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢].

ومنها تذللهم لعلمائهم حتى عاملوهم معاملة الأرباب، وأنزلوهم منازل الآلهة:

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهَا وَحِدًا ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١].

ولولا عقدة النقص ما اتخذوا العجل معبود عدوهم إلهاً لهم! ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢]. فهي ذلة متأصلة في نفوسهم عقوبة القدر جزاء ذنوبهم ومعاصيهم.

ومنها عقيدة (المخلص) الخارجي الذي سينقذهم من واقعهم بطريقة سحرية خرافية دون تدخل منهم. وما ذاك إلا لعقدة النقص التي تجعلهم يطلبون الخلاص لا من داخل أنفسهم، وإنما يتطلعون دوماً إلى المنقذ الخارجي. قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. لقد كانوا يبشرون أنفسهم بالنبى الموعود الذي سيتم الفتح على يده، ويقتلون به أعداءهم؛ فهم يستفتحون به عليهم. وجاء المنقذ، وهو الرسول محمد ﷺ. لكن لما كانوا يتخيلون - كما يتخيل الشيعة عن مهديهم - أن الإنقاذ سيكون على يديه بطريقة سحرية دون تدخل منهم - إضافة إلى كونهم يريدونه من بني إسرائيل - وجاء الواقع على غير ما يتخيلون. فالإنقاذ لا بد له من عمل مناسب يقومون به. فلما وقع الأمر على غير أوهامهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين. وعادوا يعتقدون بالوهم، يتعللون به، يسمونه ملك السلام. وما هو إلا المسيح الدجال مهدي الشيعة.

وبسبب هذه العقيدة (المخلص الخارجي) مع الضعف الذاتي تجد الخيانة حاضرة لدى اليهود والشيعة؛ إذ تنعكس هذه العقيدة في الواقع العملي



تعلقاً بكل قوة خارجية، واستعانة بها على أوطانهم. فاليهودي والشيوعي - إلا من رحم - لا يشعر بالانتماء إلى وطنه. مطبوع على العمالة للأجنبي.

وتجد عقدة النقص حاضرة في قولهم كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]. وهذه تسمى في علم النفس بـ(عقدة الخضاء الذهني)، وهي أحد مظاهر (عقدة النقص).

## ٢ - الخوف والجبن

وهذه السمة فرع عن عقدة النقص. في (سورة البقرة) قصتان: أحدهما (قصة البقرة) عبرت عن بخل اليهود بالمال، والأخرى (قصة طالوت وجالوت الآيات: ٢٤٦-٢٥١) عن جبن اليهود وبخلهم بالنفس في سبيل الله. ورد في مواضع عديدة الحديث عن خوف اليهود وجبنهم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَجَدْنَاهُمْ أَحْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]. وهذا هو أصل الخوف والجبن: حب الدنيا والحرص الشديد على الحياة.

وفي المحاوراة التي دارت بين موسى عليه السلام وقومه وهو يحرضهم على دخول الأرض المقدسة صورة بشعة للجبن الذي كانوا عليه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٠] يَنْقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٤].

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣) لَا يُفْلِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤) [الحشر: ١٣-١٤]. وهذا وإن جاء في سياق الحديث عن المنافقين، إلا أن الواقع يفسره باليهود؛ إذ هم الذين يومها قاتلوا المسلمين ﴿فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾. وكما قال تعالى عن بني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢) [الحشر: ٢]. وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢٦) [الأحزاب: ٢٦]. والصياصي هي الحصون.

ومن علامات الخوف تعاملهم مع مواطنيهم بـ(التقية)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) [البقرة: ٧٦].

### ٣ - عقدة الاضطهاد

تولدت (عقدة الاضطهاد) من طول القهر والمعاناة التي تعرض لها اليهود في تاريخهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩) [البقرة: ٤٩]. وقوله: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٩) [الأعراف: ١٢٩].

وتتجلى هذه العقدة من خلال وجود سمتين متناقضتين في الشخصية اليهودية: التجبر في الأرض عند التمكن إلى حد تجرؤهم على قتل الأنبياء عليهم السلام، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى التذلل والمسكنة عند الضعف إلى حد الحرص على الحياة ﴿وَلَنَجِدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ أي حياة مهما كانت ذليلة مهينة! وهذا من أبرز سمات (الشخصية الاضطهادية).

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. ويقول: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وانظر إلى تكبرهم عن الحق حين يشعرون بالقوة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]! لكنهم في الوقت نفسه كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. تأمل كيف جمعوا بين الذلة والمسكنة (الماسوشية)، وبين قتل الأنبياء والكفر والعصيان (السادية).

وبينما تجدهم في حال أذلاء يتمسكونون، تجددهم في حال أخرى عتاة قساة إلى حد التحجر: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. ومن هنا نشأت لديهم (عقدة الانتقام)، والتلذذ بتعذيب الضحية (السادية).

#### ٤ - العدوانية والعنف

تتمثل هذه العقدة بقسوة قلوبهم البالغة كما تشهد به الآية السابقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وكثرة إقدامهم على جريمة كبيرة مغالطة هي قتل الأنبياء عليهم السلام. بل تفاخرهم بها كما أخبر عنهم ربنا تعالى فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧]!

وليس هذا لأنهم لا يعتقدون بصدقهم. بل الأمر على العكس كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]. فهم يؤذون رسولهم عن علم. إن السبب الحقيقي هو مجيء الأنبياء بما يخالف رغباتهم وأهواءهم، كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ

أَنْفُسُكُمْ اسْتَكَبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠]! كما حاولوا قتل الرسول محمد ﷺ أكثر من مرة.

ولنفوسهم المطبوعة على العدوانية والعنف تراهم يحاولون إثارة الحروب بين الأمم. قال تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

## ٥ - البخل وحب المال والخضوع لسلطانه

تحدث القرآن عن بخل اليهود وحبهم الجارف للمال في عدة مواضع منه. أولها حين قص علينا قصتهم مع البقرة (الآيات: ٦٧-٧٣). وفيها يظهر تعنتهم البالغ في مدافعة الأمر الإلهي بشتى الحجج الواهية حرصاً على عدم ذبح بقرة.. أي بقرة! ولبخلهم الذي بلغ حد العقدة، التي يسقطونها على الغير، حتى لو كان هو الله سبحانه!!! وصموا الرب جل جلاله بالفقير الذي يستجدي أموالهم حين نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]!

وفيهم وفي أمثالهم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصْذَرُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤]. وما ذلك إلا لحبهم الشديد للمال. وهذا ما دعاهم لأن يتطلبون المال من أي وجه كان، بالحق وبالباطل، ويأكلون السحت الحرام. قال تعالى: ﴿وَآخِذْهُمْ بِرَبْوَاتِهِمْ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١١﴾﴾ [النساء: ١١١]. وقال: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: ٦٢]. وقال: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ [المائدة: ٦٣]. وقد صور القرآن شدة بخلهم حين قال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ٥٣]!

بل وصل الحال بهم إلى أن عبدوا الذهب في صورة العجل! قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: ٩٢]. لقد كان العجل رمز القوة عند الفراعنة الذين كانوا يضطهدون اليهود؛ فكان المفترض فيهم أن يكفروا بكل صورة للعجل، لا أن يحبوه إلى حد العبادة.. حباً وصفه الله تعالى أبلغ تعبير حين قال: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]! ولكن الشخصية الاضطهادية تفرض على المصاب بها أن يقع فيما يسمى في علم النفس بـ(التوحد بالمعتدي). (فيجتاف) المضطهد صفات وشخصية من اضطهده، ويصبح صورة مشوهة عنه.

ولعظمة المال في نفوسهم، وشدة خضوعهم لسلطانه، لم يتصوروا ملكاً أو قائداً إلا غنياً. أما الفقير فلا يصلح للقيادة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

## ٦ - عقدة السيد أو الشعور بالتمايز

تبدو هذه العقدة واضحة من خلال الآيات التالية:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ١٨].  
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].  
﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة: ٩٤].

## ٧ - عقدة التعصب

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُوكَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]. أي لا نتبع إلا ما أنزل علينا، وأما ما كان عند غيرنا فلن نتبعه حتى لو كان حقاً نازلاً من عند الله! فهم لم يقولوا: نؤمن بما أنزل من عند الله مطلقاً، وإنما قالوا: نؤمن من ذلك بما كان نازلاً علينا فقط! فأبي تعصب أبلغ من هذا؟! ومن ذلك قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]. بعد تحايلهم في صرف المسلمين عن دينهم الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ الْتِهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ويتجلى التعصب عندما ينظر إلى (الآخر) على أنه شر كله. ليس فيه من خير قط! وإنكار ما عنده مطلقاً، دون تفريق بين حق وباطل. وذلك رغم ما يشهد بخلافه ما عندهم من كتاب: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَوَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]. أين هذا من النظرة الموضوعية الإسلامية؟ والإنصاف الرباني الذي يعطي كل ذي حق حقه؟ كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]. وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِنْ تَأْمَنُوهُ بِقِنطَارٍ يُودِدَهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنٌ إِنْ تَأْمَنُوهُ بِدِينَارٍ لَّا يُودِدَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. ولا يفوتك النظر إلى تعصبهم المقيت في الآية حين أباحوا مال الغير مدعين كاذبين عن علم ويقين أنه ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ﴾.

ومن تعصبهم ما جاء في قوله تعالى عنهم: ﴿وَلَن رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومنه قوله: ﴿وَقَالَتِ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَجْعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

## ٨ - الخداع والمراوغة

يقول تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَلَا تَلْسُتُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. لكنهم أبوا إلا أن ينساقوا مع انحرافهم النفسي، ويمارسوا دورهم في خداع الناس وتضليلهم! كما قال سبحانه: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُتُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وقال: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩]. وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]. وقال: ﴿فِيْظَلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

ومن ذلك التلاعب بألسنتهم خداعاً وتضليلاً. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ومن أساليبهم المخادعة تلاعبهم بالكلمات كما قال تعالى: ﴿يَتَّأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَفُتُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

وفي قصة (البقرة) شاهد واضح على تأصل طابع المراوغة في نفسية اليهود.

وكذلك تحايلهم في صيد السمك يوم السبت، وقد نهوا عنه. فنصبوا شباكهم ليلة السبت، واستخرجوها يوم الأحد.

## ٩ - الكذب

رصد القرآن أكاذيب اليهود في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [٤٩] أَنْظَرُ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ [النساء: ٤٩-٥١]

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَلِهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]

ومن أكاذيبهم قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا ءَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾. فرد الله عليهم كذبتهم هذه بقوله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

ومنها قولهم للمشركين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥٠].

## ١٠ - الحقد

تجد صفة الحقد عند اليهود بارزة في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ



النَّاسِ عَدَاوَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [المائدة: ٨٢]. هذا وقد ظهر من عداوة النصارى للمسلمين من الفظائع ما ظهر. ومع ذلك فاليهود أشد منهم عداوة. ولكن أولئك يقدرّون فيظهرون، وهؤلاء في أكثر الحقب يعجزون فيضمرون. ويعوضون عجزهم ونقصهم بإثارة الحروب على البشرية عن طريق الآخرين. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤]. وفي الآية تنصيص على العداوات والبغضاء فيما بينهم، فكيف فيما بينهم وبين غيرهم؟!

وحين تستقرى الواقع - والعراق والأحواز شاهد - تجد أن الشيعة أشد عداوة للذين آمنوا من اليهود. وإليهم الإشارة في قوله: (وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا). فقد بلغوا من الشرك وخبث العقائد ما فاقوا بها المشركين من قبل.

## ١١ - اللؤم أو نكران الجميل

انظر كيف أحسن الله إليهم برغد العيش والأمن كما أخبر فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [البقرة: ٥٨]! ثم انظر كيف كان ردهم على هذا الجميل: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]!

وقد تفضل الله عليهم بأنواع لإحسان والنعم، لكنهم قابلوا ذلك بالجحود والنكران. ومن ذلك ما قصه الله تعالى عنهم بقوله الشريف: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ: أَبِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وقد أشار الله جل وعلا إلى لؤمهم وعدم وفاءهم بقوله: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١]. مع هذا الإحسان، وبدلاً من أن يكونوا أول الأوفياء الشاكرين، أبوا إلا أن يكونوا أول الكافرين!!! وأجد في الآية إشارة وجدانية في غاية التأثير، في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ﴾. فكأنه يقول: إذا كان ولا بد فكونوا آخر الكافرين، لا أولهم!

ومن لؤمهم كثرة نقضهم للعهود والمواثيق. كما قال تعالى: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وفي قصة الإسرائيلى مع النبي موسى ﷺ، التي وردت في سورة (القصص)، حين استنصره على عدوه الذي كان يقتتل معه في السوق، مثال واضح على اللؤم وعدم الوفاء عند يهود. لقد كان جزاء موسى على إحسانه أن أفشى ذلك اليهودي السر في اليوم التالي، وتقمص جبة الواعظ وهو يقول لموسى ﷺ: ﴿يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۚ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩]! ودفع موسى الثمن تشرداً راعياً للغنم في الصحراء بعيداً عن أهله ووطنه. بعد أن كان ينعم برغد العيش في قصور فرعون!

## ١٢ - البارانويا وأوهام الاضطهاد

يحس اليهود بالغبن ويشعرون بالاضطهاد من الآخرين، ولو لم يكن حقيقياً، أو كانوا هم السبب فيما يحصل لهم من أذى على سبيل العقوبة والقصاص. وتهدف هذه العملية النفسية لا شعورياً (إلى تبرير أو شرعة العدوان على الغير من خلال تأثيمه وتحميله مسؤولية ما يوجد من شر أو مأزق أو خراب، مع تبخيسه والخط من قدره وتحويله إلى عقبة وجودية في طريق السعادة والوصول إلى تحقيق الذات أو الهدف. يترافق ذلك مع رد فعل يتلخص ببراءة الذات التي تصور كضحية لذلك الغير. وبهذا ينفتح السبيل أمام إطلاق العنان للعدوانية الذاتية في رد فعل تهجمي تدميري ضد

الآخر المسؤول تحت شعار الدفاع المشروع عن النفس. وعماد شرعنة العدوان على الغير هو الإحساس بالغبن، وبروز الاتجاه الانتصافي أو الثأر للذات<sup>(١)</sup>. تجد هذا الانحراف النفسي واضحاً في عداوتهم لجبريل عليه السلام! فقد روى الإمام أحمد رحمته الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن عصابة من يهود حضرت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن أشياء فصدقوه بها جميعاً، حتى قالوا له: (وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك؟ قال: فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك. لو كان وليك سواء - وفي رواية: لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر - لتابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا - وفي رواية: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب - فعند ذلك قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فعند ذاك ﴿فَبَاءُوا بِعَصْبٍ عَلَى عَصْبٍ﴾. وأصل الحديث في عداوتهم لجبريل عليه السلام في صحيح البخاري.

ولهذا السبب شرعنوا وأجازوا لأنفسهم كل ما يفعلونه بالغير من شر وأذى متذرعين بقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. وفيه يبرز (تشبيء الآخر)، و(الاتجاه الانتصافي) في التعامل معه.

### ١٣ - الصفاقة والوقاحة

الصفاقة: قلة الحياء ومثلها الوقاحة. ولم أر كاليهود - ومثلهم الفرس - في صفاقتهم وبرودة وجوههم!

انظر إلى صفاقتهم في افتخارهم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧]!

وإلى جرأتهم وقلة حياءهم مع الله رب العالمين حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]!

(١) انظر فصل المصطلحات العلمية في آخر الكتاب.

وإلى تعنتهم في الاستجابة لدواعي الإيمان حتى قالوا لنبيهم الذي كتب الله تعالى على يده الخلاص لهم من فرعون وظلمه: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]! بل وصل أذاهم له إلى أن اتهموه في عرضه! وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وتأمل هذه الشكوى الأليمة من إنسان لم يبدر منه إلا الإحسان إليهم، ثم هم لا يترددون من وصمه بما وصموه به. حتى لكأنني أحس بصدر النبي الكريم موسى ﷺ يئن وهو يقول لهم: ﴿يَقَوْمَ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]!! وكان النبي محمد ﷺ إذا أُوذِيَ تذكر موسى ﷺ فيقول: (رحم الله موسى لقد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر) رواه البخاري.

#### ١٤ - الخرافية والسحر

أما السحر فهم أهله وأمه وأبوه! نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وتركوه إلى السحر والشعوذة! كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١١] وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

وقد أشربت عقولهم وقلوبهم الخرافة. فهم يستجيبون إليها لأضعف داع. فهاهم اللحظة نجوا من فرعون، وعبروا البحر بأعجوبة معجزة ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فتصور!

وما إن تركهم موسى ﷺ ليناجي ربه، حتى انفرد بهم السامري، واستهوى أفئدتهم بشعوذات خرافية (قبضة تراب ودعوى كاذبة)<sup>(١)</sup> ليحولهم - وببساطة مذهلة - من التوحيد إلى الشرك! ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي﴾ [٩٥]

(١) تأمل التوافق بين تربة اليهود هذه وتربة الشيعة!

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ [طه: ٩٥، ٩٦]!

أما توراتهم المحرفة فتعج الخرافات والأكاذيب الخارجة عن مقتضى العقل. ولست في مقام البحث والتقصي؛ فلا أراني في حاجة إلى الاستشهاد بشيء منها. وأكتفي بهذه الإشارة.

## ١٥ - الحسد

الحسد تعبير عن نفسية طفولية نكوصية، لا يليق بإنسان ناضج، فضلاً عن أمة يفترض أن تكون حاملة لرسالة عالمية. وأرى منشأه من عقدة النقص. فإن المرء المصاب بعقدة النقص إذا وجد نفسه عاجزاً عن مجاراة الآخرين تمنى زوال نعمتهم؛ ليتساووا أجمعين. يقول سيدنا عثمان ذو النورين (رضي الله عنه): (ودت الزانية لو زنت النساء كلهن).

ومما جاء في حسد اليهود من آيات:

﴿يَسْمَا أَسْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

## ١٦ - الغدر

اشتهر اليهود بالغدر ونقض العهود. ومن ذلك ما فعل بنو النضير من محاولتهم قتل رسول الله ﷺ غدرًا بإلقاء صخرة عليه من فوق بناء كان يستظل به عندهم، وقد كان بينه وبينهم عهد وموثق، وجاءهم يستعينهم على دية رجلين قتلتهما أحد أصحابه (عمرو بن أمية الضمري) خطأ. وكان ذلك هو السبب في إجلاءهم. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ  
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ  
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْآبَصِرُ ﴿٢﴾ [الحشر: ٢].  
وقد بَوَّب البخاري في صحيحه: (باب حديث بني النضير ومخرج  
رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ).  
واستشهد عليه بالآية السابقة. وفي سنن أبي داود عن أحد الصحابة قال:  
(أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ...).

### المبحث الثالث

#### المنهج القرآني في التعامل مع اليهود

قبل أن نبدأ البحث في منهج القرآن في التعامل مع اليهود، لا بد أن  
نبين أن اليهود لم ينتفعوا من دعوة الإسلام بشيء، وظلوا على كفرهم  
ودينهم إلا القليل منهم. وهذا يعني عدة أمور، منها:

١ - ليس من شرط العلاج أن يصل بالمريض إلى الشفاء؛ فلربما يكون  
المرض قد بلغ مرحلة اليأس. ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ  
قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَلَمْ يَأْتِ الْزَيْتُ  
ءَامِنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. فلا يصح أن  
نترك العلاج الرباني لعدم انتفاع المدعو به، ونظل نجرب علاجات  
أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، متعللين بما يسمى بـ(الحكمة).  
التي دخل تحت مسماهما كل شيء إلا حكمة الشرع! لقد كان  
رسول الله ﷺ بالغ الحكمة، ومع ذلك لم يستطع هداية قوم استحبا  
العمى على الهدى. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ  
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٢ - إذا كان سبب الضلال مرض القلوب وزيعها، وتشربها بالكفر والبدع  
والمعاصي، فهيها هيهات أن تهتدي. إلا وفق شروط صعبة جداً!  
يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ

أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ [الصف: ٥]. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [البقرة: ١٠]. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٥].

ولهذا لم يهتد اليهود، وما كان لهم أن يهتدوا؛ فتعامل القرآن الكريم معهم على هذا الأساس: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

ولما كان ضلال الشيعة سببه مرض القلوب وزيغها؛ فبعد أن يهتدوا كذلك؛ فينبغي التعامل معهم على هذا الأساس. ولما كانت أمراض الفريقين متشابهة؛ فالعلاج أو التعامل مع كلتا الطائفتين ينبغي أن يكون واحداً أو متشابهاً. فلننظر إلى طريقة القرآن - التي طبقها الرسول ﷺ - في التعامل مع اليهود، ثم نعددها إلى الشيعة. إن هذا هو أقرب شيء إلى الصواب في مواجهة الشيعة ومحاولة علاجهم من مرض التشيع.

مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود فارق، ربما يكون له تأثير في تنوع العلاج شيئاً ما، هو العامل العرقي والاجتماعي. فإن هناك نسبة من الشيعة يمكن أن نقدرها بحدود ١٠٪ تتحسس انتماءها العربي، ولها تقاليدها العشائرية التي ربما تجعلنا نفكر في اتباع وسائل وأساليب محورة بعض الشيء عن الوسائل والأساليب المطلوب اتباعها مع يهود، ومع هذه النسبة (١٠٪) حصراً. مع ملاحظة أمرين مهمين:

١ - أن هذه النسبة لا أثر لها في توجيه الأحداث، وتخفيف حدة التيار الشيعي الشعبي العام. فلا ينبغي التعويل عليها بشيء. إنما ينظر إليها عند البحث في المعادلة الدعوية.

٢ - لا ينبغي أن يؤثر الطمع في تغيير هذه النسبة في الخط العام لأسلوب المواجهة والتغيير، الذي نرى وجوب مشابته التامة لأسلوب القرآن الكريم مع اليهود.

## المعالم الرئيسية للمنهج

في بداية الفصل الأول من كتاب (لا بد من لعن الظلام) كان الحديث عن المنهج القرآني في خطاب اليهود والتعامل معهم، وذلك من خلال (سورة البقرة).

### ١ - الدعوة المجملة إلى الحق

وقد تبين لنا أن القرآن العظيم اكتفى بدعوة اليهود دعوة مجملة مقتضبة إلى الإيمان بالدين الحق وتقوى الله تعالى، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وتطبيق ما في التوراة عموماً، وفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم مع الله ﷻ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.

ويلاحظ على أسلوب الدعوة أنه كان شديداً من البداية، ونبرته تزداد حدة جملة بعد جملة: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ (٤١) وَلَا تَلْسِنُوا أَلْحَقَ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا أَلْحَقَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) [البقرة: ٤٠-٤٤]. وظلت النبرة في علوها المتصاعد آية آية، حتى دمغتهم بمخازي أجدادهم الذين خالفوا الأوامر وارتكبوا ما نهوا عنه فغضب الله فعاقبهم عقوبة يندى لها الجبين. ولم يتردد القرآن في التذكير بها مداراة لهم، أو تقرباً منهم، بل صرح قائلاً: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥) [البقرة: ٦٥].

ولم يكتف القرآن ببيان الحق البعيد عن الإثارة - كما هو ديدن الترضويين المهزومين - بل أمرهم بالحق المعطل الذي ينفرون منه ومن ذكره، فضلاً عن الأمر به. ويلاحظ أنه حتى الدعوة إلى أفراد الحق المتروك كالحكم بما في التوراة، جاءت في أسلوب الإنكار والتفريع على تركهم إياها! اقرأ قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ



فَوَقَّعَهُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾  
[المائدة: ٦٦].

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [المائدة: ٦٨].

## ٢ - التنديد المفصل بالباطل

ومع الدعوة إلى الحق، تجد التنديد بأباطيلهم وانحرافاتهم متشابكا متداخلا. فليس هناك من تورية ولا مجاملة بل وضوح وصراحة كاملة، في ذكر حقائق مرة عن دينهم المبدل وما هم عليه من أخلاق وتليس وكنتم للحق عن علم، وازدواجية لا تتناسب مع حملة كتاب وأمة رسالة. ويلاحظ أن ذكر الباطل جاء مفصلاً تفصيلاً، على عكس الدعوة إلى الحق.

## ٣ - الفضح المعلن للمخازي والسوءات الماضية والحاضرة

وزادت آيات الكتاب فذكرت اليهود بمخازيهم، وكشفت عن سوءاتهم الماضية منها والحاضرة. في سلسلة طويلة من المخازي وسوء الأفعال والأخلاق. ويلاحظ أن غالب المخازي التاريخية جاء ذكره في صيغة الخطاب المباشر، فكأن الذين ارتكبوا تلك المخازي والآثام ليسوا جيلاً أو أجيالاً مضت وانقضت، وإنما هو هذا الجيل الحاضر المخاطب.

## ٤ - لا قيمة لنفرة النافرين أو رضاهم

ويلاحظ على المنهج انه لا يعير أدنى اهتمام لمسألة نفرة أصحاب الباطل من هذا الأسلوب، وانزعاجهم من مواجهتهم بأباطيلهم. بل إن إنكار منكرهم وإبطال باطلهم هو أول ركن من أركان هذا المنهج القرآني العظيم. ألا تجده حين ذكر إعراضهم عن الحق فقال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المدثر: ٤٩] أتبعه بما يزيدهم إعراضاً ونفرة فقال: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ [المدثر: ٥١، ٥٠]؟!

## ٥ - تجريدهم من دعوى الانتساب إلى الأنبياء عليهم السلام

كما جردتهم الآيات الربانية من الانتساب الحقيقي لركب الأنبياء عليهم السلام: إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب والأسباط. في الوقت الذي أعلنت أن هؤلاء (مسلمون) ليسوا يهوداً - ولا نصارى ولا مشركين - وأن الوريث الوحيد لهم الذي يستحق تلك النسبة هم (المسلمون) حملة المنهج الحق الذي كان يحمله أولئك الأنبياء الكرام عليهم السلام، الذي تنصل عن حملة اليهود فكان مثلهم كمثل الحمير تحمل أسفاراً!

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿إِنَّ أَوَّلَى الْنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨].

وجملة القول أن القرآن الكريم حين يذكر المتبوع لا يكتفي بمدحه دون أن يقرنه بالدعوة إلى الغاية العليا منه، إلا وهي الالتزام بمنهجه. مع التصريح بأن الأتباع هؤلاء كاذبون في دعواهم التبعية، بالدليل القائم على ذكر تفاصيل ما يكذب دعواهم من انحرافاتهم المخالفة لمنهجه ودينه ودعوته.

## ٦ - الإعلان عن فشل المنهج التقريبي أو الترضوي

وتعلن آيات الكتاب عن حقيقة في غاية الأهمية ألا وهي: فشل المنهج التقريبي المبني على محاولة إرضاء أمثال هؤلاء، مبينة أن تقريبتهم وإرضاءهم غاية لا تدرك إلا بشيء واحد هو اتباع ملتهم وتلبية رغباتهم وأهواءهم فتكون مثلهم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

والبديل هو دعوتهم إلى الحق الأبلج:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ لَّوَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

ولا يفوتنك أن تستشعر هذه العزة الإيمانية التي افتقدناها من زمان في ظل المناهج الترضوية الهوائية. إن هذه الآيات تضع أهلها أمام خيارين لا ثالث لهما: فإما أن نحترم أنفسنا ونكف عن المداهنات الباطلة، والمحاولات الآيسة الفاشلة، طمعاً في إرضاء خصوم لا يرضون. وإما أن نقطع الشوط إلى نهايته؛ فنكون مثلهم، ونرتاح من هذا العناء (مُذْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ).

#### ٧ - نبرة الاستعلاء والعزة الإيمانية

وتأمل نبرة الاستعلاء في هذه الآيات! تلك التي تغرس الثقة في نفوس المؤمنين، وتجعلهم في منأى عن التردى في حماة الشعور بالنقص، المؤدي بهم إلى الجنوح إلى محاولات الترضية المخجلة المتمثلة في كيل المدائح المجردة للرموز المتبعة كذباً؛ عسى أن يلين أولئك (المتبعون)؛ فيصدقوا أننا نحب رموزهم ونتبعهم حقاً؛ فيرضوا عنا، ونكون منهم ويكونوا منا.

كلا. بل القرآن لا يعترف بانتسابهم هذا من الأساس. إنه يسحب البساط من تحتهم ويجعله تحت المنتسبين الحقيقيين؛ فعلى اليهود وأمثالهم أن يثبتوا لهم صدق دعواهم ويأتوا إليهم ليرضوهم ويفوزوا بمنحهم صك التوثيق والاعتراف. وذلك بالإيمان بمثل ما آمن به المؤمنون المتبعون حقيقة لمنهج الأنبياء عليهم السلام: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ فالإيمان الحق إيمانكم وهو المقياس، وهو النموذج الذي يقاس عليه ويحتذى حذوه. فأنتم الأصل، وأنتم المرجع. وعلى اليهود أن يأتوا إليكم

صاغرين تابعين، وإلا ف﴿وَأِنْ كُفَرُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾. الكافي هو الله؛ فارجع إليه واتبع منهجه تفز بنصره ورضاه، وتكن على يقين من أنك على هداه. وأما من خالف وأبى منهم، فلا تأبه لهم، ولا تشغل برضاهم أو سخطهم؛ فإن الله سيكفيك ويغنيك ويحميك.



## الفصل السابع:

## المنهج الأمثل في مواجهة خطر التشيع

## مشكلة خطيرة فما هو الحل؟

طلعت الشمس، وظهر تحتها كل شيء، وتبين لنا - بما لا يقبل الشك - أن التشيع مشكلة خطيرة، هي من كبريات المشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية. بل هي المشكلة المحورية، و(القضية المركزية) في بلد مثل (العراق).

لا يقتصر خطر التشيع على الدين فحسب. إنه يجتاح الدين والأخلاق والسياسة والاقتصاد، ووحدة الوطن والشعور بالانتماء إليه، وإلى الأمة الأكبر وكيانها ومفاهيمها وقيمها وثوابتها. فمواجهته، والتصدي له ضرورة حتمية من أجل إنقاذ هذه القيم جميعاً.

## لا بد من المواجهة فماذا أعددنا لها؟

إن هذا الخطر المتعدد الجوانب يحتم على الجميع مواجهته، ووضع الخطط والبرامج لحل مشكلته، ومعالجة خطره.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن من الضروري لمن تصدى لهذه المهمة الصعبة أن يضع نصب عينيه ذلك الخليط المتشابك من الأمراض والعقد النفسية، وأن يكون جاداً كل الجدد، ومقدراً موقعه فيدرك المسؤولية الدينية

والوطنية والقومية، والمسؤولية التاريخية التي ينبغي أن يتحملها كل من وضع نفسه هذا الموضع.

لكننا لم نجد في ساحة الدعوة منهجاً واقعياً حكيماً: ينظر إلى الواقع بعين فيحدد المشكلة الكبرى، ويدرس أبعادها الفكرية والنفسية والتاريخية والاجتماعية، وإلى الكتاب والسنة بالعين الأخرى؛ كي يضع العلاج المناسب في ضوء ذلك الهدى الرباني الحكيم. كل الذي وجدنا: رقاعات من هنا وهناك يمكن تلخيصها بكلمة واحدة هي: البحث عن وسائل قربي تجمع بين أهل الحق وأهل الباطل، ولو على حساب الحق. وهو ما نطلق عليه اسم (المنهج الترضوي). إنه منهج يبحث عن وسائل التعايش والتوافق، ولو على حساب الثوابت والحقوق، ولا يبحث عن سبل للحل، ويتطير من ذكره إن كان يسبب أزمة، أو يثير مشكلة، أو يستلزم أي نوع من المواجهة.

وهو منهج فاشل جملة وتفصيلاً، وواقعاً وتأصيلاً. لم يستطع إثبات صلاحيته للمواجهة أمام الهجمة الشعوبية الشاملة الشرسة. لا في علاج الحالة ولا في إيقاف زحفها وانتشارها. وقد شرحت ذلك مطولاً في كتاب (لا بد من لعن الظلام)<sup>(١)</sup>.

### صورة مجملّة للمنهج

حين تطرقنا في الفصل الماضي إلى الخطوط الرئيسة التي رسمها القرآن الكريم للمنهج الأمثل في مواجهة اليهود ودعوتهم، كان ذلك من

(١) في منتصف القرن الماضي لم تكن نسبة الشيعة إلى السنة في بغداد تتجاوز ١٦ وقد سمعنا من شيوخ متقدمين في السن أن شاه إيران قبل أقل من قرن من الزمان أرسل إلى البصرة وفداً يبحثون له فيها عن مكان مناسب ليشيد عليه حسينية، فرجع الوفد خائباً بعد أن وجدوا عامة أهل البصرة من أهل السنة؛ فلم يحصلوا ما بينهم على ما يريدون. والآن تحولت البصرة إلى أكبر موطئ قدم لانطلاق الإيرانيين إلى العراق. هذا إن لم تكن مخابراتهم هي التي تحكمها بعد أن تشيع غالبية أهلها في غفلة أهل السنة، وسيرهم الساذج على ذلك المنهج الترضوي الخائب.

باب النظر في صلاحية تطبيق المنهج نفسه على الشيعة لمواجهة خطرهم الذي استشرى، ودعوتهم إلى الحق طبقاً لأنجح السبل، وأنجح الأساليب والوسائل؛ فليس ثمة منهج أفضل من المنهج الإلهي الذي أودعه الرب في كتابه العظيم. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. والرابط بين الطائفتين (اليهود والشيعة) هو تشابههم في منطلقاتهم النفسية، والفكرية. وعلى هذا الأساس يمكن أن نعطي صورة مجملّة، ونرسم خطوطاً عامة للقاعدة الفكرية التي ينبغي أن يستند عليها المنهج الواجب اتباعه في مواجهة خطر التشيع، ودعوة الشيعة إلى الدين الصحيح بما يلي:

١ - الصدع بالحق ودعوة الشيعة علناً من خلال جميع المنابر الدينية والإعلامية المتاحة إلى دين الإسلام في وضعه الإلهي الأول قبل وجود الفرق. والإعلان بأن الدين الذي هم عليه اليوم، ليس له من الإسلام إلا الاسم.

٢ - الإعلان بفضح أباطيلهم وخزعبلاتهم بتفاصيلها (تحريف القرآن، تكفير الصحابة، الطعن بأمهات المؤمنين، شركهم بالقبور ودعاء أهل البيت وتقديسهم، رد الأحاديث النبوية، العصمة، الإمامة، التقية، المتعة، التقليد، التبعية لإيران وتنفيذ مخططاتها، العمالة للأجنبي، فضح كتب مروياتهم، فضح مخازي علمائهم، إباحتهم دم المخالف وماله وعرضه خصوصاً أهل السنة، مساجد ضرارهم (الحسينيات)، الأذان البدعي، أوقات الصلوات، الوضوء، النياحة واللطميات، التطبير... إلخ).

٣ - عرض مخازيهم التاريخية على مر العهود والعصور، وفضح تزويرهم للتاريخ. لقد آن لنا أن ننهي المعادلة التاريخية الظالمة: أهل السنة يصنعون الأحداث، والشيعة يكتبون تاريخها. (مثال ذلك أبو مخنف الشعبي واعتماد الطبري عليه في تسجيل أخرج فترة مرت بها في صدر دولة الإسلام، وتاريخ الدولة الأموية).

- ٤ - تجريدهم من حق الانتساب إلى (أهل البيت العلوي أو النبوي). والبيان الواضح أن هذه مجرد دعوى وستار كاذب. وإيقاف جميع التهريجات السننية الرامية إلى التقرب إليهم من باب محاولة إثبات حب (أهل البيت) الفاشلة رغم تكرارها منذ مئات السنين!
- ٥ - اتباع أسلوب الهجوم المنظم، والخطاب القوي، المبني على الشعور بالعزة الإيمانية، وأنا أهل الحق، وهم أهل الباطل. والبعد عن اتباع مبدأ الدفاع، والأساليب التقريبية الترضوية الضعيفة.

### المقاصد الكبرى للمنهج

يتبين من تاريخ الدعوة الإسلامية أن المنهج الإلهي المنزل، والذي طبقه الرسول ﷺ مع اليهود لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة من هدايتهم، ولم يتغير منهم سوى أفراد قلائل. لكن المتأمل يجد هذا المنهج قد أفصح عن ثمرتين ونتيجتين عظيمتين هما:

١ - سحب المشروع الدينية من اليهود، ونقلها إلى المسلمين. وكان هذا الأمر صريحاً قطعياً، بلا أدنى أثر للشك أو الضبابية أو المجاملة، أو اللف والدوران تحت أي ذريعة، أو تقدير أي مصلحة من المصالح. وهذا ساهم مساهمة كبيرة في تقليص حجمهم، وخطر تغلغلهم واندساسهم وقبول الناس لهم، واحترامهم؛ على أساس أنهم أصحاب دين سماوي مقبول عند الله.

٢ - تحصين الصف الداخلي منهم، وتفجير طاقات الجماعة المسلمة ضدهم.

وتأسيساً على ما سبق نقول: إن أول خطوة نخطوها في طريق مواجهة الشيعة والتشيع، هو سحب بساط المشروع الدينية من تحتهم. إن على الناس - وأولهم أهل السنة في العراق، وكل مكان مشابه - أن يعرفوا: أن التشيع دين آخر مبتدع لا علاقة له بالإسلام قط. بل أنشئ هذا الدين أصلاً لمحاربة الإسلام وأهله. إن علماء الشيعة لا يؤمنون بهذا الدين الذي جاء به الصحابة رضوان الله عليهم إلى أجدادهم المجوس؛ فهم يكفرون الصحابة



- إلا بضعة نفر منهم - على هذا الأساس. فالصحابا - حسب ادعاء الشيعة - لم يكونوا على دين الإسلام الذي تركهم النبي ﷺ عليه، وإلا لم يكفروهم. إذن الدين الذي كان عليه الصحابة لا يؤمن به هؤلاء العلماء، بل يكفرون به، ويكفرون غيرهم عليه. فماذا بقي لهم من دين الإسلام؟ وعلى أي إسلام هم!!!

هذا وقد أجمعوا على تكفيرنا. لكنهم عند (التقية) يسموننا مسلمين، بمعنى الإسلام الظاهر دون الإيمان الباطن الذي ينجي صاحبه من الكفر والخلود في النار؛ فهو كإسلام المنافقين، الذين يطلق عليهم اسم الإسلام دون الإيمان. ولك أن تلاحظ عليهم أنهم حين يشيرون إلى شيعتهم يسمونهم بـ(المؤمنين). وهو اسم لا يطلقونه على غيرهم؛ للسبب الذي ذكرناه.

وهذه الخطوة هي أول عناصر أساس العلاج أو المواجهة، ألا وهو تحصين الصف الداخلي لأهل السنة والجماعة، وحمايتهم من اختراق الشيعة لهم.

وليس مقصودي الأول بعلاج التشيع هو تحويل الشيعة إلى دائرة أهل السنة والجماعة. وإن كان هذا أعظم في ذاته، ونرمي إليه لأسباب، منها أنه يحل الإشكال من الأساس. إنما أقصد - أول ما أقصد - رسم الخطط، ووضع البرامج الكفيلة باتقاء خطرهم، وتخليص مجتمعنا من شرهم، بتحسين أهل السنة أولاً، ودفع الصائل الفكري والعسكري ثانياً. ثم - من بعد - يكون الاختراق. وأوله محاولة رفع جمهور الشيعة إلى المستوى الحضاري في التعامل الإنساني، كأن يرتفعوا مثلاً إلى مستوى المسيحيين عندنا في العراق في تعايشهم السلمي معنا! ولو كان الشيعة كذلك لما أعطيناهم هذا الاهتمام من جهدنا ووقتنا. على أن أكثر ركاب قطار الدعوة يسلكون الطريق الأسهل لاتقاء شرهم، حين تكون النفس هي المقدمة بالحفظ قبل المجتمع، فيجنحون إلى أسلوب المجاملات والمداهنات، المؤطر بدعوى الحكمة، والمقنن بالنصوص الانتقائية؛ ولذلك فغاية ما

يهتمون به دعوة الأفراد بعيداً عن الجمهور. بينما المطلوب في سبيل وقاية المجتمع - وكذلك هدايته - أسلوب جماعي غايته تغيير المجتمع ككل. وذلك لا يتم إلا بتحسين أهل السنة أولاً، ثم التحرك على الشيعة ثانياً من أجل رفعهم إلى ذلك المستوى الحضاري، وصولاً إلى تغييرهم النهائي، كهدف أبعد ومرحلة أخيرة في طريق التغيير.

### التخبط المنهجي عند النخبة السنية

التقيت في بداية هذا العام (٢٠٠٦) شيخاً فاضلاً يحمل شهادة الدكتوراة في العقيدة. قال الشيخ: ينبغي أن يكون مشروعنا مع الشيعة مشروعاً سياسياً يستند على التحالف مع الوطنيين منهم ضد العملاء والخونة أصحاب المشروع الصفوي الأمريكي. وهذا سيساهم مساهمة أكيدة في تفكيكهم. ولا ينبغي أن يكون مشروعاً دينياً يستند على كونهم يتبعون مذهباً بعيداً عن الإسلام. وهذا ما أدعو إليه، وأيدني عليه كثير من العلماء. فقلت له: عليك أولاً أن تبين حجتك الشرعية في ما تذهب إليه. وليس الحجج العقلية تحت مسمى (المصلحة) غير المضبطة بالشرع. وإلا لماذا نحن (إسلاميون)، وغيرنا (علمانيون)؟ فما هي حجتك أو دليلك الشرعي؟ فلم يحر جواباً!

فقلت له: لسنا ضد المشروع السياسي أو الوطني. بيد أن أدلة الشرع تقضي بأن المشروع السياسي يأتي من وراء المشروع الديني، وليس قبله أو بدلاً عنه. فالرسول ﷺ تحالف مع اليهود سياسياً، ولكن.. بعد أن حسم الموضوع دينياً. لقد بين لهم أنهم ليسوا على شيء من الدين، وأنهم كفار لا نصيب لهم في الآخرة إلا النار. لكنه يعيش وإياهم على أرض مشتركة؛ فلينظموا بينهم وثيقة تضبط هذه العلاقة، ومن بنودها الدفاع المشترك عن هذه الأرض أو الوطن. وهذه سياسة. ولم يكن من شرطها التغطية على حقائق الدين، أو المشروع الديني. إن الصراحة الدينية لا تمنع العلاقة السياسية. ولكن بشرط هو وجود القوة التي تُجبر خصمك على التعامل معك. وهذا الشرط إذا فقد فلا قيمة لكل المجاملات السياسية، والعهود والمواثيق والتحالفات الوطنية. كن قوياً وقل ما شئت، فلن يتأثر مشروعك

السياسي. وكن ضعيفاً وجاملاً ما شئت فستخسر الدنيا والآخرة: لا دين، ولا سياسة. كن صريحاً في موقفك من الشيعة، اسحب بساط المشروعية الدينية من تحتهم؛ وسترى!

أما إذا نظرنا إلى الأمر من الزاوية السياسية، فالخسارة واضحة لمن أراد أن يرى. وهنا أسأل: على من تعتمد في مشروعك الوطني الذي تريد أن تفكك به أحلاف الشيعة، وتشق صفوفهم؟ قال: في الجنوب عشائر عربية، تكره الفرس، ووطنيون يمكن التعامل معهم. قلت: كم نسبتهم؟ قال: كم تقدر أنت نسبتهم؟ قلت: إذا زدنا فهم لا يتجاوزون الـ ١٠٪. قال: هذه نتيجة مرعبة. قلت: فماذا تظن؟! ثم ما تأثير هؤلاء على التيار الجارف الذي يأخذ بهم إلى الجهة الأخرى؟ ناهيك عن النفسية الجمعية التي تسيّرهم في نهاية المطاف. نعم يبدو هؤلاء كما تظن، حين يجلس أحدهم أو بعضهم معك. لكن حين ينصرفون إلى قومهم، ويتصرفون طبقاً للعقلية والنفسية الجمعية للجمهور الشيعي فلن يختاروا في النهاية إلا الاصطفاف مع ذلك الجمهور. كما أن غريزة الحياة، والنفسية النكوصية التي لا تجد الأمان ولا تحس بالاطمئنان إلا ضمن الجماعة المغلقة، وتحت ظل المرجع الوالد (دام ظله)، وغيرها وغيرها من العوامل المرئية وغير المرئية ستدفعهم دفعا إلى هذا الاختيار. أما إذا نزلنا من عالم الخيال والأمني إلى أرض الواقع فلنا أن نسأل: هل حصل شيء من هذا الذي تقولونه عن تحييد بعض الشيعة، وتفكيك صفهم؟ وعندنا (مقتدى الصدر) مثال واضح يدحض هذه النظرية: لقد اندفع معه الكثيرون من أهل السنة ونخبهم. حتى تكلموا بما قد يخالف الحق والحقيقة! اتقاء الفتنة، ودرءاً للتصادم وحلول الكارثة. لكن ماذا كانت النتيجة؟ ها هو الآن يصطف مع قتلة أهل السنة: الحكيم والجعفري وصولاً إلى .. و.. وينفخ الروح في قائمة (الائتلاف الشيعي) في الانتخابات الأخيرة! فأني صف استطعتم شقه؟ وكم حلفاً للشيطان تمكنتم من تمزيقه؟ فعن أي سياسة، وأي مشروع سياسي تتحدث؟!

كان هذا اللقاء في كانون الثاني، أي قبل أحداث سامراء وظهور

مقتدى وعصابته على حقيقتهم. ولك أن تلاحظ أن أصحابنا يتكلمون عن نظريات وأحلام، لعلهم لم يكلفوا أنفسهم التحرك قيد أنملة باتجاه محاولة تطبيقها، على الأقل من أجل فحصها؛ ولهذا السبب تبقى أفكارهم جامدة بعيدة عن الواقع مهما تقادم الزمن، وجرت الأحداث بغير ما يقولون. اللهم إلا إذا حدثت فضائح ضدها من عيار فضائح مقتدى الأخيرة وعصابته المسعورة. وهنا لا يغيرون القاعدة، ولا يتنازلون عنها! وإنما يحولونها إلى آخر وآخر كالبلغدادى والخالصى والحسنى وبقية الثعالب. وهذه مصيبتنا.. ما لم نخرج على القطيع. ومن الأدلة على هذا أن الشيخ المعنى يطرح أفكاراً ويقعد نظريات ويرسم مشروعاً، لا يعرف هو عن أولياته البسيطة شيئاً. فهو لا يعرف كم نسبة أولئك الذين يتحدث عن عروبتهم ووطنيتهم، لينبئ عليهم مشروعه الخيالي؟! ولا يملك معرفة عن الأسس النفسية لحركة المجتمع! هذا وهو ممثل لهيئة تدعو إلى هذا المشروع منذ حوالي ثلاث سنين من التاريخ أعلاه. فوا عجبى!!!

### التحصين ثم.. التحصين

علينا أن نشتغل بتحصين صف أهل السنة، وتنمية مناعتهم ضد التشيع، وتحذيرهم من الشيعة. واستغلال الظرف الحالي قبل فوات الأوان في ترسيخ الحقيقة التي تبين أن الشيعة أصحاب دين يمنعهم من التعايش مع غيرهم من المذاهب. دين يحثهم على قتل السنى وأخذ ماله وانتهاك عرضه، وإزاحته من أرضه، وإخراجه من وطنه. فضلاً عن تكفيره. وهذا هو الذي يفجر كل الطاقات - الدعوية وغيرها - باتجاه الشيعة.

إن تحصين أهل السنة هو حجر الزاوية، والأساس الذي يعتمد عليه المنهج. ولا يجوز المساس به، والتقصير بشأنه مهما كلف الأمر. وإلا كنا كمن يسير في فراغ، أو يبنى بلا أساس.

### التشابه بين الشيعة والمنافقين

بين الشيعة والمنافقين من التشابه ما يمكن اعتبارهم صورة من

صورهم، ونموذجاً من نماذجهم. كذلك اليهود. وأبرز جامع بينهم هو النفاق نفسه؛ فإنه لدى اليهود والشيعة دين يدينون الله به!

يقول تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

والشيء نفسه قاله تعالى عن اليهود: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦].

والشيء نفسه يقال عن الشيعة من خلال مبدأ (التقية) اليهودي، الذي بلغت منزلته عندهم حداً أن جعلوه تسعة أعشار الدين! وهذا يقودنا إلى أهمية كون الخطاب مع الطرفين (الشيعة والمنافقين) واحداً أو متشابهاً.

وعندما نبحث في منهج القرآن في خطابه للمنافقين نجده يكاد يتلخص في الفضح والإنكار فقط. كما نجد أن القرآن العظيم يعطي للمنافقين من الاهتمام أكبر من اهتمامه بالكفار الصرحاء من اليهود والنصارى والمشركين! فالتركيز على أباويلهم وصفاتهم وكشف سوءاتهم وأساليبهم أشد مما هو عليه مع الكفار! وكذلك لهجة الخطاب نجدها أعنف وأغلظ! أما دعوتهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق فلا نجد لها أثراً سوى إشارات خفيفة قليلة هي إلى اليأس من توبتهم أقرب منها إلى الطمع فيها. والسبب في هذا - والله أعلم - (أن المنافقين ومرضى النفوس لا يتيسر علاج أدوائهم من داخل أنفسهم في غالب الأحيان - لفقدان الوازع وغياب الضمير. ولما كانت عللهم متعددة في الضرر إلى غيرهم، لزم توجيه علاجهم من خارج ذواتهم لا طلباً لبرئهم هم، بقدر ما هو لأجل حفظ الناس من شرور أمراضهم)<sup>(١)</sup>.

(١) جهاد المنافقين، ص ١٣، عبدالعزيز كامل. راجع كتابنا: (لا بد من لعن الظلام).

### المعالم الرئيسية للمنهج القرآني في خطاب المنافقين

ذكرت في كتاب (لا بد من لعن الظلام) أن المعالم الرئيسية للمنهج القرآني في خطاب المنافقين تتلخص في أربعة فقرات هي:

١ - التركيز الشديد على ذكر فضائحهم وأباطيلهم ولعن ظلامهم، حتى يكاد أن يكون هو العنصر الوحيد من عناصر المنهج!

٢ - الغلظة الشديدة في الخطاب، ومواجهة القوم بأباطيلهم أكثر مما هي عليه مع الكفار الصرحاء.

٣ - عدم إعطائهم الفرصة للقيام بما يمكن أن يؤدي مستقبلاً إلى استقلاليتهم وانحيازهم ليظهروا كطرف له كيانه الخاص ومعالمه الدالة عليه. بل ضرب بيد من حديد أول بادرة لذلك متمثلة بمسجد (ضرار). بل إن رسول الله ﷺ وسع الأمر الإلهي إلى أبعد حدوده، فقام بهدم المسجد وحرقه وإزالة معالمه مع أن ظاهر الأمر ليس فيه أكثر من النهي عن الصلاة فيه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

٤ - كبت المنافقين وجعلهم يعيشون حالة من الخوف والشعور بالنقص ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، تعبر عن نفسها بمحاولاتهم ترضية المؤمنين، وادعاء أنهم منهم، والقسم بالله على صدق ما يدعون، والمجيء إلى الصلاة ولو كسالى، والإنفاق ولو كارهين. وفي الوقت نفسه واجه القرآن كل تلك المحاولات بالفرض الواضح، والاستنكاف من قبولهم أو اعتبارهم من المؤمنين أو الالتقاء معهم في وسط الطريق.إ.هـ.

وإذا كان التشابه واقعاً - وهو كذلك - فإن هذا يستلزم أن تكون لهجتنا في خطاب الشيعة أغلظ وأعنف منها مع اليهود.

### قانونان: أحدهما لتغيير الفرد، والآخر لتغيير المجتمع

من خلال المعاناة المستمرة، والتفكير الدائم في كيفية الوقوف في وجه الزحف الشعبي المتواصل، وإيقاف تقهقر أهل الحق المتزايد مع

الزمن. هذا مع سعي الكثيرين من المخلصين ومحاولاتهم الدعوية الدائبة توصلنا إلى أن الخلل الأكبر يكمن في المنهج الدعوي الذي سارت عليه الأجيال من قبل، ونحن من ورائهم عليه نسير. إن المنهج الحالي فاشل، ودليل فشله - بصرف النظر عن كل شيء - هذا الواقع الذي يصرخ مدلاً على ذلك الفشل!

المنهج المختل - وهو الذي نطلق عليه اسم المنهج الترضوي - لا يصلح لتغيير المجتمع، وإن نجح في تغيير بعض الأفراد قلوا أم كثروا. لقد اكتشفنا ونحن في وسط المعمعة أن هناك قانونين للتغيير: أحدهما يصلح للفرد، والآخر للمجتمع، وأن إصلاح الفرد - مهما كثر عدده - لا يعني ضرورة إصلاح أو تغيير المجتمع. وأصحاب المنهج الترضوي لا يدركون الفرق بين القانون أو الأسلوب اللازم لتغيير الفرد أو عدد من الأفراد، وبين القانون أو الأسلوب اللازم لتغيير المجموع أو المجتمع. وهذا خلل كبير وخطير في المنهج يجعله مشلولاً وعاجزاً عن إحداث التغيير الاجتماعي. نعم قد ينجح في استمالة بعض الأفراد، ولكن على حساب خسارة المجتمع، والتفريط به ككل.

وما إن أدركت ذلك حتى أخذت أبينه وأشرحه من خلال خطبة الجمعة، والمحاضرات الأسبوعية، والدروس واللقاءات الخاصة وغيرها. وكتبت رأيي في هذا في كتاب (لا بد من لعن الظلام) الذي استغرق مني حوالي سنة كاملة، وانتهيت منه في آذار ٢٠٠٢م. وبنيت ذلك على أن للمجموع - أو المجتمع أو الجمهور - الذي نخاطبه تركيبة (نفسية وعقلية) جمعية تختلف عن نفسية وعقلية الأفراد المكونين له كلاً على حدة. وإذن لا بد - تبعاً لذلك - أن يكون هناك أسلوبان أو قانونان للتغيير، وليس أسلوباً واحداً. واشتقت من ذلك عدة قوانين فرعية أهمها أن تغيير فكر المجموع لا يتم إلا بأسلوب (الطرق المستمر) الذي يقوم على التركيز على فكرة مبسطة يتكرر طرحها بقوة وتأكيد جازم، دون النظر - في البداية - إلى قبولها من المجتمع أو رفضها. حتى إذا أخذت استحقاقها الزمني رسخت في ذهن المجتمع وصارت من المسلمات، بغض النظر عن خطئها من

صوابها. ولا يتغير المجتمع بالأسلوب العقلاني المنطقي وحده دون المؤثرات النفسية مع الطرق المستمر.

وقد استفدت ذلك من خلال الرصد والنظر والتحليل، ومعاناة الفشل والنجاح، والبحث في الأسباب المؤدية إلى كل منهما. ومن ذلك الملاحظة الشخصية للتجربة الدعوية التي مررنا بها في دائرة الأسرة والأقارب والعشيرة والمجتمع المحيط بها. كم كان شاقاً على أحدنا أن يقول لأهله، أو يصرح في محيطه قبل ثلاثين عاماً بأن دعاء (الأئمة) والنذر لهم والقسم بهم شرك لا يجوز! ولم تكن حججنا العلمية والمنطقية تنفع إلا مع القلة القليلة منهم. أذكر أنه كان من أوائل المهتدين للعقيدة السليمة من هذه القلة ابن خالة لي بتأثير من أخي الكبير رحمته الله. هل تعلم أن هذا الشاب قد صار أضحوكة لأهله وأقاربه حتى أطلقوا عليه لقب (أبو الشرك)؛ فلا يدعونه في كثير من الأحيان إلا به! فإذا سأل أحدهم عنه قال: أين راح (أبو الشرك)؟ وإلى أين ذهب (أبو الشرك)؟ ومتى جاء (أبو الشرك)؟ لكثرة نهيه لهم عن الشرك! كان ذلك عام ١٩٧٣م. وتمر الأعوام تلو الأعوام فيتغير أولئك الناس حتى صاروا دعاة للتوحيد، ومن طراز (أبو الشرك) هذا! وكم تذكروا أيامهم الخوالي وهم يتندرون بها، ويضحكون من عقولهم كيف كانت تستسيغ تلك الخرافات؟ ولا تريد الفكاك عن تلك الخزعبلات؟! لقد تغيروا - وكان التغير جماعياً كأنه قد حصل مرة أو جملة واحدة - لا لأنهم قد اقتنعوا في لحظة ما بما كانوا يسمعون من حجج، وإنما بسبب (الطرق المستمر) القوي والمؤكد على آذانهم بالموضوع الذي كانت فقراته تتغلغل شيئاً فشيئاً دون أن يشعروا إلى داخل عقولهم وقلوبهم.

وحين رجعت إلى القرآن والسنة وسيرة الرسول والأنبياء جميعاً والمصلحين عموماً على مر التاريخ ومختلف الأماكن تعززت عندي هذه الملاحظة، وتحولت إلى قناعة راسخة بعد أن تأكد لدي أن الجميع كانوا يتوجهون بالخطاب إلى المجتمع أولاً قبل الفرد. وأن تغيير الفرد سيقع كتحصيل حاصل في النهاية. على أنه ليس من تفريط بأسلوب مخاطبة الفرد حين يكون القصد بالتغيير متوجهاً إليه في أي ظرف من الظروف.



ولكون اطلاعي على كتب علم النفس لم يكن يومها بتلك السعة؛ فقد تصورت أن المهتمين بهذا العلم لم ينتبهوا إلى (علم نفس المجموع) حين اقتصرُوا في دراساتهم على علم نفس الفرد وأمراضه النفسية. وأفضيت بهذا التصور إلى البعض من خاصتي. وقد وجدت بعد أكثر من سنتين على تأليف الكتاب السابق إشارة بسيطة ضمنتها إياه حين طبعته ونشرته في العام الماضي / ٢٠٠٥م، وذلك في ثانياً كلام علي عزت بيجوفتش في كتابه القيم (الإسلام بين الشرق والغرب) هذا نصها: (لقد أثبت علم نفس الجماهير، كما أكدت الخبرة، أنه من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع)<sup>(١)</sup>. وقد اعتبرت هذا النص في حينه اكتشافاً ثميناً من شخصية معتبرة يؤيد كلامي عن أسلوب (التكرار والطرق المستمر)، ولم أنتبه أبداً يومها إلى مدلول عبارة (علم نفس الجماهير) التي وردت في بدايته كما انتبهت إليها اليوم وأنا أعيد قراءتها. وقد كنت أسمع بين حين وآخر عن (العقل الجمعي)، لكنني ظلت على ذلك الوهم حتى وقعت في أيلول الماضي / ٢٠٠٥م على كتاب (سيكولوجية الجماهير) للعالم الفرنسي غوستاف لوبون المنشور عام ١٨٩٥م، وكنت يومها في معرض للكتب في دمشق، أبحث علني أجد كتاباً للأمراض النفسية الجمعية، فلم أعثر من ذلك على شيء، وشد انتباهي عنوان الكتاب فاقتنيته. وحين أخذت أطلعه فوجئت بمطابقة كثير من آرائه للآراء التي توصلت إليها وقمت بنشرها من قبل، دون أن أدري يومها - ولا أحد من حولي كان يدري - أنني كنت أكشف النقاب عن أعظم قوانين التغيير الاجتماعي. وتبين لي أن العلماء قد خاضوا في علم نفس المجموع منذ أكثر من مائة عام، وعلى رأسهم غوستاف لوبون الذي يعتبر مؤسس (علم نفس الجماهير) ورائده الأول كما جاء في مقدمة الكتاب. وستجد بعض الاقتباسات من هذا الكتاب القيم خلال الصفحات القادمة. فاطمأنت إلى أن ما أبديته من ملاحظات، وثبتته من قواعد في

(١) الإسلام بين الشرق والغرب، ص ١٠٨، علي عزت بيجوفتش.

التغيير الجماعي (الجماهيري) لم تكن نتاج عقل قاداته المعاناة إلى ما قاداته إليه، ربما كان لردود الأفعال غير المحسوبة بدقة أثرها وطابعها عليه. بل هي قواعد مدروسة طبقاً للمنهج العلمي التجريبي. وأنا كنت أقيّد ردود أفعالي تقييداً علمياً صحيحاً. إن هذه القواعد قد أثبتتها وأرساها من قبلي علماء كبار، ثم قاموا بإعلانها على الملأ، حتى صارت علماً مستقلاً يدرس ويطبق؛ فحمدت الله تعالى، وذكرت هذا من أجل تعزيز القناعة بها لدى طلاب الحق وحملة القضية.

### أساليب عامة وأساليب خاصة

الشيعة كمجموع - ننظر إليه كأى مجموع آخر - يسري عليه القانون العام في التغيير الجماعي كما يسري على غيره. أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار خصوصياته النفسية والعقلية التي يفترق بها عن غيره فلا بد أن يؤثر ذلك في المعادلة؛ فنحتاج إلى تعديلات أو إضافات تتناسب وتلك الخصوصيات. وبناءً على هذا سنقسم الكلام إلى قسمين:

القسم الأول: يبحث في الأساليب والمبادئ العامة للتغيير

القسم الثاني: يبحث في الأساليب والمبادئ الخاصة بالشيعة

### □ القسم الأول: الأساليب والمبادئ العامة

#### ١ - تبني مبدأ (القضية)

وجدت أغلب الناس - بما فيهم كثير من المفكرين والمنظرين - ينظر إلى المسائل التي تشغله: دنيوية كانت أم دينية نظرة جزئية تفكيكية. بمعنى أنه ينشغل بمسألة ما فيجعلها محط نظره ومحور اهتمامه وحركته ليهمل بقية المسائل. أو يعالج كل مسألة على حدة، دون أن يسلكها بخيط واحد، ويرجع بعضها إلى بعض. وهكذا يفعل كل فريق. وفي النهاية ينقسم المسلمون في البلد الواحد أقساماً غير متجانسة، تتنافر فيما بينها وتختلف تبعاً لاختلاف المسائل التي تبناها كل فريق على حدة دون اتفاق أو تنسيق.

وهذا ما نهى الله عنه وذمه بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]. إن هذا يقطع المقتسمين أنفسهم ويحبلهم شيعاً وأحزاباً متنافرة كما قال تعالى: ﴿فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]. فأخذ بعض الدين ونسيان بعضه يؤدي إلى هذه النتيجة المأساوية.

وللخروج من هذا المأزق لا بد من اللجوء إلى نظرية (القضية). فيها وحدها نتمكن من حل جميع الإشكالات، ونعطي جميع المسائل الممكنة ما يناسبها من اهتمام.

إن نظرية (القضية) تعلمنا - نحن كإسلاميين - أن للدعوة محوراً هو المشكلة، أو المسألة الكبرى في الواقع المعين تدور حوله (القضية) استناداً إلى قاعدة التوحيد.

إن محورية الدعوة لا تعني أبداً إهمال المسائل الأخرى غير المحورية، وهي تقترب أو تبتعد عن المركز الذي تستقر فيه المسألة الكبرى وتتحرك لتكون هي محور الاهتمام أو (القضية). بل الأمر على العكس تماماً. فإن وضع اليد على المحور، وتشخيص (القضية) يعطي لبقية المسائل أهميتها وحيويتها كلاً بحسبها، ويحركها ليجعلها تدور في فلكها الخاص بها وهي تنشأ إلى المحور بدل أن تظل جامدة ميتة، أو مغلفة لا حراك فيها.

إن (القضية) هي النظام أو السلك الذي يشد حبات العقد ليصنع منها تركيباً جميلاً مترابطاً. وبفقدان ذلك النظام أو انقطاع السلك تنفطر الحبات أو الخرز فلا يبقى هناك عقد. إن لكل دعوة قضية تنبع من واقعها تشد المسائل المطروحة كما يشد النظام حبات العقد فإذا انفقدت (القضية) انفطرت عقد هذه المسائل وفقدت حيويتها وصارت بلا هدف يمكن تحقيقه من ورائها.

وبهذا يتبخر الاعتراض القائل بأن الدعوة لا يصح أن تحصر في قضية مواجهة التشيع أو المشروع الإيراني، وتهمل بقية القضايا. حيث قد

أصبح واضحاً أن تبني هذه القضية لا يلغي أياً من القضايا المطلوبة، بل يمنحها الحيوية والحياة، ويجعلها تتحرك وتدور حول محور يَمُور بالفاعلية والحركة والنشاط:

فمن جعل التوحيد وتصحيح العقيدة غايته نقول له: إن هذا المطلوب أول خطوة في طريق (القضية).

ومن جعل التقوى والتركية القلبية شاغله نقول له: إن هذا هو لب التوحيد وعماد العقيدة.

ومن جعل العبادة هدفه ووجهته نقول له: إن (قضيتنا) لا يصلح لحملها إلا جيل عابد.

ومن جعل الجهاد طريقه ووسيلته قلنا له: لا (قضية) بلا جهاد، ولا جهاد بلا (قضية). وجهادنا أعظم الجهاد في الواقع الذي نعيشه لأنه يجاهد المنكر الأكبر والأصعب فيه.

ومن أراد حشد الناس وتأليفهم، وتنظيمهم في جماعة معينة، قلنا له: إن الحشد والجمع لا بد أن يكون من أجل (قضية)؛ فالقضية الحقيقية أعظم وسيلة لتحقيق هذه الغاية. فتبني هذه القضية تحل مشاكل العراق دينياً واجتماعياً وسياسياً.

ثم.. إن (قضيتنا) لا تنجح دون وعي بالسياسة والواقع وما يدور في العالم.

وتحتاج إلى معرفة عميقة بالنفس البشرية وصيغ التعامل معها والسنن الكونية في التغيير.

والى معرفة بالكتاب والسنة والسيرة والتاريخ والجغرافية كذلك. واللغة والعقائد والفرق.

وإلى التعرف على الدسائس والمؤامرات وعلاقات الفرس باليهودية والصليبية.

ولا يحملها إلا وطني صادق وعروبي غيور.

... وهكذا ما من مسألة ولا علم مهم أو ضروري إلا وتجد القضية في حاجة إليه، وتعطيه من الاهتمام ما يناسبه. فرق جوهري هو أن هذه المسائل والعلوم تكون حية متوهجة متحركة حين تكون في خدمة (القضية)، وميتة خامدة جامدة حين تنعزل منفردة على قارعة الطريق.

ولعل سائلاً يسأل: ما هي قضيتنا نحن أهل العراق، وبقية المناطق أو الأقطار المشابهة؟ فأقول: إننا في العراق نواجه - ومنذ فجر التاريخ - خطراً هو أكبر الأخطار بل هو مجمع الشر وأم الخبائث من الشرك والنفاق واستباحة الدماء والأموال والأعراض والطائفية والفرقة والتآمر والكيد والدس والاغتيال الفكري والجسدي والولاء للأجنبي والطعن في الكتاب والسنة والتاريخ والرموز... الخ. وقد استطاع أن يجند لصالحه الملايين.

هذا الخطر هو الشعبوية أو المجوسية المقنعة. إنه التشيع الفارسي أو الصفوي. إنه الغزو الشرقي قبل الغربي. فالوقوف بوجه هذا الخطر هو (قضيتنا) الأولى. وهي القضية التي نستطيع توجيه كل الجهود نظرياً وعملياً علماء وعامة قادة وجماهير باتجاهها، وحشدنا لحلها وعلاجها.

## ٢ - التكرار والطرق المستمر

قد يتغير الفرد بالحوار الشخصي، والأساليب العقلانية في دوائر النقاش، وتبادل الآراء في اللقاءات الخاصة، والاجتماعات المحدودة. ولكن المجتمع سيظل في عزلة عن هذا التغيير. ولا يتأثر به إلى الحد الذي يمكن اعتباره كبيراً وشاملاً، ما لم يحصل الصدع بالفكرة مع الطرق والتأكيد المستمر العلني بها، ويستغرق ذلك زمناً قد يطول جيلاً أو جيلين تبعاً لتوفر العوامل والظروف المطلوبة. على أن يكون قوياً مؤكداً وجازماً.

إن (العقل الجمعي) للمجتمع لا يتغير قط إلا بهذا الأسلوب، الوحيد الذي يمتلك الفاعلية على جعله يتأثر ويستجيب - بلا وعي، وشيئاً فشيئاً -

لدواعي الفكرة، التي ستتغلغل فقراتها على مدى الزمن المطلوب، حتى يأتي يوم يكون فيه مهياً للضربة الأخيرة فيسقط الجدار. وقد يكون سقوطه فجأة؛ لطول ما تفاعلت فيه عوامل التغيير. مثله كمثّل بحيرة ماء تضرب أمواجها جداراً من طين، أو تحفر في ذراته شيئاً فشيئاً. إنه يتصدع - ولو ببطء - حتى يأتي يوم فينهار. وبهذا الأسلوب تمكن أهل الباطل من نشر باطلهم.

يقول د. علي الوردي: إن عيب البرهان المنطقي أنه لا يستطيع أن ينمي في النفس عقيدة. فالعقيدة بنت الإيحاء والتكرار. ولهذا السبب نجد وعاظنا ومفكرينا لا ينجحون في تبديل أخلاق الناس، أو تغيير عقائدهم إلا نادراً. فهم يحاولون دائماً أن يقنعوا الناس عن طريق الجدل، وإقامة الدليل، وما أشبه. هذا بينما الناس يسировون في أمورهم الفكرية والاجتماعية على أساس ما انطبع في عقولهم الباطنة من أفكار وعادات وقيم. فتهتلر لم يبعث في الأمة الألمانية تلك الحماسة، وذلك التعصب العجيب لآرائه بواسطة الإقناع المنطقي. إنما هو قد فعل ذلك بالإيحاء والتلقين والتكرار، وبواسطة الاحتفالات والاجتماعات والاستعراضات: حيث كانت الموسيقى تعزف، والأعوان تهتف، والرايات تخفق، والطيارات تملأ بهديرها الفضاء.

إن كلمة تكرر قولها على نفسك مرة بعد مرة، لقادرة أن تطبع في عقلك الباطن شيئاً من الإيمان بها قليلاً أو كثيراً. والإيمان يزلزل الجبال كما يقولون.

ينتقد بعض الكتّاب القرآن لأنه يكرر القصص وآيات الوعظ مرة بعد مرة، ويذكر الله وآثاره في الكون في كل صفحة من صفحاته. وما درى هؤلاء المغفلون بأن هذا التكرار الذي ينتقدونه هو الذي طبع في نفوس العرب ذلك الإيمان العميق بالله، وجعلهم يحطمون إيوان كسرى وعرش قيصر في سنوات معدودة<sup>(١)</sup>.

(١) خوارق اللاشعور، ص ١٢٨، د. علي الوردي.

### ٣ - الصدع بالحق

الإسلام دين جماعي. أي جاء لتغيير الجماعة قبل الفرد. والإسلام ليس علاقة قاصرة بين الفرد وربه، مجردة عن المجتمع، أو بعيدة عنه. نعم هو علاقة بين العبد أو الفرد وربه، ولكن من خلال المجتمع.

إذن جاء الإسلام لتغيير المجتمع، وتصدى لمخاطبته ككل، وليس لخطاب فرد أو مجموعة من الأفراد. لهذا اتجه الرسول ﷺ بدعوته إلى المجتمع، ولم يقتصر بها على الأفراد. فكان يصعد على جبل الصفا ويصيح في جموع قريش، ويغشاهم في نواديهم وأسواقهم، ومواسمهم. وهكذا فعل أصحابه رضي الله عنهم. ولم تشغله دعوته الفردية عن هذه المهمة الاجتماعية. بل سخر الأولى لخدمة الثانية.

إن منهج الإسلام التغييري الجماعي يقوم أول ما يقوم على الإعلان الواضح بالدعوة، والصدع المستمر - وبلا انقطاع - بالحق، وإنكار ما عليه المجتمع من باطل جهراً، دون الاكتفاء بطرح الأفكار في الزوايا الضيقة.

وكان ما فعله النبي ﷺ تطبيقاً أميناً لما جاء في ذلك من توجيهات الوحي الإلهي النازل عليه. كما قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقال: ﴿قُلْ بَتَّائِهَا الْكُفْرُ وَهُوَ قُلُوبُهُمْ مَّابَدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢، ١]. وقال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنلَهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

بهذا الأسلوب توصل نبينا من تغيير المجتمع. وبه تمكن أهل الباطل من نشر باطلهم.

مشكلتنا أن عامة دعاة أهل السنة عندنا يجنحون عند خطاب الشيعة إلى الاختصار على الحوارات الخاصة المعزولة. أما الجهر بالحق، والإعلان الصريح به من خلال الوسائل التي تصل بصوتهم إلى المجتمع كمنابر الجمعة والإذاعة والتلفاز، والصحف وغيرها من الوسائل، فيتحاشونه كما يتحاشى المجذوم، أو أشد! وهذا أحد العلل الكبرى في مسيرة الدعوة والتغيير.

إن السكوت وعدم الإعلان بالحقيقة الصريحة في وسط المجتمع خشية أن نفقد عدة أشخاص تربطنا معهم علاقة من أي نوع، أو جاءوا إلى المسجد القريب مثلاً يؤدي إلى أن يظل المجتمع سادراً في غيه، جاهلاً بحاله، مستمراً في ضلاله. لأنه لم يجد أو يسمع من يعرفه بالحق من الباطل.

إن مجاملة المجتمع علناً، والاقتصار ببيان الحق من الباطل على الأفراد في المجالس الخاصة والأماكن المغلقة، لا يمكن - في يوم من الأيام ولم يحصل في التاريخ - أن يؤدي إلى التغيير الاجتماعي المطلوب الذي هو مهمة الإسلام الأولى، وينبغي أن يكون مهمة كل مسلم داع إلى الإسلام بحق.

إن الصدع بالحق يحرك السواكن ويشير العقول ويدفع النفوس باتجاه النقاش والجدل والحوار، الذي ينبغي أن نستثمره ونجعله - كما أوصى ربنا - بالحسنى وحسب الضوابط الشرعية. ويؤدي كذلك - وبقوة - إلى مراجعة الأفكار وإثارة الحوارات الذاتية والمثنوية مما يعطي للأفراد فرصة أكبر للوصول إلى الحقيقة مستقبلاً وتنشيط الدعوة الفردية كذلك.

لا بد إذن من التفريق بوضوح بين أسلوب الإعلان بالدعوة خطاباً للمجتمع، وبين الحوار الفردي في الزوايا الضيقة أو اللقاءات الخاصة أو عن طريق العلاقات الاجتماعية الفردية، الذي لن يؤدي - في أحسن أحوال - إلى أكثر من تغيير أفراد معدودين، مهما كثروا لن يحدثوا تأثيراً له وزنه في تغيير معادلة المجتمع المختلفة، بالاتجاه الصحيح، نحو الهدف المطلوب.

#### ٤ - التكامل

إن هذا التأثير - حتى يتم - يحتاج إلى تكامل دعوي يقترن فيه الصدع بالحق من قبل ما يكفي من الدعاة والكتاب والخطباء والمفكرين والمحاضرين، الذين يتقدمون الصفوف، بالحركة أمام الجمهور الواعي المساند، الحامل لـ (القضية)، بعد أن يكون قد أدرك أبعادها مسبقاً بواسطة أولئك المتقدمين. فالصدع بالحق لا بد أن يقترن بالحركة من قبل ذلك



الجمهور نحو الآخر، متمثلة بالحوار الشخصي، وتقديم الوسائل البيانية من مثل الكتاب الهادف، والمطوية، والمنشور، والصحيفة والشريط المناسب: مسموعاً كان أم مرئياً، وغير ذلك من الوسائل. إن هذا كله ينشط التغيير الفردي ويكسب باستمرار مزيداً من الأنصار الحقيقيين، وليسوا أرقاماً فارغة لا قيمة لها. وفي الوقت نفسه نكون قد قمنا بواجبنا تجاه المجتمع الذي نأمل أن يتغير باتجاه الهدف متى ما تكاملت فيه عناصر التغيير ضمن مدى معين من الزمن. فلا بد من مرور فترة زمنية يأخذ فيها التغيير مستحقه من النضج والتأثير.

ما أسهل أن يجلس أحدهم على أريكته الوثيرة، يعدد أخطاء العاملين، ويقول: ماذا فعل فلان؟ وماذا عمل فلان؟ إن (فشل) فلان وفلان - إن كان - بسببك أيها (الحكيم)!.. بسبب قعودك واختيارك الراحة على العمل المفروض أن تقوم به. إن أجزاء العمل الدعوي كأجزاء العربة: المحرك، والإطارات، والجسم، والمقود وبقية الأجزاء. وما لم تكتمل وتتكامل هذه كلها مع بعضها، لن تتحرك السيارة مهما كانت الأجزاء الأخرى متقنة وصالحة للعمل. وقد قام فلان وفلان بأداء ما عليهم من نصيب، لكن العجلة لم تسر؛ لأن جزءاً مهماً كان مفقوداً، وفراغاً ظل شاغراً ينتظر وصولك الكريم.

## ٥ - فضح الباطل وبياننه بالتفصيل

من أسباب انتشار التشيع قلة المتصدين لفضحه وتعريته بتفاصيله التي هو عليها. على العكس! فلقد قعد الدعاة في المنع من ذلك قواعد أشهرها:

❑ "بدل أن تلعن الظلام أشعل شمعة"

❑ و"بيان الحق كفيل بزوال الباطل"

وأسقطوا قاعدة الرفق على هذا الموضوع؛ فصار عندهم كل من تطرق إلى باطل الشيعة وخزعاتهم من المتشددین المتعنتين. وما دروا - أو دروا لا أدري - أن دين الله تعالى مبني على:

- تقديم مبدأ إنكار الباطل على بيان الحق.
- وبيان الباطل، وفضح أهله مقصود إلهي مستقل بذاته، وهو شرط لبيان الحق لا يتم إلا به.
- وأن فضح الباطل جاء فيه مفصلاً، بينما بيان الحق جاء مجملاً.
- حتى إذا دخل المرء في الإسلام جاء دور بيان الحق له بالتفصيل. وهذا المبدأ مذكور من أول كلمة يطالب بها الإنسان للدخول في رحاب الإسلام: "لا إله إلا الله". والله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. ويقول: ﴿لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

## ٦ - التأكيد على وجود عدو محدد

يتبين هذا بعرض حقائق اجتماعية منها:

### أ. الحب المجرد لا يكفي

صحيح أن الحب أساس الدين، ولكن هذا لا يكفي وحده لاستئثار النفوس وتفجير الطاقات، بل لا بد لذلك من تهيج عاطفة الخوف من جهة معينة محددة؛ فإن غريزة حب البقاء أقوى الغرائز كلها في إثارة قوى الإنسان وتوظيفها في الهدف المطلوب. ومن أول سورة نزلت من القرآن العظيم كانت هذه القضية حاضرة فيه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ١٠، ٩]. وما إن أهبط أبونا آدم عليه السلام إلى الأرض حتى أنزل الله معه عدوه وخصمه إبليس، كما أخبر سبحانه فقال: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]. وشد القرآن أنظار المؤمنين إلى أعدائهم من الكافرين والمنافقين، وحذرهم منهم، وأمرهم بمجاهدتهم.

## ب. وجود العدو سنة كونية

إن وجود العدو سنة من سنن الكون. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) [الفرقان: ٣١]، ويقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢) [الأنعام: ١١٢].

والسر في ذلك - والله أعلم - يتكشف من النظر في أمور، منها:

١ - أن الإنسان إذا أمن حمد، وقل نشاطه واندفاعه. فإذا تعرض أمنه إلى الخطر تحرك وانطلق، وتفجرت طاقاته من مكانها، وبحث عمن يعينه ويعزز أمنه وحياته؛ فتزداد القوة، ويحصل التماسك بين المجموع. وهذا هو الأساس الواقعي الذي يبنى عليه التجمع والتوحد، الذي هو الشق الآخر للدين بعد التوحيد. بل إن المجموع الذي لا يحس بوجود عدو معين يرتد عدوانه إلى داخله فيتمزق المجموع.

يقول جي. إي. براون: "من الملاحظ أن الجماعة توجه العدوان إلى داخلها حينما تتوقف الأعمال الحربية. ويقول: إن الناس في حال الضيق يحتاجون إلى الكراهية؛ لأن الكراهية إذا أصبحت منتشرة هي أنجع العواطف توحيداً للناس" (١).

وليست هاتان الحقيقتان بعيدتين عن دعوة الإسلام وتوجيه القرآن: فنظرية الإسلام أو عقيدته في القتال تقوم على توجيه القوى متوازية إلى الخارج، وهذا هو الجهاد. وتحرم توجيه القوى متقاطعة إلى الداخل، وهذه هي الفتنة. والقرآن يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

(١) أساليب الإقناع، ص ٥٤، ٦٣.

٢ - ولأن إبراز وجود الخصم، والتلويح به دوماً أمام أعين المؤمنين ضرورة من ضرورات العمل الصائب لهذا الدين، أكد القرآن على أهمية تحديد الخصم، ووضح صورته في ذاكرتهم فقال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١] وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. كما أنه قال: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسَيِّرَنَّ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية:

إن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاربه ويحاربه إنما هو على الباطل، وأنه يسلك سبيل المجرمين، الذين يذكر الله في آية أخرى أنه جعل لكل نبي عدواً منهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ليستقر في نفس النبي ونفوس المؤمنين أن الذين يعادونهم إنما هم المجرمون عن ثقة، وفي وضوح، وعن يقين. إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصالح. واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات؛ ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم. فهما صفحتان متقابلتان وطريقان مفترقان. ولا بد من وضوح الألوان والخطوط. ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلاماتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلاماتهم بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان ولا تلبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين<sup>(١)</sup>.

وقد أجاد المجرمون دورهم في خدمة هذه المسألة العظيمة، والتلويح لشعوبهم وأتباعهم بخطر الأعداء والخصوم، من أجل تنفيذ مآربهم، وتحقيق أهدافهم، كما تفعل أمريكا اليوم. والحال لا يحتاج إلى شرح. كما أجاد أساطين الشيعة الدور في التلويح لشيعتهم بأن الخطر كل الخطر يأتي من ناحية العرب عموماً وأهل السنة خصوصاً. ولغتهم الخاصة غنية

(١) في ظلال القرآن.

بالمصطلحات التي تعبر عن مقاصدهم مثل: نواصب، وهابيين، إرهابيين، تكفيريين، أمويين... إلخ. هذا إن لم يذكروا أهل السنة باسمهم صراحة. بينما فشل أهل السنة - في العراق خصوصاً - فشلاً تاريخياً ذريعاً في تجلية الخصم أو العدو الحقيقي الذي يهدد وجودهم، ويريد ابتلاعهم وتدمير هويتهم الدينية والقومية، بل والوطنية! ألا وهو الشعويون، والمستعجمون، وإيران وذيولها. أو - باختصار - أصحاب التشيع الفارسي الذين يمثلهم عموم الشيعة في عراقنا إلا من رحم ربك. وهذا الفشل الغبي هو الذي خدر أهل السنة خاصتهم وعامتهم، وساعد في تشتيت صفهم، وترسيخ تفككه، وضعف تماسكه؛ لأن قادتهم من الدعاة والمشايخ والعلماء والمفكرين والسياسيين - إلا القليل - دس رأسه في الرمل عن رؤية الخصم الحقيقي، ونصيحة أهله في تشخيصه، وتحذيرهم منه. وظلوا يخادعون أنفسهم بالعبارات التقريبية الزائفة حتى وقعت الواقعة، فلم يبق بيت من بيوت أهل السنة إلا ودخلته الفتنة على يد عصابات الخيانة والغدر الشعوبي: بدءاً باستقدام الكافر المحتل، ومروراً بخدمته، وتقديم جميع أنواع العون والمساعدة له. وبعد (خراب البصرة) - كما يقولون عندنا في العراق - صاروا يتحدثون على استحياء ابنة شعيب إلى (الإخوة) الأعداء. فمن يتحمل المسؤولية؟! وإذا كان الله جل وعلا قد حذر المؤمنين حتى من الزوجة والولد ووصفهم بالعدو في حالات معينة فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّكُمْ أَرْزَوْكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فكيف بمن يغطي الحقيقة الصارخة ولا يحذر أبناء جلده من العدو الحقيقي الذي انتشر كالسرطان في جميع مفاصل المجتمع؟! انتشر كالسرطان في جميع مفاصل المجتمع؟! انتشر كالسرطان في جميع مفاصل المجتمع؟!

السياسة اللادينية تسلك أسلوب ترهيب الجماهير من العدو المحدد، والسياسة الدينية أو الشرعية تسلك السبيل نفسه. الفرق بينهما في المصادقية والهدف النبيل، وليس في المبدأ نفسه. وبهذا يتبين أن أصحابنا لم يسلكوا لا سبيل الدين، ولا سبيل السياسة. وهذا هو المؤشر على عامة الحركات الدينية في زماننا التي دخلت معترك السياسة. إن أساليبها قديمة، أو لا يحسنون تنزيلها على مواردها، إلا من رحم.

## جـ. إيران والشعبوية عدونا الأول

إن العدو الأول لنا في العراق، ومن كان على شاكلتنا في موقعه الجغرافي، هو الشعبوية وأصحابها من عموم الشيعة الموالين لإيران، والسائرين في ركب ذيولها، من أمثال السيستاني وآل الخوئي وآل الحكيم وآل الصدر ومن اتبعهم ولف لفهم.

هؤلاء هم أعداؤنا، لا يختلف أحدهم عن الآخر إلا بالدور المكلف به في خدمة المسرحية الجامعة. المسرحية واحدة، والهدف واحد وإن تنوعت - أو توزعت - الأدوار بين أعضاء الجوقة. وإذا كنا نعذر أحداً من خارج العراق - لسبب أو آخر - في عدم الاهتمام إلى هذا التشخيص، فلا يمكن الاعتذار لأحد من أهل العراق إذا أخطأ فيه، خصوصاً بعد كارثة الاحتلال، وبروز العداوة والعمالة الشيعية سافرة فيه إلى البلعوم. فأن يقول مثل د. ماجد العرسان: (الغرب هو التحدي الأكبر لدار الإسلام. وهو تحد عنيد مستمر كلما هلك جيل من الغرب خلفه جيل آخر ذوي صبر على متطلبات المواجهة وتكاليفها... أما الخطر الشرقي الذي كانت تمثله فارس فقد انهار بعد نطحة أو نطحتين: مواجهة في القادسية وأخرى في نهاوند ثم لا فارس بعد، وإنما تحولت إلى منعطف جديد استمر في أيامنا الحاضرة)<sup>(١)</sup>. فذلك لأنه ليس من أهل العراق، ولا من الذين عانوا ويعانون من التحدي الإيراني معاناة ميدانية يومية؛ فالتحدي بالنسبة إليه هو ذلك القادم من الغرب؛ فتغيب عن عينه الحقيقة الجغرافية الخاصة بالعراق وهي أن هذا البلد هو الوحيد من بين بلدان أمة العرب الذي يقع في الجانب الشرقي من حدود الأمة البرية؛ فهو لذلك، وعلى مدى التاريخ، يتصدى وحده لكل الأخطار القادمة من الشرق؛ فلا تكاد الأمة تحس بهذا الخطر حتى يكون العراق أما وقع ضحية له، أو ضحى بأبنائه وطاقاته فوق حاجزاً منيعاً حال بينه وبين الوصول إلى باقي أقطار العرب

(١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص ٤٠٨-٤٠٩، الدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

المجاورة. وبذلك، أيضاً، تغيب هذه الحقيقة التاريخية عن د. ماجد وغيره من كرام العرب، بعد أن غابت عنهم تلك الحقيقة الجغرافية.

وهكذا، وعلى مر الزمن يدفع أبناء العراق الثمن عن بلدهم وعن الأمة، دون أن يثمن له هذا الدور العظيم والخطير من قبل أبنائها. بل لا يكتفي إخواننا بهذا التجاهل وهذا النسيان حتى يريدوا منا أن نفعل بأنفسنا كما فعلوا بنا فننسى دورنا وقضيتنا، ونتغافل عن الخطر الداهم الذي يتهددنا دون، أو قبل، غيرنا، لنشغل بالكلية بقضية غيرنا ممن يمارس هذا الظلم والتعسف بحقنا!

إنها معادلة مختلة!

لا يا أبناء الأمة! نحن العراقيين ومن كان على مثل ما نحن عليه، كأبناء يعرب على ضفتي الخليج العربي، عدونا شرقي بالدرجة الأولى، لا غربي.

وأنا وإن كنت لا أهون من شأن الخطر الغربي، لكنني لا أرى التهوين من شأن الخطر الشرقي ونسيانه أو التغافل عنه يقوم على أسس علمية: لا واقعية ولا تاريخية. وأصحاب هذا التنظير إنما يحملهم عليه عدم اكتوائهم بنار المؤامرات الفارسية المستمرة على العراق وأهله. وذلك لبعدهم عنها، ما يؤدي إلى سهولة انخداعهم بمعسول كلام الفرس ودعواهم الكاذبة. وهذا هو الذي يجعلهم في غير ما حاجة إلى قراءة تاريخ العراق القديم والحديث، وإذا قرأوه لا يركزون على المفصلات الحرجة الخاصة به؛ لأنهم ليسوا من أهله. وهذا شيء طبيعي، ولو كنت أنا من غير العراقيين لربما حدثت في ذلك حذوهم. فأنا لا أنتقد الشخص نفسه، وإنما أنتقد تقريره، وأعتذر له. كما أقول له ولغيره: إن التاريخ يشهد أن جميع الحضارات التي قامت في العراق منذ فجر التاريخ وإلى يوم الأربعاء الأسود (٢٠٠٣/٤/٩) كانت نهايتها على يد الفرس: إما مباشرة أو بالواسطة. أما الواقع فما عاد في حاجة إلى بيان! وأما (المنطحة والمنطحتان) الواردة في الحديث الشريف فلا تشير إلى أكثر من زوال دولة الفرس الرسمي، على غير ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى الروم. وقد

تحولت فارس بعدها إلى أكبر مستودع وأخطر حاضنة للنفاق والحركات النفاقية على وجه الأرض. وقد قامت بأخطر الأدوار في التاريخ في الكيد لدولة العرب والمسلمين. وكثيراً ما تحالف الفرس مع الصليبيين لمحاربة دولة الإسلام، وهم الذين تأمروا معهم على عهد الصفويين فأوقفوا الفتح الإسلامي داخل أوروبا.

### د. وجود العدو ضرورة لتوحيد الجمهور

وأخيراً أقول لكل العاملين من أهل السنة وخصوصاً السياسيين منهم (إسلاميين وعلمانيين): إن توحيد الجمهور وتجميعه لا يمكن أن يتم من دون أن تثار لديه غريزة الحياة وحب البقاء من خلال شعوره بخطر يهدده من قبل عدو يتربص به. ومن أوضح الأدلة على ذلك موقف أهل السنة من الدستور وزحفهم بالملايين للتصويت ضده، يوم شعروا بالخطر الداهم الذي يستهدف وجودهم، ويغتال هويتهم. وكذلك موقفهم من الانتخابات التي تلتها، والتي بعدها، واندفاعهم لها دفعاً للخطر الداهم. فالحب وحده والتسامح الأبله بضاعة الضعفاء الحالمين، وديننا دين القوة والواقع. وليس من خطر أكبر من خطر الشعبوية، التاريخ والواقع يثبت ذلك. ولسنا في حاجة ولن نرضى بمن لم يقرأ تاريخنا، ولا يعيش واقعنا.

فنصيحتي لكم إذا أردتم النجاح في الوصول إلى أهدافكم أن تجمّعوا الناس في العراق حول هذه القضية الكبرى. وإلا فإن أخوف ما أخافه - إذا خرج المحتل - أن ترجع إليكم لوثنتكم الترضوية القديمة، وعندها سينفض الناس عنكم كل إلى (حال سبيله)؛ فما عاد من خطر يجمعهم. في الوقت الذي يكون فيه جمهور الشيعة متحفزين تمام التحفز للإجهاز على البقية الباقية من جمهوركم. ﴿أَفَنَنْهَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُجُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَصْحَكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩-٦١] (١).

(١) هذا الكلام قلناه قبل سنين من شروع المحتل الأمريكي بالانسحاب. وواقع العراق اليوم بعد الانسحاب الأمريكي يصدق ما قلناه يومذاك. ولكن قومي لا يعلمون! فإلى متى؟



## هـ. كل عظماء العراق حاربوا الفرس

كما أعظمكم بواحدة، وأذكركم بحقيقة عظيمة هي أن كل من برز من قادة العراق ورجاله في كل أدوار التاريخ إنما انبنت عظمتهم وشهرتهم على موقفه من المد الفارسي. واذكروا إن شئتم أوتوحيكال وسرجون وحمورابي ونبوخذ نصر وآشور بانيبال وسميراميس، والنعمان والمثنى وزباد والحجاج والمنصور والرشيد، وصلاح الدين. حتى الإمام أحمد فإنه لم يكن مجرد عالم قاده التطلع العلمي والواجب الديني المجرد إلى ما قاده إليه. إنما كان صاحب قضية لا تختلف عن قضيتنا اليوم، تصدى من خلالها للمد الشعبي متمثلاً بهجمته على العروبة، والقرآن، والحديث النبوي، والعقيدة الإسلامية؛ فدافع عن فضل العرب، وناصح ضد الزمرة الشعبوية والبطانة الفارسية متمثلة بابن دؤاد وزمرته القائلين بخلق القرآن، ووقف ضد محاولات الزنادقة العجم واختلاقمهم للأحاديث الباطلة ونشرها بين الناس ودسها في كتب الحديث. وكان في ذلك كأنه الشخص الذي تجمعت فيه أصالة العراقيين، وتاريخ بني شيبان فظهر - وما كان للعراق إلا أن يظهر فيه مثله - ليمثل كرم الأصالة، وعنفوان التاريخ. وقد كان صدام حسين قارئاً جيداً للتاريخ حين ابتداء ولايته بالتصدي للهجمة الفارسية السوداء. ولولا بعض العوارض، ومنها ما ارتكبه من أخطاء بعد ذلك، وما هو معلوم من سيرته، لكان، في أذهان المعاصرين، من أعظم القادة في تاريخ العراق. على أنني أقول: إن الشوط ما زال بعيداً ليقول التاريخ فيه قولته، ويحكم عليه بحكمه، ومن عاش فينا سيسمع عمن تصدى للريح الشرقية الصفراء وأذل خشم نافخ كيرها (لع)، وجرعه كأس السم، وحرر المحمرة والأحواز غير ما يسمعه اليوم.

فكل من أراد أن يقود العراق لا يمكن أن يقوده ما لم يتقدم بموقف كبير يتصدى به لإيران وذيولها من الشعبويين والشيعة المتفرسين. والمستقبل بيننا حكم، إن لم ينفع المنطق والشرع والتاريخ.

﴿فَسَدِّكُرُون مَّا أَقُولُ لَكُمْ وَأَقُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

## ٧ - العلاج بالصدمة

مما تعلمناه على عهد الدراسة الطبية أن بعض الأمراض النفسية لا يعالجها شيء مثل تعريض المريض إلى صدمة علاجية، أو رجة كهربائية. فالمريض الذي يعاني من رهاب بخصوص بعض الحشرات كالصرصر مثلاً يعالج بإدخاله إلى موضع يعج بالصرصر ويقفل عليه الباب وهو معها، وبعد أن يصرخ ويصرخ تتفرغ شحنته العُقدوية ويشفى مما به من مرض.

والعلاج بالكهرباء معروف لكل الناس، سواء بالنسبة إلى الأمراض النفسية أو الجسدية، فالسكتة القلبية مثلاً قد لا ينقذ المصاب منها كما ينقذ بالرجة الكهربائية. وأعتقد أننا نحتاج لمثل هذا العلاج مع الشيعة، ومع السنة أيضاً. أن نصدمهم بالحقيقة المرة، ونصكهم بها في آذانهم، ودعك من صراخهم؛ فقد وصل المرض إلى حد الغيوبة.

## ٨ - مبدأ الهجوم

"الهجوم خير وسيلة للدفاع" حكمة معروفة في أوساط الناس، وإن كانت في الأصل قاعدة من قواعد العلم العسكري. فمن المعروف عسكرياً أن الدفاع لا يحقق النصر، إنما النصر بالتعرض للعدو والهجوم عليه. إن غاية الدفاع هو رد الخصم دون دحره، ما لم يتبع ذلك بمطاردته، أي الهجوم عليه.

وكذلك الشأن في المعارك العقائدية والثقافية. المهاجم يشغل خصمه بالدفاع عن نفسه، وبذل الجهد في تبرير مواطن الضعف التي وجهت إليها سهام النقد، ومحاولة سد الثغرات التي تنفذ منها تلك السهام. وكثيراً ما يركن إلى المواجهة والسكوت طمعاً في سكوت المقابل، واستجداءً لعطفه وموادعته. وهكذا يبدأ الانهيار الثقافي، وتغزى الأمم في ثقافتها ومرتكزاتها الفكرية والعقيدية، تمهيداً لغزوها عسكرياً وهزيمتها ودحرها في ميدان القتال. وهذا هو شاهد حالنا اليوم في العراق.

والناظر في دعوات الأنبياء عليهم السلام، وكل الدعوات التغييرية الأخرى - الإصلاحية منها والإفسادية - يجد أنها لم تقف من مجتمعها أبداً

موقف الدفاع، وإنما بدأت بتحديد مواطن الخلل لدى المجتمع، ثم راحت تهاجمها علناً وعلى رؤوس الملائ.

والقرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام تشهد بوضوح على ذلك. وأكتفي بموضع واحد من القرآن هو قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة: ٤].

تأمل ما في هذا الأسلوب من نتائج تغييرية جماعية بشرط أن تأخذ استحقاقها الزمني، وتتوفر لها الأرضية الصالحة للتحرك، وذلك ما لم يحصل لسيدنا إبراهيم عليه السلام:

### الصدع والإعلان

الإعلان القوي بالبراءة وإظهار العداء وإبداء البغضاء والكراهة يؤدي إلى هيجان المجتمع، وزلزله فتنتشر الدعوة وتصل إلى كل زاوية فيه، وتثور المناقشات والمجادلات، ويحصل تبادل قوي في الأفكار والآراء. كل ذلك بسرعة لا تقارن بها سرعة حدوث هذه التفاعلات في حالة الأساليب الترضوية الفردية، فيكثر المؤمنون من طلاب الحقيقة، وتهتز قناعات الآخرين. يحدث هذا على مستوى المجتمع كله، وليس على مستوى أفراد معدودين. وعندها يمكن استغلال النتائج الحاصلة واستثمارها لإكمال الشوط إلى نهايته كما كان يفعل الرسول ﷺ.

### من العداء تبدأ المودة

من هذه النقطة، من البراءة والعداء تبدأ الخطوات المباركة نحو التغيير الجماعي كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في سياق الآيات السابقة: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المتحنة: ٧] لا كما هو ديدن الترضويين الذين يتطيرون من كل ما يمكن أن يثير إزعاج الآخر، أو يعكر صفو مزاجه الرائق، وذوقه الرفيع.

أما المدافع فيمثل الكفة الأضعف في المعادلة، ولولا ضعفه لما غزي في عقر داره؛ وإنما يغزى الضعاف. ولولا ضعفه لكان هو الذي يبدأ ويغزو ويهاجم.

### من وحي التجربة الشخصية

حين رجعت من الحلة إلى بلدتي (المحمودية) أواخر عام ١٩٩٧، كانت الأسئلة تنهال عليّ من قبل الشباب السني: هل صحيح أن الرسول ﷺ أخذ البيعة لعلي رضي الله عنه عند غدير خم؟ ما معنى آية الولاية؟ وهل أن علياً تصدق في صلاته بخاتم فنزلت الآية بسبب ذلك؟ وما علاقتها بالإمامة؟ ما تقول في معركة الجمل؟ ولماذا (خرجت) عائشة على علي؟ هل صحيح أن عمر رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ: إنه يهجر؟ وأن ذلك في صحيح البخاري؟ ما دليل الأوقات الخمسة في الصلاة والله يقول: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]؟ وكانوا يأتونني بأحاديث عديدة مشككة في البخاري ومسلم يحتج بها الشيعة عليهم فلا يستطيعون الإجابة الشافية عنها. وغيرها وغيرها من الأسئلة والإشكالات التي صارت تشغل عقول أبناء السنة، ويتلفتون حولهم، ويذهبون إلى المساجد فلا يسمعون ما يُروى غليلهم ولا يشفي عليهم، سوى كلمات (التقريب) وعبارات من مثل: لا فرق بين الشيعة والسنة، الدين واحد والرب واحد إلخ... ونحن نحب أهل البيت، وأهل البيت كذا.. وكذا. وما شابه ذلك من العبارات الانهزامية التي جرأت على حمانا صعاليك الأرض، وشذاذ الآفاق.

ومن خلال ذلك توصلت - بما يشبه القناعة - إلى أن الحال إذا استمرت على ما هي عليه فإن العراق سيتحول إلى بلد شيعي خلال خمسين السنة القادمة! إن التقهقر إلى الدفاع أول الخطوات في طريق الهزيمة.

وكننت أوجه السائل - بعد أن أجيبه على سؤاله وأوضح له حقيقة الأمر - إلى أن يهاجم لا أن يدافع، وأن يورد هو الإشكالات على الآخر ولا يكتفي بتلقيها منه. وأزوده بمجموعة منها.

وكنتم أقول للسائل وغيره:

❑ بدلاً من أن يشغلوكم بعشرين حديثاً مشكلة في البخاري أشغلوهم بألوف من الروايات الساقطة في كتاب الكليني.

❑ وبدلاً من أن يشغلوكم بعدة آيات مشكلة من القرآن قولوا لهم: (إن هذه الآيات كلها متشابهة، فأتونا بآية واحدة محكمة شاهداً على أعظم أصولكم «الإمامة» فما دون؛ ونحن نسلم لكم بما تقولون).

❑ خذوا زمام المبادرة واهجموا ولا تدافعوا.

❑ قولوا لهم: (إن أصولكم باطلة لا أساس لها من محكم القرآن، وإن رواياتكم موضوعة وصلتكم عن طريق الزنادقة والكذابين).

❑ لا تشغلوا أنفسكم بذكر حبكم لأهل البيت فإن هذا لن ينفع معهم، وألقوا في أحضانهم بفضيحة كراهة الصحابة وسبهم والطعن بأشرف النساء وأطهرهن أمهات المؤمنين.

❑ وبدلاً من أن تدندنوا حول كونكم من محبي أهل البيت وأتباعهم قولوا لهم: (أنتم مخالفون لأهل البيت ولا علاقة لكم بهم ما دتمت تخالفون منهجهم ودينهم. إن أهل البيت بريئون ممن يغلو فيهم ويرفعهم إلى مصاف الأنبياء أو مرتبة الإله).

❑ إن هذه العقائد التي أنتم عليها فارسية مجوسية لا ينفع معها التستر ولا الترفيع).

❑ هاجموا إيران وكل من انتسب إليها من الشعبويين والمستعجمين.

❑ دعوهم يشعرون بالنقص تجاه عقائدهم وعمالتهم وحبهم لإيران، وسترون النتيجة!

وتلقف الصادقون المخلصون الفكرة وساروا بها، فما مرت سنتان حتى انعكس الأمر وتغيرت الحال إلى الضد تماماً، إلى درجة أن أحدنا صار لا يكاد يجد شيعياً يقبل الوقوف معه للنقاش! بل إنه يهرب عند أول إشارة لتحول

الحديث إلى الموضوعات الخلافية، ويطلب التوقف أو الانصراف متحججاً بأن مراجعه أمره بعدم الخوض في مثل هذه المسائل. فكنت أضحك وأقول: لقد قطعنا شوطاً كبيراً باتجاه الهدف. هذا هو الطريق، فيا ليت قومي يعلمون!

### ماذا يقول المختصون؟

يقول أحد علماء الاختصاص الغربيين وهو جي. إي. براون: أكبر غلطة ارتكبتها الدعاية الألمانية (في الحرب العالمية الأولى) أنها كانت دفاعية باستمرار، باذلةً جهودها في التأكيد على أن الدعاية الموجهة من قبل الحلفاء كانت غير صحيحة وغير منصفة. وفي هذا انتهاك لواحدة من أولى قواعد الدعاية وهي أن رسالة صاحب الدعاية ينبغي أن تكون إيجابية باستمرار. إن محاولة تصحيح أخبار الدعاية «غير المنصفة» تؤدي إلى شيء واحد وهو إحياء العبارات التي استعملتها الدعاية المعادية في أذهان من تلقوها، ونشرها بين الذين لم يكونوا ليسمعوها لولا تلك الطريقة<sup>(١)</sup>.

لقد اعتمد الشيعة على مبدأ الهجوم والدعاية في نشر أباطيلهم.. فنجحوا في غزونا في عقر ديارنا. أما نحن فغاية ما فعلناه هو الدفاع.. والدفاع الضعيف.. وباستمرار، خصوصاً في منابرنا العلنية التي هي المصدر الأهم في تثقيف المجتمع وتعرفه على الحقيقة<sup>(٢)</sup>.

(١) أساليب الإقناع ص ٥٢، جي. إي. براون، ترجمة د. عبد اللطيف الخياط.

(٢) تأمل ضعف أسلوب الدفاع، وفاعلية أسلوب الهجوم في هذا الخبر عن سيدنا ابن الزبير رضي الله عنه في معارك إفريقية حين أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يستطلع أخبار المسلمين: رأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر فإذا أذن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم ير ابن سعد معهم فسأل عنه فقل: إنه سمع منادى جرجير يقول: من قتل عبدالله بن سعد، فله مائة ألف دينار، وأزوجه ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده، وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني، برأس جرجير، نفلته مائة ألف، وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبدالله/ خلافة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، علي محمد الصلابي.

## ٩ - النفرة

يعترض الكثيرون من العاملين في حقل الدعوة وغيرهم أن هذه الأساليب، السالفة الذكر، تتسبب في نفرة المجتمع، وإثارة المشاكل. ويجعلون ذلك علامة على عدم جدواها. ونقول: صحيح أنها تسبب النفرة وتثير المشاكل، ولكن هذا إنما في بداية الأمر. ولم تخل أي دعوة تغييرية من هذه الآثار الجانبية، بل لا بد لكل دعوة من أن تمر بهذه المحطة الانتقالية، كما حصل لرسول الله ﷺ. كما أن ذلك ليس دليلاً على عدم جدواها. بل العكس هو الصحيح. وليس العلاج بالترك والنكوص. ومن قال بذلك فإنه لا يعرف مراحل العلاج أو محطات السير.

لقد واجه الرسول ﷺ هذه المشكلة مشكلة نفرة الناس عنه، لكنه لم يسعَ إلى تجنبها بكل وسيلة، حتى ولو كانت هي المجاملة أو التخلي عن الصدع بالحق والجهر بإنكار ما عليه النافرون من باطل طمعاً في تقريبهم كما هو حالنا اليوم. بل واجههم بما يزيدهم نفوراً حين شبههم بالحمير! فقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَانَ لَهُمْ خُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) [المدر: ٤٩-٥١]. وحمل نفوسهم المريضة بالكبر، وعدم الخوف من الآخرة مسؤولية الإعراض عن الحق فقال: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ (٥٢) ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٥٣) [المدر: ٥٢، ٥٣]. ولعل في صيغة (استفعل) في كلمة (مستنفرة) ما يشير إلى أن النفرة عن الحق مركوزة في نفوسهم؛ فهي مطلوبهم ومبتغاهم، فالأمر كما قال سبحانه عن ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) [فصلت: ١٧] فجاء التعبير في كلمة (استحبوا) بصيغة (استفعل)، أي هم أرادوا واختاروا وطلبوا العمى وحملوا أنفسهم عليه!

ثم بين من موقع الفوقية والعلو والعزة أن من شاء الهداية فليفعل، ومن لم يشأ فالأمر متروك له. على أن الهداية شيء عزيز لا يوفق الله إليه إلا من يستحقه. وقد لا يكون هؤلاء مستحقين لذلك، فقال جل شأنه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ تَذَكَّرُ﴾ (٥٤) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ (٥٦) [المدر: ٥٤-٥٦].

فمن قال: إن نفرة النافرين حجة ضد صحة الدعوة، ومقياس لخطئها من صوابها، فليس ممن يفقه سنن التغيير، ولا ممن قرأوا التاريخ جيداً، أو وقف يوماً يتمعن الآيات السابقة، وما في معناها من كتاب الله. بل أستطيع أن أقول (وهذا ما ذكرته في كتابي لا بد من لعن الظلام): إن التغيير الجماعي يبدأ من هنا؟! من الإثارة والنفرة وتحريك السواكن الجامدة والعقول الخاملة. وإنه ما من دعوة من الدعوات نجحت إلا وبدأت هذه البداية.

### ينفرون أولاً .. ويعودون أخيراً

نعم! سينفر المجتمع أولاً. وهذا لا ينبغي أن يجرك إلى أن تغير خطتك أو تنحرف عن خطك. بل استمر في سيرك ودعوتك وأعل من نبرتك وهذا سيؤدي إلى.. نفور أكثر! فاستمر على ما أنت عليه وسترى!

سيأتي يوم فيه يصمتون. عندها أعلم أنهم أصيبوا بالذهول، وأن الصدمة قد بدأ مفعولها وأنهم بعد حين تتحرك خلايا أدمغتهم الجامدة المتحجرة وتشكل من جديد لتبدأ بالانتباه بشيء من الجدية إلى ما تدعو إليه، والتفكر فيه. سيقولون في أنفسهم: لولا أن ما يدعو إليه هذا الداعي حق لما تمسك به هذا التمسك، فهل نحن حقاً على باطل؟! وهذا أول علامات الوهن والانهيال في جدار الباطل. إنه الصمت والتأمل.

وهنا يتحول أهل الباطل من حالة الهجوم وإلقاء الشبهات والضجيج والمطالبة بعقد حلقات الجدل والنقاش إلى حالة أخرى تتمثل بالهروب وعدم المواجهة، والاكتفاء بحالة الدفاع عند الاضطرار. فاعلم أنك قد قطعت شوطاً كبيراً في سيرك بالاتجاه الصحيح.

لقد انتهت مرحلة وبدأت مرحلة أخرى. انتهت مرحلة الهجوم، وبدأت مرحلة الدفاع. عليك هنا أن تستثمر الحالة وتحول دفاعك إلى هجوم لتقضي على آخر سواثر المقاومة لخصم قد انهزم نفسياً وفقد الحماس في الدعوة إلى أفكاره المنحرفة التي بدأت تتزعزع ثقته بها حتى مع أبنائه وعائلته.



أي إن الجيل القادم سيكون ضعيف التعلق بباطله ويكون - هو والجيل الذي بعده - من حصة أهل الحق إن شاء الله .

إن الجيل الأول عموماً لا بد أن نقبل خسارته ونفرتة - هذا على أسوأ الاحتمالات - ثمناً لربح الأجيال القادمة بشرط أن تتضافر الجهود للدعوة بهذا الأسلوب وأن لا يقف الترضويون حاجزاً أمامها يصدون ويوعدون مع أملنا بالمخلصين منهم أن يلتحقوا بالركب السائر في طريق الأنبياء.

على أن هذا لا يلزم منه أن لا تظل عصابة - لا سيما الرؤوس والمنتفعون والمغرضون - تثير الفتن وتحاول الكيد بشتى الوسائل والأساليب.

وهكذا فعل رسول الله ﷺ. وبغض النظر عن تفاصيل المراحل التي مرت بها دعوته - إذ لكل مرحلة ظرفها الذي يصنعها مما يؤدي إلى اختلاف أو تشابه المراحل بين الدعوات وقد تختلف في تفاصيلها تبعاً لتشابه الظروف وتسلسلها - فإنه ﷺ صدع بالحق وجهر بالدعوة وسفه آراء المجتمع وضلل آباءهم وشتم كبراءهم وفضحهم وفضح أباطيلهم.

ولولا هذه الشدة وهذا الهجوم العنيف لما رضح المشركون وجاءوا إليه صاغرين يتوسلون - للوصول إليه - بالملك والمال والنساء، مقابل شيء واحد هو أن يدعهم وشأنهم. بل كانوا يطلبون إليه أحياناً أن يسكت مجرد سكوت عن تضليل آبائهم وتسفيه آرائهم، ولكنه يصر - في مقابل ذلك كله - على ما هو عليه! فماذا كانت النتيجة؟

تقربوا إليه أكثر فعرضوا عليه حلاً وسطاً أن يعبدوا إلهه وحده فترة ويعبد آلهتهم مثلها. لكنه يجيبهم بصراحة وغلظة ويرمي بها في وجوههم: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكُفْرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ (٢) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ﴾ (٣) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۚ﴾ (٤) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ﴾ (٥) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦).

هذا هو المنهج. فمن وجد في نفسه القوة وعلو الهمة، فليمض على نوره وهده، وإلا فليدع الخلق وشأنهم.

## ١٠ - لا بد من المشكلة

قال لي أحد (ركاب المنابر) في مدينتنا منتقداً ومعنفًا: أنتم تعملون مشاكل، وتفقدون منابركم. لقد مر بي في مسجدي عشر سنين لم أعمل مشكلة. فأجبت: لأن أبقى في مسجد سنتين أقول فيهما (كلمتي) وأمضي، خير لي من أن أظل أدور في مكاني عشرين سنة وكلمتي في حلقيومي، كلما أردت قولها غصصت بها حذر المشاكل. أما إنك لو بقيت مائة سنة ما قلت شيئاً، ولا فعلت. ما الفائدة من صعودكم المنابر، إذا كان اليوم الذي تغادرونها فيه كأنه هو اليوم نفسه الذي طرقتم فيه خشبتها أول مرة، لم يتغير من حالكم ولا حال الناس شيء؟!!

والحقيقة أن مكلمي هذا كثيراً ما حصلت له مشاكل، ومع المصلين، لا غيرهم! ولأسباب أغلبها شخصية أو مادية، بعيداً عن الدين أو (القضية).

في ربيع سنة (٢٠٠٦)، ومن فوق منبر جامع (أم القرى) سمعت الخطيب في خطبة جمعة متحدثاً عن المجازر التي يتعرض لها أهل السنة يقول: "سنطالب الحكومة بوقف نزيف الدم، وإلا.. (وإلا ماذا أيها السمينذع؟) وإلا سنرفع شكوى إلى المنظمات العالمية من أجل التدخل لعلاج الكارثة".

وعلى طريقة (شر البلية ما يضحك) أقول: يذكرني هذا بطرفة تروى عن جحا. قيل: إنه ذهب يوماً إلى قرية بعيدة لا يعرفه أحد من أهلها، فسرق حذاؤه. فما كان منه إلا أن قال مهدداً: ائتوني به، وإلا فعلت بكم ما فعل أبي من قبل. ونظر القوم إلى عمامته وهيئته فهابوه، وحسبوه أميراً من الأمراء. فأجهدوا أنفسهم حتى وجدوا حذاءه، وجاءوه به. ولما لبسه وتحرك لينصرف قالوا له: هلا أخبرتنا عن أبيك ماذا فعل من قبل؟ وبكل بساطة أجابهم: لقد سرق حذاؤه، ولما لم يجدوه له ذهب إلى بيته حافياً!

انظر إلى هذا. ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

## كل نبي كان مشكلة قومه ومجتمعه

كل دعوة نجحت على مر التاريخ شكلت في زمانها مشكلة اجتماعية كبيرة في مجتمعها في أول مرحلة من مراحلها!

خذ الثورة العلمية الأوروبية مثلاً: كم عانى العلماء من الاضطهاد والتشريد والقتل والتحريق على يد الكنيسة! لو لم يشكل أولئك العلماء الأفاذا المناضلون مشكلة كبيرة هددت الوجود الباطل لدى (رجال الدين) هل كان يحدث هذا؟ ولو لم تمر تلك الدعوة أو الثورة بهذه المرحلة أو المشكلة أكان بالإمكان أن يكتب لها النجاح؟

تصور! لو أن كل عالم أسر بما عنده لمن يثق به فقط، واقتصر بدعوته على مجالسه الخاصة. أما في العلن والمحافل والمنتديات فيجري تمجيد الخرافة على حساب العقل، ومجاملة الجهل على حساب العلم، ومداهنة الكنيسة تجنباً للمشاكل - هل كان قد حصل التغيير المطلوب؟! بل ستذهب دعواتهم هواءً في شبك، وصيحة في واد.

والأحناف الموحدون كانوا موجودين في المجتمع العربي. ولقد كانوا يتمنون الإصلاح ويقومون ببعض ما عليهم من بيان للتوحيد وإنكار للشرك ولكن.. بـ(هدوء) ودون إثارة، وبالقدر الذي لا يسبب (مشكلة). فهل استطاعوا إصلاح المجتمع وإحداث التغيير المطلوب؟ كلا.. هل تعلم لماذا؟ لأن الطبخة لم تنضج على نار (المشاكل) التي لا بد منها ليكون الطعام سائغ المذاق. لقد كانوا يدركون حجم ما يسببه لهم التغيير والإصلاح من مشاكل ما كان عندهم الاستعداد لمواجهتها وتحملها، فكانوا يتحاشونها لأنها كانت تمثل لديهم - كما لدينا اليوم - إشارة الخطر الحمراء التي لا بد عندها من تخفيف الضغط حتى ينزل السهم أو الإشارة دونها.

هذا ورقة بن نوفل رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ من أول يوم - والرواية في صحيح البخاري - حين أتاه يستعلمه حقيقة ما رآه من أمر الوحي، ويخبره قبل أن يعلم النبي ﷺ نفسه بهذه الحقيقة الخطيرة والسنة التغييرية

الاجتماعية أو العقبة التي لا بد من اقتحامها: (يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك) فيسأله مستغرباً: (أومخرجي هم؟! ) فيجيبه: (نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي).

المشكلة أن الكثيرين لا يريدون أن يتسببوا في مشكلة، ولا يتحملوا الآثار الجانبية للعلاج. ويجعلون من أي حالة عارضة غير مرغوبة دليلاً على الفشل. وهذه عقبة ما لم نقتحمها ونتجاوزها لنذوق حلاوة عاقبتها فلن نصل إلى الهدف أبداً.

إن كثيراً من المشايخ اليوم والدعاة والمفكرين والمسؤولين يمثلون دور ورقة بن نوفل، ونحن بأمس الحاجة إلى دور محمد بن عبدالله ﷺ. على أن بعض الرجال لا يريد أن يكون في واجهة المواجهة، فإذا تقدم الصفوف غيره كان من ورائه ينصره ويؤازره. وفي كل خير، لو أحسنا التصرف وتوزيع الطاقات. ولنا في حديث ورقة السابق شاهد حين قال: (وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً).

لكننا نقول شيئاً مهماً: افترضوا أن الأحناف قد كثروا في تلك المجتمعات حتى صاروا يعدون بالمئات، وظلوا عشرات السنين - بل مئاتها - يهمسون بدعوتهم هنا وهناك دون أن يرتقوا بها إلى مستوى (القضية)، ويبلغوا بها سطح الأحداث لتكون هي الأولى وهي (المشكلة)، هل كانوا يحققون هدفهم وأمنيتهم من التغيير المطلوب على مستوى المجتمع كله ما لم يخرج من بينهم (محمد)؟ هذا هو السؤال.

ونحن..؟ لن نفلح ما دمنا نمجد محمداً بأقوالنا، ونصنع ما صنع ورقة بأفعالنا!

## ١١ - تغيير المجتمع مقدم على زيادة العدد

قد تؤدي المجاملة على حساب الحقائق المزعجة إلى كسب سريع لعدد من الأشخاص قلوا أم كثروا. هذا صحيح وواقع..

وقد يغري هذا العدد البعض من (الدعاة) ويجعلهم يتوهمون النجاح

دون أن ينتبهوا إلى أن الثمن المدفوع مقدماً مقابل هذا النجاح الموهوم باهض جداً، لا تعوضه كل الأرباح المتوهمة؛ لأن ذلك الثمن الباهض هو المجتمع نفسه! فنكون قد ضيعنا الكل مقابل جزء لا قيمة له: لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية.

أما الكمية: فما قيمة عشرة أشخاص أو مائة أو حتى ألف، بل وعشرات أو مئات الآلاف في هذا المجتمع المتلاطم؟ لو كانت الأزمة أزمة عدد فلا تستغربوا من قلبي: إن هذا العدد، بل وأضعاف، يمكن الحصول عليه بوسائل أخرى أكثر (هدوءاً)، وأبعد عن حصول المشاكل. مثل تشجيع الزواج المبكر، وتعدد الزوجات، دونما داع لهذه الجهود المضنية المزعجة.

وأما من حيث النوعية فإن أغلب هؤلاء الأفراد عادة ما يكون تغيرهم دون المستوى المطلوب. فيظلون يعانون من رواسبهم القديمة التي يعجز المنهج الترضوي عن إزالتها. فهم معرضون للاهتزاز والارتكاس بمجرد أن يسمعوا كلمة الحق والحقيقة المزعجة. أفنظل نكتم عنهم هذه الكلمة؟! فما قيمة الاجتماع على الباطل؟! ليس هذا فحسب، وإنما سيمارس هؤلاء دورهم بلا وعي في نقل أمراضهم ورواسبهم إلى المحيط السني.

إن أنصاف المتغيرين هؤلاء يشكلون خطراً على الصف الداخلي، وذلك من عدة نواح: أخطرها أن هؤلاء الأنصاف - إذا لم تتوفر لهم فرصة التغير المطلوب - سيحسبون مستقبلاً على أهل السنة، وسيكون منهم الخطيب والأستاذ والمحاضر والكاتب والمتمدين العادي. ولا شك أن ما سوف يطرحونه من عقائد وسلوك وشعائر وطقوس سيكون مخلوطاً وليس صافياً. وعندها - وبعد اكتسابهم الهوية بتأثير الزمن - سيستقبل الوسط السني هذا الخليط على أنه هو الدين الحق، لتبدأ مرحلة يمارس فيها هذا (النصف - النصف) دوره - بقصد أو بغير قصد - في تنصيف أهل السنة إلى أن يتغير وجه السنة الحقيقي، ويصير غريباً حتى على أهله. وهي مرحلة متقدمة باتجاه التشيع. إن هذا (النصف - النصف) - ما لم تقطع معه الشوط

إلى نهايته طبقاً إلى المنهج القرآني لغيره التغيير المطلوب - يشكل علينا خطراً مستقبلياً لا يقل عن خطر الفرس حين دخلوا في الإسلام جملة واحدة، واكتسبوا الهوية على عجرهم وبجرهم، فقاموا بأخطر الأدوار في هدم دولة الإسلام. ناهيك عن تسلل المدسوسين فيما بيننا - إذ يوفر لهم المنهج الترضوي جميع أسباب الحماية ومظلات التستر والاختفاء - ليعملوا عملهم في تخريب الصف وكسب ما يستطيعون كسبه إلى جانبهم عن طريق العلاقات الشخصية وإثارة الشكوك وإلقاء الشبهات في أوساط أهل السنة والتأثير عليهم بشتى الوسائل والحيل.

## ١٢ - الرد بالمثل

الرد بالمثل أحد مظاهر العدل الإلهي. يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كُفِّرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

فالاعتداء يقابل باعتداء مثله. وإلا حصل التماذي، فكان الاعوجاج؛ وذلك بسبب الاعتدال والاستقامة التي لم توضع موضعها. والذين يحاكمون الأمور محاكمة ذهنية مجردة لا يعرفون متطلبات الواقع. ولا يفهمون الإسلام حق فهمه.

هذه سطور اقتبستها من كتاب (تجديد الفكر الديني) للدكتور حسن الترابي، يتحدث فيها عن سنة من سنن التغيير الاجتماعي. يقول تحت عنوان: الاعتدال أم الإقدام:

أن يكون الاتزان بين الثبات والتطور حكمة مطلوبة، فإن مخاطبة المجتمع المسلم الحاضر بمعاني المحافظة والحذر من التغيير بقدر مساوٍ لمخاطبته بدواعي النهضة والحركة، إنما هو في مثل ظروفنا وضع للأمور في غير مواضعها، وسبب لإضرار بالغ بالمجتمع ودينه. والخطاب المناسب لمجتمع نائم خامد قرونا طويلة أن نبادره بالمنبهات ودواعي الحركة الحرة. وأن نصيح له أن تيقظ! جاهد! اجتهد! حتى إذا جاد

بالحركة وتباركت نهضته لدرجة نخشى عليه فيها الجنوح والفوضى عندئذ يجوز أن ندعوه لما هو الأسلم والأحوط... وهذه الروح في تربيتنا الدينية لا بد من أن نتجاوزها الآن ولا نتواصى اليوم بالمحافظة بل لا ينبغي إطلاق الدعوة إلى الاعتدال لأننا لو اعتدلنا نكون قد ظلمنا ولو اقتصدنا نكون قد فرطنا.

أما وقع التجديد الديني من حيث اللطف أو العنف فإنه يأتي تبعاً لظروف التحول الاجتماعي. فحين تكون عهود الفترة قد تطاولت وآثار الجمود تراكمت لا يولد العهد التجديدي إلا بعسر شديد، ولا يتم إلا بمجاهدات عظيمة. ويمكن أن يسمى الأمر عندئذ بعثاً أو ثورة لعظم النقلة بين الموات القديم إلى الحياة المنبعثة وفور الحركة الطارئة على السكون القديم.

ولما كانت حدة المفارقة وشدة وقعها تستفز القديم المستقر وتزلزل قواعده الجامدة فإن التجديد يغلب أن يستصحب شيئاً من الحدة والشدة فتأتي لغته لاذعة صافعة وتأتي تدابير تنفيذه كثيفة عنيفة. وتؤدي المدافعة الجهادية إلى مجابهة بينة تنصب القديم وحلفاءه في وجه القائمين بالجديد.

والأولى بالمسلمين بالطبع أن يرفقوا في الجدال فلا يقولوا إلا التي هي أحسن، وأن يتجنبوا الفتنة والقتال إلا إذا استحکم البغي وصار الجهر بالسوء والانتصار بالقوة ضرورة يقتضيها الواجب من الدين.

إن الجمود والثورة كليهما سبب فتنة في الدين. بل يغري أيهما بالآخر. ذلك أن الجمود يؤدي إلى أن يخلد الإنسان في مقامه بينما يقتضي الدين مقاماً جديداً فتزداد الشقة والغربة بينه وبين دينه، ويزداد بانسلاجه من الدين تصلباً في أوهامه وأهوائه حتى لا يترك رجاء للإنابة الرفيعة، ويصبح الإصلاح العنيف لزاماً ليكسر حدة المقاومة ويستدرك كل القصور المتراكم، وتنبعث الثورة التي تقع عندئذ بقوة اندفاع هائل لتحقيق الإصلاح الشامل<sup>(١)</sup>.

(١) تجديد الفكر الديني، ص ٩٤-٩٦، ١٦٦، ١٦٧، الدكتور حسن الترابي.

ومن شواهد ذاك في القرآن قوله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

مع أن التوجه إلى الكعبة ركن من أركان الصلاة لا تتم إلا به، فكيف لا يكون من البر لولا أن الاعتدال والوسطية في وسط الجنوح والتطرف اعوجاج. ومن عرف ملابسات نزول الآية عرف ذلك بوضوح.

إن هذا يكشف لنا كشفاً واضحاً أن صيحات الوسطية لا تجدي مع الرافضة كثيراً. وأن علينا إعادة الحساب من جديد في كل ما قيل وطرح من أفكار أثبت الواقع فشلها.

### ١٣ - صنع النموذج القدوة

كل دعوة نجحت تمكنت من صنع نموذج لها في مكان ما. ثم تتابعت بقية المناطق تحذو حذوها، وتستنسخ تجربتها. ولا بد أن يكون هذا المكان بحيث يكون محطاً للأنظار، وتسلط الأضواء، وقريباً من ملتقى الناس، وفي مجمع الطرق. وله قدرة مناسبة على التعشق ببقية المناطق. ويمتلك جاذبية خاصة في حياتها: اقتصادية أو دينية أو سياسية أو غير ذلك؛ حتى تتهياً للناس فرصة التأثر المستمر بما يحصل فيه من تغير جديد.

لهذا ذهب النبي ﷺ إلى الطائف - واختارها من بين القرى أو المدن المجاورة في المنطقة - في محاولة منه لأن يجعل منها مركز انطلاق لدعوته الناشئة يضاهي به مكة، وينافسها على مركز القيادة. فهي القرية التي تأتي في المرتبة الثانية في سلم الأهمية في تأثيرها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وحتى الديني بعد مكة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مقترناً بمكة، إشارة إلى مدى اهتمام الناس بها، ورفع منزلتها لديهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. ولبسط هذا المعنى موضع آخر. وللسبب نفسه اختار يشرب مكاناً بديلاً عوضاً عن بقية المناطق والأمكنة. بل لو تأملت



الاختيار الإلهي لجزيرة العرب منطلقاً للرسالة الخاتمة، وقد أرادها أن تكون رسالة عالمية تصل للعالم أجمع، لتبين لك المقصود الإلهي في هذا الاختيار، بما يسلط الضوء على كلامنا في شروط وصفات التجربة النموذج، واختيار الموقع المناسب لها.

والناظر في أسباب نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تعالى، يجد ما ذكرناه أحد هذه الأسباب. فلم يكتف الشيخ - كغيره من العلماء - بأن يلقي ما عنده من علم على طلبة العلوم الشرعية، ويمضي. بل كان اهتمامه منصباً على أن يكسب إلى صفه أميراً من الأمراء في مدينة مهمة، تصلح أن تكون نموذجاً ومنطلقاً لدعوته. وهكذا اتجه إلى أمير (العيينة). ولما تنصل عنه هذا بعد مدة، اتجه إلى أمير آخر، في مدينة أخرى مهمة، فكانت (الدرعية) هي المنطلق، وهي النموذج. ولك أن تلاحظ أن دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعالى، لم يكتب لها هذا الانتشار والذيع في العالم كله إلا بعد قيام هذا النموذج المائل للعيان لها في جزيرة العرب.

وإذا كان الحديث من وحي التجربة الشخصية مفيداً أقول: إن لنا في ناحية (جبل) تجربة دعوية ناجحة بكل المقاييس، إلا مقياس النموذج. فإن موقعها البعيد عن مراكز التأثير حال دون أن تكون نموذجاً مناسباً لانطلاق دعوة تريد أن تكون رائدة في العراق، أو المنطقة كلها. ولذلك اتجهت بنظري إلى قضاء المحمودية؛ واجهة بغداد ومدخلها الجنوبي، وتمثل ملتقى الطرق المؤدية شمالاً إلى بغداد، وجنوباً إلى عامة المنطقة الجنوبية للعراق. فهي أمام أنظار الجميع. وهناك أسباب أخرى مساعدة لا مجال لذكرها. إذن المحمودية تمتلك مواصفات المكان، وتصلح أن تكون منطلقاً للتجربة النموذج. في خطوة مهيئة للخطوة التالية، وهي العاصمة بغداد نفسها. التي كانت أنظارنا تتطلع إليها، وقد وضعناها في حساب الأيام القادمة. وقد صدقت الأيام ظننا، فقد تحققت - رغم قصر مدة العمل - أشياء كثيرة كان يمكن لها أن تؤدي إلى الهدف المطلوب. ولكن لم تأخذ التجربة مستحقها من الوقت. فقد بدأنا فيها أواخر عام ١٩٩٧

وخرجنا منها أواخر عام ٢٠٠٢. وكانت سنوات خمساً مليئة بالمؤامرات وعوامل الإجهاض من الجميع، حتى وقعت كارثة الاحتلال. ولنا أمل في جولة أخرى في قابل الأيام. فإن لم يسعف العمر، نستودع الأمانة جيلنا القادم بإذن الله.

#### ١٤ - تكوين جماعة تتقدم الصفوف

إن هذه القواعد الذهبية والتقريرات المنهجية التي استخلصناها من رحم المعاناة، وعصارة الفكر، وطول النظر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وسيرته وسيرة الأنبياء عليهم السلام والمصلحين، ستظل هائمة دون إحداث الأثر المطلوب، ما لم يتم تبنيها من قبل جماعة معينة ذات منهج فكري واضح وبرنامج عملي واقعي. أو تتأسس جماعة بناءً على ذلك المنهج والبرنامج. لقد علمتنا الخبرة أن قوة الكلمة لا تنبع من ذاتها عند أكثر العالمين، ولا يشذ عن هذا المتدينون أو (الإسلاميون)، إنما تستمد قوتها من وزن قائلها، وكم وراءه من رجال وأتباع. إن صعلوكاً أحقق كمقتدى لا يزن في ميزان الله جل وعلا جناح بعوضة يذهب إليه علماء ودعاة (كبار) من أهل السنة يمتدحونه ويتزلفون إليه! ويكذبون في ذلك وهم يعلمون أنهم يكذبون! ويسمون ذلك سياسة!! هل يقتربون أمثال هذه السوءات لو كان مقتدى فرداً عادياً يقول كلمته ويمضي؟

علينا أن نفهم السنن، ونعمل ما استطعنا على الاستفادة منها. كما علينا أن نعلم أن المهزوم نفسياً لا يحترم أمثاله، ولا أتباعه، ولا يسمع لنصح ناصح إلا إذا شعر بِنِدْيَتِهِ وعدم تبعيته له. على أن يكون التزام هذه الجماعة بأخلاقيات العمل قوياً، فلا تتعرض للعاملين الصادقين بالتشهير أو التجريح، ولا تخلق لها أعداءً ليسوا هم في الحقيقة لها بأعداء. وإنما تسير في طريقها تزجي النصح، وتجهز بالحقيقة، وتصدع بالحق، وتستمر في تنفيذ برنامجها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً. مع العمل بحكمة على إزاحة المتقدمين في مسيرة الهزيمة، وإرجاعهم إلى أماكنهم اللائقة في الصفوف الخلفية.

واعلم أن كل جماعة - في العراق والدول الشيعية - لم تقم على هذه الأسس العامة، والأسس الخاصة التي سيأتي بيانها - هي جماعة وهمية لن تصل بنا إلى المراد من حفظ بيضة أهل السنة، وقمع خطر الشيعة؛ فالبقاء فيها - دون البحث عن البديل المطلوب - مضيعة للجهد والعمر. ومقولة "التغيير من الداخل" في مثل هذه الجماعات أسطورة، لا يرتجى من ورائها نفع. ولربما هي كلمة حق أريد بها غيره. هي ليست أكثر من حقنة مخدر، يعرقل الساعين في التغيير، ويمنعهم من بناء نموذج يعتبره الآخرون منافساً لهم في الميدان. وقد جربنا - وبكل الوسائل والأساليب - فما عدنا بشيء. والله تعالى نسأل أن يوفق الجميع إلى خير ما يعلمه لهم. ولكن الأمر كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣].

#### وقفه

مع غوستاف لوبون مؤسس علم نفس الجماهير

يمكن تلخيص أهم الأفكار التي لفتت نظري في كتاب (سيكولوجية الجماهير) لغوستاف لوبون بما يلي كما جاء في المقدمة التي كتبها مترجم الكتاب هاشم صالح:

□ الميزة الأساسية للجمهور هي انصهار أفراد في روح واحدة وعاطفة مشتركة تقضي على التمايزات الشخصية، وتخفف من مستوى الملكات العقلية. وهو يشبه ذلك بالمركب الكيميائي الناتج من صهر عدة عناصر مختلفة. فهي تذوب وتفقد عناصرها الأولى نتيجة التفاعل ومن أجل تركيب المركب الجديد. إن المتغيرات التي تطرأ على الفرد المنخرط في الجمهور مشابهة تماماً لتلك التي يتعرض لها الإنسان أثناء التنويم المغناطيسي.

□ الفرد يتحرك بشكل واع ومقصود، أما الجمهور فيتحرك بشكل لا واع؛ ذلك أن الوعي فردي تحديداً، أما اللاوعي فهو جماعي.

□ إن الجماهير أياً تكن ثقافتها أو عقيدتها أو مكانتها بحاجة لأن تخضع إلى قيادة محرك. وهو لا يقنعها بالمحاجات العقلانية والمنطقية، وإنما يفرض نفسه عليها بواسطة القوة. كما أنه يجذبها ويسحرها بواسطة هيئته الشخصية تماماً كما يفعل الطبيب الذي ينوم المريض مغناطيسياً.

□ إن الإشاعة أقوى من الحقيقة. وإن الدعاية ذات أساس لا عقلاني. يتمثل بالعقائد الإيمانية الجماعية. ولها أداة للعمل تتمثل بالتحريض من قريب أو بعيد. أما التفكير النقدي وانعدام المشاعر اللاهبة فيشكلان عقبتين في وجه الانخراط والممارسة. ويمكن تجاوزها عن طريق التحريض والدعاية. ولهذا السبب ينبغي أن تستخدم الدعاية لغة الصور الموحية والمجازية، أو لغة الشعارات البسيطة والقاطعة التي تفرض نفسها فرضاً دون مناقشة.

□ إن هناك نمطين من الفكر: الأول يستخدم الفكرة المفهومية، فيعتمد على قوانين العقل والبرهان والمحااجة المنطقية. أما الثاني فيستخدم الفكرة المجازية أو الصورية، ويعتمد على قوانين الذاكرة والخيال والتحريض. وأكبر خطأ يرتكبه السياسي هو أن يحاول إقناع الجماهير بالوسائل العقلانية الموجهة إلى أذهان الأفراد المعزولين. فالجماهير لا تقتنع إلا بالصور الإيحائية، والشعارات الحماسية والأوامر المفروضة من فوق.

وإذا تجاوزنا المقدمة إلى الكتاب نفسه فإن مؤسس علم نفس الجماهير يقول:

### □ الروح الجماعية للجمهور

إن ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد يشكل الخصيصة الأولى للجمهور<sup>(١)</sup>... والظاهرة التي تدهشنا

(١) سيكولوجية الجماهير، ص ٥٤، غوستاف لوبون.

أكثر في الجمهور النفسي هي التالية: أيّاً تكن نوعية الأفراد الذي يشكلونه، وأيّاً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً، وكذلك اهتمامهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإن مجرد تحويلهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً... إنهم يشبهون بالضبط خلايا الجسد الحي التي تشكل عن طريق تجمعها وتوحيدها كائناً جديداً يتحلى بخصائص جديدة مختلفة جداً عن الخصائص التي تمتلكها كل خلية.

وعلى عكس الرأي الشائع الذي يدهشنا أن يتبناه فيلسوف في حجم وألمعية هيربيرت سبنسر فإنه لا يوجد في التجمع الذي يشكله جمهور ما حاصل ومتوسط العناصر، وإنما يوجد فقط تركيب وخلق للخصائص. وهذا يشبه ما يحصل في مجال الكيمياء. فبعض العناصر المستخدمة في التركيب كالقواعد والحوامض مثلاً تتداخل في بعضها البعض وتتركب من أجل تشكيل مادة جديدة مزودة بخصائص مختلفة عن تلك الخصائص التي كانت تتحلى بها العناصر المفردة قبل تركيبها.

هكذا نلاحظ بسهولة إلى أي مدى يكون الفرد المنخرط في الجمهور مختلفاً عن الفرد المعزول<sup>(١)</sup>.

### □ الحياة اللاواعية للروح الجماعية للجمهور

إن الظواهر اللاواعية تلعب دوراً حاسماً ليس فقط في الحياة العضوية أو الفزيولوجية، وإنما أيضاً في طريقة اشتغال الذهن أو آلية العقل. والحياة الواعية للروح البشرية لا تشكل إلا جزءاً ضعيفاً جداً بالقياس إلى حياتها اللاواعية... فأفعالنا الواعية متفرعة عن جوهر لا واع مشكّل من التأثيرات الوراثية بشكل خاص. وهذا الجوهر ينطوي على البقايا اللانهائية الموروثة عن الأسلاف، وهي التي تشكل روح عرق بشري ما.

(١) أيضاً، ص ٥٦.

ذلك أنه وراء الأسباب الظاهرية لأعمالنا تربض أسباب سرية مجهولة من قبلنا. ومعظم أعمالنا اليومية ناتجة عن دوافع مخبوءة تتجاوزنا.

إن أفراد عرق ما يتشابهون خصوصاً بواسطة العناصر اللاواعية التي تشكل روح هذا العرق. وهم يختلفون عن بعضهم البعض بواسطة العناصر الواعية الناتجة عن التربية، ثم بشكل أخص عن الوراثة الاستثنائية. والبشر الأكثر اختلافاً وتمائزاً من حيث الذكاء لهم غرائز وانفعالات وعواطف متماثلة أحياناً. والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة: من دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض، إلخ... فمثلاً يمكن أن توجد هوة سحيقة بين عالم رياضيات شهير وصانع أحذيته على المستوى الفكري، ولكن من وجهة نظر المزاج والعقائد الإيمانية فإن الاختلاف معدوم غالباً، أو قل: إنه ضعيف جداً.

وهذه الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتية تمّحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية<sup>(١)</sup>.

### ❑ ضعف جدوى المحاججات العقلانية مع الجمهور

إن الجماهير غير ميالة كثيراً للتأمل، وغير مؤهلة للمحاكمة العقلية. ولكنها مؤهلة جداً للانخراط في الممارسة والعمل. والتنظيم يجعل قوتها ضخمة جداً<sup>(٢)</sup>. إن الجمهور هو دائماً أدنى مرتبة من الإنسان المفرد فيما يخص الناحية العقلية والفكرية<sup>(٣)</sup>.

(١) أيضاً، ص ٥٦-٥٧.

(٢) أيضاً، ص ٤٥.

(٣) أيضاً، ص ٦١.

إنه بمجرد أن ينضوي الفرد داخل صفوف الجمهور فإنه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة. فهو عندما يكون فرداً معزولاً ربما يكون إنساناً مثقفاً متعلقاً، ولكنه ما إن ينضم إلى الجمهور حتى يصبح مقوداً بغريزته وبالتالي همجياً<sup>(١)</sup>.

لا ينبغي علينا أن نعتقد أن مجرد البرهنة على صحة فكرة ما يعني أنها سوف تفعل مفعولها حتى لدى الناس المثقفين فعلاً. ويمكننا أن نتحقق من ذلك عندما نرى أن البرهنة الأكثر وضوحاً ليس لها تأثير على معظم البشر. صحيح أنه يمكن للحقيقة الساطعة أن تلقى أذنًا صاغية لدى السامع المثقف، ولكنه سيعيدها فوراً بواسطة لا وعيه إلى تصوراته البدائية. حاولوا أن تروه بعد بضعة أيام فسوف ترونه يستخدم من جديد احتياجاته القديمة وبنفس الألفاظ تماماً. وذلك لسبب بسيط هو أنه واقع تحت تأثير الأفكار السابقة التي تحولت إلى عواطف وترسخت. وهذه الأفكار هي وحدها التي تؤثر علينا وتحرك بواعثنا القديمة التي تربض خلف أعمالنا وكلامنا<sup>(٢)</sup>.

لا يمكننا القول بشكل مطلق أنه لا يمكن التأثير على الجماهير بواسطة المحاجات العقلية. ولكن الحجج التي تستخدمها وتلك التي تؤثر عليها تبدو من وجهة النظر المنطقية جداً متدنية إلى حد أنه لا يمكننا وصفها بالعقلانية إلا عن طريق القياس والتشبيه... وأما سلسلة المحاجات العقلانية الصارمة فلا يمكن أن تفهم إطلاقاً من قبل الجماهير. ولهذا السبب يمكن القول بأنها لا تفكر أو تفكر بشكل خاطئ، ولا يمكن التأثير عليها عن طريق التفكير العقلاني<sup>(٣)</sup>. لنذكر هنا فقط بمدى عناد واستمرارية الخرافات الدينية طيلة قرون وقرون على الرغم من تناقضها مع أبسط حدود المنطق. فخلال ألفي سنة تقريباً اضطرت أعظم العبقريات للانحناء أما قوانينها<sup>(٤)</sup>.

(١) أيضاً، ص ٦٠.

(٢) أيضاً، ص ٨٤.

(٣) أيضاً، ص ٨٥-٨٦.

(٤) أيضاً، ص ١٢٤-١٢٥.

## □ ضرورة تكرار الفكرة وتأكيدھا

عندما نريد أن ندخل الأفكار والعقائد ببطء إلى روح الجماهير فإننا نجد أن أساليب القادة تختلف. فهم يلجأون بشكل أساسي إلى الأساليب الثلاثة: أسلوب التأكيد، وأسلوب التكرار، وأسلوب العدوى. لا ريب في أن تأثيرها بطيء، ولكنه دائم.

إن التأكيد المجرد والعاري من كل محاجة عقلانية أو برهانية يشكل الوسيلة الموثوقة لإدخال فكرة ما في روح الجماهير. وكلما كان التأكيد قاطعاً وخالياً من كل برهان فرض نفسه بهيبة أكبر... ولكن الإعلان لا يكتسب تأثيراً فعلياً إلا بشرط تكراره باستمرار، وبنفس الكلمات والصياغات ما أمكن ذلك. كان نابليون يقول بأنه لا يوجد إلا شكل واحد جاد من أشكال البلاغة هو: التكرار. فالشيء المؤكد يتوصل عن طريق التكرار إلى الرسوخ في النفوس إلى درجة أنه يقبل كحقيقة برهانية... فعندما نكرر الشيء مراراً وتكراراً ينتهي به الأمر إلى الانغراس في تلك الزوايا العميقة للاوعي حيث تصنع دوافعنا كل أعمالنا. فبعد أن تمر فترة من الزمن ننسى من هو مؤلف القول المكرر وينتهي بنا الأمر إلى حد الإيمان به. وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نفهم القوة الهائلة للإعلان... وعندما يتاح لتوكيد ما أن يكرر بما فيه الكفاية، وأن يكرر بالإجماع... فإنه يتشكل عندئذ ما ندعوه بتيار الرأي العام. وعندئذ تتدخل الآلية الجبارة للعدوى وتفعل فعلها. وفي الجماهير نجد أن الأفكار والعواطف والانفعالات والعقائد الإيمانية تمتلك سلطة عدوى بنفس قوة وكثافة سلطة الجراثيم. ويمكننا أن نلاحظ هذه الظاهرة لدى الحيوانات نفسها، وذلك عندما تتجمع على هيئة جمهور. فصهاال حصان في إسطنبول ما سرعان ما يعقبه صهاال الأحصنة الأخرى في نفس الإسطبل. وأي خوف أو حركة مضطربة ما تصيب بعض الخراف سرعان ما تنتقل إلى بقية القطيع...<sup>(١)</sup>

(١) من أطرف ما سمعته من تشبيه لنفسية الجمهور الشيوعي وسرعة تأثيرها بما تسمع دون ترو أو تمحيص قول حكيم من حكماء الدعوة عاش طويلاً في كربلاء =



والتقليد الذي تعزى إليه تأثيرات كثيرة في الظواهر الاجتماعية ليس في الواقع إلا مجرد أثر من آثار العدوى... إن الإنسان يشبه الحيوان فيما يخص ظاهرة التقليد. فالتقليد يشكل حاجة بالنسبة له بشرط أن يكون هذا التقليد سهلاً بالطبع.. ومن هذه الحاجة بالذات يتولد تأثير الموضة (أو الأزياء الدارجة). وسواء أكان الأمر يتعلق بالآراء أم بالأفكار أم بالتظاهرات الأدبية أم بالأزياء بكل بساطة فكم هو عدد الذين يستطيعون التخلص من تأثيره؟ فنحن نستطيع قيادة الجماهير بواسطة النماذج والموديلات وليس بواسطة المحاجات العقلانية<sup>(١)</sup>.

### □ الزمن

إن الزمن بالنسبة للمشاكل الاجتماعية كما بالنسبة للمشاكل البيولوجية أحد العوامل الأكثر تأثيراً ونشاطاً. فهو يمثل المولد الحقيقي والمدمر الكبير... وهو الذي يجعل كل العقائد تتطور وتموت فبه تمتلك قوتها وجبروتها، وبه تفقدها... إن الزمن هو الذي يطبخ آراء وعقائد الجماهير على ناره البطيئة، بمعنى أنه يهيء الأرضية التي ستنشأ عليها وتبرعم. نستنتج من ذلك أن بعض الأفكار التي يمكن تحقيقها في فترة ما تبدو مستحيلة في فترة أخرى. فالزمن يراكم البقايا العديدة جداً للعقائد والأفكار، وعلى أساسها تولد أفكار عصر ما. فهذه الأفكار لا تنبت بالصدفة أو عن طريق المغامرة. وإنما نجد جذورها تضرب عميقاً في ماضٍ طويل<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض أهم الأفكار التي قررها لوبون في كتابه (سيكولوجية الجماهير)، وهي في عمومها توافق وتعمق ما قررناه سابقاً من قواعد في أصول وعوامل تغيير المجموع التي تختلف عنه فيما يخص الفرد.

والآن ننتقل للحديث عن الأساليب الجماعية الخاصة بتغيير الشيعة.

= هو الاستاذ الحاج جمعة نافع الراوي: إن عوام الشيعة كقطيع الواوية (بنات آوى) ما إن يصيح أحدها: (ويو) حتى يضح القطيع عن آخره: (ويو ويو)!.  
(١) المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٥.

(٢) أيضاً، ص ١٠٢-١٠٣.

## □ القسم الثاني: الأساليب والمبادئ الخاصة

بناءً على التركيبة النفسية التي يختلف بها الشيعة عن غيرهم، مع الأخذ بنظر الاعتبار تلك العقد النفسية التي أثبتناها سابقاً نقول: لا بد أن هذا الاختلاف وتلك العقد لها آثارها على الأساليب التي يراد لها أن تؤثر في جمهور الشيعة فتنتقلهم خطوة أو خطوات إلى الأمام. وأنا في هذا القسم من الفصل أحاول الكشف عن هذه الأساليب الخاصة دون أن أدعي أنني بلغت القول الفصل في كل ما أقرره من ذلك. لكنني قبل ذلك أتقدم بتمهيد مهم جداً بين يدي الموضوع. فأقول ومن الله العون والتسديد:

### أ. تمهيد

#### الشيعة أكثر إدراكاً واستخداماً للأساليب الجماعية من أهل السنة

إن سر النجاح المطرد للشيعة على حساب تقهقر أهل السنة هو اعتماد الشيعة في نشر مذهبهم على الأساليب الجماعية في التغيير، دون أن يهتموا التعامل مع الأفراد. من هذه الأساليب المعتمدة:

□ أسلوب الدعاية والإشاعة، وعلى طريقة غوبلز مدير دعاية هتلر: (اكذب.. اكذب حتى يصدقك الناس) الذي لا يعدو أن يكون قرماً قميئاً أمام عمالقة الكذب والدعاية الفارسية.

□ أسلوب الإيحاء باستعمال مشيرات العاطفة والخيال كالصور والتمثيل وما يسمى بـ(الشعائر الحسينية) من النواح واللطم الجماعي وما يسمى بـ(التشاييه) وهي قصص المآسي الممثلة. واستعمال (الملايات) اللواتي يدرن على البيوت حيث تجتمع النساء فتقوم (الملاية) بقراءة أسطورة المقتل على مسامعهن بصوت حزين مع الدق على الصدور الذي يتطور إلى نواح ولطم وعويل.

□ الاستعراض عن طريق تظاهرات المشي على الأقدام إلى المراقد في مناسبات خاصة تتكرر على مدار الأشهر خصوصاً في موسم محرم وصفر.

❑ قبب المراقد المبهرجة المذهبة، وما لها من تأثير نفسي كبير على عقول العامة.

❑ أسلوب الإعلان بدعوتهم بما فيها من أفكار شاذة وتهجم على الآخرين وتكفيرهم، مع أن أصل دعوتهم باطنية تعتمد على مبدأ (التقية)!

❑ أسلوب الهجوم المكشوف (ومنه السب والتشهير) أكثر من الدفاع.

❑ أسلوب التهجير والتطهير العرقي ومضايقة المخالفين من أهل السنة. وهذا قد حصل في إيران ولبنان والعراق وغيرها.

❑ أسلوب التخويف وإرهاب المخالف وتشكيل عصابات القتل والغدر والاغتيال على مر التاريخ. وبهذا أسكتوا الخصوم، وتسببوا في إصابتهم بعقدة (الرهاب Phobia) التي لم يسلم منها أشجع الرجال. وهي السبب في المجاملات والمداهنات السنية للشيعية. وهذا هو الذي أضاع الحق على عامة الناس، الذين لم يعودوا يدركون حقيقة الخطر ما داموا يسمعون من علمائهم عبارات التقريب الرنانة التي من أشهرها: (لا فرق بين شيعي وسني) وهي عبارة مجملة موهمة قد تسوغ في المزايدات السياسية، وليس في دائرة الدين القائمة على الوضوح والحق المبين. فسكت من سكت، وهاجر من هاجر ومن بقي ذاب إلا من رحم، خصوصاً مع التضيق عليهم في أرزاقهم وأشغالهم. ومن أبرز الأمثلة الناجحة على هذا الأسلوب في تاريخ الشيعة ما فعله الصفويون في إيران، وقتلهم الذريع لأهل السنة وإرعابهم وتشريدهم حتى تحولت إيران بفعل هذا الأسلوب من دولة سنية إلى أخرى شيعية. ولم يشغلوا أنفسهم بأي نقاش علمي، أو مناظرة كلامية أو غيرها من الأساليب العقلانية التي لا نحسن غيرها، هذا والماء - كما يقال - يجري من تحتنا.

أود التنبيه هنا على أن علماء الشيعة حين يقول أحدهم: (لا فرق بين

شيوعي وسني) وأمثالها من العبارات، فإن هذا ليس له تأثير في الوسط الشيعي لسببين:

- ١ - الأول هو مبدأ (التقية) الذي به يعرف الشيعي أن مرجعه لا يعني ما يقول، وأن هذا الكلام التقريبي خرج مخرج (التقية) لا أكثر.
- ٢ - والثاني هو التعبئة النفسية لدى الشيعي، التي تقف حاجزاً بين هذه العبارات وبين حصول أثرها في نفسه.

وعلى هذا الأساس فإن النتيجة الوحيدة الحاصلة هي انخداع السني بكلام علماء الشيعة حين يسمعونهم يطلقون هذه الكلمات، إضافة إلى صدورها في الوقت نفسه عن علماء السنة؛ فيثبت لديه الأمر على أنه حقيقة؛ فيزيده ذلك وهناً على وهن.

□ أسلوب الهجرة والغزو السكاني الجماعي للمناطق السنية. فقضاء الزبير في البصرة لم تتغير صبغته السنية الصافية بسبب تحول أهله إلى شيعة، وإنما صار أهل الناصرية والعمارة وغيرهم يتحولون فيسكنون فيه بالجملة. وهكذا فبعد أن كان قضاء الزبير قبل أربعين سنة منطقة سنية مغلقة صار اليوم ما يقارب الأربعين بالمائة (٤٠) من أهله شيعة. فهذا أسلوب تغييري جماعي ناجح غفلنا عنه وانشغلنا متفاخرين - بسداجة نحسد عليها - بنتائج التغير الفردي!

ونجح الشيعة في أسلوبهم هذا أيما نجاح خصوصاً في العاصمة بغداد قلب العراق وشریان العروبة النابض. فقبل خمسين عاماً لم تكن نسبة الشيعة في بغداد تتجاوز السدس (٦/١) ارتفعت النسبة اليوم إلى ما يقارب الأربعين بالمائة (٤٠) أو أكثر، وذلك بعد أن قام الرئيس عبدالكريم قاسم بنقل مئات الآلاف من الشيعة من جنوب العراق وإسكانهم في بغداد في مدينة الثورة والشعلة وغيرهما. ويقال: إن لقاسم ميولاً شيعية بسبب والدته الشيعية. وأنا أرجح أحد أمرين فيما فعل: إما أنه استدرج من قبل الشيعة عن طريق أخواله. وإما أنه فعل ذلك لأسباب سياسية غير محسوبة. وأياً كانت الدوافع فإن هذا هو الذي حصل. كذلك فعل الشيعي صالح جبر

حين تولى رئاسة الوزراء في العهد الملكي من قبل. وهكذا تغيرت بغداد لا بالدعوة وتشجيع أهل السنة، وإنما بهذا الأسلوب الواقعي الذكي!

وبالأسلوب النفساني لا العقلاني تغير قضاء تلغفر في الموصل من أغلبية سنية كاسحة (أكثر من ٩٥) في منتصف القرن الماضي إلى أغلبية ضعيفة اليوم (٦٠) وقد بدأ تشييعها في عام ١٩٤٧م عندما استلم رئاسة الوزارة في العراق (رجل الدين) الشيعي (محمد الصدر) والذي تسلم من بعد (عام ١٩٤٩) رئاسة مجلس الأعيان.

ذهب وفد من (تلغفر) حينها لتهنئته بمناسبة تسلمه منصب رئاسة الوزراء، وكان الوفد برئاسة شيخ عشيرة (السادة الموسوية) محمد يونس عبدالله وهب آغا. وهي عشيرة سنية. أظهر (محمد الصدر) استغرابه من كون (السادة الموسوية) من أهل السنة. ولما رجع الوفد تأخر عنه رئيسه محمد يونس آغا لعدة أيام استطاع (محمد الصدر) فيها أن يقنعه بالعدول عن مذهب أهل السنة، والتحول إلى طائفة الإمامية الاثنى عشرية. واستعمل لذلك مؤثرات نفسية، منها وجود نزاع بين عشيرة محمد يونس وعشيرة أخرى، كان يدور حول اراض زراعية فساومه (محمد الصدر) على حسم قضية الأراضى لصالحه مع عشرة آلاف (١٠ ٠٠٠) دينار، كانت في ذلك الزمان تمثل ثروة كبيرة جداً. ليرجع بعدها إلى (تلغفر) شيعياً يمارس دور نشر التشيع في تلك المدينة. ومن يومها بدأ العد التصاعدي للشيعية فيها.

انظر إلى هذه الأساليب تجدها جميعاً ليست فكرية عقلانية، وإنما نفسانية واقعية.

### نفسية معقدة وقيادة مقنعة فهل من سبيل؟

كلما نظرت إلى جموع المتظاهرين وهي تحمل الرايات الخضراء وترفع صور المراجع الفارسية والعمائم الشعبوية التي تقطر حقداً على العرب والبلد وأهله، وتهتف لها بالعظمة والعزة والبقاء، وجلت ببصري في تلك الجموع المسكينة فرأيت اللباس العربي: العقال واليشماغ والعباءة،

واستحضرت تلك التركيبة المتشابكة من العقد التي غزت نفوسها قلت في نفسي: متى يعرف هؤلاء الحقيقة؟ ويدركون أنهم مخدوعون مغرر بهم؟ وأنى لهم ذلك وهم يسرون معصوبي الأعين وراء من لا يريد لهم خيراً، ولا يرقب فيهم إلا، وإنما ينفذ بهم مخططاً فارسياً لا يعلم غوره إلا الله والراسخون في العلم؟!!

كيف نتعامل مع هذه النفسية المعقدة؟ وكيف نفصل هذه الجموع عن هذه القيادة المخادعة المقنعة؟ هذه هي مهمتنا إذا كنا جادين في مواجهة التشيع، وهذا هو السبيل الصحيح بمعالمة الكبرى.

### هل من أمل بالشفاء؟

في تاريخ الإسلام تجارب ناجحة، وأخرى لم تبلغ الغاية المرجوة من التغيير. لقد نجح الرسول ﷺ مع العرب فتغيروا بكاملهم من الكفر والشرك إلى الإيمان ودين الإسلام. لكن اليهود لم يتغيروا رغم كل المحاولات التي بذلت من قبله ﷺ! وحين تدرس الأسباب المانعة تجدها كامنة في النفسية المعقدة التي يعاني منها اليهود. والتي لخصها القرآن الكريم بكلمة واحدة هي (الأهواء) فقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ أُتْبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَئِنْ أُتْبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٤٥]. وهي السبب في الصرف الرباني لهم عن الحق والطبع على قلوبهم فلا يهتدون كما قال سبحانه: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝﴾ [الروم: ٢٩]، وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فالهداية هدية الرب من السماء لا

يمنحها إلا لمن يستحقها، وليست هي سِقْطاً ملقى على قارعة الطريق يمر به العابرون فيتكرم عليه بالأخذ بعض ويعافه الآخرون!

وقد لفت نظري آيات من القرآن في سورة (البقرة)، وقفت عندها كثيراً متفكراً متحيراً! وهي ما جاء من قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) [البقرة: ٧٥-٨٠].

إن هذه الآيات تقرر أنه لا أمل بإيمان قوم ارتكبوا المخالفات الخمس الآتية:

- ١ - تحريف كلام الله
- ٢ - التقية في إظهار الموافقة وإبطان المخالفة
- ٣ - عدم تدبر كتاب الله
- ٤ - اتخاذ الدين حرفة والتكسب بكتاب الله بالباطل
- ٥ - ادعاء الضمان بعدم دخول النار إلا أياماً معدودة

وهذه المخالفات الخمس بنصها موجودة عند الشيعة، سوى أنهم زادوا فادعوا الضمان بعدم دخول النار مطلقاً. وزادوا الطعن في أصحاب نبيهم وأزواجه، وزادوا تمزيق الكتاب وحرقه، وزادوا... وزادوا!

ثم إن بين النفسية الفارسية واليهودية - كما بينا سابقاً - تشابهاً كبيراً، سواء من حيث اشتراكهم في (عقدة النقص) التي هي أصل العقد النفسية

عندهم، أو ما تفرع عنها من عقد أخرى. ولعل هذا الشعور المشترك هو الباعث على التناغم والميل النفسي لبعضهما البعض، والتعاون اليهودي الفارسي في الكيد لدولة العراق وإسقاطها، والذي تكرر في التاريخ أكثر من مرة منذ أن أسقط كورش الفارسي ابن اليهودية دولة بابل سنة ٥٥٩ ق.م وإلى إسقاطها أخيراً يوم الأربعاء الأسود ٢٠٠٣/٤/٩، واتخاذ ذلك عيداً من قبل اللوبي الفارسي في مجلس الحكم العراقي الذي عينه بريمر. مروراً بسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م على أيدي التتر والمحاولة الفاشلة سنة ١٩٩١م بحركتها الغوغائية الإيرانية الشعبية الخائبة.

فإذا كان ما فهمته من الآيات السابقة - مع هذه الإطلالة النفسية التاريخية السريعة على وجهه فإن هذا يدعونا إلى تساؤل كبير علينا أن نجيب عليه: هل من أمل أو مطمع في إيمان الشيعة ورجوعهم إلى دين الحق وشرعة الإسلام الصحيح؟ أم إن الحال معهم كحال الذين قال الله فيهم آنفاً: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾...؟

فإذا كان الاختيار واقعاً على الجواب الثاني فعلينا أن نعيد الحساب من جديد ونقلع عن كل الأساليب الانبطاحية الفاشلة، والمجاملات الزائدة، والمداهنات والتنازلات التي بذلناها، وماء الوجه الذي سكبناه على عتبة (التقريب) الزائفة؛ فإننا لن نجني - ولم نجن - من ورائها شيئاً؛ فلا داعي لمزيد من الخسارة في صفقة محكوم عليها بالخسارة سلفاً. وعلينا أن نتوجه إلى صفنا السني الداخلي فنهتم بتقويته واستعادة مناعته وعافيته قبل فوات الأوان.

وهنا أنبه على أن المقصود بالإيمان والتغيير هو المجموع وليس الفرد؛ فلا يعترضن أحد فيقول: كيف هذا ونحن نجد كثيراً من الشيعة في السنين الأخيرة قد تحولوا عن دينهم وصاروا من أهل السنة؟ نعم هذا حاصل ولسنا غافلين عنه. لكن وجهة البحث - كما قلت - إلى المجموع، وليست إلى الأفراد. ولقد أسلم أفراد من اليهود لكن هذا لم يغير من حال مجموعهم شيئاً، وفي مثله قال القائل:

ما زادَ حنُونُ في الإسلامِ خردلةٌ ولا النصراني لهم شغلٌ بحنونٍ



ولم يستعمل الرسول المداراة مع اليهود مجاملة لأولئك الأفراد، أو خشية من نفورهم وارتدادهم.

على أن هذا كله على افتراض اليأس من هداية الشيعة وتغيرهم. وهو اختيار لا أجزم به، إنما هو فكرة برزت لي من خلال الآيات التي أوردتها آنفاً، تدعمها وجود تلك المنظومة المتشابكة من العقد النفسية. كما أن هناك اختياراً آخر قائماً على الأمل والطمع بهدايتهم وتغيرهم من حالهم التي هم عليها اليوم من الانحراف عن الدين الحق والحقد والتكفير والتعصب الطائفي إلى ما هو أفضل، بصرف النظر عن درجة التغير: جزئية كانت أم كلية. وفي هذه الحال نطرح التساؤل التالي: كيف السبيل إلى ذلك؟ وقد فشلت جميع المحاولات السابقة، ما عدا تجربة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله. لكن هذه التجربة حصلت من موقع القوة والتمكين، ونحن اليوم لا نمتلك هذا الموقع؛ فالقياس عليها لا يصح إلا إذا كنا ننطلق من الموقع نفسه؛ فنترك مناقشة التجربة إلى حين ذاك، وما هو على الله ببعيد، واضعين في الحسبان جميع العوامل الداخلة في معادلة التغير، ومنها اختلاف طبائع الشعوب التي تجري عليها التجربة. لكن قد يقول قائل: إن هذه التجربة تشير إلى أن التغير لا يتم إلا من خلال سلطة قوية راشدة؛ فلا أمل بالتغير ونحن على غير هذه الحال. فأقول: قد عدنا إلى ما قررناه قبل قليل من وجوب إعادة الحساب إذا كان الرأي قد استقر على خيار اليأس من بلوغ الهدف. لكنني الآن بصدد الكلام عن الخيار أو الاحتمال الآخر، وهو الأمل أو الطمع بهدايتهم، تدعمه تجربة دعوية أفلحت في إحداث تغيير ملحوظ إلى درجة يمكن أن نمنحه بها النجاح. تلك التجربة التي حصلت في ناحية (جبلية) أو مشروع المسيب الكبير التابعة لقضاء المحاويل في محافظة بابل. وهي تجربة تحتاج إلى دراسة خاصة نتعرف بها على الآلية التي تم بها التغير، والظروف والعوامل الخاصة والعامة التي خدمت أو أعاق ذلك التغير، حتى نخرج بنتيجة تخدمنا في تقرير كونها إما حالة خاصة لا نستطيع تعميمها، أو أنها حالة قابلة للتعميم والتكرار في مكان آخر. وليس هذا الكتاب محلاً لهذه

الدراسة، ولا أحتاجها هنا ضرورة؛ لأنني أناقش الموضوع بناءً على الاحتمالين. فأقول:

### آثار العقد الفارسية على الأساليب الدعوية

إذا رجعنا إلى أول الكتاب واستحضرنا العقد النفسية التي تعاني منها مجتمعات التشيع الفارسي فإن هذا يضع أصابعنا على جملة من المؤشرات أهمها:

إن عقدة النقص من خلال عقدة السيد أو الاستعلاء الناتجة عنها تجعل أي محاولة للتقرب يبذلها الآخر ينظر إليها الشيعي على أنها تعبير عن الضعف؛ فلا المجاملات ولا المداهنات تنفع معهم، بل إنها لا تزيدهم إلا اقتناعاً بما هم عليه من باطل، وبعداً عما ندعوهم إليه من التقارب والتصالح والتفاهم. إنهم لا يلجأون إلى هذه الأساليب إلا في حالة الضعف، وهذا يجعلهم لا يفهمون صدور مثلها عن الآخر إلا إذا كان فعله نابعاً عن هذا الهاجس. أما عقدة الشك والتوجس فتمنع إضفاء أية مصداقية على ما يصدر من فعل إيجابي في حقه. وبـ(إسقاط) صفة الخداع مع الكذب لا يرى أي تصرف حسن إلا على أنه مكر ومخادعة. كما أنه يقوم بـ(إسقاط) صفاته على الآخر فينتج لديه - عن طريق التماهي الإسقاطي - ازدراء واحتقار ونفور ضد كل من يقوم بمراسيم التقريب تجاهه. وتكمل المنظومة بدخول عقدة اللؤم وإنكار الجميل في المعادلة ليتبخر أثر الإحسان مادياً كان أم معنوياً، بل ليتحول إلى سبب من أسباب الكره والنفرة تجاه المحسن. نعم قد ينفع الإحسان المادي مع الأفراد، لكنه على مستوى المجموع لا أثر له. بل إنه يجلب المشاكل لسبب أو آخر، ومن جرب عرف. والتجارب الكثيرة شاهد لا يكذب: لقد ذهبت آلاف رؤوس الأغنام لحوماً للأضاحي، ومئات أطنان الرز والطحين الأبيض والدهون والأطعمة والألبسة هباءً منثوراً في محافظات الجنوب، لقد كانوا يزدحمون أفواجاً أفواجاً على أبواب المساجد السننية من أجل استلام حصصهم من المساعدات، حتى إذا أخذوها صاروا يتلمظون

قائلين: (وهاية، نواصب كفر، أوقافية، عملاء الدولة...). وبسبب الشعور العميق بالغبين والمظلومية فإنهم لا ينظرون إلى أي إحسان يحصلون عليه إلا على أنه حق من حقوقهم الكثيرة المغتصبة استردوه من غاصبيه؛ فلا فضل لأحد عليهم فيه. لقد اغتصب الشيعة العشرات من مساجد أهل السنة، وحين فاتح وفد هيئة علماء المسلمين بموضوعها أحد الذين تولوا كبر هذه الجريمة، وهو محمد سعيد الحكيم، كان جوابه: كم هو عدد تلك المساجد؟ ثم قال مستهزئاً: فقط؟! إن حقنا هو أن نناصفكم المساجد التي بنيتوها في العراق جميعاً! وكذلك أجاب الصعلوك مقتدى.

### لا فائدة من الأساليب الترضوية

وعليه فإن التغني الزائد بموضوع (النسب والمصاهرة) بين الصحابة وأهل البيت، والمديح الزائد لشخص البيت العلوي، والطنع الساذج في البيت العباسي أو الأموي. وعبارات مثل: الإمام، وكرم الله وجهه، وعليه السلام، والآل أو أهل البيت الأطهار والصحب الأبرار، وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، وإخواننا الشيعة، وديننا واحد وعقيدتنا واحدة، وإيران الجارة والدولة المسلمة، والترحم على رؤوس الكفر والضلالة من مثل الخميني الدجال إلى آخر الجوقة الكهنوتية التي أقل ما تعتقده وتصرح به تكفير الصحابة وسبهم على رؤوس الملائكة... كل هذا لا فائدة ترتجي من ورائه سوى ما قلته عن آثار المجاملة والإحسان المنعكسة عن النفسية المعقدة لدى الشيعي. مع مزيد من الوهن والانزهاض في صفوف أهل السنة<sup>(١)</sup>. ألا ما أبعدنا عن الحقائق التي أجهد علماء

(١) في برنامج "المشهد العراقي"، على قناة الجزيرة، في ٢٧/٣/٢٠٠٥ تطرق الأستاذ وميض عمر نظمي إلى ذكر الخائن محمد باقر الحكيم - وذلك بحضور ابن أخيه عمار- فترحم عليه قائلاً: (وأذكر عمار أنا استنكرنا مقتل عمه ﷺ). لكن هذا الصفيق لم يسمع من الكلام غير جانبه السيء؛ فرد عليه وبكل صفاقة: (أستغرب من الضيف يستكثر على الإمام محمد باقر أن يسميه بالشهيد، ويعبر عنه بمقتل)! هل فاتة أنهم يطلقون على ما جرى لسيدنا الحسين ﷺ عبارة (مقتل الحسين)؟ ويسمون قراءتهم الأسطورة بد(المقتل)! وهي أكثر الكلمات تردداً على ألسنتهم!! لكنها الصفاقة الفارسية!! =

النفس في اكتشافها وتثبيتها! هل تعلم أن سلوك المرء يتوقف دائماً على كيفية إدراكه: صواباً كان أم خطأ؟ خذ هذه الملاحظة البسيطة: قد يستجيب المرء لابتسامة شخص بالغضب إن ظنها ابتسامة سخرية، بينما قد لا تكون في الواقع كذلك<sup>(١)</sup>. وقسّ.

ولقد قلنا هذا وأكثر! فماذا كانت النتيجة؟ إدخال المحتل إلى بلادنا، ومعاونته من أجل البقاء في أرضنا، وتقديم كل العون له من قتل ومطاردة أهل السنة والتعذيب الوحشي في السجون، وثقب الرؤوس بـ(الدريل، أو المثقاب الكهربائي) وقلع الأظافر والعيون، والحرق بالنار والتيزاب. ولم يسلم منهم حتى الترضويون المجاملون! بل كانوا أول ضحاياهم! ولو شئت لسميت، ولكن الستر هنا أولى.

إن أساليب عباس السيسي رحمته الله، وجميع الأساليب الدعوية المصرية الجميلة - وما تأثر بها فوضع على غرارها من أساليب - فشلت في علاج التشيع عندنا، لا لخلل فيها من حيث الموضوع، ولكن لكونها وضعت أصلاً في أجواء سنية سوية، فهي لا تصلح للتطبيق في سواها من الأجواء ما لم نُجر عليها التحويلات المناسبة لنفسية منحرفة معقدة.

### الأسلوب الشمولي في الخطاب القرآني

لقد انشغلنا بهذه الأساليب التقليدية المستوردة، وما شابها من

= هذا.. وقد باع الأستاذ وميض مجاملات على عمار هذا إلى حد الإسفاف، ولكن دون جدوى! ولم يقابله هذا على كل هذا ولو بكلمة مجاملة واحدة. وآخر ما قاله الأستاذ وميض: (نحن نريد من الأخوة في المجلس الأعلى وحزب الدعوة أن يجروا حواراً بين الجميع. وأنا أقرأ للأخ عمار. وأنا واثق من عروة آل الحكيم). تصور!!!  
أذكر في هذا المقام كلمة للدكتور محسن عبدالحميد قالها في ابن العلقمي محمد باقر سالف الذكر، على إحدى الفضائيات - وأظنها الجزيرة - بعد مقتله. قال وهو يترحم عليه: (محمد باقر الحكيم، لقد وجدته حكيماً حقاً، وهو من عائلة وطنية، كانت تسعى في توحيد العراق، ولم شمل أهله)!!!

وسؤالي: هل هذا غفلة أم ماذا؟ ثم ماذا نفعنا هذه المداهنات، ومثلها بالأطنان؟

(١) أصول علم النفس، ص ١٧٥، د. أحمد عزت راجح.

النسخ التقليدية المجردة، الجامدة على لون واحد لا يرى أمامه من آيات الكتاب سوى قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤]. انشغلنا بهذا عن الأسلوب القرآني الشمولي والمنوع حسب الجهة المخاطبة، وحسب الحال التي يتم في إطارها الخطاب. انظر إليه كيف يخاطب الحبيب محمداً ﷺ فيقول له موجهاً ومصححاً: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. لكنه يشتد أحياناً فيقول له: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]. ويقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ [٨] ﴿وَهُوَ يَحْشَىٰ﴾ [٩] ﴿فَأَن تَعَنَّيَ﴾ [١٠] ﴿كَلَّا﴾ [عبس: ١١-٨]. فلم يجمد الخطاب الإلهي معه ﷺ على لهجة واحدة، وهو من هو في منزلته وقربه من الله!

وفرق في أسلوب مخاطبة (الآخر) بين الملتزم بحدود الأدب وبين من ظلم منهم فتجاوز تلك الحدود، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. واشتد في مخاطبة اليهود أكثر من النصاري حتى قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]. المشكلة أن أهل السنة تمسكوا بأسلوب ﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً﴾ وتركوا أسلوب ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾. أما المنافقون فقد اشتدت لهجة الخطاب معهم فلم تقل عنها مع اليهود حتى قال فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [٤٥] [النساء: ١٤٥].

تأمل هذا التنوع القرآني الإلهي في أسلوب الخطاب ليونة وشدة، وقارن بينه وبين الأسلوب الانهزامي الترضوي الجامد على نسق واحد هو التلطف والتلين، متسترأ على سواته بإضفاء تسمية شرعية جذابة عليه هي (الحكمة)! ومع من؟ مع الشيعة أشباه المنافقين واليهود! بل الغريب أنه كلما اشتد الشيعة لان السنة، وزادوا من عروض تنازلاتهم!

### الهزيمة النفسية لدى أهل السنة تجاه الشيعة

أرى أن أهل السنة يعانون من هزيمة نفسية تكتسح جمهورهم أمام الشيعة. تتمثل هذه الهزيمة في مظاهر كثيرة منها:

- اتخاذ موقف الدفاع وليس الهجوم تجاه المسائل الخلافية. فمثلاً حين يهجم الشيعي متهماً إياهم بكره (أهل البيت) تجددهم يتوقفون عند دفع التهمة مع التظاهر بالحب الطاغي لهم من خلال العبارات الترضوية الزائدة عن الحد في مدحهم والثناء عليهم. ولا يتجاوزون ذلك إلى الهجوم باتهام الشيعة بكره الصحابة وتكفيرهم، بل الإساءة إلى أهل البيت أنفسهم، وجعل هذا هو القضية، وليست كره أهل البيت الذي هو مجرد أسطورة لا إثارة من دليل أو شبهة عليها. لقد نجح الشيعة في اختلاق قضية من العدم، بينما فشلنا في تثبيت قضية تشهد لها كل معطيات الواقع والتاريخ!

- ومن مظاهر الهزيمة النفسية توقف المنابر - وحتى المؤلفات والنشرات والصحف - الذي يكاد يكون تاماً عن انتقاد عقائد الشيعة، وممارساتهم العملية، وفضحها على رؤوس الملاء، كالإمامة والعصمة والتحريف وتكفير الأمة وسب الصحابة والتقية والتمتعة والزيارة الخ... ما جعلهم يتجرأون في طرحها ونشرها، ورسخها أكثر في أوساطهم، بل صارت تزحف إلى محيط أهل السنة الذين فقد جمهورهم الحساسية تجاهها.

- ومن مظاهرها بحث الكثير من علماء أهل السنة وكتابهم والناطقين باسمهم عن صلات وعلاقات قريبي بين العقائد والشعائر المختلفة عند الفريقين. فبينما تجد نعمة الله الجزائي يقول بكل ثقة وعنجهية ووقاحة فارسية: (إنا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك لأنهم يقولون أن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك

النبي نبينا!)<sup>(١)</sup>. ولم يردّها أو ينكرها عليه أحد من الشيعة. بل هو موضع تبجيل وتقديس لديهم. وتجد محمد حسين فضل الله الذي يتظاهر بالتسامح والدعوة إلى تقريب المذاهب، لا يجيز التعبد بمذاهب أهل السنة، ويجب سائلاً يسأل: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة، وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟ فيقول: لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة<sup>(٢)</sup>! تجد الكثير من علمائنا يكيلون العبارات التقريبية جزافاً من مثل: ديننا واحد ونبينا واحد وعقيدتنا واحدة، حتى أجازوا التعبد بالفقه الشيعي الذي أسموه جهلاً أو تجاهلاً بالفقه أو المذهب الجعفري! ومنهم من قال: إننا متفقون في أكثر من ٩٥٪ من المسائل الفقهية والاعتقادية! ومن هذا الصنف شيخ عراقي مشهور سئل في فضائية دبي في برنامج (الكلمة وأخواتها): عن حكم سب الصحابة؟ فأجاب: من سب أهل البيت فهو كافر، ومن سب الصحابة فهو فاسق!! الشيخ هذا نفسه كان يصرخ من فوق منبر جامع أبي حنيفة في أول خطبة جمعة بعد الاحتلال في بغداد، وذلك في ٢٥/٤/٢٠٠٣: (بيّض الله وجوه الشيعة) وقد كررها ثلاثاً! ولا أدري علام يبيّض الله وجوه الشيعة: أعلى عمالتهم وممالاتهم للغزاة؟ أم على نهب البلد وتخريبه وإحراقه؟ أم على أي شيء ذلك يكون؟! أخبروني مأجورين؛ فأنا لا أدري! سوى أن هذا هو ديدن الترضويين في كل زمان ومكان.

وإن أنس لا أنس حين ذهبنا بعدها بأسبوع واحد لا غير، وذلك يوم الجمعة ٢٥/٤/٢٠٠٣ إلى اجتماع كبير دعي إليه أئمة مساجد أهل السنة للاجتماع بأحد الوجوه السنية البارزة، ومقدم كبير في الحزب الإسلامي، والاستماع إلى توجيهاته القيمة من أجل رسم الخطوط البارزة للسياسة

(١) الأنوار النعمانية، ٢/٢٧٨، نعمة الله الجزائري.

(٢) مسائل اعتقادية، ص ١١٠، محمد حسين فضل الله.

الحكيمة التي ينبغي أن ينتهجها الشيوخ والدعاة في تلك المرحلة الحرجة التي تجد الحليم فيها حيران لا يدري أين يضع قدمه! وكان مما قاله (علينا بتكوين مرجعية لأهل السنة). هل تستطيع أن تحزر أيها القارئ لماذا؟ (مرجعية مؤهلة لأن تجلس أمام المرجعية الشيعية)!!! ثم أردف وهو يشير إلى القاعة المكتظة بحشود الحاضرين قياماً وعوداً وقد فاضت بهم فاضطر الكثيرون إلى التجمع خارجها: (من منا مؤهل لأن يجلس أمام المرجعية الشيعية؟ أهؤلاء الشباب؟!!!! نعم! المهزوم لا يرى في أتباعه إلا صورة نفسه المهزومة المأزومة؛ فهو لا يثق بهم، ولا يحترمهم. جموع حاشدة بالمئات لا يرى فيها أخونا واحداً يصلح للجلوس أمام من؟ مرجعية خائبة، خائبة تافهة، لا تجيد غير التكبر الفارغ على الآخرين لا سيما المهزومين! أي هزيمة تجتاح نفوس (قادتنا)! وهل ينتصر مجموع مهما بلغ من الشجاعة والحكمة إذا كان يقوده أمثال هؤلاء المهزومين المأزومين؟!

### لا تناقض بين الشجاعة الفردية والهزيمة النفسية الجمعية

رأيت الكثيرين - عندما تحدث لهم عن هذا الوباء المتفشي في صفوفنا - يحاولون بكل الطرق نفي وجوده كما ينفي المجرم التهمة عن نفسه، لا سيما حين يصل الأمر إلى تسمية بعض الأشخاص المعروفين ووصمهم بالهزيمة النفسية محتجين بشجاعتهم، ومستشعدين بمواقف تثبت هذه الشجاعة. وهذا يعبر عن قلة إحاطة بعلم النفس.

عقدة نفسية لا صفة شخصية: أنا أتكلم عن عقدة نفسية، وليس عن صفة شخصية من شجاعة أو جبن. فإذا علمنا أن العقدة - حسب التعريف العلمي - (استعداد نفسي لا شعوري مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير)، والهزيمة النفسية عبارة عن عقدة: أدركنا أنها حالة غير واعية، بمعنى أن صاحبها لا يحس بها؛ لأنها مترسبة في (اللاوعي) أو في زوايا عقله الباطن. ولأنها حالة قسرية فهي تجعل صاحبها يتصرف - بطريقة لا شعورية - تصرفات لا تتناسب وحجمه أو عمره أو شخصيته، ما لم يمنع من ذلك موانع قاهرة تؤدي به إلى مزيد من



الاضطراب. فمثلاً تجد رجلاً يخاف من حشرة معينة أو زاحف من الزواحف كالأفعى أو سام أبرص (أبي بريص) ولا يحتمل التقرب منه، بينما تجده لا يهاب الموت إذا استدعى الموقف. وتجد آخر لا يطيق النوم وحده في بيت خالٍ مظلم، ويخاف أن يخرج يده من تحت الغطاء. وثالثاً يخشى النظر من الأسطح العالية، أو ركوب الطائرة، أو (دولاب الهواء) في حدائق الألعاب. ولا علاقة لكل هذا بالشجاعة من عدمها.

**حالة جمعية لا علة فردية:** ثم إننا - من جهة أخرى - أمام حالة جمعية، ولسنا حيال علة فردية. فإذا عرفنا أن الفرد عادة ما تذوب صفاته في وسط المجموع أو الجمهور، وتشكل نفسيته حينما يواجه موقفاً جماعياً تشكلاً جديداً يتقمص أو يتماهى به مع نفسية المجموع، فيمسي تصرفه معبراً عن النفسية الجمعية أكثر مما يعبر عن أصل خصائصه النفسية الذاتية، التي تبرز في المواقف الفردية. أقول: إذا عرفنا هذا عرفنا أن لا تناقض بين شجاعة الفرد وبين كونه يعاني من عقدة خوف أو هزيمة نفسية تجاه أمر ما. فالشجاعة صفة فردية تعبر عن نفسها إما في المواقف الفردية، وإما في المواقف الجماعية تجاه تحدٍ لا يعاني المجموع إزاءه من الهزيمة: كالموقف من الغزو الغربي عموماً والاحتلال الأمريكي لبلادنا خصوصاً. أما التحديات التي يشعر المجموع إزاءها بالهزيمة فعادة ما يتصرف الفرد تجاهها طبقاً للنفسية الجمعية، يدفعه إلى ذلك ترسبات الهزيمة في عقله الباطن الخاص به. ولا يجد غضاضة في ذلك ما دام يتصرف ضمن المجموع. إن الجو الجمعي يتلاشى فيه وقع التصرفات المعيبة. فقد ينهزم الفرد مع المنهزمين في ميدان المعركة إذا كان جندياً من الجنود، لكنه ربما لا ينهزم لو كان في موقع القائد. وقد يبكي الشخص مع جموع الباكين، لكنه قد لا يبكي لو كان الموقف يحسب عليه وحده. والعكس صحيح: فإن الجبان في وسط الجمهور الزاحف يبدو وكأن صفته قد اختفت فصار يتصرف كما يتصرف الشجاع؛ لأنه يتصرف بالصفة الجمعية للجمهور<sup>(١)</sup>.

(١) مر بنا سابقاً قول غوستاف لوبون: إن ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر =

ومعروف في أوساطنا الشيعية أن (ابن الأصول) - أو ابن الحَمولة كما في لهجتنا الدارجة - لا ينحرف كما ينحرف المنبتر عن أصله وعشيرته. والسبب استحضاره - في اللحظة والموقف المعين - للعناصر الجمعية للعشيرة أو العائلة المعروفة التي ينتمي إليها. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في كون عقوبة الجارية الزانية على النصف من عقوبة الحرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْكَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]. وشبيه به ما جاء عن هند بنت عتبة رضي الله عنها أنها قالت: (أو تزني الحرة يا رسول الله؟).

لقد ظل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في جموع العرب من الصحابة وغيرهم ثلاثة أيام من أجل التطوع لحرب الفرس، فما تقدم منهم أحد! حتى إذا كان اليوم الثالث غضب منهم غضباً شديداً وصار يعنفهم، فكان أول من حمي أنفه منهم أبو عبيد الثقفي الذي صاح من وسط الصفوف المحتشدة: (أنا لها أنا لها) فقال له عمر: (لقد وليتك). بينما كان هؤلاء أنفسهم يتدافعون إلى حرب الروم. أو يشك أحد في شجاعة أبي عبيد؟ أم في شجاعة أحد من الصحابة وعموم العرب؟ ولكنها العقدة النفسية الجمعية تجاه الفرس، التي نشأت من طول ما عانى العرب من أذاهم ومكرهم وغدرهم وفتكهم. ليس هذا فحسب، وإنما تميز الفرس بنفسياتهم الثأرية التي تتقصد

= والأفكار في اتجاه واحد يشكل الخصيصة الأولى للجمهور... والظاهرة التي تدهشنا أكثر في الجمهور النفسي هي التالية: أيّا تكن نوعية الأفراد الذين يشكلونه، وأياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً، وكذلك اهتمامهم ومزاجهم أو ذكاؤهم، فإن مجرد تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً... هكذا نلاحظ بسهولة إلى أي مدى يكون الفرد المنخرط في الجمهور مختلفاً عن الفرد المعزول... وهذه الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتية تمحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية.

أفراد العدو وقادته بصفاتهم الشخصية، فهم يتابعون الخصم متابعة فردية خاصة، تجعله في خوف وقلق دائم من الاغتيال والأذى الذي يتوجه إليه باسمه، فوق عداوتهم وتأثرهم من المجموع. وقد توارثنا نحن هذه العقدة، التي لم تزدها الأيام إلا رسوخاً. فتجد أجدنا يتحاشى التعرض للفرس، ويتأول ما يصدر عنهم من أذى ما وسعه التأول، ويغض الطرف عنه ويحمّله على أحسن محامله ما قدر على ذلك، رغم أنه ربما تكلم بغير هذا في الروايات المغلقة، وفي المواطن التي يحس بأنه آمن فيها على نفسه وأهله.

أيها الشجعان! إنكم مصابون بعقدة (الرّهّاب) من الفرس وورثتهم أصحاب التشيع الفارسي. فبادروا إلى علاجها يرحمكم الله.

### المهزوم لا يأتي بحل

في لمحة سريعة للدكتور نوري المرادي وهو يتكلم في برنامج (الاتجاه المعاكس) يوم ٢٤/١١/٢٠٠٤ عن مؤتمر (شرم الشيخ) الخاص بمحاولة رسم خطوط عامة لحل مشكلة العراق. في هذه اللمحة تظهر لنا حقيقة عظيمة ما أحرانا أن نقف عندها! قال د. المرادي: (جميع الحكام مهزومون نفسياً. والمهزوم نفسياً لا يستطيع أن يأتي بحل. وإن أتى، فهو انعكاس لهزيمته النفسية).

إن هذا يقودنا إلى البحث عن علاج آخر مخالف تماماً للعلاجات المطروحة في الساحة؛ فهي جميعاً ليست أكثر من انعكاس للهزيمة النفسية التي يعاني منها أصحاب تلك الطروحات المهزومة. وعن علاج ناجع لهذه الهزيمة النفسية الشائعة كالوباء في أوساطنا.

### دواء واحد فقط للعلاج

عندما تجمع في صفحة واحدة بين عقدة النقص عند مجموع الرافضة، والهزيمة النفسية عند مجموع أهل السنة تجد أن الوصفة الأفضل لعلاجهما دواء واحد يصلح لكليهما مرة واحدة، ولا حاجة لتعدد الأدوية وتشتيتها.

بعض المتحذلقين يحاول أن يتفلسف فيقول: لا بد من الاحتواء أولاً ثم الاختراق ثانياً. وما هذا إلا التفاف على العمل الجاد من أجل العلاج،

ورجوع إلى نقطة الصفر، يعبر عن هزيمة مقنّعة لا تدع صاحبها يضع خطوة صحيحة على الطريق. وذلك تجنباً لمخاطره، وهرباً من تكاليفه. والحقيقة أنه لا يريد غير المضي في طريق الاحتواء، الذي لا يعني غير المجاملة أو المداهنة، والابتعاد عن طريق ذات الشوكة. إن العقل اللاواعي المهزوم يدرك أن العمر ينفد قبل الوصول إلى نقطة النهاية في طريق الاحتواء، وأن النقطة المؤدية إلى طريق الاختراق بعيدة وليست في حدود دائرة النظر. إنه المنهج الترضوي بثوب جديد! والإسلام لا يعرف هذه الفلسفة.

لا تستغرب من هذا أيها الأخ الباحث عن الحقيقة! فقد مر الصحابة بمثل هذه الحال، ورصدها القرآن فسجلها في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرَهُونَ ۚ﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٨٥]. لكن الصحابة سرعان ما أفاقوا ونهضوا ليتخلصوا من عوارض الوهن، ونحن لا زلنا في وهننا سادرين، لولا بواذر الوعي التي اجتاحت محيطنا أخيراً بسبب انكشاف الأمور على حقيقتها، حين اصطف عامة الشيعة - إلا القلة من الأصلاء منهم - مع المحتلين، وكشروا عن وجههم الطائفي البغيض، فصار يراه الناس أجمعين. لكننا نخشى عند استقرار الأمور أن ينسى الناس ما تكشف لهم من حقائق، ويعودوا إلى ما كانوا عليه من الصمت والمجاملة ومراسيم التقرب والتقريب، لا سيما وكثير من الترضويين أو المتسييسين لا زالوا على أصنامهم الأولى عاكفين.

## ب. الأساليب والمبادئ الخاصة

### ١ - الخطاب القوي هو الدواء

ذكرت قبل قليل أن عقدة النقص عند الشيعي تجعل أي محاولة للتقرب منه يبذلها الآخر ينظر إليها على أنها تعبير عن الضعف. كما أن عقدة السيد أو الاستعلاء الناتجة عنها تجعله لا يعير اهتماماً لأي خطاب لين، أو تبدو عليه

آية علامة تفسر لديه على أنها إشارة ضعف. إن السيد لا يحترم إلا سيده مثله، ولا يستجيب لخطاب العبد بما يليق بمقام السادة. فإذا كنت محترماً فعليك أن تعامله بما يفهمه أنك سيد بكل معاني الكلمة. أما المتسيد - وهو صاحب عقدة النقص - فلا يحترم إلا من يذله، ولا يشفيه إلا خطاب فوقه يشعره أن الآخر يستحق ليس الاحترام فحسب، وإنما السيادة عليه، والمتبوعية في العلاقة المتبادلة. هكذا يتعامل سادة الشيعة وعلماءهم مع جمهورهم وعامتهم. وبهذه الطريقة فرضوا عليهم احترامهم ومتبوعيتهم. إن الشيعي يتذلل لـ (رجل الدين) عندهم، ويخضع له خضوعاً عجيباً إلى حد أنه يجلس بين يديه بكل خشوع ليسلمه أمواله ثم يقبل يده وهو يسلمه تلك الأموال، وينفذ أوامره بلا نقاش. ويهدي إليه ابنته كنذر، ليتزوجها بلا مهر! الواقع أن سادة الشيعة وكبراءهم لا يحترمون أتباعهم، بل يستهينون بهم ويتعالون عليهم. وبهذا فرضوا احترامهم وطاعتهم العمياء لهم! وما مثلهم ومثل شيعتهم إلا كمثّل فرعون وقومه الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِيقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ومثل اليهود والنصارى مع أحبارهم ورهبانهم الذين قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

الخطاب الصريح القوي وحده هو الذي يمكن أن ينفذ إلى عقول هؤلاء، ويلفت انتباههم، ويحظى عندهم بالتقدير والاحترام. وما دونه لا يفسر إلا على أنه علامة ضعف، وكذب وزيف. على أن يستمر هذا الخطاب على قاعدة (الطرق المستمر)، ويسير في اتجاهين:

١ - أولهما: كشف ما عليه التشيع من باطل في العقائد والشرائع، والتاريخ والواقع، وأخلاق وأحوال المتسيدين والمتفقيين والمراجع. وفضح أصله الفارسي، وعلاقته

بإيران بداية ووهداً وغاية. وهذا يقدم في الطرح على الاتجاه الثاني وهو:

٢ - بيان الحق المقابل، ودعوتهم إليه. مع التأكيد بوضوح على أنهم ليسوا على شيء حتى يتركوا ما هم عليه، وقيموا الحق والدين الصحيح.

هذا بالنسبة لجمهور الشيعة.

وأما جمهور السنة فإن الخطاب المجامل والضعيف للشيعة لا يزيد أهل السنة إلا انهزاماً ووهناً. إنهم بأمس الحاجة إلى خطاب قوي مدوّ، وقيادات قوية تتقدم صفوفهم، وهي تكشف - بصراحة تامة، ودون تردد أو تلغيم - زيف التشيع، وخطورة المؤامرة الشعوبية، وتعرض الحق والبديل الصحيح بوضوح تام ولو كره المجرمون.

هذا هو السبيل الوحيد لعلاج الأزمة النفسية التي يعانون منها، وإعادة الثقة إلى نفوسهم، والطريقة الوحيدة التي بها تنطلق قواهم وتتفجر طاقاتهم. وهذا هو الذي قصده بقولي: إن دواءً واحداً نحتاجه لعلاج الحالتين، ولا داعي للتفلسف وتعدد الأدوية.

## ٢ - فصل جمهور الشيعة عن مراجعهم

هذا من أهم الأساليب الجماعية في علاج التشيع الفارسي. وأظنه يمثل نصف المسافة في طريق العلاج. أو نصف جهد العمل كله.

لقد حصلت الانعطافة الكبرى في مسيرة التشيع بعد القرن الثالث الهجري عندما تمكن زنادقة الفرس - في غيبة الأئمة الكبار من رجال أهل البيت وغيرهم من علماء الأمة - من قيادته والإمساك بزمامه. ولبسوا لذلك العمامة الدينية، وتلبسوا بالزي الديني، وتظاهروا بحب أهل البيت والتباكي عليهم. لقد كان وجود رجل بزي عالم يروي رواية، أو ينشر فكرة، أو يبتدع بدعة ينسبها إلى محمد الباقر أو جعفر الصادق أو غيرهما من أئمة أهل البيت مجرد نسبة يكفي تماماً عند كثير من العوام لقبول ذلك كله مهما كان مخالفاً للمنقول أو مناقضاً للمعقول. وهكذا تمكنوا من تحويل التشيع من مساره إلى دين قائم بذاته أريد له أن يكون هو البديل عن الدين الذي جاء به النبي محمد ﷺ. فكان ذلك إيذاناً بحدوث الانحراف الخطير في تاريخ التشيع: فقد تحول إلى دين قائم بذاته أصولاً وفروعاً، عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً<sup>(١)</sup>.

(١) لي محاضرة صوتية وأخرى مصورة، بعنوان: عندما قاد العجم مسيرة التشيع. تناولت فيهما هذا الموضوع.

العلاج يمكن أن يتم باتباع الطريقة نفسها، ولكن بمضمون صحيح. وذلك بأن يستلم زمام قيادة التشيع علماء صادقون، ودعاة جادون يلبسون الزي نفسه الذي به قاد المزورون جمهور الشيعة. ويقومون بإزاحة أولئك الدجاجلة المزورين شيئاً فشيئاً، وطردهم من مواقعهم في قيادة المسيرة. ولست ممن يستعجل النتائج، فقد صبر زنادقة الفرس بضعة قرون، أفلا يصبر دعاة الحق بضعة عقود ليحصدوا ثمار جهودهم؟

أما الشروط المطلوب توفرها في هؤلاء العلماء والدعاة فهي:

- ١ - عقيدة سليمة
- ٢ - إيمان صادق
- ٣ - حب الصحابة
- ٤ - حب الوطن والاستعداد التام للدفاع عنه
- ٥ - حب العرب وتبني مبدأ العروبة
- ٦ - معاداة الشعوبية والشعوبيين
- ٧ - معرفة كافية بالعجم ودسائسهم
- ٨ - تبني القرآن الكريم مصدراً لأهميات العقائد والشرائع
- ٩ - الاحترام الكامل لبقية المسلمين
- ١٠ - رفع السب واللعن عن جميع رموز الأمة من الصحابة فمن دونهم.
- ١١ - إعادة النظر في كل التراث المنسوب إلى أهل البيت، وتنقيته على أسس علمية صحيحة.
- ١٢ - أن لا تكون لهم تبعية للرموز الحوزوية. ولا يعتمدون عند الظهور في موثوقيتهم لدى الجمهور على تزكيتها، بل يُظهرون مخالفتها، ويعملون على تسقيطها، واستلام المبادرة لتكوين مرجعية عربية، تكون هي الأساس والمرجع في التوثيق والتجريح.

١٣ - أن يكونوا ممن أثبتت الشواهد والاختبار والتجربة صدقهم وموثوقيتهم.

قد يقول قائل: ما الفرق بين هؤلاء وبين أهل السنة؟ وأقول: ومن قال: إن هناك فرقاً مؤثراً بين التشيع الأصيل والتسنن؟ نحن نريد الرجوع بالتشيع إلى أصله، وهو حب أهل البيت الذي هو أحد مفردات السنة. ثم لا بأس أن يزيد عند البعض فيتميزوا به عن غيرهم - دون الوقوع في محذور الغلو - فنسميهم شيعة. هؤلاء هم إخواننا الذين نأمل أن يعودوا بالتشيع إلى أصله الصحيح، ويعيدوا له وجهه المشرق القديم بعد أن سوده أساطين التشيع الفارسي، والجهلة المخدوعون من جمهور المتشيعين.

يحتاج هذا إلى مهاجمة رؤوس باطل التشيع الفارسي، وتسقيطهم من خلال فضح عقائدهم وبدعهم، وسلوكهم وسوءات أخلاقهم، وهي كثيرة. وهذا منهج قرآني أعرضنا عنه فخرنا كثيراً. انظر كيف هاجم القرآن المرجعية الباطلة كما في قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤] وقال: ﴿اتَّخَذُوا أَجْنَابَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْكَبًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]. وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

ومن هذا الباب تنديده بأبي لهب شخصاً إياه بالاسم فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ إلى آخر سورة [المسد]. وذكر مرجعيات للكفر أخرى لكنه اكتفى بذكر الأوصاف الدالة دون الاسم كما في قوله: ﴿وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَامٍ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٠-١٦]. وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾ [العلق: ٩-١٠]. وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾



وَجَعَلْتُ لَكُمْ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَأُطِيلُهُ سَقَرًا﴾ ﴿١٤﴾ [المدثر: ١١-٢٦]، وغيرها من الآيات كثير.

### ٣ - فضح تعلق الشيعة المزيف بـ(أهل البيت)

لا تجد جماعة مبطلّة إلا وتعلق برمز صالح من الأقدمين، تنتسب إليه، وتستمد مشروعيتها من هذا الانتساب المزور. إن فضح هذا الزيف ضرورة من ضرورات إضعاف أهل الباطل؛ لأنه يسحب بساط المشروعية التي يعتاشون عليها، ويستمدون بقاءهم واستمرارهم من خلالها. لذا يؤكد القرآن الكريم على قطع هذه الصلة بين أهل الباطل ورموزهم الصالحة التي يدعون الانتساب إليها من الأنبياء وغيرهم من الصالحين. كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْبَيْتِ بِإِبْرَاهِيمَ لَأُولُو الْأَرْحَامِ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ أَقْرَبُونَ وَلَكِنْ يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ أَقْرَبُونَ وَلَكِنْ يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ أَقْرَبُونَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

إن الشيعة والتشيع يعتمد في بقائه على ادعائه الانتساب إلى (أهل البيت)، ويستمد قوته وأسباب وجوده واستمراره من هذه الدعوى. فتجريدته منها يسحب البساط من تحته، ويظهر وجهه الكالح على حقيقته. أما الاقتصار على مدح علي رضي الله عنه فهو اعتراف ضمني بصحة تلك النسبة المزيفة. إنه عبث أن الأوان لأن تضرب على يد أولئك الحمقى المنهزمين كي ينتهوا عنه.

### ٤ - بيان بطلان (خمس المكاسب)

لو أردت تلخيص التشيع بجملة واحدة لقلت: (دين فاسد وخمس مكاسب). وإذا شبهنا التشيع بالبناء فإن (الخمس) هو أساسه الذي لا يمكن بدونه أن يبنى وتستقر أركانه. إن هذا الدين الفاسد ما كان له أن يقوم لولا تلك الأموال الطائلة التي يستولي عليها كهنة التشيع باسم (الخمس) و(الحقوق الشرعية) وما شابه من المسميات الباطلة. إذن فضح ممارسات أولئك الكهنة في هذه القضية، وكشف زيفها وعدم استنادها إلى أي أساس شرعي يشكل إحدى الفقرات المهمة في عمود التغيير الجماعي المنشود.

ومما يبشر بالنجاح في هذه المهمة أننا وجدنا إقناع العوام - بل حتى النخبة غير المستفيدة - بعدم مشروعية (الخمسة) ليس بالأمر الصعب أبداً لو وجد له دعاة مثابرين؛ لكونه يرفع عن كاهلهم التزاماً مادياً مرهقاً ما كانوا يؤدونه لولا اعتقادهم الساذج بمشروعيته ووجوبه. إن حب المال مركوز في فطرة الإنسان؛ فلا يمكن أن يتخلى عما في يده إلا لدافع قوي كالوجوب الشرعي، فإذا انهار هذا الدافع تخلى عن الدفع. وقد أشار القرآن إلى أصل هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (٣٦) **﴿٣٦﴾** إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْعَنَكُمْ **﴿٣٧﴾** [محمد: ٣٦، ٣٧]. وقد جربنا ذلك في الواقع فوجدنا سهولة واضحة في تخلي الشيعة عن قناعته بمشروعية (الخمسة) أكثر بكثير من إقناعه ببطالان أصول عقيدتهم كـ (العصمة) و (الإمامة) وزيارة المراقدة، بل وكثير من فرعيات بدعهم. وهذا يشكل لنا مدخلاً مناسباً لضرب الأسس الأخرى للتشيع الفارسي، فإن اهتزاز القناعة بأي مسألة يثير الشك - ولا بد - في بقية المسائل.

## ٥ - اتباع كل الوسائل الجماعية الأخرى

ليكن معلوماً أن هذا الكتاب موضوع لرسم المنهج المطلوب بخطوطه أو مبادئه العامة. وليس هو موضوعاً للحديث عن العلاج بمسائله التفصيلية؛ فإن هذه جزئيات تتغير بتغير الواقع؛ ولا نحتاج لها إلا عندما نبدأ بالتحرك للتطبيق حسب الظرف أو الواقع المعين. وهنا يجتمع أهل الحل والعقد من غير الترضويين ليضعوا العلاج في ضوء تلك الخطوط والمبادئ العامة. وإذا كان هناك من شيء يضاف هنا فأقول: علينا باتباع كل وسيلة تغييرية جماعية حتى لو كانت هي الهجرة أو التهجير.

ولا أرى العراق يستقر على حال ما دامت بغداد منتشراً فيها سرطان الشيعة الذي كان السبب الأول في سقوطها بيد الغزاة الأمريكان، والسبب الأول في إطالة أمد بقائهم، من خلال الاستحواذ عليهم ومنعهم من المؤمنين. والحل الأمثل هو برجع بغداد إلى حالها الأول، وإخراج الوافدين العملاء منها إلى جحورهم القديمة.

ولمن كبر عليه وقع هذا الكلام أقول: قد استعمل الرسول الأكرم ﷺ هذا الأسلوب فقد أجلى اليهود أكثر من مرة كلما نقضوا العهد، أو اصطفوا مع الغازي الخارجي ضد وطنهم. فأجلى بني قينقاع وبني النضير وغيرهم، وأباد بني قريظة عن آخرهم حين ارتكبوا الخيانة العظمى فتآمروا مع الغزاة، وجلبوهم ليحتلوا المدينة المنورة دولة الإسلام الأولى المصغرة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكُونُوا لِلْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)﴾ [الحشر: ٢-٤].

بل جاء الأمر الإلهي صريحاً في تهجير أهل الفتن، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقال فيمن يتعرض لأهيات المؤمنين بأذى: ﴿لَنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (١٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا (١١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (١٢)﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

### هشاشة صف الخصم

يقول الاختصاصي النفساني عبدالله مصطفى ناقلاً عن البروفسور مصطفى زيور: (إن ما يجمع بين التجمعات اليهودية الإسرائيلية بالرغم من اختلافها في كل شيء، إنما يتلخص بهذا التوحد بالمعتدي الذي أتاح لليهود التحول من المذلة إلى الطغيان، ومن الخنوع إلى السفاحية. لذلك يستنتج المحلل الحاجة الإسرائيلية - النفسية لممارسة العدوان. فشخصية المتوحد بالمعتدي تفقد تماسكها إن هي توقفت عنه. لأن العدوان يطمئنها، مانعاً تفجر موجات القلق والرعب فيها. وكأن لسان حالها يقول: ما دمت

أنا المعتدي فلا خوف علي من الارتداد إلى ما كنت عليه يهودياً تائهاً  
رعديداً يفتك به الناس في كل مكان.

من هنا يمكن استنتاج هشاشة الشخصية الإسرائيلية. وعدم قدرتها  
على تحمل أي إحباط. كون الإحباط يصيب هذه الشخصية بالتهاي  
والنفك مهدداً بزوال الهوية الزائفة. لذلك فإن القادة الإسرائيليين مجبرين  
على تأمين أفضل مستويات الروح المعنوية ليهودهم. وبناء على هذه  
الهشاشة وعدم القدرة على تحمل الإحباطات تقوم إسرائيل باعتداءات دورية  
غير ذات هدف محدد، سوى دعم مشاعر القدرة على العدوان وإثباتها).

### وأنا أطمئن أهل السنة فأقول:

إن الشخصية الشيعية شخصية اضطهادية. تعاني من النقص والخوف  
والشعور بالضعف والاعترا ب والقلق. لا تعرف الوسطية؛ فهي إما ذليلة  
خائفة مستكنة - إن هي فقدت أسباب القوة - وإما طاغية متجبرة متوحشة،  
متى ما شعرت أنها تمتلك سبباً من أسباب القوة. ولا تعرف التعايش مع  
الآخر. فإما أن تأكله، وإما أن يلجم فمها ليستم. يجمع بينها وبين مثيلاتها  
- كالشخصية اليهودية - سمة (التوحد بالمعتدي). ما يعني أنها تفقد  
تماسكها إن هي توقفت عن العدوان، وعدم قدرتها على تحمل أي إحباط؛  
لكون الإحباط يصيب هذه الشخصية بالتهاي والنفك والزوال؛ فما علينا  
إلا العمل على إيقاف ممارستها للعدوان، وعدم إعطائها الفرصة لممارسته  
في المستقبل.

إن هذه الشخصية غير قادرة على تحمل حالة النصر أو الهزيمة. فهي  
إن انتصرت اعتدت وخربت ودمرت. وإن انهزمت أحبطت وتهاوت  
وتفككت؛ لذا علينا أن نعمل على إلحاق الهزيمة بها، وإبقائها خائفة  
ضعيفة. واعلموا أنها ستتهاوى عند أول ضربة قوية؛ لأن ذلك يشعرها  
سريعاً بالإحباط، وهي غير قادرة على تحمل أي بادرة له. أما ما ترون من  
علامات القوة عندها، فالحقيقة غير ذلك. إنها انتفاشة وانتفاخ كاذب يعبر  
عن خواء ونقص وضعف، أكثر مما يعبر عما يتوهم المتوهمون.

وأنا أبشر نفسي وإخوتي والأمة جمعاء بقول الله تعالى فيهم وفي أمثالهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١١-١٧].

وصدق من قال: العقائد التي يبنها الحقد يهدمها الانتقام.

والحمد لله رب العالمين.

السبت

٢٠٠٦/٩/١٦







ملحق





## نحن والفرس من يتجنى على من؟

يرى بعض الفضلاء تهجماً منا بغير حق، وتجنياً على الفرس يستدعي المراجعة، ويبرز أمام نقدي لهذا الصنف من أمم الأرض جملة اعتراضات تتلخص في أن الفرس أمة كبيرة منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وكان لها تاريخ عظيم في خدمة الاسلام لا سيما في مجال العلم، ولا يزال كثير منهم سنة في أفغانستان وطاجاكستان وبعض مناطق إيران. وليس من مصلحة المسلمين إضاعة إخوانهم وتركهم للرافضة، بل السعي لهدايتهم ونصحهم هو المطلوب.

ويضيف بعض آخر من الإخوة جملة ملاحظات تتلخص في:

- أن نسبة التشيع إلى الفرس تعني أن التشيع أصلاً خرج من الرحم الفارسي، بينما هو يرى أن أصل التشيع مأخوذ من اليهود على أساس أن أول من ابتدعه عبدالله بن سبا اليهودي.
- أن إيران كانت قبل مجيء الصفويين سنية على مذهب الشافعي، وأن إسماعيل الصفوي لم يكن فارسي الأصل، ومع هذا كان من أشد الناس فتكاً بأهل السنة.
- أن لدينا بعداً قومياً في الطرح، وأنا بذلك نحول الصراع مع الشيعة إلى صراع قومي ضد الفرس فقط دون بقية القوميات.

وأنا إذ أشكر لأصحاب هذه الآراء نصحتهم وغيرتهم، وحرصهم على الحق، وتوخيهم الحقيقة؛ فإن هذه هي أخلاق المسلم، وخصال الفتوة العربية الأصيلة! التي - ويا للأسف! - طالما أتاننا الأعداء من قبلها، واخترقوا صفنا تحت عباءتها: أقول: لقد عايشنا الشخصية الشيعية ميدانياً، ودرست أمها الشخصية الفارسية بعمق، وتوصلت إلى نتائج خطيرة، بل هي غاية في الخطورة والأهمية، لا أرى إمكانية لعلاج معضلة التشيع الفارسي من دون معرفتها أو وضعها على طاولة التشريح والتشخيص. تلخص هذه النتائج في أن النفسية الجمعية للشخصية الشيعية الفارسية تعاني من تركيبة متشابكة من العقد لم تجتمع كماً ونوعاً في شخصية أخرى كما اجتمعت في هذه الشخصية. وسجلت ذلك في دراستي المعمقة (التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية؟). فأنا صاحب اختصاص في الموضوع، وصاحب الاختصاص يرى في موضوع اختصاصه ما لا يراه غيره ممن لم يتفرغ له كتفرغه، وهو فرق جوهري بينه وبين الآخرين. ورؤيتي المختلفة هذه هي أحد الفروق الاختصاصية، ولا أريد في مقابلها إلا الوقوف عند هذه الحقيقة قبل التسرع بردها؛ حتى لا يغط صاحب الاختصاص حقه، أو نظلم العلم مستحقه.

### وجوابي عن الإشكالات المثارة ألخصه في النقاط التالية:

#### ١. لكل شعب خصائصه وأخلاقه .. والاستثناء للبعض من أفرادهم واردة

إننا إزاء أخلاق شعوب وصفات أقوام وخصائص أمم. إن لكل شعب خصائص وصفات لا تجتمع في سواه. على أن هذه الأخلاق - وإن توفرت في المجموع - ربما تخلفت في الأفراد قلوا أم كثروا. فمن المؤكد جزماً أن في كل أمة أفراداً يخرجون عن الوصف العام للأمة. فرب انجليزي في أصله تجده عربياً في خلقه، وعربي في أرومته تجده عجمياً في سلوكه. والله تعالى حين ذم أهل الكتاب استثنى فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣]. وهكذا الحال مع الفرس، فليس كل الفرس فرساً في أخلاقهم، ولا كل العرب عرباً. فعندما نقول: الفرس كذا وكذا، فإن هذا من العام المخصوص.

## ٢. صعوبة تغيير أخلاق الشعوب

إن أخلاق الشعوب وخصائصهم تمتاز بالثبات، وعدم الاستجابة السريعة للمؤثرات الخارجية التي تضغط باتجاه تغييرها، سواء كانت هذه المؤثرات ديناً أم مادة أم إعلاماً أم احتلالاً. فالشعب العربي مسلم، وكذلك الشعب التركي، والأفغاني أيضاً. وكل هؤلاء يقرأون كتاباً واحداً، ومصادر التشريع لديهم واحدة. ولكن هل استطاع الدين الواحد أن يغير من خصائص وأخلاق كل شعب من هذه الشعوب الثلاثة بما يزيل الفوارق بينها ويصهرها بحيث تبدو كأنها شعب واحد لا يمكن أن تقول من خلال السلوك الخاص: هذا عربي وهذا تركي وهذا أفغاني؟ أبداً، فقد ظل العربي عربياً في صفاته زينها وشينها، والتركي تركيا، وكذلك الأفغاني، وهكذا الشعوب جميعاً.



الرئيس السوداني عمر حسن البشير بملابس الزنوج يرقص معهم  
لم يمنعه منصب الرئاسة بما له من مكانة، وما يقتضيه من هبة من ممارسة الرقص بهذه  
الملابس المضحكة بالنسبة لنا؛ لأن الطبيعة الإفريقية المحبة للرقص تفرض نفسها، والأهم  
من ذلك لا يمكن قيادة الشعوب إلا بما يتوافق وتقاليدها، ويتناسب وأخلاقها، ويساير طبائعها

لقد دخل الإسلام إفريقيا فلم ينسلخ الزنوج من خصائصهم كنزوح، وإن طراً عليها بعض التغيير. بل لم يتمكن شعب كالشعب السوداني مثلاً - وهو شعب غالبه عربي - من التخلص من ميله الطبيعي كإفريقي للرقص، على العكس فقد طوع الشعب الدين ليتلاءم مع هذه الخصيصة فكانت الطرق الصوفية أفضل حل للمواءمة بين الشرع والطبع. العربي يمتاز بالكرم، والأوربي بالبخل والحرص: فهل الانجليزي أو الأسباني المسلم تمكن الدين من نقله إلى مستوى العربي في كرمه؟ بل العربي الذي يعيش هذه المجتمعات يبدأ بالتأقلم معها ويحاول تغيير طبيعته العربية بما يمكن شرعاً ويتناسب وأخلاقها. ما الذي يمكن أن يفعل الدين للكردي في عناده، والمصري في لينه، والبدوي في شدته، والعراقي في حدته؟ بل إن الشعب الواحد تتعدد أخلاق مكوناته من منطقة إلى أخرى. فكرم ابن الضلوعية لا يدانيه كرم ابن نينوى وإن كان كلاهما مسلمين. وتحضر الموصلية وانضباطه وطاعته للقانون لا يشبهه فيه الفلوجي. ولا تنس أنني أتكلم على مستوى العموم لا الأفراد. فالاستثناء الفردي وارد. نعم الدين يهذب ويصلح ويدفع باتجاه الخير، ولكن لا يغير خصائص الشعوب والأمم إلا بمقدار. والرسول ﷺ يقول: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) رواه مسلم. وإذن تحول الفرس من المجوسية إلى الإسلام لا يلزم منه تحولهم عن أخلاقهم وخصائصهم كشعب. سيما وأن التاريخ يحدثنا أن هذا التحول لم يمر بفترة حضانة واختمار مناسبة تسمح لكثير من هذه الأخلاق أن تتغير على الصعيد الجمعي، على العكس من العرب الذين احتضنت بيئتهم بذرة الإسلام قرابة ربع قرن حتى نما وترعرع واستوى على سوقه، واستقر بينهم ليكون جزءاً من حياتهم.

إن تغيير أخلاق الشعوب وسلوكياتهم وعاداتهم أصعب من تغيير أفكارهم وأديانهم، بل تغيير أشكال لباس شعب من الشعوب أصعب من تغيير دينه ومعتقداته! فكيف بأخلاقه؟! إن الأخلاق أعمق غوراً وتغلغلاً في دخيلة النفس من الفكر والمعتقد، هذا على المستوى الفردي، فالأمر على

المستوى الجمعي أعمق وأثبت وأصعب على التغيير. وقد جربنا ميدانياً تغيير عقائد الناس، فلما خبرنا أخلاقهم وجدناها لم تتغير إلا في ظاهرها بما يتناسب والتغيير العقائدي، أما في الباطن فما زالت على حالها الذي تكونت عليه بما يتناسب والمجتمع الذي نمت فيه وتغذت على مؤثراته ودوافعه.

### ٣. الشعب الفارسي أكثر الشعوب استعصاء على التغيير

فكيف إذا أضفت إلى ذلك أن الشعب الفارسي هو أكثر الشعوب استعصاءً على التغيير، وأن كل الأمم التي غزت بلاد فارس واستوطنتها تغيرت بما يتوافق وطبيعة أهلها، وليس العكس؟! وإليك هذا الشاهد ملخصاً من كلام باحث فرنسي متخصص في شؤون الساحة الإيرانية. كان صديقاً للشاه والدكتور مصدق، هو أدور سابيليه في كتابه (إيران مستودع البارود) تحت عنوان (إيران من الجانب الآخر):

"إن هضاب إيران المرتفعة طالما خضعت أراضيها إلى نير الاحتلال الأجنبي، ولا تزال تتردد فوق أراضيها أصداً وقع حوافر الفرسان الطورانيين والمقدونيين والعرب والمغول والأتراك والأفغان، غير أن حضارتها لم تتوقف عن مواصلة سيرها. كانت إيران تشبه أشجار الحور البيضاء في تبريز تنحني أمام العواصف ولكنها لا تتحطم. وكان الغزاة يتأثرون بهذه القيم الحضارية للبلاد المحتلة ويحاولون الإفادة منها. وفي حوالي القرن السابع انهارت الإمبراطورية الساسانية في الداخل عند الفتح العربي وأصبحت إيران ولاية تابعة للخلافة بعد فرض العقيدة الإسلامية في كل البلاد. وبدا لأول وهلة بان الفكر الفارسي قد طمست آثاره ولم يعد له وجود أو استمرار في هذه المرة. ولكن الحقيقة لم تكن كذلك. وأخذت الثقافة الفارسية تتسلل إلى داخل البيئة الإسلامية حتى أصبحت هذه الثقافة وكأنها جزء من الفكر الإسلامي. وعلى خلاف الشعوب الأخرى لم يمتزج الفرس بوشائج الصلة الوثيقة مع العرب حملة الراية الإسلامية، بل حافظ الفرس على شخصيتهم الذاتية حتى في ظل الإسلام. ففي مقابل المذهب

السني الشائع بين العرب اخترعوا المذهب الشيعي. وعندما كان مجموع المسلمين يخضعون لسلطان الخليفة فان الإيرانيين اتخذوا من المذهب الشيعي ذريعة لمناهضة شرعية الخلافة باعتبار عدم جواز الإمامة إلا حصراً بسلالة علي. واستعان الفرس بالتكتل الشيعي لتحقيق مآربهم. إن الفرس مسلمون، ولكنهم يختلفون عن المسلمين الآخرين. ومن هذا المنطلق استطاعوا الاستمرار على تحصين أنفسهم ضد الانصهار. لقد اتبع الإيرانيون التعاليم الدينية التي جاء بها العرب (الأجانب) الفاتحون، ولكنهم لم يلبثوا أن أجروا عليها التعديلات لكي يجعلوها ملائمة لأهوائهم وتقاليدهم. إن الفتح وفرض السيطرة لم يغير من الطبيعة الذاتية للشخصية الفارسية. إن الشعب الإيراني لا يتقبل بسهولة تغيير ما ألفه في حياته اليومية من تقاليد تمتد جذورها إلى ما قبل خمسة آلاف سنة". إ.هـ.

إن الغدر طبع فارسي قال عنه الفاروق: "احذروا الفرس فإنهم غدره مكرة". فكيف يمكن تحويل شعب بكامله عن هذا الخلق الأصيل المتأصل في طبيعته؟ لقد دخل الفارسي الإسلام وفي طبعه هذا الخلق، واستمر وهو عليه. وكذلك بقية الأخلاق والخصائص والصفات: الحقد الأسود، الرغبة بالانتقام، التعصب، التعالي والاستكبار، الشك، الخداع، الصفاقة والوقاحة، نكران الجميل، العدوانية، الكذب والنفاقية، الشعور العميق بالمظلومية، العقلية الخرافية. كيف يمكن اقتلاع هذه الخصال من طبيعة شعب راسخة فيه منذ آلاف السنين؟! لا يتصور ذلك ممكناً إلا من خائنه الرؤية العلمية للموضوع. نعم ربما خفف الدين من غلواء هذه السجايا عند بعض الأفراد، أو انمحت منهم تماماً فحملوا الرسالة بصدق وإخلاص ومودة ووفاء، أما على المستوى الجمعي للمجتمع فواهم جداً من تصور أن هذه الأخلاق قد زالت من طبيعة الشعب الفارسي. إن طبائع الشعوب تبقى عصية على التغيير إلا بنسب ضئيلة غير مؤثرة. إلا إذا افترضنا أن الشعب المعين تهيأت له مؤثرات وحواضن خاصة واستمرت عصاراً طويلاً، وكان الشعب سهلاً قابلاً للتغيير. وهذا ما لم يحصل لبلاد فارس. ومع الأسف فالعكس هو الحاصل بالنسبة للفرس حتى أعدوا غيرهم من

الشعوب التي عايشتهم واختلطت بهم، فكانوا ناقلين لجراثيم المرض بدلاً من أن يتعافوا هم منها.

#### ٤. تاريخ الفرس تأمر على الأمة

بعد كل هذا يمسي الحديث عن كون شعوب إيران كانوا في حقبة معينة من أهل السنة يتبعون المذهب الشافعي، أو لا مذهب لهم: حديثاً لا قيمة له في المعادلة سوى أنه مجرد إشكال فرعي يحتاج إلى تفسير وتوضيح لا يهم أن نصيب فيه أو نخطئ، لا نقطة اعتراض جوهرية لا يمكن التسلسل في الكلام قبل تجاوزها. خصوصاً إذا استحضرنّا عنصر التاريخ لنجد أن إيران طيلة هذه الحقبة لم تهدأ ثائرتها في التأمر على الأمة، أو في سبيل البحث عن وسيلة للخلاص من الارتباط بها والتبعية لها. فبعد سنتين من معركة نهاوند وزوال الدولة الفارسية قتل الفرس أمير العرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد رجلهم أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي صاحب المزار المشهور المنسوب إليه في مدينة كاشان الفارسية. وبعد سنوات معدودات أثار العجم فتنة عمياء قلبوا بها نظام الحكم وقتلوا رأس النظام محاولين أن يكون خلفه مجرد واجهة لتنفيذ إرادتهم، وسرعان ما ألحقوه بصاحبه في مؤامرة استهدفت قادة العرب الثلاثة: معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص إضافة إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جميعاً. وكانت عناصر التنفيذ الثلاثة كلهم فرساً من الموالى المتسترة بالإسلام. وقد ثارت فارس على حكم علي في فترة حكمه على قصرها ثلاث مرات، ولم يتمكن من ضبطها إلا بعد أن ولى عليها زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه. وهكذا لم يقر للفرس قرار حتى قضوا على دولة الأمويين في المشرق، ثم استمرت مؤامراتهم تترى حتى ارتكبوا الجريمة العظمى بإدخال المغول إلى عاصمة دولة الإسلام وقضوا بذلك على الخلافة. والمسلسل مستمر إلى اليوم. والسؤال هنا: هل كان الفرس في تلك الأزمنة سنة أم شيعة؟ صفويين أم فرساً؟ هذا كله وغيره حصل في زمان إيران السنية، وقبل مجيء الصفويين بقرنين ونصف! فأين كان سنة الفرس من هذه الأحداث العظام والخطوب الجسام؟

## ٥. الشعوب تمثلها نخبتها الوطنية والدينية لا دهماؤها وعوامها

لقد دخل المجتمع الإيراني في الإسلام بفعل الفتح الإسلامي، وكان طابعه التسنن كناتج لتلقائي لمجتمع يعيش في ظل دولة إسلامية سنّية، ولأن موجات استيطان عربية كبيرة غزت الهضبة الإيرانية، ولأن جماهير الشعوب وعوامها ودهماءها ظاهرها على الدوام مع الحاكم تهتف له وتصفق وتعلن ولاءها. والشعوب لا تقاس بعوامها ودهمائها. انظر كم من عوام السنة في العراق ودهمائها سارعوا لخدمة الاحتلال والانخراط في مؤسساته العسكرية والمدنية! أفهؤلاء - وإن كثروا - يمثلون الشعب العراقي؟! إن الذي يمثل الشعب نخبه الوطنية، خصوصاً النخبة المتدينة منهم، فهؤلاء - وإن قلوا أو تعرضوا للقهر والتهميش في فترة من الفترات - هم الذين يمثلون الشعب، وفيهم تجتمع خصائصه. وهؤلاء هم عنصر الشد وعامل الإثارة ومركز الاستقطاب. وفي جيناتهم تجد المادة الوراثية الخالصة. فإذا أردت أن تعرف أي أمة فابحث عن نخبتها، وعن أهل الدين فيهم على وجه الخصوص. الشعب الفارسي لا تجده في عوامه الذين سلموا للأمر الواقع، إنما تجده في خلاصته الذين يحومون حول بيوت النار، وفي أبناء الملوك الموتورين، والأمراء المطاردين، وفي العلماء والمفكرين، وفي القادة السياسيين والعسكريين، وفي الشيوخ والدهاقين، وفي الكتاب والأدباء والخطباء والشعراء الذين يحنون إلى ماضي أمجادهم، وينوحون على مفاخرهم المفقودة، وأيام عزهم الغابر، ويؤججون مشاعر العامة باتجاهها، ويثورونهم على الوضع القائم على أساسها.

أعجبت بي بين نادي قومها	ذات حسنٍ فمضت تسأل بي
سرّها ما علمت من خلقي	فأرادت علمها ما حسبي؟
لا تخالي نسباً يخفضني	أنا من يرضيك عند النسب
قومي استولوا على الدهر فتى	ومشوا فوق رؤوس الحُقب
عمموا بالشمس (!) هاماتهم	وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبي كسرى على إيوانه	أين في الناس أبٌ مثل أبي



قد قبستُ المجدَ من خيرِ أبٍ      وقبستُ الدينَ من خيرِ نبي  
وَضُمْتُ الفخرَ من أطرافِهِ      سؤددَ الفرسِ ودينَ العربِ

وما عدا هؤلاء فغناء - بالنسبة إليهم - وناتج عرضي لحركة الحياة عند كل شعب، أو أفراد صالحون مغلوبون على أمرهم، لن يتمكنوا في نهاية المطاف من وقف مسيرة الحياة باتجاه ما تفرضه قوى الشد في مركز النخبة. ومن الطبيعي أن يخرج من أصلاب هذا الغناء، وأولئك الأفراد نخب تعبد الله على بينة. كما أنه من الطبيعي لدى كل شعب أن تجد مجموعة من النخبة تخالف الخط العام لسير المجتمع في فكره وخلقه وعوائده. فحينما نتوجه بالنقد إلى الفرس إنما نقصد تلك النخب التي فيها لا في سواها تتمثل الشخصية الفارسية بكل مكوناتها وعناصرها الفاسدة والصالحة. أما غير هؤلاء فلا يمثلون الشعب، ولا نعينهم بقولنا؛ لأنهم لا يمثلون الخط العام لسيره وسيروته.

## ٦. الحاكم الدخيل يتمثل أخلاق الشعب وعوائده أكثر من الأصل

أما الاعتراض بأن بعض الحكام الذين تولوا قيادة إيران - كالصفويين مثلاً - لم يكونوا فرساً في أصلهم: فالجواب عنه ما يلي، وهو مذكور في كتابي آنف الذكر: (الفارسية) وباء يمكن أن ينتقل بالحث والعدوى، فيصيب أجناساً أخرى عاشرت الفرس وتأثرت بهم، أو أفراداً عاشوا بينهم، لا سيما من وصل منهم إلى رأس السلطة في إيران؛ لأن الحاكم يجد نفسه - كي يقود شعباً من الشعوب - مضطراً بطبيعة الحال إلى أن تتمثل فيه جميع الخصائص النفسية والعادات والعوائد الاجتماعية لذلك الشعب، وإلا لن يتمكن من قيادته. وكما أن رجلاً جاءت به الأقدار ليكون حاكماً أو شيخاً لقبيلة غير قبيلته لا يمكن له أن يقود القبيلة بتقاليد وأعراف غير تقاليدها وأعرافها، وإنما عليه - لكي يستمر في قيادتها - أن يتقمص روحها وشخصيتها، ويتمثل سلوكها، ويعبر عن آمالها وتطلعاتها، وإلا رفضته وفقد السيطرة على قيادها. بل إن هذا الحاكم أو الشيخ الدخيل عادة ما يكون متطرفاً في كل ذلك إلى الحد الذي يتفوق فيه على ابن القبيلة

الأصيل؛ لأن عقدة الشعور بالغبرة أو الدخالة كثيراً ما تدفع الدخلاء إلى هذا التطرف أو التصرف ليعطوا به على هذا الشعور الذي لن يشفوا منه مهما تطرفوا، وكيف تصرفوا! وهكذا فإن كل من كان من غير الفرس على رأس السلطة في إيران تقمص الشخصية الفارسية بكل خصائصها وعقدها رغم أنه لم يكن فارسياً في أصله وعنصره. إنه يحكم إيران بروحية الفرس ونفسياتهم وأعرافهم وتقاليدهم. بل إن تلك الخصائص تتمثل في الدخيل بدرجة أشد ظاهراً مما عند الأصيل بسبب الشعور بالغبرة والدخالة. وهذا ما يدفعه إلى استعراض تلك الخصائص والصفات والتظاهر بها والتشدد فيها كي يغطي على ذلك الشعور. وهو السر الذي يفسر سلوك الصفويين المتطرف، حتى بات التشيع المنحرف يعرف بهم وينسب إليهم. وإلى هذا المعنى أشار البروفسور عماد عبدالسلام رؤوف بقوله (الصراع العراقي الفارسي، المقدمة، ص ١٨): "ومع أن سلالات غير فارسية حكمت إيران في بعض العهود إلا أن سياستها لم تكن لتختلف عن السياسة الفارسية التقليدية التي ذكرنا. فالافشاريون والزنديون والقاجاريون مثلاً وهم ليسوا فرساً لم يكونوا ليصبحوا (شاهات) لإيران لو لم يلتزموا (بالعقدة الفارسية) فيحذون حذو أسلافهم في معاداة الأمة العربية". وبهذا يتبين أن قاعدة الاعتراض معكوسة؛ فالحاكم الدخيل أشد تظاهراً بأخلاق الشعب واستعراضاً لها وتمثلاً لها من الأصيل.

## ٧. علماء الفرس وغيرهم نتاج حضارة عربية إسلامية

ينسب البعض علماء الأمة من أصل فارسي الذين ظهوروا في العصر العربي الإسلامي إلى الحضارة الفارسية. وهذه نظرة تفكيكية سطحية قاصرة؛ لأنها تنسى أن هؤلاء هم نتاج الحضارة العربية التي سادت وانتصرت، وليس الفارسية التي هزمت وتوارت. ولأنها لا تدرك أن كون الحضارة منسوبة إلى قومية أو ديانة معينة لا يعني خلوها من العناصر الأخرى التي امتزجت بها ففقدت خصائصها الأصلية، أو ضعفت هذه الخصائص بذوبانها أو تأثرها أو خضوعها لعناصر الحضارة الجديدة. إن

كثيراً من كبار علماء أمريكا وأوروبا من العرب، لكن الحضارة التي يشاركون في بنائها هناك ليست عربية، ولا يمكن أن تسمى كذلك، ولا يصح نسبتهم إلى حضارة مشتق اسمها من قوميتهم أو ديانتهم الأصلية. إنهم نتاج الحضارة الغربية، ولولا احتضان هذه الحضارة لهم لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مراتب في سلم العلم والإنجاز الحضاري. وهكذا فلولا الحضارة العربية الإسلامية لما ظهر مثل البخاري أو أبي حنيفة أو سيويه، ولا الفارابي أو ابن سينا، ولا غيرهم بالطريقة نفسها التي ظهروا فيها وقدموا من خلالها خدماتهم للبشرية جمعاء. ولا بأس مع هذا أن يظل العالم على المستوى الشخصي يحمل خصائصه العرقية كلاً أو بعضاً؛ ما دام يعبر عن جهده ضمن منظومة حضارية أخرى. كما هو حال الكثيرين من علماء العرب وهم يساهمون في بناء الحضارة الغربية.

جهد إيجابي يعادله جهد سلبي: ولا يغمط هذا من حق الشعوب في مساهمتهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية، ولكن بشرط أن يوضع هذا كله ضمن هذا الإطار، وينظر إليه بهذا المنظار. وكون الطابع السني هو الغالب على هؤلاء المفكرين والعلماء وغيرهم من المجاهدين والعاملين والمشاركين في صنع الحضارة الإسلامية شيء طبيعي بسبب أن الحضارة الغالبة هي حضارة إسلامية سنية بامتياز. هذه ملاحظة جوهرية مهمة جداً. يضاف إليها ملاحظة توازيها في الأهمية وتقابلها في المعادلة، هي أن هذا الجهد الإيجابي للفرس كان إلى جانبه جهد سلبي خطير لا يقل عنه أثراً - إن لم يزد عليه - يتمثل في المؤامرات السياسية والعسكرية والثقافية والدينية وغيرها من المناشط الحياتية والاجتماعية في الفترة التي كانت إيران ذات طابع سني ظاهري. ومن شواهد تلك الجيوش الجرارة من العلماء والرواة والأدباء والشعراء الذين كتبوا وقعدوا ووضعوا أركان التشيع الفارسي، ومصادره الأصلية. إن محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة واضع آخر مصدرين من المصادر الأربعة التي تأسس عليها التشيع كانت سنة وفاته (٤٦٠ هـ) بينما لم يبدأ حكم الصفويين لإيران إلا في سنة (٩٠٦ هـ)! أي بعد أربعة قرون ونصف. وفي تلك الفترة تأسست أول مدرسة

حوزوية شيعية في النجف، أسسها الطوسي هذا. دعك من المؤلفات والكتب والأنشطة الأخرى والركام الكثيف للأحاديث المحرفة التي تصدى لها المحدثون. أضف إلى ذلك الكم الهائل من الضخ الشعبي برجاله ومؤلفاته ونشاطاته وتحكمه في القرار السياسي والعسكري والتثقيف الاجتماعي. وكمثال سريع لا يمثل إلا نقطة في مستنقع نأخذ الفردوسي صاحب الشاهنامة أكبر موسوعة شعبية تؤرخ للفرس، فقد ظهر هذا الشعبي الخطير في القرن الرابع الهجري، أي قبل الصفويين بستة قرون. وقد كان هذا الدور بكل تشعباته من الخطورة بحيث تمكن أخيراً من إسقاط الخلافة العربية الإسلامية سنة (٦٥٦ هـ) أي قبل مجيء الصفويين بقرنين ونصف! وقبلها بأكثر من خمسة قرون شارك مشاركة فاعلة في إسقاط الخلافة الإسلامية الأموية. فنسبة الشر الفارسي كله للصفويين، وتبرئة الفرس منه بإطلاق لا ينطلق من أساس علمي رصين، ولا يقبل إلا عند النظرة السطحية غير المعمقة. وهي نظرة غير واعية تنطلق من زاوية طائفية ضيقة، وتهمل بقية الزوايا وعناصر التأثير؛ فما دامت الجهة سنية فالخير كل الخير فيها، وما دامت غير ذلك فينسب إليها الشر كله.

**جهد سلبي ذو حجم كبير وخطير:** إننا إذا نظرنا إلى حجم المؤامرة العلمية الثقافية الفارسية نجدها من العظم بحيث لا يمكن أن يشفع للتغاضي عنها أو تسميتها بغير اسمها ونسبتها إلى أهلها بحجة أن الفرس أعطوا للأمة - من ضمن ما أعطوا - علماء ومفكرين شاركوا في صنع الحضارة الإسلامية. بل إن بعض أولئك الفقهاء والعلماء الفرس الذين احتضنهم مجتمع الإسلام كانوا لا يفترون - عن قصد أو بدوافع نفسية غير واعية - عن شحن المجتمع بالحق على أمرائه وخلفائه، وإثارتهم ضدهم رغم إحسان حكام العرب إليهم ومنحهم الحرية في أن يقولوا ما يريدون. لقد استغلوا هذه الحرية في سبيل تشكيك الشعوب بحكامها، وعزلهم عنهم مستغلين ثقة العامة بهم وتقديرهم لهم. ولا أريد أن أسمي أحداً لأن العقول غير مستعدة لمثل هذه الصدمة، وسماع البحث في موضوع كهذا ظل مطموراً لم يبحث إلى الآن في غفلة تامة عن علماء كانوا يتآمرون على

الأمّة أو يسيئون إليها دون قصد بسبب نفسيّتهم الفارسيّة المعقّدة، ما زالوا إلى اليوم لا يذكرون إلا بالتقدير والتبجيل، وربما يسفر البحث - لو تم ولا أراه - عن وضع كثيرين منهم في قفص الاتهام.

**مؤامرة ذات ثلاث شعب:** لقد حرص الفرس أن تكون مؤامرتهم على الدولة العربيّة الإسلاميّة ذات ثلاث شعب أو اتجاهات رئيسية: الاتجاه العلمي، والاتجاه السياسي، والاتجاه العسكري. وكان أقربها نيلاً، وأسرعها تأثيراً بالمجتمع خصوصاً عوامه، وأسلسها مروراً، وأخفها مقصداً: العمل بثوب العلماء وطلبة العلم والزهاد والوعاظ والأدباء والمفكرين.

وهذا يفسر كثرة طلبة العلم من الموالى الذين التفوا حول علماء الصحابة على عهد التابعين فمن بعدهم. حتى كادوا بعد مدة أن يسلبوا العرب قيادة العلم. فلما لم يتمكنوا بالدرجة المؤشرة كههدف نهائي، صاروا يخترعون الأكاذيب في تضخيم دور الفرس في هذه الناحية، ومن ذلك نسبة إمامة أي علم في كل أصناف العلوم إلى علماء فرس. أليس من المضحك المبكي، ومن السذاجة والغفلة المهينة أن ينسب علم العربيّة إلى شخص فارسي؟! ألا ينتبه إلى هذه الخدعة التي بصقوا بها على وجوهنا؟! هل عقر رحم العربيّة أن ينتج لنا وليداً عربياً تكون له إمامة اللغة؟ لو سلمنا جدلاً لكل العلوم أن يكون إمامها فارسياً لا يجمل بنا ولا يليق، ومن العار أن نرضى بأن يكون إمام لغتنا فارسياً.

**السّر في نسبة إمامة العلوم للفرس دون للعرب:** سيّويه مثلاً: وهذا ليس منطلقاً قومياً عنصرياً، بل هو نابع من طبيعة الأمور أولاً ومن معطياتها الواقعيّة ثانياً. فالعربي أعرف بلغته من الفارسي، وهم أكثر عدداً من الفرس الذين أسلموا بأضعاف مضاعفة؛ فعلى أي أساس تخرج زبدة هذا المخيض في النهاية فارسيّة لا عربيّة؟ إلا إذا قلنا بخمول العرب وتخلفهم حتى في مجال اختصاصهم. وهذا مناقض للمنطق. أما معطيات الواقع فتصرخ في آذان المغفلين: إن إمام اللغة بلا منازع هو العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع معجم (العين) أول معجم لغوي في

تاريخ لغة العرب، والذي وضع واكتشف علوماً عدة كان هو مكتشفها ومؤسسها منها علم العروض. أما سيبويه الفارسي، الذي نسبت إليه إمامة اللغة بفعل الدعاية الفارسية، فلم يتمكن حتى من إثبات أهليته العلمية حسب المنهج المقرر عند علماء عصره! والعالم إن لم يشهد له علماء فنه بالعلم فليس بعالم. وسيبويه لم يحز على الشهادة من علماء بغداد وعلى رأسهم الكسائي الذين كانت إليهم المرجعية في العلوم وتزكية العلماء، يوم دخلها ليعرض نفسه عليهم فامتحنوه بالمسألة المشهورة المعروفة بـ(الزنبورية) فأخطأ في الجواب، ورسب في الامتحان؛ فغادرها إلى الأحواز بائساً يائساً حزيناً ليموت بعدها بفترة قليلة - وهو ما يزال حدث السن - كمداً وحسرة. ومعلوم أنه كان في أول الطلب يدرس علم الفقه والحديث، لكن عجمته كانت مثار سخرية واعتراض من مشايخه ولداته من الطلبة، وكان كثيراً ما يلحن، فقال: لأطلبن علماً لا يلحنني فيه أحد بعد اليوم؛ فكان هذا سبب طلبه علم النحو على وجه الخصوص، ومع ذلك لم يفلح فيه إلى درجة الأستاذية والمشيخة؛ فكيف صار إماماً في علم اللغة هي لغة العرب بلا منازع؟!

من الممكن أن يغض الطرف عن هذه الحقيقة الصاعقة فيقال: هل تنكر كتابه في النحو المعروف بـ(الكتاب)؟ وأجيب بمعلومة تنسف هذا الاعتراض ذكرها إمام من أئمة العربية هو (ثعلب) - كما جاءت في كتاب (الأمة العربية وسر تدهورها وانحلالها) للشيخ محمد سعيد العرفي - من أن أصل هذا الكتاب هو إملاءات الفراهيدي لأربعين من تلامذته، جمعت ونسبت لواحد من هؤلاء الأربعين هو سيبويه، وأطلق عليها هذا الاسم!!! ومن لا يعلم هذه الحقائق لانشغاله بغير فنها لا يمكن أن يشم رائحة العنجهية الفارسية وميلها إلى المبالغة والاستعراض تهب من اسم الكتاب.. (الكتاب)! مضاهاة لكتاب الله تعالى الذي جاءت تسميته بهذا الاسم العظيم (الكتاب) العظيم الذي لا يليق إلا به في نص التنزيل وفي أول تعريف به: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]!!! وهذا ما قصده بوجوب التوقف عند ما يقوله صاحب الاختصاص قبل رد قوله؛ لا شيء

إلا لأنها تخالف المعهود. وصدق النبي ﷺ حين قال: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. فغربة الشيء ليست دليلاً على خطئه، بل ربما هي علامة على صحته، لا سيما في زمن الغربة، ونحن في هذا الزمن الغريب.

هذا ما لم يتنبه إليه بالعمق المطلوب إلى اليوم. ويحتاج إلى بحث وتأليف رسائل علمية جامعية. ولكن أين ذلك الفأر العنثري الذي يجروء ويتمكن من تعليق الجرس على جبهة القط؟ ومن يسمح له بذلك من هيئة الفئران التي تتحكم بذلك؟

قد يرد هنا إشكال عن حديث (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل أو رجال من فارس). فقد سبق الجواب عنه في آخر الفصل الرابع من الكتاب. فيرجع إليه من احتاجه.

#### ٨. الفرس هم مخترعو التشيع الفارسي ومنظرو فكرته وحملة رايته

أما القول بأن مخترع التشيع يهودي هو عبدالله بن سبأ، وليس فارسياً، ففيه مجازفة وتبسيط للأمور إلى حد كبير. فعبدالله بن سبأ - إضافة إلى يهوديته - فارسي من بقايا الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن قبل الإسلام بعد أن استنصر بهم سيف بن ذي يزن لطردهم الأحباش والخلاص من الوصاية الرومانية. ثم إن الفرس لم يكونوا ينتظرون ابن سبأ ولا غيره حتى يبدأوا مؤامرتهم ويواصلوا السير بها قدماً. إنما كان لهم منهجهم وبرنامجهم وجهودهم الخاصة. ابن سبأ واحد من أفراد فريق فارسي كبير. ولو افترضنا أن هذا الرجل لم يخلقه الله فإن حركة التآمر الفارسية موجودة به وبغيره. وهذا لا ينفي ولا يمنع استفادة الفرس من كل جهد من سواهم يخدم قضيتهم. لقد حمل الفرس لواء التآمر على دولة العرب والمسلمين، وسخروا كل طاقاتهم في هذا السبيل، وأبسط وأوضح مثال على هذا المصادر الأساسية الأربعة التي عليها مدار التشيع: فإن مؤلفيها الثلاثة جميعاً من الفرس: الكليني والقمي والطوسي. وكانت جهود الفرس في هذا المجال ظاهرة متميزة حتى عرف التشيع بهم وعرفوا به.

## ٩. لا بد من إدخال عنصر العروبة في معادلة الصراع مع التشيع الفارسي

أما إشكالية البعد القومي في الطرح، وتحويل الصراع ضد الشيعة إلى صراع قومي ضد الفرس، فجوابي عنه ما يلي:

أنا لا أسمى هذا بعداً قومياً، وإنما بعداً عروبياً؛ لأن التسمية الأولى فيها إيهام بأن المتحدث ينطلق من أساس قومي، بينما أنا أنطلق من أساس ديني إسلامي. والعروبة من الإسلام، وكره العرب نفاق وزندقة. وقد بينت نظرتي إلى العروبة في مقالة مطولة موجودة في إرشيف موقعنا (القادسية) أسميتها (العروبة بين المضمون الإسلامي والمضمون العلماني). ولشيخ الإسلام كلام دقيق في العرب والعروبة في كتابه (الاعتضاء)، كما أن للإمام حسن البنا نظره الدقيقة للعروبة، والتي لا تختلف عن نظرة شيخ الإسلام، وأنا على دينهما في هذا الموضوع. مع علمي أن عموم الإسلاميين الذين جاءوا بعد البنا كانوا قاصري النظرة بالنسبة للعروبة، بعضهم وقعوا في الفخ الإيراني ترغيباً وترهيباً، انفعاليين في علاقتهم مع القوميين، وأن القوميين في نظرتهم للفرس أدق وأصح وأصوب. وأنا أعتبر نفسي أخذت بحسنة هؤلاء وحسنة هؤلاء. إن صراعنا مع الشيعة في جانب منه صراع بين فرس وعرب، وليس بين مسلمين ومجوس فقط. فالفرس يحاربوننا كعرب كما يحاربوننا كمسلمين؛ فأخراج العنصر القومي من المعادلة تقصير فاضح لا تنجح المواجهة من دونه. وهذه الحسنة التي تميزت بها طروحاتنا هي التي توهم القارئ العجل بأنني قومي الوجهة، وذلك لأن الطروحات الدينية للحركات (الإسلامية) تخلو منها فيظهر الفرق، ومنه ينبع الوهم. لقد كان التقصير في هذه الناحية في أوساطنا الدينية إلى حد أن إخواننا الناصحين يتحسسون أي إشارة إلى فضل العرب والدفاع عن العروبة، ويعتبرون ذلك اتجاهاً قومياً في التفكير، في الوقت الذي يدافعون فيه عن الفرس، ولا يرضون الإشارة إلى عللهم وخطرهم على الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب والعراقيين! دون أن يشعروا بهذه الشعبوية التي تغلغت في غفلة منهم إلى نفوسهم فصاروا مدافعين عن الفرس، كارهين للدفاع عن العرب!



## ١٠. فقهننا ينطلق من واقع مؤلم لا نظريات مجردة

أخيراً أقول: إنني أنطلق في حديثي عن التشيع وعلاقة الفرس السيئة به من واقع مؤلم ندوس فيه على الجمر، ولست واعظاً تقليدياً لا أعرف ما قضيتي، كل ما أبغيه إثارة حماس السامعين فأبرز شيئاً وأخفي غيره حسب متطلبات الحال، ولا أنا في مجلس صلح يجوز لي فيه الكذب والمعاريض من أجل الإصلاح. إن زعل هذا وعدم رضا ذاك لا يغير من الحقيقة شيئاً، الحقيقة التي يجب أن ندركها كما هي لا كما نريد ونشتهي، بعد إجراء حسابات ربح وخسارة، فنقول ما يفرضه الموقف من قول، لا ما تفرضه الحقيقة وتنطق به الوقائع.

إن الشعب الفارسي - على رغم ما يمكن أن ينسب إليه من حسنات بحق أو بباطل - هو أكثر شعب على وجه الأرض تأمر علينا نحن العراقيين وما جاورنا من العرب كالأحوازيين، وأذانا وسبب لنا من الكوارث والمواجه والمقاتل والاحتلالات المتكررة منذ فجر التاريخ وما قبله بآلاف السنين وإلى اليوم. والمنطق والعقل يفرض عليّ أن أبحث طويلاً في السر الذي جعل هذا الشعب يتصرف معي هكذا، وأتأمل كثيراً في سبل دفع الضرر الحاصل تجاهي من شعب هذه هي نوعية العلاقة الرابطة بينه وبينني، قبل أن أفكر في كيفية الاستفادة منه. والشرع الحكيم يقدم دفع المضرة على جلب المصلحة. ناهيك عن أن يستبد بي الذوق الناعم الرفيع فأفكر وأديم التفكير في أعلى (أتكيت) أنصرف على أساسه حتى لا أجرح شعور شخص ينتمي إلى هذا العرق، لم أجده سعى لرفع سكينه أخيه عن رقبتني، أو حاول رد سفاء قومه عني! ليفكروا بي أولاً حتى أمنحهم جزءاً من وقتي أفكر فيه بشأنهم، وأداري رقة مشاعرهم.

فإن تدنُ مني تدنُ منك مودتي وإن تنأ عني تلقني عنك نائياً

ألسنا - نحن أبناء هذا الجيل - نذبح منذ أن فتحنا أعيننا على الحياة سنة ١٩٨٠ على يد الفرس وإلى اليوم؟ فأين أولئك الفرس المنصفون الذين ينبغي أن يفكروا بمصيبتني، ويرفعوا أصواتهم بالنكير على أبناء جلدتهم من

أجلني؟ تقول لي: مغلوبون على أمرهم؟ وأقول لك: كلامي عن الغالبين وليس عن هؤلاء المغلوبين. لقد بلغت جرائمهم معي حداً لا يمكن السكوت معه من أجل حفنة غثاء لا يسمن ولا يغني من جوع. فبحثي عن أسباب هذه المصيبة الغائرة في أعماقي كعراقي ينطلق من هذه الحقيقة، ولست باحثاً أكاديمياً عنده فائض وقت يريد تبديده في بحث علمي باعته الترف.

على أنني أقول: لسنا اليوم في مرحلة التفكير في كسب الآخرين وضمهم إلى صفنا، بقدر ما نحن في مرحلة إيجاد هذا الصف وتقويته وتحسينه، واستغلال طاقاته، ومن شرط نجاحنا في مهمتنا إبراز العدو الحقيقي في الساحة التي أتحرك فيها، وتسميته باسمه الصريح. وبغير هذا لا يمكن للطاقات أن تتفجر، فضلاً أن تكون في اتجاهها الصحيح نحو هدفها السديد. عندها فقط يصح منهجياً التفكير في استغلال طاقات الغير أو مداراتهم كسباً لهم أو تجنباً لإثارتهم. إن الوهم بأننا في مرحلة الكسب خطأً ستراتيغي خطير هو أهم معوق في طريق نهوض أهل السنة ولملمة صفوفهم، وسببه التثقيف (الوطني) الذي مارسه المنبر السياسي والديني على مدى الأجيال المتأخرة في زمن الهزائم المتلاحقة، ويجد صدى وقبولاً لدى البعيدين عن معاشة الميدان، ولدى أولئك الحالمة وغير الواقعيين وإن كانوا في داخل المعمعة بسبب من تلك الثقافة البائسة. إننا ما زلنا نعيش وهم التصرف على أساس أن أمة واحدة موجودة في الواقع، وأننا في زمن دولة الخلافة الجامعة لكل الأمم والشعوب. بينما هذا كله لا أثر له خارج الذهن. فالعمل على أساسه كواقع لا يزيدنا إلا خسارة وابتعاداً عن الهدف. لا بأس أن نحلم ونطمح، لكن من دون أن نبني طابوقة واحدة على حلم لا وجود له إلا في عالم الخيال. إذا عشنا أحلامنا كحقيقة من أجل تغيير الواقع سيأتي يوم يمسي فيه ذلك الواقع الذي لم نكن راضين به حلمًا نتمناه ولا نلقاه. لسنا في مرحلة كسب الغير، وإنما نحن في مرحلة التكوين الذاتي، وهي مرحلة تحتاج منا أن نلتفت إلى الداخل فنبنيه. مرحلة لا نحتاج فيها ضرورة إلى جهود الآخرين؛ لأنها

أساساً غير قابلة للتوظيف؛ لعدم وجود الدولة الجامعة، فضلاً عن كونها غير ضرورية، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وأخيراً يذكرني قول أخي الناصح الذي أوردته في بداية المقال: " إن الفرس أمة كبيرة منهم الصالحون ومنهم دون ذلك " بقوله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. والراجح أنه استورد هذا الوصف من هذه الآية. فأقول: مع كون اليهود على الوصف المذكور المشترك، لكن وجود الصالحين فيهم لم يمنع القرآن من القسوة في ذمهم، والإيغال في بيان مخازيهم، وفضح أخلاقهم، وبيان عقائدهم وعقدهم، والتشديد في التحذير منهم. وكذلك نحن فاعلون حتى يكف (الصالحون) عنا سفهاءهم، وما هم بفاعلين. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.





## مصطلحات مهمة في علم النفس والأمراض النفسية

هذه مجموعة من المصطلحات العلمية المستعملة في علم النفس والأمراض النفسية التي وردت في هذا الكتاب. عمدت إلى طرحها بأسلوب مبسط قدر الإمكان، محاولاً أن لا يبعدني ذلك كثيراً عن التفسير العلمي الفني أو الأكاديمي للمصطلح، الذي يتميز عادة بتعقيده وانغلاقه؛ ما يجعله صعب الفهم بالنسبة إلى القارئ غير المتخصص؛ فيحتاج إلى تبسيط قد يؤدي - بطبيعة الحال - إلى الخروج شيئاً ما عن المعنى العلمي الدقيق للمصطلح. وقد اعتمدت في عرضها على كتاب (التخلف الاجتماعي) للدكتور مصطفى حجازي، وكتاب (أصول علم النفس) للدكتور أحمد عزت راجح.

### العقدة

### Complex

استعداد نفسي لا شعوري مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير. مركب من ذكريات وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية من الذعر أو الغضب أو الكراهية أو الاشمئزاز أو الغيرة أو الإحساس الخفي بالذنب. والعقدة استعداد لا شعوري أي لا يفتن الفرد إلى وجوده ولا يعرف أصله ومنشأه، وكل ما يشعر به هو آثار

العقدة في سلوكه وشعوره وجسمه: كالقلق الذي يغشاه، أو الشكوك التي تساوره، أو اضطرابات في وظائف أعضاء الجسم كالمعدة أو القلب أو التنفس.

قد تنشأ العقدة من صدمة انفعالية واحدة، أو من خبرات مؤلمة متكررة، أو من تربية في عهد الطفولة، تسرف في الكبح والتخويف أو التدليل أو التأثيم أي إشعار الطفل بأنه خاطئ مذنب من كل ما يفعل. مثل هذه التربية من شأنها أن تولد في نفسه مشاعر بغیضة بالنقص والذنب والقلق والغيرة، أو عواطف هدامة كالحقد والكراهية. وهي مشاعر وعواطف ثقيلة على النفس لا تلبث أن تكبت فتنشأ عنها عقدة أو عدة عقد. وقد تكون عناصر العقدة وملابساتها منسية نسياناً تاماً، أو جزئياً.

### عقدة النقص

### Inferiority complex

يشعر الفرد بالنقص حين يدرك أن بينه وبين غيره فرقاً في جسمه وقوته، أو ذكائه وعلمه، أو حالته الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها، حقيقةً كان هذا النقص أم متوهماً. إذ ليس من الضروري أن يكون بالفرد نقص حتى يملكه هذا الشعور الذي يدركه إدراكاً مباشراً ويعترف به مع نفسه. وقد يدفع هذا الشعور صاحبه إلى التفوق والارتقاء بطريق مباشر كما يعتمد ضعيف الجسم إلى تقوية بنيته، أو بطريق غير مباشر كما يفعل الطالب المتخلف في دراسته على التفوق في مجال النشاط الرياضي مثلاً.

أما عقدة النقص فتتولد حين يتعرض الفرد لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل وقلة الحيلة، مع فشله في التعويض الناجح؛ فيلجأ إلى كبت شعوره أي إلى إنكار وجوده، بل وإلى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية. ويلجأ كذلك إلى التعويض الوهمي، كأن يصاب بمرض

نفسى كالهستريا يتخذه عذراً وجيهاً عن عجزه ونقصه؛ إذ لو لم يكن مريضاً لما عرف العجز إليه سبيلاً، بل لتفوق على غيره. وهكذا يعفوه المرض من لوم الناس، بل من لوم نفسه. أو يلجأ إلى الدعاوى الفارغة وأوهام العظمة.

والمصاب بعقدة النقص كل ما يذكره بالنقص يحمله على الفور وبطريقة تلقائية على الدفاع عن نفسه بأن يستجيب بعنف.

### التعويض الزائد

### Overcompensation

التعويض هو كل محاولة لإخفاء نقص أو التغلب عليه. وكثيراً ما يكون التعويض ستراً للنقص لا التماساً للقوة وإصلاح العيب. وقد يطلق التعويض على كل محاولة للتحرر من الشعور بالنقص؛ لذا فقد يعتبر التبرير والإسقاط وأحلام اليقظة والعدوان على الغير مثلاً صوراً من التعويض لكنه تعويض فاشل.

أما التعويض الزائد فهو مهاجمة النقص بعنف بما يؤدي إلى تضخم مظاهر التعويض، كالشخص الضعيف البنية الذي يمارس الألعاب الرياضية ولا يقنع أن يصير جسمه عادياً بل يجهد نفسه ليكون من الأقوياء. ويتخذ التعويض الزائد صوراً كثيرة منحرفة منها اصطناع ضروب من التصرف المتكلف السخيف طمعاً في جلب انتباه الآخرين. والتباهي بأعمال عظيمة، أو الخروج على الناس بأفكار مغربة، أو التمشدق في الحديث، أو اللباس غير المحتشم. بل قد يتخذ شكل عدوان وإجرام كي يثبت الفرد لنفسه وللناس أنه غير ضعيف، وأن لديه من القوة ما يتحدى به حتى القانون. ومن الأمثلة على التعويض الزائد العمامة الكبيرة الزائدة عن الحد التي يلبسها (رجل الدين) الإيراني عادة ومن لف لفه، وتقيدته بملابس ذات تصميم خاص ملفت للنظر لإخفاء الجهل الذي يعاني منه. وكتابة المؤلفات المستعصية على الفهم للسبب نفسه.

## عقدة الذنب

## Guilt complex

الشعور بالذنب أو وخز الضمير (Sense of guilt) هو الشعور الذي ينجم عن قيام الفرد بعمل لا يرضاه ضميره، وهو شعور سوي ذو قيمة في تهذيب الفرد. غير أن هناك شعوراً بالذنب يكون هائماً طليقاً غير واضح المصدر - مثله كمثل القلق العصابي - وكثيراً ما يقترن بالقلق واستصغار الذات أو الاشمئزاز منها. فترى المصاب لا يعرف لماذا هو يشعر بالذنب، يغشاه شعور غامض موصول بأنه مذنب آثم حتى إن لم يكن أذنب أو أتى شيئاً يستحق عليه العقاب، أو يلوم نفسه على أمور لا يلومه عليها أحد، ويرى في أخطائه ذنباً لا تغتفر.

في هذه الحال يكون الفرد يعاني من «عقدة الذنب». كما أنه يشعر بحاجة ملحة إلى التكفير - ولو بعقاب نفسه - التماساً للراحة، وتخففاً مما يكابده من توتر مجهول المصدر. وتفسير ذلك التنشئة منذ الصغر على تهويل الذنوب مهما صغرت، ولوم الطفل وعقابه وتأنيبه وإشعاره بالذنب من كل ما يفعل، وأنها لا تكفر حتى يحل العقاب، فتراه لا يشعر بالراحة إلا إذا تعرض له. حتى إن فتاة منعها والداها من قراءة كتاب معين، غير أنها أخبرتهما ذا يوم - كذباً - أنها قرأته فأوقعها عليها العقاب، إذ ذاك شرعت تقرأ الكتاب وهي مطمئنة مرتاحة البال.

وهكذا ترى أن من يعاني عقدة ذنب يندفع من تلقاء نفسه إلى عقاب نفسه، تدفعه حاجة لا شعورية ملحة إلى هذا النوع من العقاب. سواء كان هذا العقاب مادياً أو معنوياً، فتراه يورط نفسه - عن غير قصد ظاهر منه - في متاعب ومشاكل مالية أو مهنية أو عائلية أو صحية لا يناله منها إلا التعب والمعاناة والمشقة والعذاب. بل قد يستفز عدوان الغير عليه، أو عدوان المجتمع بارتكاب جريمة. فإذا حل به العقاب زال عنه ما يغشاه من توتر أليم. والانتحار أقسى حالات عقاب الذات. ومن هؤلاء من يتقبل الإهانات دون دفاع عن نفسه، وهو يفتش عما يؤذيه ليجد الراحة بل اللذة



في هذا الأذى أو العقاب. ويطلق على هذا الشخص لقب المازوخي أو الماسوشي (Masochist). وتظهر عقدة الذنب واضحة لدى الشيعة وهو يجلد نفسه جلدًا دونه جلد الزناة في شرع الإسلام، ويلطم صدره ويشدخ رأسه إلى حد فقدان الوعي أو الموت تحت ذريعة خيالية هي حب الحسين! وتجد الماسوشية جلية في تفشي اللواط في المجتمع الإيراني خصوصاً في المراكز الدينية وما حولها. وقد انتقلت هذه الرذيلة إلى المراكز نفسها في النجف وغيرها والتجمعات التي تأثرت بها. وتقوم عملية «الإسقاط» بدورها في إلصاق هذا العمل الخسيس بخصومهم، حتى إنهم يتهمون به خيرة الصحابة! بل كل من تسمى بـ«أمير المؤمنين» من خلفاء المسلمين في تاريخهم بدءاً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه!

اللاوعي = (الخافية، اللا شعور، العقل الباطن)

Unconscious

يعتبر التحليل النفسي أن النفس الإنسانية تقسم إلى قسمين أساسيين: النفس الواعية وتسمى الوعي (الشعور)، وهي مركز العمليات الذهنية العادية من تفكير وإدراك وإحساس وإرادة وتخطيط وتفاعل مع العالم. والنفس اللاواعية (اللا شعور)، وهي تضم كل القوى النزوية وكل الميول الطفلية والبدائية ذات الطابع الحيواني التي لا تعرف المنطق ولا تراعي الزمان ولا المكان.

هذه القوى تظل بعيدة عن إدراكنا، ولكنها تؤثر فينا وتوجه سلوكنا وعلاقاتنا واختياراتنا دون أن ندري حتى إنها قد تتقنع باعتبارات عقلانية منطقية.

واللاوعي يشكل الجانب الأكبر من الحياة النفسية، وتأثيره حاسم في بنية الشخصية وتوجهاتها الأساسية. تحتاج محتويات اللاوعي إلى إشباع عن طريق التنفيس الذي يتخذ أشكالاً رمزية ومقنعة، وينبث في كل تصرفاتنا اليومية. فيظهر عادة بشكل مقنع في الأحلام والهفوات وفتلات اللسان. وبما

أن هذه المحتويات إجمالاً من النوع غير المقبول خلقياً أو اجتماعياً؛ ولذلك يتنكر لها صاحبها أشد التنكر ويقاومها الوعي بشدة؛ لأن الوعي بها يثير قلقاً شديداً يصعب على الشخص احتماله.

وفي رأيي أن النفس اللاواعية لا تضم الميول البدائية والشريرة التي يتنكر لها الشخص في وعيه فحسب، بل تضم الميول والدوافع الخيرة أيضاً التي يخترنها الشخص في لا وعيه، وتحكم تصرفاته بصورة تلقائية غير واعية إجمالاً. ويتم ذلك كله عن طريق الكبت.

الإيحاء = (الاستهواء)

Suggestion

التأثير دون إقناع منطقي، ودون أمر أو قسر لقبول رأي معين أو احتضان اتجاه معين أو أداء فعل معين.

يقوم الإيحاء بدور كبير في تكوين اتجاهاتنا وعواطفنا إزاء الآراء والأفكار والمعتقدات والنظم الاجتماعية. تزداد قابلية الفرد للإيحاء أي لتقبله ما يوحى به إليه دون مناقشة أو نقد أو تمحيص في حالة كونه طفلاً أو جاهلاً أو منفعلاً أو مريضاً أو في حشد من الناس، أو كان الإيحاء صادراً من شخصيات بارزة أو ذات نفوذ. على هذا النحو يتشرب الطفل كثيراً من الآراء والاتجاهات والمعتقدات الشائعة في أسرته دون قصد منه، ودون نقد أو تحليل لاتجاهات الأسرة نحو الدين والوطن والنظام الاجتماعي أو الاقتصادي، نحو المباح أو المحظور، نحو النظام أو الفوضى، نحو المسالمة أو العدوان، نحو حب جماعة أو كره أخرى. لذا فنحن نحمل معنا من عهد الطفولة كثيراً من الانحيازات الضحلة والاتجاهات الحمقاء إزاء بعض الأشخاص أو الجماعات أو الآراء والمعتقدات. وليست الأسرة وحدها مصدر ما نكتسبه من اتجاهات عن طريق القابلية للإيحاء، فهناك المدرسة والصحافة والدعاية والمطالعات الخاصة وأفكار قادة الرأي، والأصدقاء. على هذا النحو تتكون الكثرة من

اتجاهاتنا وعواطفنا، فنحن لم نكتسبها عن طريق التعقل والتفكير والتحليل، بل بطريقة لا شعورية غير مقصودة عن طريق التكرار والعدوى الاجتماعية. على أن هذا لا ينفي أننا نكتسب اتجاهات وعواطف نتيجة التفكير الذاتي والتحليل. لكن هذا له تأثير كما للآخر من تأثير.

وقد عرف أساطين التشيع الفارسي هذه الخاصية النفسية فاعتمدوا في نشر أفكارهم ومعتقداتهم وطقوسهم عن طريقها بالدرجة الأساس، مستغلين زمن الطفولة لغرسها، وجهل الناس بالكتاب والسنة وحقيقة الأمور. وكذلك اعتماد التهيج العاطفي عن طريق النياحة والقصائد المرنمة الشجية، والاستعراضات والحشود الجماهيرية وما يسمى بالموكب الحسينية، والألقاب الضخمة للشخصيات التي تتقدم المسيرة والمرجعية مع العمامة الكبيرة والملابس الخاصة، وإخفاء المرجع في أكثر الأحيان لإضافة هالة من السرية والإبهام والفوقية على شخصيته، كل هذا من أجل أن يؤدي الإيحاء وظيفته لغرس ما يريدون في نفوس الناس قبل عقولهم. فيكون ترسيخ المعتقدات في العقول لا عن طريق الممر الطبيعي وهو مخاطبة العقل مباشرة، وإنما تسريبها إليه من النافذة الخلفية وهي النفس؛ لأنهم يعلمون أنها لو سلكت الطريق المعتاد وحاولت دخول العقل من بابه لربما صدت ولم تتمكن من الدخول. وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «التفكير النفسي». هذا مع اعتماد وسيلة الدعاية والإعلام والتكرار المستمر دون كلل أو ملل للأفكار نفسها على أسماع الجماهير.

### الكبت

### Repression

عملية نفسية دفاعية أساسية يتمكن الأنا الواعي بواسطتها من طرد الرغبات والأفكار والانفعالات المصاحبة لها خارج حيز الوعي إلى حيز اللاوعي هرباً مما يسببه الوعي بها أو تنفيذها من قلق نظراً لتعارضها مع رغبات أخرى أو مع أوامر الأنا الأعلى (الضمير). فهو ينكر ويعمى عن

عيوبه ونقائصه ودوافعه المستكرهة ومقاصده السيئة؛ ليحفظ له كبرياءه واحترامه لنفسه. فالكبت هو أحد العوامل الأساسية لتكوين اللاوعي، به نصرف انتباهنا عن فكرة أو شعور أو حادث بصورة متعمدة ومستمرة حتى نستبعد هذه الأشياء من الوعي في النهاية فلا نستطيع استرجاعها. لكن الرغبات المكبوتة لا تزول، بل تظل نشطة وهي كامنة في اللاشعور تمارس ضغطاً مستمراً كي تبرز إلى حيز الوعي والتحقيق من خلال السلوك والتصرف عندما يتعرض المرء إلى ما يستفز من ظروف ويثيره من مواقف.

### الإسقاط

### Projection

عملية نفسية ينسب الشخص من خلالها ويحوّل إلى غيره صفاته هو أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره التي لا يرغبها ويخجل من الوعي بكونها جزءاً من ذاته. فهو يتهرب لا شعورياً منها بطردها عن نفسه أولاً، ثم إلصاقها بالغير أو اتهامه بها ثانياً كنوع من تبرئة الذات أو الدفاع السلبي عنها. إنه عبارة عن تخلص من كل ما هو سيء في الذات باتهام الآخرين به. فهي عملية أو حيلة نفسية دفاعية مزدوجة. وتتخذ في الخارج مظهرين:

□ أولهما أن ننسب عيوبنا ونقائصنا ورغباتنا المستكرهة المكبوتة إلى غيرنا من الناس والأشياء أو الأقدار أو الحظ وسوء الطالع؛ وذلك تنزيهاً لأنفسنا، وتخفيفاً مما نشعر به من قلق أو خجل أو نقص أو ذنب. كل ذلك بطريقة لا شعورية. فالكاذب أو الجحود أو الأناني أو المتعصب الذي لا يفطن إلى وجود هذه الخصال في نفسه، ينسب الكذب والجحود والأنانية والتعصب إلى غيره. ومن هذا الباب لا يصدق الكذاب ما يقوله الناس؛ لأنه يرى فيهم نفسه المطبوعة على الكذب. ومن أمثلة ذلك: الزوج الذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجته يميل إلى اتهامها بالخيانة. والأب الفاشل في عمله

يميل إلى اتهام ابنه بالإهمال في دراسته. والمدرس الكسول لا يغفر لتلاميذه الكسل؛ لأنهم يصورون له الناحية التي يكرهها من نفسه. كذلك نرى القاضي الذي تعتلج في نفسه ميول إجرامية يميل إلى الصرامة في أحكامه. ومتى رأينا عيوبنا في الناس ملنا إلى وعظهم واشتدنا في محاسبتهم على عيوب نتسم بها ولا ندري. فيكون الوعظ في هذه الحالة مظهراً للإسقاط. من هنا نرى أن أحكامنا على الغير كثيراً ما تكون أحكاماً على أنفسنا، فهي اعترافات أكثر من أن تكون اتهامات. ولكن أكثر الناس لا يشعرون.

من ذلك ترى اتهام الشيعة لأهل السنة بالتكفير والإرهاب وأنهم يظلمونهم ويضطهدونهم ما هو إلا عملية إسقاط يزيحون بها عيوبهم ونقائصهم ورغباتهم المكبوتة إلى الآخرين، ليتخففوا من الشعور بإثمها وعارها أولاً، وليبيحوا لأنفسهم ظلم غيرهم واضطهادهم على اعتبار أنهم يفعلون ذلك من باب الانتصاف والرد بالمثل، والدفاع عن النفس. ومن ذلك وصف جورج بوش للمقاومة العراقية بالقتلة والمتوحشين والمجرمين. وإنما هي صفاتهم يسقطونها على غيرهم.

□ أما المظهر الثاني للإسقاط فهو لوم الغير على ما نلقاه من صعوبات وفشل وما نفع فيه من أخطاء. فكثيراً ما نعزو الرسوب في الامتحان إلى صعوبته، والفشل في المشروعات إلى الحظ، وسوء سلوك الطفل إلى وراثته لا إلى سوء تربيتنا إياه.

من ذلك نرى أن الإسقاط يؤدي غرضاً مزدوجاً: ففيه نتخفف من مشاعرنا ودوافعنا البغيضة، وفيه نكون في حل من نقد الآخرين ولومهم وتوجيه الأذى إليهم قبل أن يوجهوه إلينا. والإسقاط يختلف عن التبرير في أن التبرير دفاع واعتذار، بينما الإسقاط اتهام وقذف واعتداء.

ولا يتم فهم معنى الإسقاط إلا بفهم عمليتين نفسييتين أخريين هما: الاجتياف والتماهي.

## اجتياف

## Introjection

الاجتياف هو العكس المكمل للإسقاط. إنه تلقي وتمثل أو تقمص كل ما هو مرغوب فيه، وتصوره جزءاً من الذات كما يتمثل الجسم الطعام. مأخوذ من إدخال الطعام إلى الجوف. وهو عملية نفسية دفاعية لا واعية إجمالاً. وقد يجتاف الشخص غير المرغوب فيه من الصفات.

التماهي = (التوحد. التقمص)

## Identification

عملية نفسية يتمثل أو يتقمص الشخص من خلالها جانباً أو خاصية أو صفة من الآخر، ليتحول كلياً أو جزئياً على غرار. والفرق بينه وبين الاجتياف في أن الاجتياف هو العملية التي يتحقق بها التماهي، وأنه أعم من التماهي الذي يقتصر على التعامل مع الشخص الآخر، بينما الاجتياف يتعامل مع الصفات عموماً ارتبطت مع ذات أخرى أم كانت مجردة. وهو يختلف عن المحاكاة في أن الأخيرة تظل سطحية وواعية، أما التماهي فهو عملية نفسية لا واعية تؤدي إلى انبناء الشخصية تبعاً لنموذج معين. فتأثير التماهي (أي أن يكون الشخص هو الآخر، أو أن يكتسب هويته) حاسم في تكوين الشخصية.

علماً أن بناء الشخصية يتم عبر سلسلة من التماهيات الجزئية بأشخاص يعتبرون مرجعيين كالوالدين والأساتذة والرؤساء والزعماء والأصدقاء إلخ... ومن ذلك تقمص الطفل شخصية أبيه ليشعر بالقوة التي يصبو إليها، والفتاة المحرومة شخصية الممثلة التي تعجب بها، وتعلق التلميذ الضعيف تعلقاً شديداً بمدرس المادة المتخلف فيها، وتقمص الآباء المحرومين في طفولتهم شخصيات آبائهم فينعمون عليهم بما كانوا قد حرموا منه من ملذات الحياة، ويشعرون بشدة بما يشعرون به من حزن وسرور وحب وكره. ومن ذلك حالة رجل لا يريد أن ينجب أكثر من طفل واحد، ويصر على ذلك إصراراً يبرره بأن تحديد النسل خير طريقة لتربية

الأطفال. غير أن التحليل النفسي دل على أن لديه رغبة قديمة دفينة في أن يكون وحيد أمه. وقد اتخذ من طفله وسيلة لتحقيق هذه الرغبة فتقمص شخصية طفله أو أمه وأخذ يدلل ابنه على غرار ما كان يرجو أن تدلله أمه هو! أي كان الغرض من تحديد النسل لم يكن في الحقيقة مصلحة الابن، بل حاجة الأب إلى تحقيق رغبته الطفلية اللاشعورية. فالشعور بالحرمان والنقص والعجز من الدوافع القوية للتماهي أو التقمص. ومن محفزاته الإعجاب. ويكون طبيعياً وعادياً حين يكون جزئياً يكتسب الإنسان من خلاله صفات مرغوباً فيها يتمتع بها الآخر. لكنه يكون مرضياً حين يكون كلياً بحيث يفقد الشخص استقلالته وذاتيته في حالة من الذوبان في الآخر. والتماهي يكون خطراً على المجتمع حين يكون تماهياً إسقاطياً وحين يكون تماهياً بالمعتدي:

### التماهي الإسقاطي

### Projective identification

وهو عملية نفسية يحاول الشخص من خلالها إدخال ذاته لا شعورياً داخل شخص آخر مكروه بالنسبة إليه كي يسيء إليه ويمتلكه ويسيطر عليه، من خلال استخدامه كمجسد لإحدى نزعاته التي يخشاها كالغدر والعدوانية، أو صفاته التي ينفر منها كالحقد، وذلك بالتنكر لها في النفس وإسقاطها على الشخص الآخر الذي يتعامل معه تبعاً لموقفه من تلك الخاصية (النزعة أو الصفة) وبصورة أسطورية؛ إذ يعتبره رمزاً مضخماً لما هو ممنوع ومكروه في داخله. وقد يعمل التماهي الإسقاطي باتجاه الحب بالطريقة نفسها بصورة معكوسة إذ يصبح الآخر المحبوب رمزاً أسطورياً للمثالية والطهر والخير الذي يرغب أن يتمثله في ذاته. فمبالغات الكره والعدوان، وكذلك مبالغات الحب والإحسان تقوم على هذه العملية النفسية.

ومثاله عقيدة الشيعي بالإمام أو المرجع. وما يرتكبه الشعوب اليوم والغزاة من جرائم بحق أهل العراق.

التماهي الدفاعي = (التماهي بالمعتدي)

Identification with the aggressor

وهي عملية نفسية دفاعية لمجابهة القلق. ومعناها تمثل وتقمص عدوانية المعتدي التي يخشاها الشخص أيما خشية عندما يحس بالعجز عن التصدي لها بقوته الذاتية، مع البحث عن ضحية أضعف منه يصب عليها عدوانه بدلاً من المعتدي القوي كتعويض عن عدم قدرته على تصريف غضبه باتجاه الهدف الصحيح لخشيته المفرطة منه. وبهذا يثبت لنفسه وغيره أنه ليس ضعيفاً ولا يخاف، بل هو قوي ومخيف يستطيع أن يوقع الأذى بالغير ويخيفه. وبذلك يسيطر الإنسان على قلقه. وقد لوحظ ذلك في المعتقلات النازية إذ كان بعض الأسرى نتيجة الخوف الشديد من حراسهم قد صاروا يحاكونهم في حركاتهم ولباسهم وأفكارهم ومشاعرهم ويستسلمون لهم استسلاماً، بل ويعاملون من يفد إلى المعسكرات من أسرى جدد معاملة جافية عاتية تماثل معاملة الحراس لهم. وقد لوحظت هذه الظاهرة أيضاً في زنازين الأسرى العراقيين في إيران نتيجة الخوف الشديد بسبب التعذيب الوحشي الذي كان يوقعه الحراس الإيرانيون بالأسرى العراقيين.

وهذه العملية لا تتم إلا مع عملية التماهي الإسقاطي التي من خلالها يتم إسقاط كل الصفات والنزعات غير المرغوبة على الضحية كي يبرر ممارسة العدوان عليها، وكأنه من خلالها يقوم - لا شعورياً - بمعاقبة نفسه على ضعفها وتخاذلها تجاه المعتدي الحقيقي.

تشيع هذه الظاهرة عند الأطفال في مجابهة قلقهم: فالطفل الذي يخشى اللص يلعب دور اللص محاولاً بث الذعر في نفس طفل أصغر منه. وبذلك يسيطر على خوفه. والطفل الذي يخشى عقاب الأم يلعب دور الأم المعاقبة فيعنف أخاه الأصغر على غلطته.

وتشيع هذه الظاهرة بين الشعوب المستعمرة، التي يتماهى بعض أفرادها بعدوان المستعمر فيقلدونه في سلوكه وصفاته وأدواته وممارسة الاعتداء على الضحية من أبناء بلدهم. وما يفعله ما يسمى بـ(الحرس



الوطني) اليوم في العراق - وهم في الغالب شيعة شعوبيون حاقدون - تجاه أهل السنة على الخصوص أوضح مثال. والمعادلة النفسية كالآتي: محتل يجب على المواطن أن يقاومه ويقاومه، لكنه يخاف منه أيما خوف. وهذا ما يؤدي به إلى القلق والخشية من مواجهة الذات بضعفها وجبنها. وحتى يتغلب على هذا القلق - وبدلاً من أن يواجه المحتل الذي يخشاه - يقوم بتقمص صفات المحتل وعدوانيته مع إسقاطها على ضحية مناسبة، ينتقم فيها لا شعورياً - وبكل قسوة - من نوازعه وصفاته التي يكرهها ويخشاه، ويعاقب من خلالها نفسه التي لا تستحق - في لا شعوره - إلا الاحتقار والعقاب. وهنا يأتي دور اختيار الضحية اعتماداً على الخلفية الطائفية؛ فيكون أهل السنة هم الضحية التي يثبت من خلال الاعتداء عليها ذاته في أنه قوي وأنه لا يخاف. وبهذه الحيلة النفسية يتجنب أمرين لا يريد أن يواجههما في وعيه ولا واقعه: فهو لا يريد أن يعي حالته في كونه خائفاً متهرباً من واجبه في مقاومة المحتل، ولا كونه طائفاً حاقداً عدوانياً. ولا يريد أن يقاوم المحتل الذي يخافه ويرتجف منه، وإلا أدت به الحالة الأولى إلى الانهيار النفسي، والثانية إلى ركوب الخطر. وكلتا الحالتين أحلاهما مر.

### العدوان

### Aggression

هو إيذاء الغير أو الذات وما يرمز إليهما. ويقترن دائماً بانفعال الغضب، ويتخذ صوراً شتى منها العنف الجسدي، أو العدوان باللفظ والتشهير والكيد. أو يكون غير مباشر كعصيان الطفل أوامر والديه، أو الغمز والتندر بالنكتة اللاذعة.

قد يكون العدوان وسيلة للتمويه على شعور بالنقص، أو لتوكيد الذات وإعلان الشخص الخامل الذكر عن وجوده، أو لأنه يتوقع أن خصمه سيباغته على حين فجأة.

وقد يحبط الفرد فلا يستطيع توجيه عدوانه إلى من اعتدى عليه أو هدد

أمنه أو أساء إليه، فيلجأ إلى تصريف عدوانه عن طريق إزاحة هدف العدوان، فإذا بالشخص يوجه عدوانه إلى الناس والأشياء أو إلى نفسه.

**العدوان المزاح :** إن حالت عقبات دون العدوان المباشر على مصدر الإحباط كأن يكون شخصاً مرهوب الجانب كالأب، أو محبوباً كالأم، أو محترماً كصديق تحول العدوان لينصب على أول «كبش فداء» يلقاه في طريقه: إنساناً كان أم حيواناً أم جماداً. كالأب الغاضب من رئيسه في الدائرة قد يصب جام غضبه على أولاده. والطفل الغاضب من والديه قد يكسر لعبته. والجماعة التي يحكمها رئيس مستبد قد تختار واحداً منها يكون ضعيفاً فتعزو إليه سوء سير الأمور. وقد دل إحصاء أمريكي على أن حوادث الاعتداء على الزوج تزداد كلما هبطت أسعار القطن! كأن الزوج هم المسؤولون عما يحل بالمحصول من بوار. وفي هذا ما يشهد بأن الإنسان ليس مخلوقاً منطقياً بل مخلوق سيكولوجي أو نفساني. فهنا نراه ينزع بطبعه إلى استعادة توازنه النفسي دون نظر إلى من يصب عليه عدوانه: ظالماً كان أم مظلوماً.

**العدوان المرتد:** هو ارتداد العدوان إلى الذات. حين يحال بين الفرد وتصريف عدوانه بأي طريقة. كالطفل المغتاز حين يضرب رأسه بالحائط، أو يشد شعره، أو يلقي بنفسه على الأرض. ويتخذ العدوان المرتد صوراً شتى منها: إسراف الفرد في لوم نفسه، أو إصابته بالهبوط والاكتئاب، أو بمرض عضوي كارتفاع ضغط الدم، أو الانتحار حين يكون بديلاً عن قتل الغير. ومن أوضح الأمثلة على العدوان المرتد طقوس اللطم والتطبير عند الشيعة.

اهتياج = (هياج. هوس)

Agitative mania

حالة مرضية تتسارع فيها كل العمليات العقلية والنفسية، ويستثار الجهاز الحسي الحركي. فينطلق المريض في نشاط عارم ومشتت: يرقص،

يغني، يركض، يتحرك، يتحدث بدون انقطاع، منتقلاً من فكرة إلى أخرى بدون أي ترابط سوى تداعي الأفكار والألفاظ. كل ذلك في نوع من النشوة العارمة، والشعور بالسعادة والوفاق مع الوجود، والرضى عن الذات، وتضخمها يعطي الإحساس بنسف كل الحدود والقيود.

وإذا لم يتخذ الأمر طابع المرض العقلي الصريح والكامل فقد يكون الاهتياج عبارة عن رد فعل نفسي وجداني من الإحساس بالقوة والجبروت والسطوة على العالم الخارج، يرافقه مشاعر غبطة ورضى عن الذات، لا تستند جميعاً إلى أي أساس من الواقع. والاهتياج بهذا المعنى عبارة عن رد فعل على مشاعر العجز والتقصير والمهانة وما تولده من قلق شديد، وهو نوع من القلب السحري للمعادلة الوجودية لمصلحة الإنسان المسحوق والعاجز، أو الذي يعاني من عقدة الاضطهاد، حين يسنح الظرف وتنحاز القوة إلى جانبه في يوم من الأيام.

الرَّهَاب = (خَوْف، دُعار)

Phobia

خوف مرضي من أشياء أو كائنات أو أماكن أو وضعيات لا يفترض أن تثير الخوف عند الإنسان الراشد العادي، فيصاب المريض بذعر شديد عندما يلتقي بما يخيفه من هذه الموضوعات كالحشرات والحيوانات والأماكن المغلقة، والأماكن المرتفعة. وقد نجد هذه الظاهرة حتى عند أبطال الحرب والمغامرة كالخوف من حشرة أو من الحقنة إلخ... ومن ذلك خوف العرب من مواجهة الفرس وتفضيلهم قتال الروم دونهم.

الشرعنة

Legitimation

عملية نفسية تهدف إلى تبرير العدوان على الغير من خلال تأثيمه وتحميلة مسؤولية ما يوجد من شر أو مأزق أو خراب، مع تبخيس إنسانيته والحث من قدره وتحويله إلى عقبة وجودية في طريق السعادة والوصول إلى

تحقيق الذات أو الهدف. يترافق ذلك مع رد فعل يتلخص ببراءة الذات التي تصور كضحية لذلك الغير. وبهذا يفتح السبيل أمام إطلاق العنان للعدوانية الذاتية في رد فعل تهجمي تدميري ضد الآخر المسؤول تحت شعار الدفاع المشروع عن النفس. وعماد شرعنة العدوان على الغير هو الإحساس بالغبن، وبروز الاتجاه الانتصافي أو الثأر للذات.

وأوضح مثال واقعي للشرعنة ما يفعله الغزاة الأمريكيان والشيعة في العراق اليوم بعد أن أمسكوا بزمام القوى الأمنية في البلد، ومن خلال منظماتهم الدينية والسياسية إذ يسومون الشرفاء سوء العذاب متهمين إياهم بشتى التهم التي تبرر لهم ممارسة عدوانهم عليهم كالوهابية والإرهاب والتكفير وقتل المدنيين والأبرياء إلخ... إلخ.

العُظام = (أوهام الاضطهاد أو العظمة)

Paranoia

مرض عقلي (ذهان) يتميز بأوهام ومعتقدات ذات طبيعة اضطهادية تطغى على المصاب به لها في نظره صفة اليقين القاطع، وهي غير قابلة للتغيير بالإقناع أو البراهين العلمية أو العملية، مع أنها لا تستند إلى أي دليل أو واقع موضوعي! يقتنع المصاب بهذا المرض أنه ضحية مؤامرة تحاك ضده وتريد النيل منه، وأنه مظلوم ومضطهد ومغبون الحقوق. ويستجيب لهذه الأوهام بمجموعة من الإجراءات الدفاعية والهجومية ضد من يعتقد أنهم يضطهدونه تستغرق كل وقته وتصرفه عن مصالحه الحياتية أشدها هذيان الدعاوى، وهذيان الاضطهاد، وهذيان التأويل. ويكون تصرفه عدوانياً يتخذ طابع الدفاع المشروع من خلال سلوك الاضطهاد المضاد. فيكون في الحقيقة هو الظالم المضطهد (بكسر الهاء) بينما هو يتوهم أنه مظلوم مضطهد (بفتح الهاء) مع ممارسته ظلم الآخر واضطهاده! ويرافق ذلك نوع من مشاعر العظمة حيث يضع المريض نفسه في مرتبة من الأهمية تبلغ حداً فوق التصور. يتمتع المريض بكل صفاته الذهني خارج إطار موضوع التوهم، وميل مرضي للملاحظة والتحليل المتربص بكل شيء.

والعظام من أشد الأمراض العقلية المزمنة، وشفأؤه صعب التحقيق. ومثاله اتهام الشيعة أهل السنة بعداوة أهل البيت، وأنهم مضطهدون من قبلهم.

### الغبين المفروض (الموهوم)

#### Injustice subie

يصاحب مرض العظام مرض آخر هو الغبن الموهوم، وهو شعور يطغى على الجاني يحس به أنه ضحية اعتداء وقع عليه من قبل ضحيته، أو أنه ضحية ظروف ظالمة؛ ما يؤدي إلى تراكم العدوانية ضد الضحية، وتفجير الحقد، واصطباج العلاقة معها أو مع المحيط بصبغة اضطهادية يتحول العالم بسببها إلى وجود لا مكان للحب فيه. ويفجر هذا الإحساس «رد فعل البراءة» أي نفي المسؤولية فيما آلت إليه الأمور عن الذات، ونفي تهمة العدوانية. وهنا يتحول العدوان على الضحية أو المحيط إلى فعل مبرر ومشروع متخذاً صفة الدفاع عن النفس. كما يؤدي الشعور بالغبين المفروض إلى بروز الاتجاه الإنصافي، وكلاهما يؤدي إلى شرعة العدوان على الغير وتبريره.

### عقدة الخُصاء

#### Castration complex

الإحساس بالنقص والعجز عن تأكيد الذات أمام الآخرين، يؤدي بصاحبه إلى الفشل لأنه يحس بانعدام الجدارة، أو انعدام الحق في النجاح الحياتي. وأرى - من خلال استشفاف ما كتبه علماء النفس، ومن خلال الملاحظة الذاتية - أن هذه العقدة تتولد بسبب التربية الخاطئة التي يمارس الأب أو من يقوم مقامه علاقة تسلطية شديدة تجاه الطفل، تفرض عليه احتراماً مفرطاً، وإحساساً بالعجز تجاه الأب. تنعكس هذه المشاعر اجتماعياً بالصورة نفسها تجاه أي سلطة أو رمز يقوم مقام الأب. إن كل نجاح أو تصرف لتوكيد الذات أمامه هو مضاهاة للأب، بينما هو ممنوع عليه أن يضاهيه أو يعبر عن نفسه معه؛ ولذلك يظل في وضعية العجز والقصور.

وقد تكون الاستجابة ليس بالرضوخ وإنما بالإفراط في السلوك التعويضي على شكل مبالغة وتضخيم لمظاهر الذكورة والقوة والرجولة والإقدام إلخ... إلخ.

### النفاج

#### Megalomania

حالة من تضخم الذات الذي يأخذ طابع المبالغة الخرافية لقدراتها وممتلكاتها ومكانتها، بشكل يجعل المحيط يبدو منحسراً أمام الذات. إنه مبالغة في الادعاء لا تستند إلى أي إحساس من الواقع الذاتي أو الموضوعي. والنفاجي كائن مهووس بالعظمة وارتفاع الشأن، أو هو يقدم نفسه هكذا مباشرة بدون جهد فعلي للوصول إلى العظمة، فهو يبالغ في كل ما يمت إليه بصلة خصوصاً في تصوير قدراته. وقد يصل النفاج إلى حد هذيان العظمة، وادعاء ألقاب مفرطة في تضخيمها.

والنفاج نوع من رد الفعل التعويضي على مشاعر نقص ذاتية شديدة. إنه رد فعل تمرد خرافي على العجز، بحيث يكون التضخيم الخارجي متوازٍ عموماً مع النقص الداخلي. تجد المثال واضحاً للنفاج عند الشخصية الفارسية النموذجية لدى (رجل الدين الشيعي) من خلال عمامته الكبيرة وألقابه الرنانة (آية الله العظمى، المرجع الأعلى للمسلمين، زعيم الحوزة، الإمام الأكبر... إلخ).

### النكوص

#### Regression

نكص تعني: رجوع من حيث أتى. والنكوص نفسياً يعني العودة إلى أساليب في التعبير والسلوك يفترض أن يكون المرء قد تجاوزها خلال نموه وتقدمه نحو النضج الراشد. وأوضح ما يكون عند الأطفال حين تعترضهم أزمات جدية، فقد يعود الطفل إلى الحبو بعد أن صار يمشي تشبهاً بأخيه

الأصغر الذي صار محور اهتمام والديه. ويعود إلى التشبث بأمه بعد أن بدأ يستقل عنها. أو يقوم بمص أصابعه عسى أن يصيبه شيء من الحنان المفقود. أما عند الكبار فالنكوص يحدث كرد فعل على مآزق لا يجد له منها مخرجاً؛ فينكص إلى أساليب طفلية وأكثر بدائية في مجابهة الواقع كأنه يريد أن يرجع إلى مرحلة الصغر التي كان يجد فيها من يحل له مشاكله ويؤمن حاجاته دون تدخل منه، أو يقول: أنا أصغر من أن يجب عليّ أن أتحمل هذه المآزق أو المسؤوليات. ومن أمثلة النكوص لدى الكبار لجوء المناقش الهادئ الرزين - حين يفحم - إلى الصياح واللجاج والمكابرة. وارتداد العالم الرصين إلى التفكير الخرافي والحجة الأسطورية. ومن مظاهره السب والصراخ والتمارض والغيرة والعناد والبكاء عند الارتطام بالمشاكل، ومنه التحكم في الأهل والاصدقاء، والإعراض عن الزواج خوفاً من تحمل التبعات، والإسراف في الحنين إلى الماضي. كذلك فإن شدة القابلية للإيحاء أي سرعة التصديق وتقبله للآراء والأفكار دون مناقشة لها أو تمحيص كما يفعل الأطفال قد تكون فعلاً نكوصياً، وكما يتقبل العامي الشيعي آراء المرجع دون نقاش.

### التشييء

### Chosification

هو اختزال وجود كائن إنساني إلى مرتبة الشيء. يتعلق هذا المصطلح بعمليات التبخيس التي تصيب قيمة الإنسان كآخر شبيه بنا ومعادل لنا في علاقة تكافؤ، فيحل محل الاعتراف بإنسانيته انهيار لقيمته في نظرنا. حتى تفقد هذه الإنسانية قدسيتها وما تستوجبه من احترام، وما تتطلبه من التزام تجاهها. يتحول الآخر في هذه الحالة إلى مجرد شيء، أو أداة، أو رمز، أو أسطورة، ويفقد خصوصيته كإنسان واستقلالته كلياً ويدمج في مخططات مضطهده. ويتحول إلى شيء، إلى رمز مجرد للشر يجب إبادته. ومن أبرز الأمثلة عليه اليوم ما تفعله الميليشيات الشيعية المقنعة بالقانون بأبناء السنة في العراق.

التفريغ = (التنفيس أو التصريف)

Catharsis

هو تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطبيعة المؤلمة، من خلال وضعية يثار فيها الوجدان، وتنبعث الأحزان إلى درجة تزول معها الضوابط الواعية، في حالة من المشاركة بين الشخص الذي يعاني وآخرين يتعاطفون معه. يعقبه عادة ارتياح عام وعودة السكينة إلى النفس التي تنقاد للتعبير عن المعاناة أو المأساة بحرية تسمح بتصريف كل التوتر المتراكم. كالمشاركة الوجدانية في حالات الموت. وأبرز مظاهرها ما يسمى بمواكب العزاء الحسيني وما يتخلله من جلد ولطم وتطبير يفوق الوصف.







- ١ - الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٨١هـ.
- ٢ - مصباح الفقاهة، أبو القاسم الخوئي، مطبعة الغدير، الطبعة الثالثة، ١٣٧١.
- ٣ - لا بد من لعن الظلام، الدكتور طه حامد الدليمي، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٥.
- ٤ - التخلف الاجتماعي سيكولوجية الإنسان المقهور، الدكتور مصطفى حجازي، معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة.
- ٥ - أصول علم النفس، الدكتور أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الاسكندرية.
- ٦ - الثورة الإيرانية والتمدن الحديث، جاك ميلوك.
- ٧ - إيران مستودع البارود، أدور سايليه.
- ٨ - الصراع العراقي الفارسي، نخبة من المؤرخين العراقيين، بغداد، ١٩٨٣.
- ٩ - الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، حسن العلوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران - قم..
- ١٠ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، الطبعة العاشرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م، دار الأنصار، مصر.

- ١١ - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الدكتور علي الوردي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩.
- ١٢ - الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.
- ١٣ - منهاج الصالحين، أبو القاسم الخوئي، مطبعة الديواني، بغداد.
- ١٤ - الشهاب الثاقب في بيان معرفة الناصب، يوسف البحراني، قم، ١٤١٩.
- ١٥ - علم النفس الاجتماعي، د. حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤.
- ١٦ - دماء على نهر الكرخا، حسن السوداني، مطبعة الحضارة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.
- ١٧ - المتعة، الدكتورة شهلا حائري، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٩٩٦.
- ١٨ - التشيع العلوي والتشيع الصفوي، الدكتور علي شريعتي.
- ١٩ - الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، الطبعة الأولى، رجب ١٤١٤هـ.
- ٢٠ - سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون.
- ٢١ - (الأنوار النعمانية)، نعمة الله الجزائري، مطبعة شركة بنجاب، تبريز، إيران.
- ٢٢ - أساليب الإقناع وغسيل الدماغ، جي. إي. براون. ترجمة الدكتور عبد اللطيف الخياط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٢٣ - الأستاذ الخميني في الميزان، الدكتور موسى الموسوي.
- ٢٤ - الطاغية، د. إمام عبدالفتاح إمام. الطبعة الثالثة، ١٩٩٧، القاهرة.

- ٢٥ - الحقد الفارسي لماذا؟ المقدم عبد الجبار محمود السامرائي.
- ٢٦ - الشيخ خزعل أمير المحمرة، مجموعة من المؤلفين، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان.
- ٢٧ - الحياة الروحية، محمد طه الكرمي، مطبعة قم، سنة ١٣٨٦.
- ٢٨ - المرتضى، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ٢٩ - الجيتو اليهودي، الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- ٣٠ - الشخصية الإسرائيلية، دكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.







- ١ - القواعد السديدة في بيان أصول الدين الثابتة من الزائفة
- ٢ - المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل
- ٣ - لا بد من لعن الظلام
- ٤ - التوحيد والشرك في ضوء القرآن الكريم
- ٥ - الخمس بين الفريضة الشرعية والضريبة المالية
- ٦ - الخمس بين الحقيقة الضائعة والأوهام الشائعة
- ٧ - العصمة في منظور القرآن الكريم
- ٨ - عصمة الأنبياء عليهم السلام
- ٩ - إمامة الصديق
- ١٠ - هذه هي الحقيقة
- ١١ - التشيع.. عقيدة دينية أم عقدة نفسية؟
- ١٢ - غربان الخراب في وادي الرافدين
- ١٣ - يوميات قضية
- ١٤ - قصة التكوين (تحت التأليف)
- ١٥ - البادئون بالعدوان

- ١٦ - جرائم الإبادة الجماعية المنظمة لأهل السنة في العراق
- ١٧ - من بدأ الحرب: العراق أم إيران؟
- ١٨ - إيران.. العداوة الأبدية
- ١٩ - المقاومة العراقية .. نظرة من الداخل (تحت التأليف)
- ٢٠ - الفدرالية أو اللامركزية السياسية
- ٢١ - هذا هو الكافي
- ٢٢ - مواقيت الصلاة في المصادر المعتمدة عند أهل السنة والشيعة
- ٢٣ - المهدي المنتظر.. هذه الخرافة
- ٢٤ - أسطورة المذهب الجعفري
- ٢٥ - وحدوية العلماني والديني عند الشيعي
- ٢٦ - تحريف القرآن عند الشيعة تهمة باطلة.. أم حقيقة ثابتة؟
- ٢٧ - زيارة المراقد عند الشيعة
- ٢٨ - آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة
- ٢٩ - آية ابتلاء إبراهيم عليه السلام وعلاقتها بـ(الإمامة)
- ٣٠ - آية الولاية وعلاقتها بـ(الإمامة)
- ٣١ - آية المودة وعلاقتها بـ(الإمامة)
- ٣٢ - نكاح المتعة.. نظرة قرآنية جديدة
- ٣٣ - سياحة في عالم التشيع
- ٣٤ - الصحابة بين ميزانين
- ٣٥ - القرآن وعلي والصحابة
- ٣٦ - قراءة في نهج البلاغة

- ٣٧ - إلى متى نخدع؟ إلى متى نخادع؟
- ٣٨ - منطق النقض في نقض المنطق السلمي
- ٣٩ - الدستور الإسلامي للوحدة الوطنية
- ٤٠ - صفحات ساخنة من يوميات عامل في إقليم الكوفة
- ٤١ - محطات على طريق التجديد
- ٤٢ - سائل يسأل لمن المرجعية في الحوزة؟
- ٤٣ - القيمة المضافة
- ٤٤ - أصدقاء الزمن
- ٤٥ - أشواك الورد (ديوان شعر)
- ٤٦ - الوشاح الأحمر (ديوان شعر)
- ٤٧ - أمني (ديوان شعر)
- ٤٨ - ولي فؤاد (ديوان شعر)
- ٤٩ - ساعة في رحاب الحور (قصص قصيرة)
- ٥٠ - ذات الخمار (رواية) (تحت التأليف)









الموضوع	الصفحة
الإهداء .....	٥
المقدمة .....	٧
بين يدي الكتاب .....	١٣
الوصفة غير مكتملة العناصر .....	١٤
الدواء مستورد .....	١٤
ما خالف العامة ففيه الرشاد...؟! .....	١٦
مرضى الوهم .....	١٧
يسبوننا .. ويتهموننا! .....	١٨
الحرب التي أوقد نارها أصحاب النار في إيران .....	٢٠
الاحتلال الأمريكي للعراق .....	٢٠
أهل السنة لا يتحركون!..! (الفتنة نائمة...؟!!!) .....	٢١
تكفيريون حتى العظم يتهمون الغير بالتكفير .....	٢٣
صعوبات البحث ومعوقاته .....	٢٤
<b>الفصل الأول: منشأ الأمراض والعقد النفسية</b> .....	٢٧
مبدأ استعادة التوازن (Homeostasis) .....	٢٧
التوافق وسوء التوافق .....	٢٨
الأزمات النفسية .....	٢٩
وصيد الإحباط .....	٣٠
الحيل الدفاعية .....	٣١

الموضوع	الصفحة
الدوافع اللاشعورية .....	٣٢
التنويم المغناطيسي Hypnosis .....	٣٣
دوافع خفية (لا شعورية) تحكم الفرد .....	٣٤
عملية الكبت ودورها في إخفاء الدوافع .....	٣٦
من خصائص الدوافع المكبوتة .....	٣٧
<b>الفصل الثاني: الأمراض النفسية الجماعية</b> .....	٤١
التشخيص أساس العلاج .....	٤٢
<b>الفصل الثالث: دراسات في الشخصية الفارسية</b> .....	٤٥
أهم الخصائص النفسية التي تميز الشخصية الفارسية .....	٤٧
نظرة تحليلية في جذور الأمراض النفسية الفارسية .....	٥٠
<b>الفصل الرابع: الأمراض والعقد النفسية في الشخصية الشيعية أو الفارسية</b> .....	٥٣
العلاقة بين النفسية (الفارسية) والشيعية .....	٥٤
(الفارسية) ظاهرة وليست عرقاً .....	٥٦
عقدة النقص وعقدة الاضطهاد وأثرهما في تكوين النفسية الفارسية أو الشيعية .	٥٦
حيلة (الإسقاط) وأثرها في التركيبة النفسية الشيعية .....	٥٧
<b>(١) عقدة النقص</b> .....	٦١
منشأ عقدة النقص عند الفرس .....	٦٢
عقدة الدخالة .....	٦٣
العجمي والمستعجم .....	٦٥
عقدة النقص أصل كل العقد النفسية في الشخصية الشيعية .....	٦٥
<b>(٢) عقدة الحقد</b> .....	٦٩
حقد مختص بالعرب .....	٧١
إسقاط حقدهم على خصومهم .....	٧٥
يرضعون الحقد لأطفالهم .....	٧٦
يغذون الحقد لشعوبهم .....	٧٦
حقد شعوبي .....	٧٧
تعذيب أسرانا .....	٧٨

الموضوع	الصفحة
(٣) عقدة الثأر والانتقام .....	٧٩
تغريدة الشيعة .....	٧٩
الغليان والتعبئة النفسية الدائمة .....	٨٠
عقيدة المهدي المنتظر .....	٨١
بعد الاحتلال (الصليبي - المجوسي) للعراق .....	٨٤
(٤) عقدة الاعتداء (العدوانية) .....	٨٩
العامل الجيو - سياسي .....	٨٩
اعتداء منهجي مقصود .....	٩٠
العلاقة مع بقية العقد .....	٩٠
الإحباط أمام الاجتياح الحضاري العربي الإسلامي .....	٩١
الإحباط الناتج عن عقدة النقص وعقدة الاضطهاد .....	٩١
الطبيعة السادو- مازوشية .....	٩٢
البحث عن الذات: أنت تتألم؛ إذن أنا موجود .....	٩٤
التوحد بالمعتدي .....	٩٥
من مظاهر التوحد بالمعتدي أو المتسلط .....	٩٧
شرعنة الاعتداء .....	٩٩
تشبيء الآخر .....	١٠٠
دور حيلة (الإسقاط) النفسية .....	١٠١
يتمسكن حتى يتمكن .....	١٠٣
عدم التعايش مع الآخر .....	١٠٣
الدوني إذا تمكن .....	١٠٤
تساوي المثقف والعامي في التخلف النفسي .....	١٠٥
لا علاج للنفسية المقهورة إذا تمكنت إلا القوة .....	١٠٦
(٥) عقدة الاضطهاد .....	١٠٧
هذاء الاضطهاد .....	١٠٩
يجلبون المآسي على أنفسهم .....	١١٠
الطقوس والشعائر الشيعية .....	١١١

الموضوع	الصفحة
أسطورة اضطهاد (الأئمة) .....	١١٢
اللهم نسألك (اضطهاداً) كهذا (الاضطهاد)! .....	١١٤
مقارنة مع الأئمة الأربعة .....	١١٥
الشيعي كاليهودي مخرب أينما حل .....	١١٥
ملحق في المشاركة الشيعية في الأجهزة الرسمية لدولة البعث .....	١١٧
(٦) عقدة التخريب .....	١٢٣
التخريب دين .....	١٢٤
عدوانية موجهة إلى الخارج .....	١٢٥
(٧) عقدة التعصب (Prejudice) .....	١٢٧
سمات المتعصب .....	١٢٨
الدوافع النفسية للتعصب .....	١٢٨
من فمك أدينك .....	١٣٠
الشعور بالتهديد الخارجي .....	١٣١
تضخم قيمة الجماعة .....	١٣٢
(٨) عقدة (السيد) .....	١٣٥
عقدة النقص أو الدون هي الدافع .....	١٣٥
عقدة الاضطهاد وعلاقتها بعقدة السيد .....	١٣٦
احتقار الأمم لا سيما العرب .....	١٣٧
شاهد أو مشهد مشير .....	١٣٨
وشهد شاهد منهم على مثله .....	١٤٠
المتسيد لا يحترم إلا من يذله .....	١٤٢
ما ضعف العراق في التاريخ مرة إلا وغزاه الفرس .....	١٤٣
(٩) عقدة الاستخذاء .....	١٤٥
عقدة النقص هي الأساس .....	١٤٥
المضطهد يقدر القوة .....	١٤٦
اجتياف عملية التبخيس .....	١٤٧
(١٠) عقدة الشك .....	١٤٩

الموضوع	الصفحة
قصة الملا ناصر الدين والحمال..!	١٥١
التوجس من كل شيء	١٥٢
تفسير التاريخ	١٥٣
<b>(١١) عقدة الغدر</b>	١٥٧
شواهد التاريخ	١٥٨
وتكرر الشواهد	١٥٩
<b>(١٢) عقدة الخداع والتضليل</b>	١٦١
يخدع بعضهم بعضاً	١٦١
الرغبة الخفية بالانتقام	١٦١
<b>(١٣) عقدة الكذب</b>	١٦٣
شاهدان من إيران	١٦٣
شاهدان من العراق	١٦٤
قوم يشتكي الكذاب من كذبهم	١٦٥
الجدور	١٦٦
الكذب تسعة أعشار دين الفرس	١٦٦
<b>(١٤) عقدة اللؤم (نكران الجميل)</b>	١٦٩
جدور اللؤم	١٦٩
إنكار الإحسان وانقلاب آثاره	١٧٠
التاريخ القديم	١٧٤
الخميني الدجال	١٧٥
التاريخ القريب	١٧٧
بيت العنكبوت	١٧٩
شواهد من واقع المجتمع المستعجم	١٧٩
<b>(١٥) عقدة التحلل</b>	١٨٥
الرديلة هي العلامة الفارقة	١٨٦
استبطان التشيع الاثني عشري لرذائل الفرق الباطنية كلها	١٨٧
إتيان الذكور	١٨٨

الموضوع	الصفحة
فتاوى الفقهاء .....	١٩٠
<b>(١٦) عقدة الاستعراض</b> .....	١٩٥
المظاهر المبهرجة .....	١٩٥
إخفاء المرجع .....	١٩٦
الدعاوى الفارغة والتصريحات الرنانة .....	١٩٦
إخفاء الذات .....	١٩٧
المسيرات والمظاهرات .....	١٩٧
<b>(١٧) عقدة الصفاقة</b> .....	١٩٩
معالم الشخصية الصفيفة .....	٢٠٠
الصفاقة عند الفرس فضيلة وليست رذيلة .....	٢٠١
هكذا تكشر الصفاقة عن سوءتها! .....	٢٠٣
التلون وتعدد الوجوه .....	٢٠٥
<b>(١٨) عقدة الذنب</b> .....	٢٠٧
عقدة النقص والخجل من الذات .....	٢٠٧
اجتياف عملية التبخيس .....	٢٠٧
احتقار الأمثال والأتباع .....	٢٠٩
<b>(١٩) تأليه الحاكم</b> .....	٢١١
إسقاط عناصر الديانة الفارسية على الإسلام .....	٢١٣
إسقاط صفات الملك الفارسي على المرجع الشيعي .....	٢١٤
تشيع الخميني! .....	٢١٤
<b>(٢٠) العقلية الخرافية</b> .....	٢١٧
القهر والتعلق بأوهام الخلاص السحري .....	٢١٩
التفكير الارتعابي <b>Wishful thinking</b> .....	٢٢١
حديث (لو كان الإيمان عند الثريا...) .....	٢٢٢
روايات الحديث .....	٢٢٣
الشعوبيون يستغلون الحديث ويضيفون إليه .....	٢٢٥
تركيبة متشابكة من العقد النفسية المركبة .....	٢٢٨

الموضوع	الصفحة
(الفارسية) وباء .....	٢٢٩
<b>الفصل الخامس: التحليل النفسي لأهم عقائد وطقوس التشيع</b> .....	٢٣١
الجدور الفارسية بشهادة الفرس أنفسهم .....	٢٣١
١. الإمامة .....	٢٣٣
٢. العصمة .....	٢٣٤
٣. المرجعية الدينية .....	٢٣٥
٤. تحريف القرآن .....	٢٣٧
٥. المهدي المنتظر .....	٢٣٨
٦. الرجعة .....	٢٤١
٧. شفاعة أهل البيت .....	٢٤١
٨. الغلو في أهل البيت .....	٢٤٢
٩. سب الصحابة .....	٢٤٣
١٠. اتهام أهل السنة بكره (أهل البيت) .....	٢٤٤
١١. مخالفة أهل السنة .....	٢٤٦
١٢. التقية .....	٢٤٦
١٣. السجود على التربة والإسبال في الصلاة .....	٢٤٨
١٤. زيارة المراقد وانتشار ظاهرة الأضرحة .....	٢٤٩
١٥. المتعة والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم .....	٢٥٣
١٦. الخمس والحقوق الشرعية .....	٢٥٤
١٧. النياحة ومراسيم العزاء الحسيني .....	٢٥٦
١٨. التمسك الشديد بالتقاليد والبدع .....	٢٦٢
١٩. تجميد التاريخ .....	٢٦٤
٢٠. الشعوبية والتآمر على الوطن .....	٢٦٦
فتوى السيستاني في تحريم الجهاد وعدم جواز قتال المحتل الأمريكي ..	٢٦٩
ليسوا سواء .....	٢٧٠
<b>الفصل السادس: الصلة النفسية بين الشيعة واليهود</b> .....	٢٧٣
تشابهت قلوبهم فتشابهت عقائدهم .....	٢٧٤

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: تشابه عقائد الشيعة مع اليهود .....	٢٧٦
الدفعة الأولى: خمس عقائد مشتركة .....	٢٧٦
سلسلة من العقائد والطقوس المتشابهة .....	٢٧٧
مقارنات سريعة .....	٢٩٦
التعاون اليهودي - الإيراني أو (اليهودي - الشيعي) .....	٢٩٨
فضيحة إيران غيت .....	٣٠١
الرئيس الإيراني يعترف .....	٣٠٣
رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإسرائيليان يعترفان .....	٣٠٣
تصريحات ووثائق صحفية .....	٣٠٤
المبحث الثاني: المعالم النفسية لدى الشخصية اليهودية .....	٣٠٧
□ القسم الأول: الشخصية اليهودية من خلال الدراسات النفسية الحديثة	٣٠٨
دراسة الدكتور سناء عبد اللطيف حسين في كتابها (الجيتو اليهودي) ...	٣٠٩
أولاً- الشعور بالاضطهاد والخنوع والإذلال .....	٣٠٩
ثانياً - تحقير الذات .....	٣١٠
ثالثاً - الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين .....	٣١٠
رابعاً - العدوانية والعنف .....	٣١١
خامساً - التشاؤم واليأس وفقدان الأمل والتشكك .....	٣١٣
سادساً - الشعور بالتمايز .....	٣١٤
سابعاً - التعصب .....	٣١٦
ثامناً - الشعور بالاغتراب .....	٣١٧
تاسعاً - الشعور بعدم الانتماء للجماعة والولاء للوطن .....	٣١٨
عاشراً - حب المال والبخل .....	٣١٨
حادي عشر - الخوف والشعور بعدم الأمن والأمان خارج حدود الجيتو	٣٢٠
دراسات أخرى .....	٣٢٠
□ القسم الثاني: الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم .....	٣٢٢
ورثة آدم وورثة إبليس .....	٣٢٢
١ - عقدة النقص .....	٣٢٢



الموضوع	الصفحة
٢ - الخوف والجبن .....	٣٢٥
٣ - عقدة الاضطهاد .....	٣٢٦
٤ - العدوانية والعنف .....	٣٢٧
٥ - البخل وحب المال والخضوع لسلطانه .....	٣٢٨
٦ - عقدة السيد أو الشعور بالتمايز .....	٣٢٩
٧ - عقدة التعصب .....	٣٣٠
٨ - الخداع والمراوغة .....	٣٣١
٩ - الكذب .....	٣٣٢
١٠ - الحقد .....	٣٣٢
١١ - اللؤم أو نكران الجميل .....	٣٣٣
١٢ - البارانونيا وأوهام الاضطهاد .....	٣٣٤
١٣ - الصفاقة والوقاحة .....	٣٣٥
١٤ - الخرافية والسحر .....	٣٣٦
١٥ - الحسد .....	٣٣٧
١٦ - الغدر .....	٣٣٧
المبحث الثالث: المنهج القرآني في التعامل مع اليهود .....	٣٣٨
المعالم الرئيسة للمنهج .....	٣٤٠
<b>الفصل السابع: المنهج الأمثل في مواجهة خطر التشيع .....</b>	<b>٣٤٥</b>
مشكلة خطيرة فما هو الحل؟ .....	٣٤٥
لا بد من المواجهة فماذا أعددنا لها؟ .....	٣٤٥
صورة مجملّة للمنهج .....	٣٤٦
المقاصد الكبرى للمنهج .....	٣٤٨
التخطيط المنهجي عند النخبة السنية .....	٣٥٠
التحصين ثم.. التحصين .....	٣٥٢
التشابه بين الشيعة والمنافقين .....	٣٥٢
المعالم الرئيسة للمنهج القرآني في خطاب المنافقين .....	٣٥٤
قانونان: أحدهما لتغيير الفرد، والآخر لتغيير المجتمع .....	٣٥٤

الموضوع	الصفحة
أساليب عامة وأساليب خاصة .....	٣٥٨
□ القسم الأول: الأساليب والمبادئ العامة .....	٣٥٨
١ - تبني مبدأ (القضية) .....	٣٥٨
٢ - التكرار والطرق المستمر .....	٣٦١
٣ - الصدع بالحق .....	٣٦٣
٤ - التكامل .....	٣٦٤
٥ - فضح الباطل وبيانه بالتفصيل .....	٣٦٥
٦ - التأكيد على وجود عدو محدد .....	٣٦٦
٧ - العلاج بالصدمة .....	٣٧٤
٨ - مبدأ الهجوم .....	٣٧٤
الصدع والإعلان .....	٣٧٥
من العداوة تبدأ المودة .....	٣٧٥
من وحي التجربة الشخصية .....	٣٧٦
ماذا يقول المختصون؟ .....	٣٧٨
٩ - النفرة .....	٣٧٩
ينفرون أولاً .. ويعودون أخيراً .....	٣٨٠
١٠ - لا بد من المشكلة .....	٣٨٢
كل نبي كان مشكلة قومه ومجتمعه .....	٣٨٣
١١ - تغيير المجتمع مقدم على زيادة العدد .....	٣٨٤
١٢ - الرد بالمثل .....	٣٨٦
١٣ - صنع النموذج القدوة .....	٣٨٨
١٤ - تكوين جماعة تتقدم الصفوف .....	٣٩٠
وقفة مع غوستاف لوبون مؤسس علم نفس الجماهير .....	٣٩١
□ القسم الثاني: الأساليب والمبادئ الخاصة .....	٣٩٨
أ. تمهيد .....	٣٩٨
الشيعية أكثر إدراكاً واستخداماً للأساليب الجماعية من أهل السنة .....	٣٩٨
نفسية معقدة وقيادة مقنعة فهل من سبيل؟ .....	٤٠١

الموضوع	الصفحة
هل من أمل بالشفاء؟ .....	٤٠٢
آثار العقد الفارسية على الأساليب الدعوية .....	٤٠٦
لا فائدة من الأساليب الترضوية .....	٤٠٧
الأسلوب الشمولي في الخطاب القرآني .....	٤٠٨
الهزيمة النفسية لدى أهل السنة تجاه الشيعة .....	٤١٠
لا تناقض بين الشجاعة الفردية والهزيمة النفسية الجماعية .....	٤١٢
المهزوم لا يأتي بحل .....	٤١٥
دواء واحد فقط للعلاج .....	٤١٥
ب. الأساليب والمبادئ الخاصة .....	٤١٦
١ - الخطاب القوي هو الدواء .....	٤١٦
٢ - فصل جمهور الشيعة عن مراجعهم .....	٤١٨
٣ - فضح تعلق الشيعة المزيف بـ(أهل البيت) .....	٤٢١
٤ - بيان بطلان (خمس المكاسب) .....	٤٢١
٥ - اتباع كل الوسائل الجماعية الأخرى .....	٤٢٢
هشاشة صف الخصم .....	٤٢٣
<b>نحن والفرس من يتجنى على من؟</b> .....	٤٢٩
١. لكل شعب خصائصه وأخلاقه .. والاستثناء للبعض من أفرادهم وارد .	٤٣٠
٢. صعوبة تغيير أخلاق الشعوب .....	٤٣١
٣. الشعب الفارسي أكثر الشعوب استعصاء على التغيير .....	٤٣٣
٤. تاريخ الفرس تاريخ تأمر على الأمة .....	٤٣٥
٥. الشعوب تمثلها نخبتها الوطنية والدينية لا دهماؤها وعوامها .....	٤٣٦
٦. الحاكم الدخيل يتمثل أخلاق الشعب وعوائده أكثر من الأصل .....	٤٣٧
٧. علماء الفرس وغيرهم نتاج حضارة عربية إسلامية .....	٤٣٨
٨. الفرس هم مخترعو التشيع الفارسي ومنظرو فكرته وحملته رايته .....	٤٤٣
٩. لا بد من إدخال عنصر العروبة في معادلة الصراع مع التشيع	
الفارسي .....	٤٤٤
١٠. فقهننا ينطلق من واقع مؤلم لا نظريات مجردة .....	٤٤٥

الموضوع	الصفحة
مصطلحات مهمة في علم النفس والأمراض النفسية	٤٤٩
العقدة Complex	٤٤٩
عقدة النقص Inferiority complex	٤٥٠
التعويض الزائد Overcompensation	٤٥١
عقدة الذنب Guilt complex	٤٥٢
اللاوعي = (الخافية، اللا شعور، العقل الباطن) Unconscious	٤٥٣
الإيحاء = (الاستهواء) Suggestion	٤٥٤
الكبت Repression	٤٥٥
الإسقاط Projection	٤٥٦
اجتياف Introjection	٤٥٨
التماهي = (التوحد، التقمص) Identification	٤٥٨
التماهي الإسقاطي Projective identification	٤٥٩
التماهي الدفاعي = (التماهي بالمعتدي) Identification with the aggressor	٤٦٠
العدوان Aggression	٤٦١
اهتياج = (هياج، هوس) Agitative mania	٤٦٢
الرُّهاب = (خُوف، دُعار) Phobia	٤٦٣
الشرعنة Legitimation	٤٦٣
العُظام = (أوهام الاضطهاد أو العظمة) Paranoia	٤٦٤
الغبين المفروض (الموهوم) Injustice subie	٤٦٥
عقدة الخُصاء Castration complex	٤٦٥
النُفاج Megalomania	٤٦٦
النكوص Regression	٤٦٦
التشييء Chosification	٤٦٧
التفريج = (التنفيس أو التصريف) Catharsis	٤٦٨
المصادر	٤٦٩
كتب للمؤلف	٤٧٣
الفهرس	٤٧٧

## هذا الكتاب

كم كنت أقلب البصر في أنحاء هذا الواقع! وأنا أفتش عن السر الكامن وراء ذلك الحقد الطائفي والممارسات المتخلفة المؤذية، والوقاحة الصفيقة في التعامل مع (الآخر). مع انعدام الإحساس بقيمته وقيمه ومشاعره، وإسقاط النواقص الذاتية عليه؟ لماذا هذا العداء الوحشي الذي يلبس لبوس الدين؟ ومصادرة حق الآخر في العيش أو التعايش؟ والسعي الحثيث في محاولة تهميشه وإلغائه من الوجود بشتى الطرق؟ لماذا هذه اللعنات التي تصب على تاريخنا ورموزنا علناً وعلى رؤوس الشهداء؟! لماذا هذا التخريب والحركات الغوغائية المدمرة للذات وللغير؟ والعمالة المتكررة للغازي الأجنبي؟ ما هذه الرايات السود التي تواصل التقدم من الشرق وبلا انقطاع منذ فجر التاريخ في أكد وأور.. وإلى بغداد الأمس واليوم؟ وهذه الحروب التي لا تنتهي؟ ما هذا اللطم والنواح والتطبير وجلد الذات؟ وهذه الذلة والمسكنة والتباكي ودعوى الاضطهاد والمظلومية والمحرومية؟

وأتلفت حولي وأنا أسأل وأتساءل، وأبحث وأناقش.. وشيئاً فشيئاً.. ومع الرصد والتنقيب، والبحث والتحليل والتقليب، ظهرت لي الحقيقة التي كنت أبث عنها واضحة جلية. فإذا أنا أكتشف أن (التشيع عقدة وليس عقيدة). وما كان أعجب تلك اللحظة التي اكتشفت فيها هذه الحقيقة! وقد جاءني عفواً على لسان أحد الأصدقاء، فكدت لحظتها أصبح قائلاً: وجدتها..! وجدتها..!

نعم..! هذه هي الحقيقة المفقودة..! وهذا هو التشخيص المطلوب..!

